

اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

لقاءٌ مع فضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان

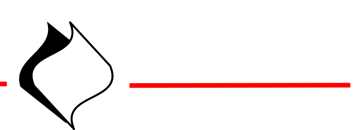
عدد الدروس (196) درسا

عدد الفوائد المستخرجة (2194) فائدة

الجزء الأول

من الدرس (1) إلى الدرس (49)

عدد فوائده (405) فائدة



الدرس الأول

المذيـــــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

أيُّها المستمعون الكرام. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأهلاً وسهلاً بكم إلى هذا البرنامج مع فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان (عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء).

في برنامج شرح كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة اصحاب الجحيم لشيخ الاسلام/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية -رحمه الله رحمةً واسعة-.

سيكون ضيف هذا اللقاء شيخنا الدكتور صالح عبر هذه الحلقات.

في مستهل هذا البرنامج نرحب بفضيلته أجمل ترحيب؛ فحيّاكم الله شيخ صالح وبيّاكم.

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

1) فضل الله العظيم بتسخير أئمة مجددين لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة

المذيـــــــــع: بودّنا قبل أن نبدأ في البرنامج فضيلة الشيخ، أن يكون لكم تقدمة بين يديه وتعريف المُستمعين بعنوان الكتاب ومُحتواه وأهميته، وما ترون في ذلك جزاكم الله خيراً؟

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ فمن رحمة الله -عز وجل- أنه يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدد لها دينها؛ كما جاء ذلك في الحديث الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد وقع مصداق ما أخبر به -صلى الله عليه وسلم-؛ فمنّ الله على هذه الأمة بعددٍ من الأئمة المُجددين على تعاقب الأزمان.

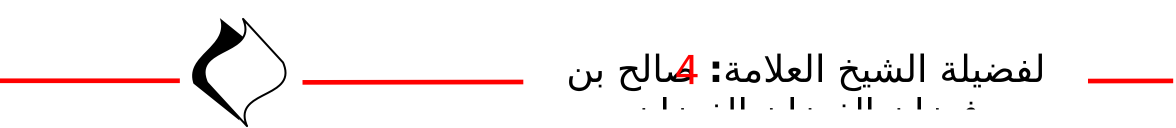
2) علماء الإسلام يقومون مقام الأنبياء في بني إسرائيل ونبينا صلى الله عليه وسلم لا نبي بعده

كان الأمر في بني إسرائيل -كما جاء في الحديث-: أنهم تَسوسُهم الأنبياء؛ كلما مات نبيٌ خلفَه نبيٌ آخر، أما هذه الأمة المحمدية، لمّا كان محمدٌ -صلى الله عليه وسلم- خاتم النبيّين، لا نبي بعده؛ فان الله -سبحانه وتعالى- جعل العلماء يقومون مقام الأنبياء في بني اسرائيل من الدعوة الى الله، وتبليغ هذا الدين للبشرية، و تجديد هذا الدين مما يعلق به من البِدَع والخرافات والمُحدثات.

3) من أبرز مجدّدي الدين في التاريخ الإسلامي: (الإمام/ أحمد بن تيمية)

ومن هؤلاء المجددين الإمام/ ابن تيمية، شيخ الإسلام، أحمد بن تيمية: أحمد بن عبد السلام بن تيمية؛ جده أبو البركات عبد السلام بن تيمية، هو أحمد بن عبد الحليم، أبوه عبد الحليم وجده أبو البركات عبد السلام بن تيمية، وجده إمام المذهب -في وقته-. وأيضًا هو من كبار المُحدِّثين. وله كتاب [المنتقى] منتقى من أحاديث الاحكام، وله كتاب التحرير في المذهب. وهو من كبار أئمة مذهب الحنابلة؛ ويرجع إليه في معرفة المذهب؛ تَبحُّره في ذلك.

حتى قيل فيه: إن الله ألان له الفِقه كما ألان الحديد لداوود. وأبوه (عبد الحليم) من العلماء. وأما هو فهو الإمام الجليل، البحر الخضم، البدر الساطع، الذي لا يُشق له غُبار في العلوم والدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله؛ فقد قيَّضه الله في وقتٍ كان العالم الإسلامي يَغطُّ في سُباتٍ عميق من الغفلة، والتقليد، وانتشار البِدع والُمحدثات التي تراكمت في عهده.



4) انتشار المذاهب المخالفة لمنهج السلف في عصر ابن تيمية وانتشار الأدلة العقلية

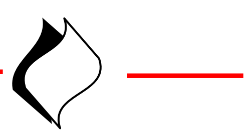
صحيحٌ أن هناك من الفقهاء -كمٌ كبيرٌ من الفقهاء- الذين يعتنون بالفقه فقط، ولا يعتنون بأمور العقيدة، ولا يهتمون بذلك؛ وإنما يسيرون على ما سار عليه مَنْ قبلَهم مِن أهل الأهواء -إلا من رحم الله سُبحانه وتعالى-:

ففي وقته، طغى على المسلمين الكلام في صفات الله -عز وجل-؛ بسبب انتشار علم الكلام، وعلم المنطق الذي اعتمده كثيرٌ ممّن يبنون عقائدَهم على براهينه، وعلى مُقدماته ونتائجه؛ ويُسمونها الأدلة العقلية، ولا يهتمون بأدلة القرآن والسنة في باب الأسماء والصفات؛ يقولون: لأنها لا تفيد اليقين، وإنما تُفيد الظن؛ وأما الأدلة اليقينية فهي علم الكلام وبراهين المنطق بزعمهم؛ فحصل ضلالٌ كبير، وانتشر مذهب الجهمية، ومشتقاته، فحصل في هذا الباب خلطٌ عظيم: في باب الأسماء والصفات، وانتشر مذهب الجهمية والمعتزِلة، والأشاعرة، وكثيرٌ من الفِرَق المخالفة لمنهج السلف؛ وصار هذا هو المنهج السائد في ذاك الوقت.

5) تفصيل لبعض المذاهب الضالة في عصر ابن تيمية

كما انتشرت القدرية: الذين ينكرون القدر، أو يغلون في إثباته -وهم (الجبرية).

وانتشر في توحيد الإلهية؛ انتشرت القُبوريّة والصوفيّة والبناء على القبور والمشاهد؛ فصارت القبور أوثاناً، تُعبد مِن دون الله: يُطاف بها ويُتبرك بها، ويُطلب من الموتى؛ الإغاثة وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، بإملاءٍ من أعداء الإسلام، وترويجٍ من أعداء الإسلام.



6) انتشار (التقليد الأعمى) في الفقه في عصر ابن تيمية -رحمه الله-

وانتشر التقليد في الفقه؛ التقليد الذي يُؤخذ فيه القول بدون معرفة دليله؛ بل إن كثيرًا من المُتفقهة يَتعصّب لإمامه، ولو كان قولُه يُخالف الدليل؛ لأن العلماء ليسوا معصومين: يحصل منهم أخطاء في اجتهاداتهم، فالمهم أننا نأخذ ما يقوم عليه الدليل -دون نظرٍ إلى فلان أو علّان-؛ لكن الأمر كان بخلاف ذلك: فكان المتفقهة، كلٌّ يَتبع ما قاله إمامه بدون تمحيص؛ وهذا ما يُسمى بالتقليد الأعمى والجمود، الذي ران وكثُر في ذاك الوقت.

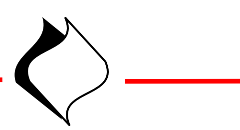
7) ابن تيمية بين ذكائه الخارق وجو الفتن

فشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ظهر في هذا الجو الذي تلاطمت فيه الفتن؛ فنشأ رحمه الله نشأ في طلب العلم. وأعطاه الله ذكاءً خارقًا، فنشأ في طلب العلم في بلاد الشام، ومنشأه في حرّان. ولكن لما جاء التتار، وغزَوْا المسلمين وفتكوا بالمسلمين؛ انتقل أهله من حرّان إلى دمشق؛ ولذلك يسمى بالحرّاني - نسبة الى حرّان-؛ فوجد العلماء في الشام: تتلمّذ عليهم، وأخذ من علومهم.

ثم إن الله أعطاه الاستيقاظ؛ وأنه لا يأخذ الأقوال مجرد نقل؛ وإنما يعرضها على كتاب الله، وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ مُحتذيًا بذلك حذو الأئمة الأربعة -رحمهم الله-: الإمام أبو حنيفة، والإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد؛ فهو ينحى منحاهم فيه اتباع الدليل، ولا يَنحى مَنحى المُقلّدين المتأخرين؛ فلا يأخذ القول إلا وقد تبيّن له دليلُه من (الكتاب والسنة).

8) جهاد ابن تيمية لجميع الطوائف المخالفة بالحجّة والبيان

فقام -رحمه الله- بعد ما مَنَّ الله عليه بغزارة العلم في سنٍّ مبكرة؛ لأنه جلس للتدريس في سنٍّ مُبكرة، لما أعطاه الله من غزارة العلم، وقوة الحجة، وحضور الذاكرة؛ مما بهر مَن يستمع إليه



أو يحظر دروسه؛ كما ذكر ذلك مَن ترجموا له، فواجه -رحمه الله- هذه الفئات: واجه فئة الجهمية، والمعتزلة، ومَن نَحا نحوهم في الأسماء والصفات؛ فانبرى لهم وبيَّن الحق الذي عليه السلف الصالح في أسماء الله وصفاته، وألّفَ في ذلك، ودرَّس وناظر.

حتى إنهم تكالَبوا عليه وتألَّبوا عليه، ووشَوْا به إلى ولاة الأمور؛ فسُجِن عدةَ مرّات.

ثُمَّ إنّهم ناظروه فانتصر عليهم، ودحض ما معهم من الشُّبَه؛ فلم يجدوا ملجأً إلا اللجوء إلى السلطة، فسجنوه.

وكان يشتغل -سواء في سجنه أو خارج السجن-؛ ولهذا يقول: ما يفعل بي أعدائي؛ طَردُهم لي سياحة، وسجنهم خَلوةٌ بربِّي. ويقول أيضًا: ما يفعل بي أعدائي، أنا جنتي في صدري.

فكان -رحمه الله- يشتغل وهو في السجن: يكتُب ويُؤلِّف، ويُفتي، وهو في السجن. إلى حد أنهم لما رأوْا أنه لا يَكُف عن نشر العلم، وهو في السجن؛ أخرجوا ما عنده من القراطيس والأقلام؛ فصار يكتب بالفحم على الجدران؛ لولعه وشغفه بنشر العلم.

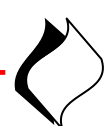
ثم أيضًا تَعرَّض للصوفية والخرافيين؛ رد عليهم، وبيَّن شَطَحاتهم، وبيّنَ أغلاطَهم، ووضَّح لهم الطريقَ الصحيح.

ثم أيضًا تعرَّض لعلماء الكلام، وعلماء المنطق؛ فردَّ عليهم، وبيَّن خطأَ منهجِهم في الاستدلال، وألَّف في ذلك كُتُبًا ضخمة، مثل: درء تعارُض العقل والنقل، ومثل: بيان تلبيس الجهمية -في ردِّه على الرازي-، وهذه كتبٌ ضخمة ومطبوعة.

ردَّ على النصارى الذين يُشبِّهون على المسلمين، فألَّف [كتاب الجواب الصحيح لمن بدَّل دينَ المسيح]؛ ردَّ عليهم وأفحمهم.

وردَّ على الشيعة والمعتزلة. في كتابه المشهور [منهاج السنة النبوية في نقد كلام والقدرية] أو بأسماء أخرى؛ وهو كتابٌ عظيمٌ ومطبوعٌ ومُتداوَل.

9) جمع فتاوى ابن تيمية واتّباعه للدليل فيها



ثم أيضًا من الناحية الفقهية: جدَّد في الفقه -كما ذكرنا-. جدد في الفقه؛ فكان يُفتي بمُوجِب الدليل وما عليه أصول الأئمة وأصول السلف، ويحرر المسائل؛ فصارت فتاواه بالمئات؛ بل بالألوف.

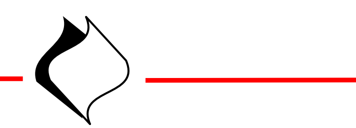
وكان هو -رحمه الله- لا يجمع الفتاوى؛ وإنما يرسل الرسائل والفتاوى إلى السائلين. لكن كانوا يحتفظون بها، كان الذين يسألونه يحتفظون بهذه الأجوبة؛ لأنها عندهم من أعظم التحف؛ فيحتفظون بها؛ فجُمعت، وفي عصرنا هذا، هذه الفتاوى جُمعت، وكوَّنت خمسةً وثلاثين مُجلدًا؛ مجموع الفتاوى الكبرى المعروف؛ خمسة وثلاثين مجلدًا ومجلدان فهرس؛ صارت سبعة وثلاثين بفهارسها، ولا يزال له فتاوى تظهر بين الحين والآخر، ولا يزال يظهر له كتب كانت مَنسية أو كانت خفية فتظهر بين الحين والآخر؛ ويبادر المسلمون في طبعها ونشرها.

فتعرض -رحمه الله- لكل هذه الفِرق ونازلها، وانتصر عليها، وبقيت كُتُبه منارًا يُهتدَى به بين المسلمين، ويُسارِع طلبة العلم والعلماء إلى طبعها واقتنائها وتوزيعها. والذين عارضوه أطفأ الله ذكرَهم ولم يبق لهم ذكر؛ وأما هو -رحمه الله- فكان يتجدَّد؛ كلّما تأخَّر الزمان يتجدد علمه ويتجدَّد عطاؤه؛ كأنه حاضر.

10) تصنيف ابن تيمية بحسب حاجة الناس

وألّف في فنونٍ مختلفة -ليس غرضُه من ذلك التأليف فقط-؛ وإنما غرضه حاجة الناس، فهو لا يكتُب إلا حسب حاجة الناس؛ ولذلك لمّا سُئِل عن: لماذا لا يكتب تفسيرًا في القرآن -لأنه كان متبحراً في التفسير- لماذا لا يكتب تفسيراً بالقرآن؟ قال: التفاسير كثيرة وموجودة؛ لكن نكتُب بحسب الحاجة، حسب ما يحتاجه الناس. وتدعو إليه الحاجة. فليس -كتاباته ومؤلفاته-، من باب الشغف بالتأليف فقط؛ وإنما هو من باب دفع حاجة المسلمين، فيما يحتاجون إليه.

11) جهاد ابن تيمية بالسيف والسنان



كذلك هذا الإمام حضر الجهاد في سبيل الله مع التتار الذين غَزَوْا بلاد المسلمين: فكان يقود الجيوش بنفسه، ويحمل السيف ويقاتل، ويشجع الناس ويشجع ولاة الأمور؛ فيحصل النصر بإذن الله؛ بتشجيعه وتثبيته لأفئدة الجند، وتبشيرهم بالنصر؛ فكان له جهودٌ عظيمة في القتال في سبيل الله، فهو جاهد بلسانه، وجاهد بقلمه، وجاهد بسيفه -رحمه الله-؛ فحصل من ثمرات جهاده وجهوده ثروةٌ علميةٌ عظيمةٌ بين أيدينا الآن.

12) تلاميذ ابن تيمية وإكمالهم لمسيرته في نشر العلم

وتخرّج على يده تلاميذ قاموا بالمهمة من بعده، مثل: الإمام ابن القيم، مثل: الإمام ابن كثير، ومثل: الإمام الذهبي، والإمام المزي، وغيرهم ممّن تتلمَذوا عليه.

فقاموا من بعده بنشر الدعوة إلى الله ونشر علمِه.

13) تأثر الإمام محمد بن عبد الوهاب بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية

في القرن الثاني عشر، في بلاد نجد وصلت كتبه إلى بلاد نجد؛ فأُولِع بها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهّاب -رحمه الله-. وكان هو الآخر يعيش في جوٍّ علميٍّ؛ لكن في الفروع -في فروع الفقه-؛ وأما العقيدة فهم على عقيدة الأشاعرة -مثل غيرهم-؛ لأنهم كانوا يذهبون إلى الشام ويتلقَّوْن العلم من أهل الشام من فلسطين، وكانت الأشعرية مُنتشرة؛ فكانوا يعودون بعقيدة الأشعرية، مع ما يحصلون عليه من الفقه.

وكانت القُبوريّة والبدع والخرافات في البادية والحاضرة في بلاد نجد؛ شيءٌ كثير، شيءٌ يربو على الحسبان؛ فقام هذا الإمام فاهتمَّ بكُتُب شيخ الإسلام ابن تيمية وكُتُب تلميذه ابن القيم: يقرأها، ويُلخِّص منها، ويُؤلِّف على ضوئها، ويدعو إلى الله -عز وجل-؛ حتى قامت الدعوة في بلاد نجد على غِرار دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية؛ تخرج على كُتُبه، وعلى منهجه في الدعوة إلى الله.

وابن تيمية على منهج السلف، امتداد لمنهج السلف، فهو امتدادٌ لمنهج السلف؛ فنفع الله بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وما جاورها؛ وهذا من حسنات شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

وكما ذكرنا أنه لم تشغلْه المضايقات والمحاسبات التي اعترضت طريقه؛ بل كان يتلقّاها بالصبر واليقين وعدم اليأس.

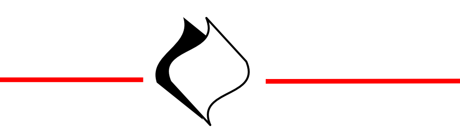
وكان يكتب لتلاميذه، وهو في السجن؛ يُثبِّتهم ويوطنهم على الصبر وعلى الاحتساب وعلى مواصلة الجهاد، ورسائله موجودة في هذا الغرض.

14) تواضع الشيخ الفوزان

ومن بين مؤلفاته: هذا المؤلف الذي بين أيدينا الآن، والذي سنقرأه -إن شاء الله- ونُعلِّق ما تيسَّر من التعليق عليه؛ إذا يَسَّر الله -سبحانه وتعالى-؛ لا من أجل أننا نفهم كلَّ ما فيه، ولكن ما يظهر لنا من عِباراته ومن أسلوبه، فنحن إنما نُعلِّق ما نستطيع؛ وإلا فالكتاب بحرٌ غزير، وبحرٌ خِضَم.

المذيـــــــع: عفوًا يا شيخ، يسمح لي المستمعون أن أقول: هذا من تَواضُعِك. يُمكن لبعض الإخوان يقرأ الكتاب لأول مرة؛ ويخرج على الناس بمقطّعات من كلام ابن تيمية -كما يفعل كثيرٌ من أهل الأهواء-؛ كلٌّ منهم يقول: قال (ابن تيمية).

والمستمعون ربما لا يعرفون أن الشيخ صالح الفوزان؛ أول قراءته لهذا الكتاب عام ستة وسبعين هجرية -من خمسين سنة-، وهو المشرف على إخراج الكتاب رسالةً بقلم الدكتور/ ناصر العقل الشيخ. كان الشيخ صالح الفوزان المشرف على الرسالة ورئيس لجنة المناقشة. ولعلَّ -إن شاء الله- ونحن نحتاج في عَرض هذا الكتاب، ومخالفة أصحاب الجحيم إلى مثل شيخنا -الشيخ صالح-؛ أن يُعلِّم الناس بعض العبارات والإشارات في هذا الكتاب.



15) شهرة كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) ومناسبته لكل زمان، وتفسير عنوان الكتاب

الشيخ صالح: نعم، هذا الكتاب مشهور بين المسلمين، ويقرأونه -خصوصًا العلماء في هذه البلاد-، فكانوا ينقلون من هذا الكتاب، ويقرأونه دائمًا؛ لأنه في الحقيقة كتابٌ يناسب كلَّ وقت، فكأنّه كُتِبَ في وقتنا هذا، إذا قرأته كأنه كُتِبَ في وقتنا هذا؛ فهو يُناسب كل وقت.

وعنوانه: [اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم].

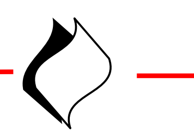
أي أن الصراط المستقيم الذي قال الله -جل وعلا- فيه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيما فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُم وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام 153]

والذي قال الله -جل وعلا- فيه: ﴿ٱهدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلمُستَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:6-7]، **هذا هو الصراط؛ صراط الله -جل وعلا-؛ كما قال تعالى: ﴿... وَإِنَّكَ لَتَهدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰط مُّستَقِيم * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلأُمُورُ﴾** [الشورى: 52-53].

فهذا الصراط يقتضي مخالفة هذه الفرق الضالة. الذي يسير على هذا الصراط لا بد أن يخالف هذه الفرق الضالة، كما قال -صلى الله عليه وسلم- كما في الآية ﴿ٱهدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلمُستَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[الفاتحة:6-7]**.**

فالمغضوب عليهم: هم الذين عندهم علمٌ ولكن لا يعملون بعلمهم؛ كاليهود، فإنهم يعلمون؛ كما ذكر الله وسمّاهم أهل الكتاب وأهل العلم؛ لكنهم لم يعملوا بعلمهم -والعياذ بالله-؛ فغضب الله عليهم.

ولا الضالين: وهم النصارى، الذين يعبدون الله على جهلٍ وضلال، من غير دليل. ويُشبه هذا الصوفية، الذين يجتهدون في العبادات والسلوك وغير ذلك؛ لكن ما عندهم أدلة على ما يفعلون إلا استحساناتهم، وأذواقهم، ومواجيدهم؛ فليس عندهم علم، وإنما يعتمدون على ما عندهم من الأذواق والمواجيد وشطحات الصوفية؛



فهؤلاء ضالون، الأصل في هؤلاء النصارى، لكن يكون مثلهم كل من سلك سبيلهم من هذه الأمة.

كما قال بعض السلف: من ضلّ من علمائنا ففيه شَبهٌ من اليهود، ومن ضل من عُبَّادنا ففيه شبهٌ من النصارى.

فهذا الصراط يقتضي الذي يسير عليه أنه يخالف ما خالف هذا الصراط؛ كما وضح النبي -صلى الله عليه وسلم-: فإنه خط خطًا مُستقيما على الأرض، ثم خطَّ على جنبتيه خطوطًا؛ فقال للخط المستقيم: هذا صراط الله، وقال للخطوط التي عن جنبتيه: وهذه سبل، على كل سبيلٍ منها شيطان يدعو الناس إليه.

هذا تفسير لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُستَقِيما فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُم وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153]

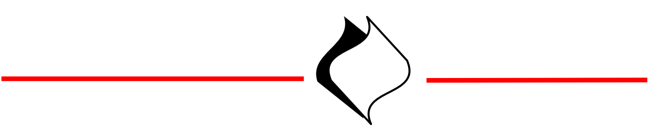
هذا يوافق هذا العنوان تمامًا: (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم).

فالذي يسلك هذا الصراط يجب عليه ألا يلتفت إلى هذه الطرق وهذه السبل الكثيرة.

ثم انظر أيها المستمع الكريم، كيف أن الله وحَّد الصراط، (الصراط المستقيم). وحد الصراط: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُستَقِيما﴾، وعدَّد السبل الأخرى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِۦ﴾؛ لأن السبل هذه كثيرة -لا حصر لها-: كل واحد يخط له خطة، كل واحد يزيّن له منهج، كل واحد يجمع له جماعة معه.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمرَهُم بَينَهُم زُبُرا كُلُّ حِزبِ بِمَا لَدَيهِم فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: 53]

فالسبل لا نهاية لها. ولا تنتهي؛ أما هذا الصراط فهو واحد لا يتعدّد ابدًا -لا في أول الخليقة ولا في آخرها- هو صراط الله، ومنهج الأنبياء؛ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقا﴾ [النِّساء:69]



نسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا ممّن يسيرون على هذا الصراط المستقيم، والمنهج القويم.

وصلّى الّله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني

المذيــــع: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. أيّها المستمعون الكرام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأهلاً وسهلاً بكم في حلقةٍ جديدة من برنامج / شرح كتاب اقتضاء الصّراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

مع فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

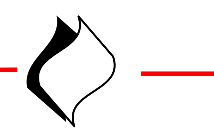
في شرح كتاب شيخ الإسلام/ ابن تيمية - المذكور- رحمه الله.

في مستهل هذا اللقاء نرحّب بشيخنا الكريم فحيّاكم الله شيخ /صالح

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

المذيــــع: في الحلقة الماضية تحدّث فضيلتكم عن شيخ الإسلام - رحمه الله- المؤلّف وأثره فيمن جاء بعده، واغتراف شيخ الإسلام المجدّد /محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله- ممّا خلّف من الميراث العلمي، ووعدتم أن يكون حديثنا في هذه الحلقة قبل الدخول في الكتاب عن مضامين الكتاب ونهج المؤلّف فيه.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد.



16) مناسبة الكتاب لكل زمان ومكان لأن مصدره هو الكتاب والسنة.

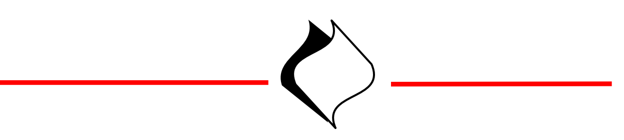
من جملة مؤلّفات شيخ الإسلام /ابن تيمية المفيدة التي تلامس حاجات الناس في كل زمان ومكان لأنّه - رحمه الله- يغترف من الكتاب والسّنّة ومن هدي السلف الصالح، ولا شك أنّ هذه المصادر صالحة لكل زمانٍ ومكانومن جملة مؤلّفاته المهمّة؛ هذا الكتاب الذي بين أيدينا والذي هو لا يزال تحت عناية العلماء، يهتمون به ويستفيدون منه ويقرأونه ويدرّسونه في المساجد.

17) عنوان الكتاب إشارة لتميُّز الأمة في دينها وأخلاقها

وهو كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم وذلك لأنّ الله سبحانه وتعالى أراد لهذه الأمّة أن تتميّز عن غيرها من الأمم؛ بدينها وبكتاب ربّها وسنّة نبيّها بأخلاقها في معاملاتها وفوق ذلك كله في عقيدتها وعباداتهاوالله أراد لهذه الأمّة أن تتميّز عن غيرها من الأمم؛ لأنّها هي الأمّة القدوة التي جعلها الله أمةً وسطاً لتشهد على الأمم يوم القيامةوقال تعالى:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شهداء على النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:143]

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:110]

فهذه المكانة تقتضي أن هذه الأمّة تتميّز عن غيرها، ولا تذوب في غيرها؛ لأنّها أمّةٌ قائدة ورائدة، فلا بد أن تتميّز عن غيرها من الأمم، ولاسيما الأمّتيْن: المغضوب عليها وهم اليهود، والضّالون وهم النّصارى، وصار اليهود مغضوباً عليهم؛ لأنّهم عندهم علم ولكنّهم لم يعملوا به. فكل من اتّصف بهذه الصّفة من العلماء الذين لا يعملون بعلمهم أو يشترون به ثمناً قليلا ويكتمونه؛ فإنّهم مغضوبٌ عليهم ،أو الذين ليس عندهم علم ولا يهتمون بالعلم؛ وإنّما يهتمون بالعبادات والتّقرّب إلى الله لكن من غير علم، ولا يحرصون على العلم؛ كالنصارى الذين يجتهدون في الرهبانيّة ويجتهدون في



العبادة لكن على غير علم وإنّما يتّبعون ما تمليه عليه رغباتهم أو اجتهاداتهم، وعلى غرارهم الصّوفية الذين نحوْا هذا المنحى؛ يجتهدون في العبادات ولا يهتمون بالعلم، حتى إنّهم يزهّدون في العلم، ويقولون: إنّ طلب العلم يشغل عن العبادة- سبحان الله -هل تكون العبادة بدون علم؟ يقولون أنّ طلب العلم يشغل عن العبادة؛ ولذلك يحذّرون من طلب العلم والجلوس إلى العلماء ويحرصون على مزاولة طقوس وعباداتٍ لم تؤسّس على علم ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾[الحديد:27]

ومع هذا لم يقوموا بها ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد:27]

18) من سُنن الله أن من غلا في العبادة ينقطع

وهذه ستّة الله أنّ من غلا في العبادة واشتد بها أنّه ينقطع. كما قال صلى الله عليه وسلم: "كالمنبت، لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى" هذه طريقة النصارى، طريقة المتصوّفة والنسّاك. الذين يجتهدون في العمل والعبادة ويزهدون في طلب العلم والتفقه في دين الله عزّ وجلّ، بل منهم من يقول: إنّ العلم يأتيك بدون تعلّم. يُفتح عليك فاذا اجتهدت في العبادة والذكر يأتيك فيوضات، بل إنّ غلاتهم يقولون إنّنا نأخذ عن الله مباشرة، ولا نحتاج إلى الرسل، ولا إلى الكتب، وإنّما نأخذ عن الله مباشرة. هكذا يقول غُلاتهم، وهذه نتيجة الإعراض عن تعلّم العلم النافع المبنيّ الذي يثمر العمل الصالح، والله جلّ وعلا حذّرنا من الطريقتين، وأمرنا بالطريق الوسط فقال سبحانه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ ْالمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6]

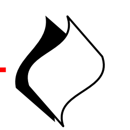
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:7]

19) طلب العلم النافع والعمل الصالح هو طريق المُنعَم عليهم

فالذين أنعم عليهم: هم الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح وهذا هو الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم.

كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الصف:9]

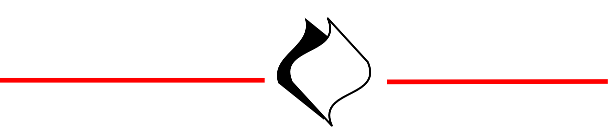
فالهدى: هو العلم النافع، ودين الحق: هو العمل الصالح، والرسول صلى الله عليه وسلم بُعث بالأمرين لم يبعث بشيءٍ واحد؛ علمٍ



بدون عمل أو عملٍ بدون علم، بل بعث بالأمرين، وهم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقا.
حذّرنا من طريق المغضوب عليهم، وهم الذين يتعلّمون وقد يتبحّرون في العلم، لكنّهم لا يعملون بعلمهم، بل يعملون بحسب أهوائهم وشهواتهم وأغراضهم، أو أنّهم يكتمون العلم في مقابل طمعٍ يأخذونه، فيكتمونه ولا يبيّنونه للناس ويشترون به ثمناً قليلا.
والفرقة الثانية: هم الضّالون ﴿وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:7] وهم الذين بيّنا طريقتهم؛ أنّهم يأخذون جانب العمل ويزهدون في العلم والتعلم، فالصراط المستقيم يقتضي مخالفة الطائفتين، ولهذا قال جلّ وعلا: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:6] ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:7]
يعني: غير صراط المغضوب عليهم، ولا الضالين أي غير صراط الضالين. وكما في الآية الاخرى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:153]
فلما كان صراط الله المستقيم يقتضي مجانبة الفريقين: المغضوب عليهم والضالين -وهم كلهم في النار-، أصحاب الجحيم: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة:119]
فالمغضوب عليهم والضّالون كلهم في الجحيم، وصراط الله ينهى عن طريقهم، صراط الله ينهى عن طريق المغضوب عليهم والضّالين.

20) مضمون كتاب اقتضاء الصراط المستقيم

فموضوع هذا الكتاب هو في تفصيل هذه الآية العظيمة أو هذه الآيات العظيمة، هو في تفصيلها وبيانها. يريد الشيخ - رحمه الله- أنّ هذه الأمّة تتميّز كما ميّزها الله سبحانه وتعالى؛ بأخلاقها، في عقيدتها، وفي معاملاتها، وفي أخلاقها وفي عباداتها؛ تتميّز عن غيرها من الأمم؛ حتى تكون لها القيادة العالمية التي جعلها الله لها. وما لم تتميّز فإنّها لن تستطيع القيام بهذه المهمّة العظيمة، إذا ذابت في الأمم فإنّها لا تستطيع القيام بهذه المهمّة العظيمة التي حمّلها الله إيّاها.



فالشيخ - رحمه الله- يقول: إنّ الصراط المستقيم يقتضي لمن سار عليه أن يتجنّب طريقة المغضوب عليهم وطريقة الضّالين، ولا يخرج العالم عن هذين الطريقتين، أوعن هذه الطرق الثلاث: إمّا طريق المنعم عليهم وإمّا طريق المغضوب عليهم وإمّا طريق الضّالين. لا يخرج العالم عن هذه التقاسيم، فلذلك الشيخ- رحمه الله ألّف هذا الكتاب في هذا الموضوع العظيم الذي يقصد به أن تتميّز الأمّة الإسلامية في صفاتها الدينية والدنيوية، وأن تتميّز عن غيرها من الأمم، وألا تسلك مسالك الأمم التي حادت عن صراط الله سبحانه وتعالى.

21) العولمة والتقارب بين الأديان يناقض تميُّز المسلمين عن غيرهم

المذيع: إذاً هذا - يا شيخ- قد لا يتّفق مع ما يُدعى إليه من العولمة وتوحيد الثقافة وعالمية الثقافة؟

الشيخ صالح: إي نعم، هذا يعارض ويخالف ويباين الدعوة إلى العولمة، والدعوة إلى التفاهم بين الأديان والحوار بين الأديان وإلى آخره.

المذيع: طبعاً هو المقصود: أطيعونا واتّبعونا لكن تسمّى العولمة.

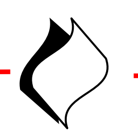
الشيخ صالح: المقصود منه طمس الإسلام، وأن يسير في ركابهم. يبقى اسمه؛ ولكن يسير في ركابهم. هذا قصدهم؛ طمس الإسلام، ويبقى اسماً لا حقيقة؛ فهذا يقتضي من المسلمين أن يتنبّهوا لهذا، وأن يعتزّوا بدينهم وبشخصيتهم الدينية، وألا يخضعوا لدعاية أعدائهم.

الله جلّ وعلا يقول: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:120]

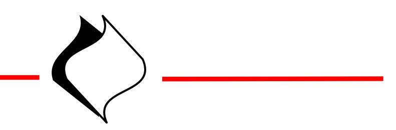
﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:146]

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة:147]

فلا نطيع اليهود والنّصارى ولو أطعناهم في شيء ما رضوا؛ لا بد أن نطيعهم في كل شيء حتّى نتخلّى عن ديننا نهائياً.



﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:120].
فهذا أمرٌ يجب على المسلمين أن يتنبّهوا له، وهذا هو مقصود الشيخ من موضوع هذا الكتاب الذي بين أيدينا؛ ألا تذوب الأمّة الإسلامية مع الأمم وألا تساير الأمم فيما يضرّ بدينها وعقيدتها، وإنّما تتمسّك بدينها وعقيدتها.
﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: 43]
﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:44]، وكما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:18] ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: 19]
فهذه الأمّة لها مكانتها، فإن تركتها ضاعت وضيّعت نفسها، فلا مجال لبقاء عزّ هذه الأمة ومكانتها إلا بالتمسّك بهذا الدين، والحذر من دعايات الضّلال، والحذر من الخداع والمكر الذي يروّجه الأعداء ويدعون إليه، في كل زمانٍ وفي كل مكان.
وموضوع هذا الكتاب يتلخّص في: أنّ المسلمين يتجنّبون طريقة اليهود، ويتجنّبون طريقة النصارى، ويتجنّبون طريقة الجاهلية؛ لأنّه ذا بحث في أمور الجاهلية أيضاً؛ يتجنّبون طريقة الجاهلية من الأميّين الذين كفروا بالله عزّ وجلّ، تركوا دين الأنبياء وصاروا على جهلٍ وضلال. فهذا مقصود الشيخ- رحمه الله- أنّه يقصد من هذه الأمّة أنّها تسير على المنهج الذي اختاره الله لها،وألا تلتفت يميناً أو شمالاً إلى ما عليه أهل الضّلال سواءً أكانوا من الكتابيين، أو من الأميّين -من أهل الجاهلية-، أو من الأعاجم، أو غير ذلك. هذا قصد الشيخ في هذا الكتاب وهو أول شيء يبحث في أمور العقيدة، وأنّ المسلمين يتمسّكون بعقيدتهم وهي عقيدة التوحيد، ويتجنّبون طريقة الشّرك ووسائل الشّرك. فهو تطرّق إلى ما عند اليهود والنّصارى من الغلوّ في أنبيائهم والغلوّ في صالحيهم؛ فإنّه صلى الله عليه وسلم وهو في سياق الموت. يقول:" لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتّخذوا القبور مساجد فإنّي أنهاكم عن ذلك"



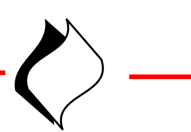
قال صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين التي ذكرت له ما رأته في الحبشة من الكنائس، وما فيها من الزخارف، قال صلى الله عليه وسلم:"أولئكِ إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوّروا فيه تلك الصور، أولئكِ شرار الخلق عند الله"

22) بعض مباحث كتاب اقتضاء الصراط المستقيم

فهذا أهم شيء أنّنا نتميّز بعقيدتنا وأن نحذر من التّشبّه باليهود والنّصارى في الغلوّ في الأنبياء والغلوّ في الصالحين والبناء على القبور، والصلاة عند القبور؛ وهذا ممّا بحثه الشيخ- رحمه الله- في هذا الكتاب.

ثم أيضاً إنّ الشيخ- رحمه الله- تطرّق إلى منع التّشبّه بالكفار في أعيادهم؛ لأنّ الكفار لهم أعياد كثيرة ومتنوّعة. والرسول صلى الله عليه وسلم حذّرنا من التّشبّه بهم في أعيادهم ومشاركتهم فيها، أو إحداث أعيادٍ تشابهها عندنا؛ قال صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وكان لأهل المدينة يوم النيروز والمهرجان -وهي متسرّبة من الفرس والروم-؛ قال صلى الله عليه وسلم:" إنّ الله أبدلكم بذلك عيدين: عيد الفطر وعيد الأضحى" فأعياد المسلمين سواءً أكانت زمانية وهي: عيد الفطر أو عيد الأضحى، أو مكانية وهي: المشاعر مشاعر الحج في عرفة ومزدلفة ومنى والمسجد الحرام؛ هذه أعياد المسلمين المكانية، فلا نروح ونحدث أعياد مكانية أو أعياد زمانية غير ما جعله الله لنا؛ فإنّ هذا من أهم الأمور أيضاً. وأعياد الموالد: عيد المولد النبوي أوتشبيها بعيد المسيح مولد المسيح الذي يعمله النّصارى -ولا يزالون يعملونه-؛ نهانا النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا تطروني كما أطرت النّصارى ابن مريم، إنّما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله"، وقال صلى الله عليه وسلم :"لا تجعلوا قبري عيداً" يعني: مكاناً للتردّد عليه والاجتماع فيه.

فالمشروع في قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن من جاء من سفر، من قدم من سفر؛ سواءً من أهل المدينة أو من الطارئين على المدينة؛ المشروع له أن يصلي في المسجد النبوي ما تيسّر له ثمّ يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبه. السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. السلام عليك يا أبا بكرٍ الصّديق ورحمة الله وبركاته. السلام عليك يا عمر الفاروق ورحمة



الله وبركاته، ثم ينصرف، ولا يكرّر السلام كلما دخل إلى المسجد النبوي.

إذا سلّم عليه أول ما يقدم فإنّ هذا يكفي، فإنّ الصحابة لم يكونوا يتردّدون على قبر النبي صلى الله عليه وسلم كلما دخلوا ذهبوا إليه، فهذا من التّشبّه باليهود والنّصارى في غلوّهم في أنبيائهم وصالحيهم. فنحن حذّرنا نبينا صلى الله عليه وسلم من الغلوّ في الأشخاص أوالغلوّ في الأمكنة أوالغلوّ في الأزمنة. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء:171]، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إيّاكم والغلوّ، فإنّما أهلك من كان قبلكم الغلوّ". فالغلوّ يُفضي إلى الهلاك، إلى فساد العقيدة، إلى فساد العبادة، إلى أشياء كثيرة، والحكمة تقول: كل شيءٍ تجاوز حدّه انقلب إلى ضده. فالاعتدال والوسطية هي المطلوبة في كل شيء.

23) الحكمة من مخالفة اليهود والنصارى

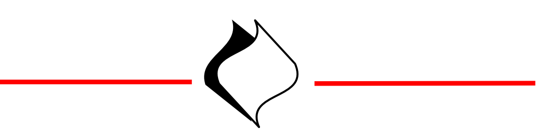
المذيـــــــع: اذاً الشيخ- أحسن الله إليكم- اختيار هذا العنوان؛ أنّه الصراط المستقيم يقتضي المخالفة ليتذكّر المسلم كلما عنّ له ما يشبه أعمال أولئك المغضوب عليهم أو الضّالين - مثل: ما تفضّلتم- من اليهود أو النّصارى أو أهل الجاهلية وما أحدث في الدين من البدع: أنّ لزوم الصراط المستقيم يقتضي منهم مباشرةً مخالفتهم.

الشيخ صالح: في أمور الدين بلا شك هذا: أنّنا نخالفهم ونبقى على ديننا.

فإنّ دينهم لا يخلو من أحد أمرين: إمّا أنّه محرّف ومغيّر ومبدّل، وإمّا أنّه منسوخٌ بديننا، فنحن لا نأخذ من دين اليهود والنّصارى شيئاً. وإنّما نأخذ ديننا؛ لأنّه ناسخٌ لما قبله، فلسنا بحاجة إلى أنّنا نأخذ من أديانهم أو من عباداتهم أو من تصرفاتهم.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً.

وصلّى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الثالث

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمـد لله ربّ العـالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين. أيّهـا المستمعون الكرام. السلام عليكم ورحمة الله وبركاتهوأهلاً وسـهلاً بكم إلى حلقـةٍ جديـدة في برنـامج /اقتضـاء الصراط المسـتقيم لمخالفـة أصحاب الجحيم لشـيخ الإسـلام/ أحمـد بن عبـد الحليم بن تيمية -رحمه الله -يشرحه صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صـالح بن فـوزان الفـوزان عضـو هيئـة كبـار العلمـاء وعضـو اللجنـة الدائمـة للإفتاء.

في مطلع هذه الحلقة نـرحّب بضـيفنا الكـريم فحيّـاكم اللـه شـيخ/ صالح.

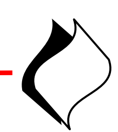
الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

المذيـــــــع: كنّـا في الحلقـة الماضـية نسـتمع إلى حـديث منكم فضيلة الشيخ عن الكتاب وما تعـرّض المؤلّـف لـه فيـه من القضـايا ولعلّه بقي من هذا بقيّة قبل أن ندلف إلى موضوعات الكتاب

24) النهي عن تعظيم الآثار

الشيخ صالح: الشيخ- رحمه اللـه - في هـذا الكتـاب تنـاول إحيـاء الآثار؛ آثار المعظَّمين من الأنبياء والعلماء والرؤسـاء؛ لمـا في ذلـك من الخطـر على العقيـدة؛ لأنّ هـذا يُفضـي إلى الغلـوّ في هـؤلاء الأشخاص الذين تُعظّم آثارهم فيفضي ذلـك إلى الشـرك، ولأنّ هـذا لم يكن معروفاً عن السلف الصـالح، وهم أحـرص على الخـير وعلى متابعـة الخـير، ولم يُعـرف عنهم أنّهم كـانوا يعتنـون بهـذه الآثـار، المساكن، المنازل، إلى غير ذلـك؛ لأنّهم لم يـروا النـبي صـلى اللـه عليه وسلم يحتفل بها ولا يهتم بها. فما كان صلى الله عليه وسـلم بعد البعثة يذهب إلى غار حراء ولا إلى غار ثور ولا إلى البيت الـذي ولد فيه، ما كان -صلى الله عليه وسلم- يفعل شيئاً من ذلك. وخـير الهدي هدي محمدٍ -صلى الله عليه وسـلم- وشـرّ الأمـور محـدثاتها، وكل بدعةٍ ضلالة.

25) دوام الأجر في بث العلم ومنه هذا الكتاب الذي يناسب زماننا



هذا الكتاب -من وجهٍ عام- كأنّه كتب في هذا العصر؛ لأنّ المشاكل التي تناولها وطرحها للبحث وأصّل فيها، كلها موجودةٌ الآن. فهو -رحمه الله- قدّم لها حلولاً ناجحة، ودرسها على ضوء الكتاب والسّنّة وهدي السّلف الصّالح مما ينتفع به أهل هذا الوقت، وهذا مما يدل على عناية هذا الإمام في شؤون المسلمين، ومما يدلّ على أنّ الله أنزل في علمه وكتبه البركة؛ بحيث إنّها تعالج القضايا المشكلة في كل زمان، وينتفع بها الأجيال القادمة، وهذا ينطبق عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" فهذا العلم الذي ورّثه انتفع به المسلمون، ويرجع أجره إليه.

وقد سمعت الشيخ/ محمد ابن إبراهيم رحمه الله في كلمةٍ ألقاها في بعض المناسبات في كلية الشريعة، فأتى بهذا الحديث وقال: إن الصدقة الجارية قد تنقطع، والولد الصالح يموت؛ فتنتهي منافعهما، لكنّ العلم النافع هذا يستمر ولا ينقطع، يستمر الانتفاع به، ويستمر الأجر لصاحبه. فهذا مما يميّز العلم عن غيره من الأعمال الصالحة؛ فنرجو أن يكون شيخ الإسلام كذلك ممّن يجري عليه أجر علمه ونفع كتبه إلى يوم القيامة.

26) البدء بالبسملة والحمدلة اتباعٌ للكتاب والسنة

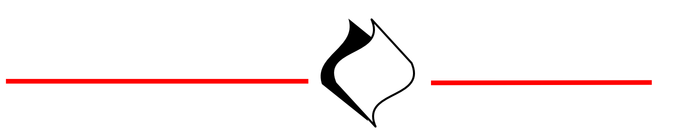
المذيـــع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً. قال رحمه الله رحمةً واسعة: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا وأتمّ علينا نعمته ورضي لنا الإسلام دينا.

الشيخ صالح: نعم. بدأ الشيخ- رحمه الله- هذا الكتاب النفيس بالسّنّة في أن بدأه بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) وبـ(الحمد لله ربّ العالمين)، وقد جاءت الآثار تحثّ على هذا؛ جاءت الآثار على البداءة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم)؛ بل جاء القرآن فما من سورةٍ من سور القرآن إلا وهي مبدوءة بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يبدأ رسائله بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، وكما كتبها سليمان -عليه السلام- في خطابه لبلقيس.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل:29].

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل:30].

﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل:31].



المذيـــــــع: قال: وأمرنا أن نستهديَه صراطه المستقيم.

الشيخ صالح: كذلك بـدأه بـ(الحمـد لله)؛ لأنّ كتـاب اللـه مبـدوءٌ بالحمد للـه، المصـحف مبـدوءٌ بالحمـد للـه -وهي سـورة الفاتحـة، فأوّل ما يقع نظرك في المصحف على (الحمد لله) بعد (بسـم اللـه الـرحمن الـرحيم)؛ فهـذا ممّا يـدلّ على مشـروعية البـداءة بهـاتين الكلمتين العظيمـتين في كـل عمـلٍ لـه أهميـة وفي الكتب العلميـة خاصّة.

27) معنى البسملة والحمدلة

ومعنى (بسم الله الرحمن الرحيم) أي أستعين (بسم الله الــرحمن الـرحيم)؛ فالجـار والمجـرور متعلّـق بمحـذوف، تقـديره أسـتعين أو أتبرك (بسم الله الرحمن الرحيم).

ثمّ الحمد: هو الثناء على الله عزّ وجلّ؛ على نعمه وأفضـاله الـتي لا تعدّ ولا تحصى، وقد بدأ الله الخلق بالحمد لله ربّ العالمين كمـا في قوله تعالى: ﴿الحمد لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [فـاطر:1] وختمـه بالحمد كما قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِـالْحَقِّ وَقِيـلَ الْحَمْـدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر:75]

فهي كلمةٌ عظيمة، وهي أيضا على لسان المسلم هاتان الكلمتان -بدايةً ونهاية-؛ فإنّ المستحبّ للمسلم عنـد الأكـل والشـرب أن يبـدأ ببسم الله وأن يختم بالحمد لله. نعم

28) النهي عن البدع لكمال الدين

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم. قـال: الحمـد للـه الـذي أكمـل لنـا ديننا، وأتمّ علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام دينا.

الشـيخ صـالح: نعم، هـذا مـأخوذٌ من الآيـة الكريمـة وهي قولـه تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:3]

وفي بداية الشيخ بمضمون هذه الآيـة؛ إشـارة إلى موضـوع الكتـاب الـذي هـو النّهي عن البـدع؛ لأنّ اللـه أكمـل لنـا الـدين وأتمّ علينـا النعمة، فلا يجوز لنا أن نحـدث في الـدين زيـادةً أو أن نبتـدع بدعـةً، لأنّ هذا يقتضي أنّ الدين غـير كامـل، وأنّنـا نريـد أن نكمـل نقصـه، واللــه جــلّ وعلا يقــول: ﴿الْيَــوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:3]

فمن جاء بشيءٍ يتقرّب به إلى الله وهو ليس في كتاب الله، ولا في سنّة رسول الله ولا في هدي سلف هذه الأمّة؛ فإنّه زيادةٌ مرفوضة. وقد قال صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ" وأعمّ من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ ". نعم.

29) الأمر بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم ومعنى الصراط

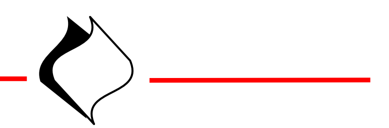
المذيع: قال: وأمرنا أن نستهديه صراطه المستقيم: صراط الذين أنعم عليهم.

الشيخ صالح: نعم، هذا في آخر الفاتحة: الله جلّ وعلا فرض علينا قراءة سورة الفاتحة في كل ركعة من صلواتنا -فريضةً أو نافلة-، وفي آخرها: اهدنا الصراط المستقيم، فرض علينا بمعنى: أنّه جعل قراءة الفاتحة ركنًا من أركان الصلاة، وفيها ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:6].

والصراط هو الطريق -الحسي والمعنوي-، والمراد هنا: الطريق المعنوي؛ وهو الطريق الذي يوصّل إلى الله وإلى رضوانه، وهو دين الإسلام، وسنّة الرسول صلى الله عليه وسلم. والمستقيم معناه: المعتدل الذي لا انحراف فيه ولا ميل، والموصّل إلى رضوان الله وإلى جنته. والله جلّ وعلا أوصانا بذلك، فقال جلّ وعلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:153]

وهذا الصراط يسير عليه من أنعم الله عليهم؛ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ممّن جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح.

أمّا الفرق الضّالة، فإنّها تأخذ بجانب وتترك الجانب الآخر؛ فاليهود أخذوا جانب العلم وتركوا جانب العمل، فلذلك غضب الله عليهم؛ لأنّهم يعصون الله على علم وعلى بينة متعمدين؛ فلذلك غضب الله عليهم ولعنهم، والجانب الثاني، الذي يأخذ العمل ويترك العلم، ويشتغل بالعبادة ويترك جانب التعلّم. فهذا ضالّ لأنّ الضّالّ هو الذي يسير على غير طريق وعلى غير هدى. فهم ضالّون لأنّهم



على غير طريقٍ صحيح وعلى غير دليل من كتاب الله وسنّة رسـولـه صلى الله عليه وسلم.

ويمثّل الجانب الأوّل من المخالفين: اليهود، ويمثّـل الجـانب الثّـاني وهم الضّالّون: النّصارى؛ في رهبـانيتهم وعبـاداتهم الـتي أحـدثوها وهي ما أنزل الله بها من سلطان.

ويشبه هاتين الفرقتين من هذه الأمّة كل عالمٍ لا يعمل بعلمه، وكل عابدٍ لا يعبد الله على دليلٍ وعلى بصيرة.

فالله جلّ وعلا أمرنـا بقـراءة هـذه السـورة وتكرارهـا؛ لمـا تشـتمل عليه من المعـاني العظيمـة، ومنهـا هـذا المعـنى الـذي في آخرهـا. وهو: أن نسأل الله أن يهدينا يعـني أن يـدلنا ويوفّقنـا ويثبّتنـا على الطريق الصحيح الموصّل إليه؛ طريق الذين أنعم عليهم، وأن يُجنّبنا طريق الذين غضـب اللـه عليهم وطريـق الـذين ضـلّوا عن الصـراط المستقيم، فهو دعاء عظيم. إذا استحضره المسلم وخاطب الله به؛ فإنّه حريٌ أن يستجيب الله له.

30) أمثلة المغضوب عليهم والضالين

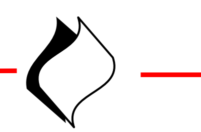
المذيـــــــع: أحسـن اللـه إليكم. قـال: صـراط الـذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم :اليهود. ولا الضّالّين: النّصارى.

الشـيخ صـالح: هـذا من بـاب التمثيـل وليس خاصّـاً بـاليهود ولا بالنّصارى؛ وإنّما هو عامّ. لكن لما كان اليهود هم أول من ابتكر هذه الطريقة الغضبية مثّل بهم، وكذلك النصارى لمـا كـانوا هم أول من أحدث الابتداع في دين الله والرهبانية؛ مثّل بهم، من باب التمثيل.

31) كمال الصراط وسعته للبشر جميعًا

المذيـــــــع: فضـيلة الشـيخ: أهـل اللغـة يقولـون: لا يُسـمّى الصراط مستقيماً حتى يكون واسعاً؛ فهل في وصف هـذا الصـراط بأنّه مسـتقيم؟ اقناعـاً للأتبـاع وغـيرهم أنّـه يسـعهم، وأنّهم ليسـوا بحاجة لغيره.

الشيخ صالح: بلا شـك، أنّ الصـراط المسـتقيم يغـني عن غـيره، ويتّسـع للأمّـة جميعـاً -من أولهـا إلى آخرهـا-. مـا ضـاق الصـراط المسـتقيم حتّى يبحثـوا عن طـرقٍ أخـرى. فالإسـلام -وللـه الحمـد- واسع وشامل، وأحكامه وافية بما يحتاجه البشر في الاعتقـاد وفي



العبادات وفي المعاملات وفي الاخلاق وفي الأخبار الماضية والمستقبلة؛ فهو حافل.

32) الشهادتان ومعناهما

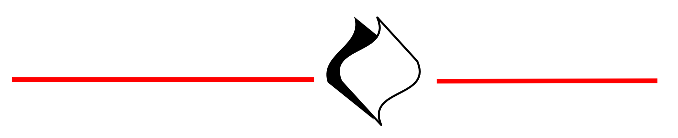
المذيع: قال رحمه الله: وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

الشيخ صالح: نعم، هذا من مكمّلات بل هو من أركان الخطبة؛ أن يأتي بالشهادتين: شهادة أنّ لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله.

فهما شهادتان عظيمتان يجمعهما الركن الأوّل من أركان الإسلام، ومعنى الشهادة: الإقرار والاعتراف باللسان مع اعتقاد القلب؛ فأنت تشهد بما يعترف به قلبك وينطق به لسانك أنّه لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق سواه، وهذا يبطل جميع العبادات التي تُوجّه إلى غير الله سبحانه وتعالى؛ كالعبادات التي تُوجّه إلى الأضرحة والقبور، العبادات التي توجّه إلى الأصنام، وإلى الأشجار والأحجار، وإلى الأولياء والصالحين. كلها تبطلها هذه الكلمة. لا إله إلا الله. أي لا معبود بحق، لا بد من هذا القيد؛ لا معبود بحق إلا الله؛ لأنّ هناك معبودات كثيرة، وهناك ألهة كثيرة، لكن كلها باطلة. فإذا قلت: بحق؛ سقطت جميع هذه المعبودات لأنّها معبودةٌ بغير حقوهي ألهة بغير حق.

ومعنى أشهد أنّ محمداً رسول الله: الاعتراف ظاهراً وباطناً برسالته صلى الله عليه وسلم؛ فتعتقد أنّه رسول الله وتنطق وتصرّح بلسانك.

فيلزمك بمقتضى هاتين الشهادتين: شهادة أنّ لا إله إلا الله أن لا تعبد إلا الله؛ لأنّك شهدت أنّه لا يستحق العبادة إلا الله، فيقتضي منك هذا أن تفرد الله جلّ وعلا بالعبادة ولا تعبد أحداً غيره. وشهادة أنّ محمداً رسول الله تقتضي منك أن تتّبعه وأن تطيعه، وأن تسير على سنّته؛ فلا تخالفه ولا تعصه عليه الصلاة والسلام؛ لأنّك اعترفت ظاهراً وباطناً أنّه رسول الله إليك. فإذا كان رسول الله إليك فيجب عليك أن تطيعه وأن تمتثل أوامره وأن تترك ما نهاك عنه. كما قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:7]، فشهادة أنّ لا



إله إلا الله تقتضي التوحيد وشهادة أنّ محمداً رسول الله تقتضي ترك البدع والمحدثات وعبادة الله جلّ وعلا بما جاء به هذا الرسول صلى الله عليه وسلم. هذا مقتضى الشهادتين.

33) غاية الكمال فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم

المذيع: قال: أرسله بالدين القيّم، والملة الحنيفية وجعله على شريعةٍ من الأمر.

الشيخ صالح: نعم، أرسله الله بالدين القيّم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:161]

قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:40]، فهو الدين القيّم بمعنى: القويم المعتدل الذي لا اعوجاج فيه ولا غموض فيه. والحنيفية معناها: الملة الخالصة المقبلة على الله المعرضة عما سواه. وهي ملّة إبراهيم، وقد بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم بملة إبراهيم كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:123]

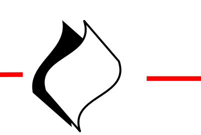
وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج:78]

فملّة إبراهيم حنيفية وإبراهيم حنيف. ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:120] بمعنى أنّه مقبلٌ على الله، معرضٌ عما سواه.

34) الوصية بالتمسك بالشريعة وترك أهواء الناس

المذيع: قال: وجعله على شريعة من الأمر.

الشيخ صالح: جعل الله نبينا صلى الله عليه وسلم على شريعةٍ من الأمر. قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:18] ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:19]



وقال سبحانه: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف:43]؛ أمر الله نبيه أن يستمسك بهذه الشريعة التي أوحاها إليه.

وجعله عليها، يسير عليها؛ فهذا يتضمن الوصية لأمّة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم أن تتمسّك بهذه الشريعة وأن تترك أهواء الناس ورغبات الناس، ولا تلتفت إلى دعوات المضلّلين الذين يزهدون بالإسلام، ويصفونه بالرجعية أو بالإرهاب أو يصفونه بالتضييق والتحجّر إلى غير ذلك؛ فهو دينٌ سمح ودينٌ مستقيم ودين معتدل لا تشدّد فيه ولا تساهل، فهو دينٌ قيّم كما قال الله جلّ وعلا: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[يوسف:40].

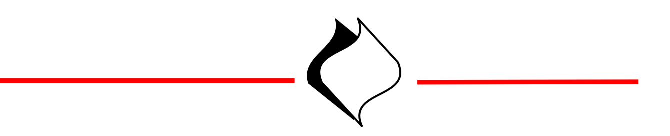
المذيع: قال: أمره باتّباعها، وأمره بأن يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:108]

الشيخ صالح: أمر الله نبيه باتّباع هذه الشريعة. قوله:﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[الجاثية:18]، فاتبعها أي: سر عليها ولا تلتفت إلى ما سواها؛ لأنّها هي الحقوما سواها فهو الباطل.

35) البصيرة في الدعوة مطلبٌ شرعيٌ

المذيع: أمره باتّباعها، وبأن يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:108]

الشيخ صالح: أمر الله نبيه في هذه الآية من أخر سورة يوسف: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ أي: هذه طريقتي ومنهجي الذي أسير إليه. أدعو إلى الله؛ أي إلى دين الله وإلى توحيده وعبادته ودينه هذا هو الدعوة إلى الله عزّ وجلّ. ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي: على علم فدلّ على أنّ الذي يدعو الى الله يُشترط أن يكون على علم، فالجاهل لا يصلح أن يدعو إلى الله لأنّه قد يحلّل حراماً أو يحرّم حلالاً، أو يقول على الله بغير علم فلا يصلح أن يكون داعية، ولأنّه لا يستطيع مجابهة الشّبهات التي توجّه إليه من قبل المعترضين؛ فلا بد أن



يكون عنده علمٌ يكشف بـه الشّـبهات المضـللة، وإلا فإنّـه سيفشـل في دعوته إذا كان على غير علم.

﴿عَلَى بَصِـيرَةٍ أَنَـا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ أدعــو إلى اللــه أنــا ومن اتّبعــني واقتدى بي على بصيرة أي على علم. فهذا يؤخذ منه: أن الجاهل لا يصلح أن يدعو إلى الله وأن يفـتي بغـير علم، أمّا أنّه يـأمر النـاس بالخير على وجه العموم: يأمرهم بالصلاة ،يأمرهم بالأمور الظّـاهرة ويحثّهم عليها؛ فهذا كلٌ عليه قسط، عليه قسط من ذلك. لكن أمور الحلال والحرام وأمـور الشـرك والتوحيـد وأمـور البـدع والمحـدثات والتفاصيل هو لا يدخل فيها وهو ليس عنده علم.

36) الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومعناها وفضلها

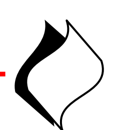
المذيـــــــع: قال: صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

الشـيخ صـالح: نعم، وكـذلك لمّـا أتى بالشـهادتين أتى بالصـلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسـلم عملاً بقولـه تعـالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَـهُ يُصَـلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا صَـلُّوا عَلَيْـهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:56]

ومعنى الصلاة من الله جلّ وعلا: ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى، وصـلاة الملائكـة على النـبي معناهـا: الاسـتغفار لـه، والصـلاة منّـا: معناها الدعاء لهذا النبي صلى الله عليه وسلم. فلـه حقـوقٌ علينـا، وهذا من أعظم حقوقه: أن نصلي ونسـلم عليـه كلمـا ذكرنـاه، وأن نصلي ونسلم عليـه في صـلاتنا وفي دعائنـا؛ فـإنّ الـدّعاء معلّـق لا يقبل حتّى يصلي الدّاعي على نبيه. فله حقـوقٌ علينـا أعظمهـا هـو الصلاة والسلام عليـه. بـأن نكـرّر هـذا، وقـد قـال صـلى اللـه عليـه وسلم: " صلوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم" وقال صلى الله عليه وسلم:" من صلى عليّ واحدةً صلى الله عليه بها عشرا".

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين



الدرس الرابع

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمـد لله ربّ العـالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين. أيّهـا المسـتمعون الكـرام. السـلام عليكم ورحمـة اللـه وبركاتـه، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامج

اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم

لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رحمـه الله

يشرحه فضيلة الشيخ / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان عضو هيئة كبـار العلمـاء وعضـو اللجنـة الدائمـة للإفتـاء في مطلـع لقائنا نرحّب بضيفنا الكريم فحيّاكم الله شيخ / صالح.

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

37) سبب تأليف الكتاب

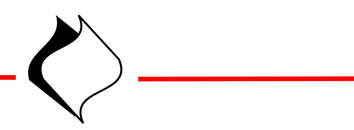
المذيـــــــع: قال المؤلف: -رحمه اللـه -بعـد افتتاحـه بخطبـةٍ في المقدمة، وبعدُ فإنّي كنت قد نَهيت- إمّا مبتدأً، أو مجيباً -عن التّشبّه بالكفار في أعيادهم.

الشـيخ صـالح: بسـم اللـه الـرحمن الـرحيم. الحمـد للـه رب العـالمين. وصـلى اللـه وسـلم على نبينـا محمـد وعلى آله وصـحبه أجمعين.

قال الشيخ -رحمه الله -وبعد: هـذه الكلمـة يـؤتى بهـا للانتقـال من كلامٍ إلى كلامٍ آخـر، وهي يقولـون: إنّهـا كلمـة فصـل بين كلامين، كنت نهيت عن التشبه، كنت نهيت إمّا مُبتدِأ، وإمّا مجيباً. يعني أنّـني أنهى ابتداءً دون أن يسألني أحـد، وإمـّا مجيبـاً لمن سـألني. ينهى -رحمه الله -عن البدع ويحذّر منها، فاعترض عليه بعض النـاس -كمـا سيذكره- فيكون هذا هو سبب تأليف هذا الكتاب القيّم.

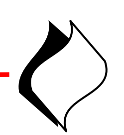
38) النهي عن التشبه بالكفار في أعيادهم ومعنى العيد

المذيـــــــع: قـال: عن التّشـبّه بالكفـار في أعيـادهم، وأخـبرت ببعض ما في ذلك من الأثر القديم، والدلالة الشرعية.



الشيخ صالح: التشبّه على الكفار في أعيادهم، الأعياد: جمع عيد؛ وهو ما يعود ويتكرّر بتكرر السّنة أو تكرّر السّنين، وهو ينقسم إلى قسمين: عيدٌ زماني كعيد المولد وأعياد الملوك وغير ذلك من أيامهم التي يحتفلون فيها ويتكرّر؛ هذا يسمى بالعيد الزماني. أو العيد المكاني: وهو المكان الذي يجتمع فيه الناس في وقتٍ معين. نوعٍ من التّنسّك أو العبادة، أو طلب البركة، فهذا يسمى بالعيد المكاني وهو ينقسم إلى قسمين: عيدٍ شرعي مكاني، وعيد بدعي. العيد البدعي وهو الاجتماع في مكانٍ لم يشرع الله الاجتماع فيه لأجل التّقرّب إليه في هذا المكان؛ فهو بدعة، ولذلك لمّا جاءه رجلٌ يسأله أنّه نذر أن ينحر إبلاً ببوانة -اسم موضع- يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عما يفعل في هذا النذر، قال صلى الله عليه وسلم: " هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد؟ "قال: لا. قال: "هل كان فيه عيدٌ من أعيادهم؟" يعني هل كان من عاداتهم يجتمعون في هذا المكان تعبداً لله؟ قال لا. قال: "فأوفِ بنذرك فإنّه لا وفاء لنذرٍ بمعصية الله ولا فيما لا يملكه ابن أدم."

ومن ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم "لا تجعلوا قبري عيداً" يعني مكاناً للاجتماع والتردّد عليه؛ على قبره صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ هذا وسيلة من وسائل الشرك، ولهذا ما كان الصحابة يترددون على قبر النبي صلى الله عليه وسلم. كلما دخلوا المسجد ذهبوا إلى القبر؛ ما كانوا يفعلون هذا، وإنّما كانوا إذا قدم أحدهم من سفر يأتي ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه ثم ينصرف؛ خشيةً من نهي الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: " لا تجعلوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبورا" يعني تحرمونها من صلاة النافلة ومن ذكر الله -عزّ وجلّ-. فهذا هو الشاهد من الأعياد المكانية المبتدعة، أمّا الأعياد المكانية المشروعة فمثل: الاجتماع حول البيت العتيق للصلاة وللاعتكاف ولتلاوة القرآن وللطواف به. فهذا عيد مكاني مشروع، وكذلك الاجتماع في منى وفي أيام التشريق، وفي عرفة. يوم عرفة. وفي مزدلفة. ليلة العاشر. هذه أعيادٍ مكانية يجتمع المسلمون فيها لله عزّ وجلّ، وأمّا الأعياد الزمانية المشروعة فمثل: عيد الفطر وعيد الأضحى وكلٌ منهما بعد أداء ركنٍ من أركان الإسلام، فعيد الفطر بعد أداء ركن الصيام، وعيد الأضحى بعد الوقوف بعرفة، والحجّ من أركان الإسلام، فهذان



العيدان الاحتفال بهما والصلاة؛ صلاة العيدين وذبح القربان في عيد الأضحى، هذا كله من الأعياد الزمانية التي تتكرّر على المسلمين وليس للمسلمين سوى هذين العيدين، فإن أحدث عيدٌ غيرهما فهو بدعة. فأعياد الموالد وأعياد المناسبات وغير ذلك كلها مبتدعة، وهي من أعياد الجاهلية التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولمّا قدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وجدهم يجتمعون أو يحتفلون في يومين من السنة: يوم النيروز، ويوم المهرجان. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إنّ الله قد أبدلكم بهماهما خيراً منهما؛ عيد الفطر وعيد الأضحى" فهما عيدا أهل الإسلام، ليس للمسلمين سوى هذين العيدين. نعم.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم. قال: وأخبرت ببعض ما في ذلك.

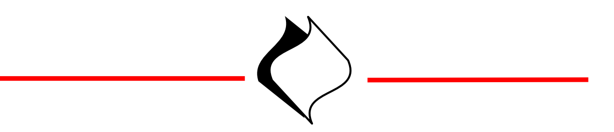
الشيخ صالح: نعم. فالشيخ -رحمه الله- نهى عن هذه الأعياد البدعية التي أُحدثت في الإسلام. نعم.

المذيـــــــع: أخبرت ببعض ما في ذلك من الأثر القديم، والدلالة الشرعية.

الشيخ صالح: الأثر القديم في الكتاب والسنة. والدلالة الشرعية من الكتاب والسنة.

المذيـــــــع: وبيّنت بعض حكمة الشرع في مجانبة الكفار: من الكتابيين والأميّين.

الشيخ صالح: حكمة الشرع من مجانبة الكفار ومجانبة أصحاب الجحيم أن يترفّع المسلمون عن تقليد الكفار والتّشبّه بهم؛ حتى يتميّزوا بدينهم ولئلا يسري شيءٌ من الدين الباطل إلى دين الحق، فإذا تجنّبنا أعيادهم وتجنّبنا التّشبّه بهم فإنّ ديننا يسلم من أن يتسرّب إليه شيءٌ من عاداتهم وأعيادهم وما يفعلونه من الشرك والكفر والبدع؛ فهذا فيه حماية لهذا الدين. تجنّب التّشبّه بالكفار في أعيادهم فيه حماية لهذا الدين، ووقاية للمسلمين من أن يفعلوا مثل أفعال هذه الطوائف: اليهود والنصارى والأميين. اليهود والنّصارى أهل كتاب، فاليهود عندهم التّوراة والنّصارى عندهم الإنجيل؛ لكنّهم حرّفوا وغيّروا وبدّلوا، ثم إنّ الكتابين نُسخا بالقرآن. فالواجب اتّباع القرآن، وأمّا الأميّون فهم الذين ليس لهم



كتاب، وهم عبّاد الأوثان، وغيرهم والمجوس وغيرهم ممّن لا كتاب لهم. فنحن منهيُّون عن التّشبّه بالطوائف الثلاث، بل التشبّه بأربع طوائف: التشبّه باليهود، التشبّه بالنّصارى، التّشبّه بالأميّين من كفار العرب، التّشبّه بالأعاجم.

39) من القواعد العظيمة: منع التّشبّه بغير المسلمين

المذيع: قال: وبيّنت ما جاءت به الشريعة من مخالفة أهل الكتاب والأعاجم.

الشيخ صالح: إي نعم. الأعاجم جمع أعجم وهو الذي ليس عربياً لا ينطق اللغة العربية. نعم.

المذيع: وإن كانت هذه قاعدةً عظيمةً من قواعد الشريعة، كثيرة الشّعب، واصلا جامعا من أصولها، كثير الفروع.

الشيخ صالح: نعم منع التّشبّه بغير المسلمين من اليهود والنّصارى والأميّين والأعاجم، وأهل الجاهلية. هذه قاعدة عظيمة. يحمي الله -جلّ وعلا بها هذا الدين من أن يدخله دخيل ويحمي به عقيدة المسلمين من أن تتلوّث بعادات الكفار وعباداتهم الباطلة. فهي قاعدة عظيمة وتتشعّب كثيرة الشّعب، ولهذا. .هذا الكتاب ذكر فيه أشياء كثيرة وهو لم يحط بكل ما... لكنّه ذكر المهمّات. نعم.

المذيع: قال: لكنّي نبهت على ذلك بما يسر الله تعالى.

الشيخ صالح: بما يسّر الله يعني: أنّي لم أحط بكل ما يُتجنّب من عباداتهم وأعمالهم وأقوالهم؛ فهذا شيءٌ كثير لكنّه- رحمه الله - أتى بالخير الكثير وقعّد القواعد ووضع الضوابط التي على ضوء الكتاب والسّنّة، والتي إذا ترسّمها المسلم فإنّه يسلم من هذه الشرور الوافدة؛ لا سيما وكثيرٌ من الناس مولع بالتّشبّه، لاسيما التّشبّه بالقول، فكثيرٌ من الناس وضعفاء الإيمان وجهّال المسلمين يميلون إلى التّشبّه بهؤلاء الطّوائف؛ لأنّهم يرون أنّهم على كمال وأنّهم قد سبقونا بالحضارات والاختراعات و أمور الدنيا، فيظنّون أنّهم ما حصّلوا هذه الأمور إلّا بهذه الخزعبلات، وما حصّلوا هذه الأمور إلّا بالجدّ في العمل. الجدّ في العمل وطلبه، ما نالوها بخرافاتهم واعتقاداتهم الباطلة، وبملابسهم وبأنواع تصرّفاتهم، ما نالوها بهذه الأمور، نالوها بالجدّ في العمل، وطلب هذا الشيء وإتقانه. فنحن نأخذ عنهم العادات والتقاليد الفاسدة ونترك العمل

والجد فيه. ولو أننا لو عملنا بديننا، وطلبنا هذه الأمور لكنّا أسبق إليها منهم، لكننا تكاسلنا وهم جدّوا في طلبها. وهي لا تدل على فضلهم. كل من اجتهد في شيءٍ فإنّه يتقنه ويدركه، فهم ما نالوها لفضلهم، وإنّما نالوها بجدّهم وعملهم. الواجب أن نكون نحن أهل الجدّ، ونحن أهل الطلب بما ينفعنا في ديننا ودنيانا.

المذيـــــع: قال: - رحمه الله-وكتبت جواباً في ذلك لم يحضرني الساعة، وحصل بسببه من الخير ما قدّره الله سبحانه وتعالى.

الشيخ صالح: إي نعم لا يزال -رحمه الله- يبيّن السبب في تأليف هذا الكتاب. أنّه كتب في الأول كتاباً مختصراً في النّهي عن التّشبّه باليهود والنّصارى والأعاجم. وبناه على ضوء الكتاب والسّنّة. ونفع الله به. لكن يقول: إنّه لا يحضرني الآن؛ لأنّه -رحمه الله- كثير التأليف، كثير الكتابات، وكان يكتب الكتاب أو الفتوى ويرسلها، ولا يبقي عنده منها صورة أو ينسخها عنده؛ لأنّه مشغولٌ بنشر العلم والتعليم، لكن كان تلاميذه وكان الذين يسألونه يحتفظون بأجوبته وفتاواه؛ فبقي -ولله الحمد- الخير الكثير منها، ولا يزال يظهر بعد كل حينٍ وآخر. يظهر له فتاوى وكتب كانت غير معلومة في الأوّل. نعم.

40) استنكار بعض الناس للتشديد في النهي عن التشبه بالكفار

المذيـــــع: رحمه الله. قال ثم بلغني بأخَرَة أنّ من الناس من استغرب ذلك واستبعده لمخالفته.

الشيخ صالح: بلغني بأخَرَة: يعني أخيراً بلغني بأخرة يعني أخيراً. نعم

المذيـــــع: أنّ من الناس من استغرب ذلك واستبعده، لمخالفة عادةٍ قد نشأوا عليها.

الشيخ صالح: بلغ الشيخ أنّ فيه من الناس من استغرب هذه الرسالة وهذا المختصر. لماذا؟ لأنّها تخالف ما ألِفوه، وما ساروا عليه. فالذي يأتي ينهاهم عن التّشبّه باليهود والنّصارى والأعاجم يستغربونه؛ لأنّ هذا الشيء نشأوا عليه، ولم ينكره أحد في الغالب. فهم يستنكرون من أحد وهذه العادة من الناس إذا كانوا على شيءٍ

وجاء أحدٌ يبيّن لهم ما فيه من الأخطاء يستغربون هذا. فهم استغربوا هذه الرسالة التي ذكرها الشيخ في النهي عن التّشبّه بغير المسلمين؛ لأنّهم يجهلون هذا الحكم، ويظنّون أنّ هذا شيء من الكمال. فالذين يتشبّهون بالكفار يطلبون الكمال؛ لأنّهم يظنّون أنّهم على كمال مع أنّهم أحطّ البشر. نعم.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: 55]

لكنّ بعض الناس يظنّهم خير البشر وخير البشرية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 6]

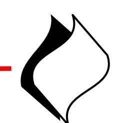
41) اتباع المُتشابه سبيل أهل الزيغ

المذيع: قال: وتمسّكوا في ذلك -يعني من استغربوا- بعموماتٍ وإطلاقاتٍ اعتمدوا عليها.

الشيخ صالح: هذه عادة أهل الضّلال، أنّهم يتمسّكون بالمتشابه من الأدلة. فهم يأخذون بالعموم مع أنّ العموم يُخصّص. يأخذون بالمطلق مع أنّ المطلق يقيّد، ويأخذون بالمنسوخ، ويتنبّهون للناسخ. فهم يأخذون طرفاً من الأدلة ويتركون الطرف الأخر، وهؤلاء حذّرنا الله منهم.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]

المحكم والمتشابه. فيردّون المتشابه إلى المحكم، فيقيدون المطلق، ويُخصّصون العام، ويعملون بالناسخ ويتركون المنسوخ؛ فيكونون على هدى. هؤلاء هم أهل العلم وهم الراسخون في العلم، أمّا الفريق الأوّل فهم أهل زيغ: إمّا أهل زيغ وإمّا أهل جهل، وابتداء في الطلب كما عليه كثير من المتعالمين الآن. لا ليس عندهم إلمام للشريعة وبالأدلة وبكيفية الاستدلال، لم يدرسوا القواعد الفقهية، لم يدرسوا أصول الفقه، لم يدرسوا مصطلح الحديث، لم يأخذوا القواعد التي يسيرون عليها. فهم يأخذون ما لاح لهم من الأدلة دون نظرٍ إلى: هل هو مقيّد؟ هل هو مخصّص؟



هل هو منسوخ؟ ما ينظرون في هذا هل هو عـام؟ هـل هـو خـاص؟ هل هو مطلق؟ هذه أمور لا يتنبّه لها إلا الراسخون في العلم الذين ثبتت أقـدامهم في العلم والإدراك، ومـدارك الأحكـام. هـؤلاء هم الذين أثنى الله عليهم، أمّا أولئك فـإنّ اللـه حـذّر منهم، حـذّر منهم النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم. قـال: "إذا رأيتم الـذين يتبعـون المتشـابه فاحـذروهم" إذا رأيتم الـذين يأخـذون مـا تشـابه منـه ويتركون المحكم فاحذروهم. "فاولئك الذين سمّى الله فاحذروهم" نعم. والله جلّ وعلا توعّد الذين يقطعون ما أمر الله بـه أن يوصـل، ومما أمر الله به أن يوصل ردّ المتشابه من المحكم هذا هو الوصل، أمّا إذا أخذت بالمتشابه فقد قطعت ما أمر الله به أن يُوصل.

42) حرص العالم على ما فيه منفعة للناس

المذيـــــع: نعم. أحسـن اللـه إليكم. قـال: - رحمـه اللـه - فاقتضاني بعض الأصحاب أن أعلّق في ذلك ما يكون فيه إشارةٌ إلى أصل هذه المسألة.

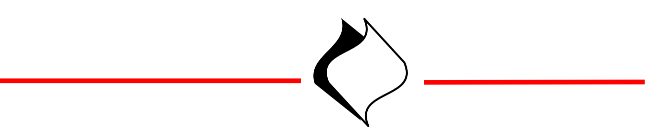
الشيخ صالح: نعم، اقتضـاني يعـني: طلب مـني بعض الأصـحاب، وهكـذا يجب الرجـوع إلى أهـل العلم في الأمـور المشـكلة والأمـور المهمة، ومن أمثل من هذا الإمـام -رحمـه اللـه- في أن يُرجـع إليـه في هذه المسألة العظيمة وكذلك يرجع إلى العلمـاء في كـل زمـانٍ ومكان.

قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]

فلمّا طلبوا منه ذلك أجـابهم، ويجب على العـالم إذا سُـئل أن يـبيّن وإذا طلب منه بيان حكمٍ من الأحكـام الشـرعية يجب عليـه أن يـبيّن وإلّا يكون من الذين يكتمون ما أنزل الله. فهو أجـابهم، وألّـف هـذا الكتاب. نعم.

المذيـــــع: وسمّاه إشارةً قال: إشارةً إلى أصـل هـذه المسـألة، لكثرة فائدتها، وعموم المنفعة بها، ولما قد عمّ من الابتلاء بذلك.

الشيخ صالح: إي نعم، سبق لأنّه يقول أنّ هذا الباب لا يحاط بكل مسائله وفروعه، لكنّه ألّف هذا الكتاب كقواعد عامة وضوابط عامـة وفيه الخير الكثير.. ومع هذا سمّاه إشـارة؛ اسـتقلالاً لـه، وهـذا من تواضعه- رحمه الله. نعم.



43) خطورة التشبه بالكفار في العودة للجاهلية وطمس معالم الإسلام

المذيـــــــع: قال: ولمّا قد عمّ كثيرا من الناس الابتلاء بذلك، حتّى صاروا في نوع جاهلية.

الشيخ صالح: إي نعم، عمّ التّشبّه بالكفار والجهل بتحريم هذا الأمر حتّى عادوا إلى الجاهلية في الغالب -ما هو بالكل-، فلن تعود الأمّة إلى الجاهلية أبداً، ولكن يعود إلى الجاهلية منها طوائف من الناس. فهؤلاء الذين ذكرهم الشيخ كادوا بتشبّههم بالأعاجم واليهود والنّصارى أن يعودوا إلى الجاهلية. وهذا فيه بيان الخطر؛ التّشبّه بالكفار وهو أنّه يؤدي إلى العودة إلى الجاهلية. نعم.

44) سعة علم ابن تيمية وتواضعه

المذيـــــــع: قال: فكتبت ما حضرني الساعة.

الشيخ صالح: الله أكبر. كتب ما حضره الساعة. يعني: هذا يدل على غزارة علمه -رحمه الله-، وعلى عظيم فقهه. إذا كان أنّه كتب في هذه الساعة هذا الكتاب الجليل العظيم المؤصّل المقعّد المدعوم بالأدلة. نعم.

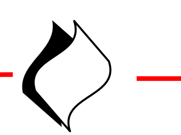
المذيـــــــع: مع أنّه لو استُوفي ما في ذلك من الدلائل وكلام العلماء، واستقريت الآثار في ذلك، لوجد فيه أكثر ممّا كتبته.

الشيخ صالح: : إي نعم، هذا اعترافٌ منه- رحمه الله -وعدم اغترار. يعني بعمله. وأنّ الأمر أكثر مما ذكر ولكنّه أتى بهذا الكتاب في هذه الساعة التي ألّفه فيها؛ لأجل سدّ الحاجة، وأمّا التفريع والاستقراء والتّتبع فهذا يحتاج إلى أكثرمن كتاب. نعم.

45) صاحب العلم لا يشك في أن مخالفة الكفار مطلب شرعي

المذيـــــــع: قال: ولم أكن أظنّ أنّ من خاض في الفقه، ورأى إيماءات الشرع ومقاصده، وعلل الفقهاء ومسائلهم؛ يشك في ذلك.

الشيخ صالح: أي نعم. يقول ما كان عندي شك أنّ الذي عنده فقه وعنده دين. أنّه يسوّغ التّشبّه، أو يفتي بجوازه. ما كان يظنّ هذا بالمنتسبين إلى العلم لكن مع الأسف حصل شيءٌ من ذلك، إمّا



من المتعالمين الذين ليس عندهم علم، والذين يأخذون المتشابه ويتركون المحكم، وإمّا من المغرضين والمضللين الذين عندهم علم لكن يقصدون تضليل الناس أو التّقرّب إلى الكفار أو إرضاء فلانٍ وعلان.

46) صاحب الإيمان الصحيح لا يشك في أن مخالفة الكفار مطلب شرعي

المذيع: بل لم أكن أظنّ أنّ من وقر الإيمان في قلبه، وخلص إليه حقيقة الإسلام، وأنّه دين الله إذا نبّه على هذه النكتة: إلا كانت حياة قلبه، وصحة إيمانه: توجب استيقاظه بأسرع تنبيه.

الشيخ صالح: كذلك ما كان الشيخ يظنّ أنّه سيحصل ردة فعل من هؤلاء الذين استنكروا هذه المسألة لمّا أثارها في جوابه الأول، ما كان يظنّ هذا في طُلاب العلم وفي العلماء؛ لأنّ الواجب على المسلم أنّه إذا بلغه الحق فإنّه يقبله، وإذا كان على خطأ فإنّه يعترف بالخطأ -ولوكان عالماً ولو كان إماماً-؛ إذا تبيّن له الخطأ فإنّه يرجع إلى الصواب لأنّ الحق ضالة المؤمن. الشيخ كان يحسن الظنّ بهؤلاء، ويظنّ أنّهم ما يستغربون من يبيّن لهم تحريم التّشبّه، وأضراره لكن وقع خلاف ما كان يظنّ، وهذا من العجائب، وهذا لا يزال في الناس. أي نعم.

المذيع: وقد نحتاج إلى تكرار هذه المقدمة في بعض أصول الكتاب. يستنكر الناس ما يذكر من النّهي عن التّشبّه أو يستعظمونه في بعض الجوانب. مثل ما قال -رحمه الله.

الشيخ صالح: هم يصفون شيخ الإسلام -هؤلاء الصنف- بأنّه متشدّد وأنّه كذا وكذا وأنّه يصفونه إلى الآن.

47) غالب من يرد الحق لهوى في نفسه وخطورة اتباع الهوى

المذيع: قال: ولكن نعوذ بالله من ريْن القلوب، وهوى النفوس اللذين يصدّان عن معرفة الحق واتباعه.

الشيخ صالح: نعم لو أنّ المسألة جهل لهان الأمر، لكنّ المشكلة أنّ الإنسان يترك الحق وهو يعرفه لأجل طمعٍ من أطماع الدنيا أو

منصب أو رئاسة أو هوىً من الأهواء، وهو عالم هذه المصيبة، وهذا من ريْن الذنوب؛ لأنّ الذنوب -والعياذُ بالله- تعمي القلب.

كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14]

فالمعاصي تعمي القلب والرغبات الدنيوية والمطامع النفسية تعمي القلب. ولا تريد الحق فهذا هو السبب. فهذا يؤثّر في القلب إذا ردّ الحق فإنّه يصاب بعمى البصيرة. كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: 110]

فالواجب على من عرف الحق وبلغه الحق أن يبادر إلى امتثاله فإن تأخّر أو تلكّأ فإنّه قد يطمس على قلبه.

المذيـــــع نسأل الله السلامة.

الشيخ صالح: **وقد يطمس على قلبه؛ بل لا يقبل الحق بعد ذلك عقوبةً له ولهذا قال جلّ وعلا في بني اسرائيل: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: 5]**

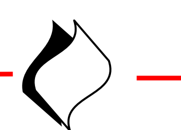
فالمؤمن إذا بلغه الحق يحمد الله يغتبط ويفرح به، وإن كان على خطأ يتراجع عن خطئه، ويدعو لمن نبّهه، أمّا صاحب الباطل فإنّه لا يتحوّل عن باطله ولا يقبل الحق. فهذا صنفٌ موجودٌ في الناس، ويتكرّر وجوده في الناس ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 42]

المذيـــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الخامس

المذيـــــع: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أيّها



المستمعون الكرام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحيّاكم الله إلى حلقةٍ جديدة في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.
لشيخ الاسلام/ بن تيمية - رحمه الله.
يشرحه ضيف اللقاء فضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.
في مطلع لقائنا نرحّب بضيفنا الكريم فحيّاكم الله شيخ/ صالح.

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

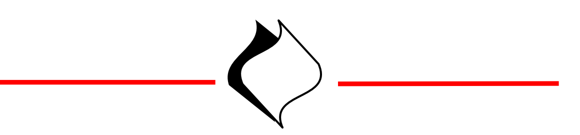
48) حال الناس قبل الإسلام، ومنّة الله على المسلمين

المذيـــــــع: قال المؤلف: -رحمه الله تعالى- فصلٌ حال النّاس قبل الإسلام.

الشيخ صالح: نعم.. بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.
الشيخ- رحمه الله - في مطلع هذا الكتاب يريد أن يبيّن حالة الناس قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما هم عليه من الكفر والضلال وما يتخبطون فيه من الجهل ليبيّن عظيم نعمة الله ومنّه على عباده ببعثة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم، وليقارن حالتهم بعد الإسلام مع حالتهم قبل الإسلام ليظهر الفرق المبين بذلك، ولأجل أن يحذر المسلمون أن يعودوا إلى شيءٍ ممّا كانت عليه الجاهلية بعد أن منّ الله عليهم بالإسلام. نعم.

المذيـــــــع: قال: اعلم أنّ الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الخلق على فترةٍ من الرسل.

الشيخ صالح: نعم. الله -جلّ وعلا- بعث محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين. وإمام المرسلين إلى الناس كافة، كان النبي قبله يبعث إلى قومه خاصة أمّا هذا الرسول صلى الله عليه وسلم فإنّه بعث إلى الناس كافة، وهذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام.



المذيـــــــــع: قـال: وقـد مقت أهـل الأرض -عـربهم وعجمهم- إلا بقايا من أهل الكتاب، ماتوا- أو أكثرهم- قُبَيْل مَبعثه.

الشيخ صالح: نعم الله -جلّ وعلا- نظر إلى أهل الأرض قبل بعثة محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم فمقتهم يعـني: أبغضـهم؛ عـربهم وعجمهم لما هم عليه من الكفر والضلال، وانطمـاس آثـار الرسـالة بينهم فكانوا في جاهليةٍ جهلاء، وضلالةٍ عمياء.

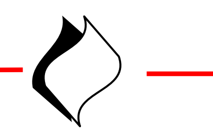
فالله -جلّ وعلا -نظر إليهم ورحمهم ببعثة هذا الرسول صلى اللـه عليه وسلم كمـا قـال تعـالى: ﴿وَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَـةً لِلْعَـالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107]

إلا بقايا من أهل الكتاب كانوا متمسكين بما عليه موسى وعيسـى -عليهما الصـلاة والسـلام-، كـانوا على الـدين الحـق لكنّهم انقرضـوا قبل البعثة. يعني ماتوا ولم يبق منهم أحد. نعم.

49) أقسام الناس قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

المذيـــــــــع: قال: والناس إذ ذاك أحد رجلين: إمّـا كتـابيٌ معتصـمٌ بكتاب، إمّا مبدّلٌ، وإمّا منسوخ، ودينٌ دارس، بعضه مجهول، وبعضـه متروك، وإمّا أمّيٌ من عربي وعجمي.

الشيخ صالح: نعم الناس كانوا على قسـمين في الجاهليـة قبـل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، إمّا أهـل كتـاب في الأصـل لكنهم حرّفـوا وبـدّلوا وغيّـروا في كتـابهم ومسـخوه فلم يصـلح، فلم يعـد صالحاً للعمل به لأنّه مبـدّلٌ ومغيّـرٌ ومحـرّف و إمّـا أميّـون ليس لهم كتـابٌ أصـلا؛ فهم يعيشـون على جهـلٍ متأصـل من البدايـة، و هـذا ينطبق على العـرب؛ لأنّهم أمّـةٌ أميّـة، لا يقـرأون ولا يكتبـون وليس بأيديهم كتاب، وإنّما كانوا يتّبعون -المتعبّد منهم- كان يتّبـع الديانـة: ديانـة النّصـارى، وبعض يتّبـع ديانـة اليهـود، وبعضـهم يتّبـع ديانـة المجـــوس، فكــانوا متفــرقين في عبــاداتهم، وأغلبهم ليس لهم انتســابٌ إلى دين، وإنّمــا يعبــدون الأوثــان والأصــنام والأشــجار والأحجار. أمّةٌ وثنيّة. هذه حالة الأميّين قبل بعثـة محمـدٍ صـلى اللـه عليه وسـلم، كمـا قـال تعـالى: ﴿هُـوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُـولًا مِنْهُمْ يَتْلُـوا عَلَيْهِمْ آيَاتِـهِ وَيُـزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:2]



إذاً نخرج من هذا إلى أنّ الناس قبل بعثة محمدٍ صلى الله عليه وسلم ليسوا على دين؛ لأنّ أهل الكتاب حرّفوا دينهم وغيّروه وبدّلوه، وأدخلوا فيه من الوثنيات والشركيات ما أفسده.
وإمّا أميّون ليس لهم كتابٌ أصلاً فهم من الأصل يعيشون على الجاهلية، وعلى التقليد الأعمى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾[سبأ:44] نعم.

المذيـــع: قال عن هذين: مقبلٍ على عبادة ما استحسنه وظنّ أنّه ينفعه: من نجمٍ، أو وثن، أو قبرأو تمثال، أو غير ذلك.

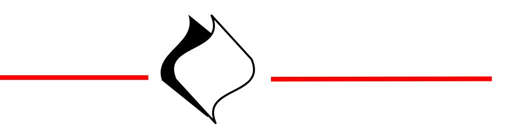
الشيخ صالح: نعم هذا في الأميّين، هذه حالتهم أنّهم يعبدون ما يستحسنون من الأصنام، والأوثان. والصنم هو ما كان على صورة حيوان وأمّا الوثن فيعم الصنم والقبر والشجر والحجر.كل ما عبد من دون الله فهو وثن كما قال صلى الله عليه وسلم "اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبَد" فكل ما عبد من دون الله فهو وثن، فالوثن أعمّ من الصنم؛ لأنّ الصنم ما كان على صورة حيوان، أو يعبدون... بعضهم يعبد الجن بعضهم يعبد الملائكة، وبعضهم يعبد الأولياء والصالحين. فكانوا متفرقين في عباداتهم؛ لأنّهم ليسوا على دينٍ حق يجمعهم يستند إلى كتابٍ أو إلى سنّة وإنّما كانوا يتّبعون أهواءهم حتى إنّ منهم من يصنع الصنم من التمر ويعبده؛ ثم إذا جاع أكله. إذا جاع أكله.

المذيـــع: قال: والناس في جاهليةٍ جهلاء، من مقالاتٍ يظنونها علماً، وهي جهل وأعمالٍ يحسبونها صلاحاً وهي فساد.

الشيخ صالح: نعم هذا شأن كل من لا يستند في قوله وعمله إلى وحي الله عزّ وجلّ الذي أوحاه إلى رسله عليهم الصلاة والسلام.

المذيـــع: وغاية البارع منهم علماً وعملاً: أن يُحصّل قليلاً من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين، قد اشتبه عليهم حقه بباطله.

الشيخ صالح: نعم، وغاية البارع الحاذق منهم يكون عنده شيءٌ من العلم الموروث عن الأنبياء السابقين لكن يمزجه بكثيرٍ من الخرافات، وكثيرٍ من الجهليات حتى يضيع نفعه.



المذيـــــــع: أو يشتغل بعملٍ؛ القليل منه مشروع وأكثره مبتدع.

الشيخ صالح: أو يشتغل بعملٍ قليله مشروع والكثـير منـه مبتـدعٌ ما لم يشرعه الله، مثل الحجّ؛ فإنّ العرب كـانوا يحجّـون إلى الـبيت من بقايـا دين إبـراهيم عليـه الصـلاة والسـلام، كـانوا يحجّـون إلى البيت ولكنّهم كانوا يشركون في الحجّ، فيقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لـك تملكـه ومـا ملـك. فيـدخلون الشـرك في التلبّيـة، ويدخلون شـركاءهم في التلبّيـة مـع اللـه عـز وجـل، فهـم يمزجـون الحق بالباطل الحق القليل بالباطل الكثير.

المذيـــــــع: أو أن يكدح بنظره كدح المتفلسـفة، فتـذوبَ مهجتـه في الأمـور الطبيعيـة والرياضـية، وإصـلاح الأخلاق، حتّى يصـل- إن وصل- بعد الجهد الذي لا يوصف إلى نزرٍ قليـلٍ مضـطرب، لا يُـروي ولا يشفي من العلم الإلهي.

الشيخ صالح: هذا قسمٌ ثالث من أقسام العالم:

القسـم الأوّل: أهـل الكتـاب على مـا هم فيـه من ضـلالٍ وتحريـفٍ وتبديل.

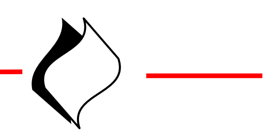
القسم الثاني: المجوس الذين يعبدون النار، ويقال: إنّهم كان لهم كتابٌ ثم رفع لهم شبهة كتاب.

والقسم الثالث: العرب الذين يعبدون من دون الله آلهةً متعددةً.

القسم الرابع: الفلاسفة، الفلاسفة وهم الحكماء. الفلسفة أصلها الحكمة. فهم الحكماء الذين ينظرون في الأشياء ويسـتنتجون منهـا يتنسّكون في ترك الملذات والشهوات من أجل أن تصـفو قلـوبهم، وما أشبه الصوفية الآن بهؤلاء. فإنّهم يـتركون الملـذات والمطـاعم والمشـارب، أو يُقلّلـون من تناولهـا من أجـل أن تصـفوا أذهـانهم، وتصفو قلوبهم بزعمهم، وليس عندهم علمٌ من كتـاب ولا سـنّة ولا من وحيٍ منزّل، فهم يعتمدون على أذهانهم، وعلى ما تُمليه عليهم نفوسهم التي يزعمـون أنّهـا صـفت وأنّهـا أدركت والحقيقـة وأنّهـا وأنّها. نعم.

المذيـــــــع: قال: لا يروي ولا يشفي من العلم الإلهي.

الشيخ صالح: نعم، وإن كانوا حصلوا على شيءٍ من النظر، ولكن هذا قليلٌ لا يُغني شيئاً.



المذيـــــــع: باطله أضعاف حقه- إن حصل- وأنّى له ذلك؟ مع كثرة الاختلاف بين أهله والاضطراب وتعذّر الأدلة عليه والأسباب.

الشيخ صالح: نعم الفلاسفة مختلفون فيما بينهم لا يجمعهم رأي، ولا تضمّهم طريقةٌ واحدة، وإنّما هم متشعّبون في مجالاتهم، وهذا شأن كلّ من لا يكون عنده كتابٌ إلهي، ووحيٌ منزّل.

50) عظيم منَّة الله على خلقه ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم لهداية الناس

المذيـــــــع: قال: فهدى الله الناس ببركة نبوة محمدٍ صلّى الله عليه وسلم، وبما جاء به من البيّنات والهدى.

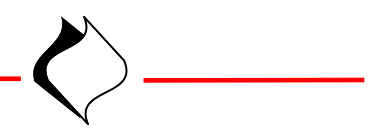
الشيخ صالح: لما شرح الشيخ- رحمه الله -حالة العالم، وذكر انقساماتهم وتفرّقهم، وتشتتهم في الأفكار في العبادات، وفي السلوك. ذكر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لأجل أن يخرج الناس من هذه الظلمات إلى النور، ومن الضّلالة إلى الهداية، ومن العمى إلى البصيرة. فبعثة هذا النبي صلى الله عليه وسلم منّة نفع بها العالم كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107]

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:164]

فأصبحوا بعد بعثته صلى الله عليه وسلم لما أمنوا به واتّبعوه أصبحوا سادة العالم علماً وعملاً وحكماً، وصار العالم كله تحت سيطرتهم، وتحت أيديهم بعد أن كانوا مستضعفين في الأرض. ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:26]

المذيـــــــع: قال: فهدى الله الناس هداية جلّت عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين.

الشيخ صالح: نعم حتّى الكفار حصلت لهم نوعٌ من الهداية بأن تراجعوا عن كثيرٍ ممّا ظهر لهم أنّه باطل، وإن لم يتّبعوا محمداً صلى الله وسلم لكنّهم انتفعوا ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم



في إقامة العدل نوعاً ما، وفي تعديل الأفكار الجامحة نوعاً مـا، أمّـا المؤمنون فإنّ اللـه منّ عليهم منّـةً خاصّـة؛ بـأن اتّبعـوه وآمنـوا بـه واستفادوا- استفادوا من بعثته في الدنيا والأخرة. أمّـا أولئـك فقـد استفادوا نوعاً ما في الدنيا فقط. لكن لمّا لم يؤمنـوا بـه فـإنّهم لا يسـعدون في الأخـرة، أمّـا المؤمنـون فحصـلوا على سـعادة الـدنيا وسعادة الأخرة. نعم.

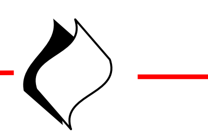
المذيـــــــع: قـال: حتّى حصـل لأمتـه المؤمـنين عمومـاً، ولأولي العلم منهم خصوصـاً من العلم النـافع، والعمـل الصـالح، والأخلاق العظيمة، والسنن المستقيمة، ما لو جُمعت حكمة سائر الأمم علمـاً وعملاً، الخالصة من كل شوب إلى الحكمـة الـتي بعث بهـا؛ لتفاوتـا تفاوتاً يمنع معرفة قدر النسبة بينهمـا، فللـه الحمـد كمـا يحبّ ربّنـا ويرضى.

الشيخ صالح: كانت منّة الله في بعثة هذا النبي صـلى اللـه عليـه وسلم على المؤمنين خاصّة منّـةً عظيمـة لا تقـاس بثمن، ولا تعـدل بأي شيء من هذه الدنيا، وهم يتفاوتون:

فالعلمـاء من هـذه الأمّـة كـانت المنّـة عليهم عظيمـة، والمؤمنـون العوامّ أيضاً كانت عليهم المنّة عظيمة لكنّها دون المنّة على العلماء الـــذين جمعـــوا بين العلم والإيمـــان، جمعـــوا بين العلم والإيمـــان والعمل، وأمّا عامّتهم فالله -جـلّ وعلا -أخـرجهم من الظلمـات إلى النور، ووحّـدوا اللـه - عـزّ وجـلّ- وتركـوا عبـادة الأصـنام والأوثـان؛ فكانوا على خيرٍ وعلى حق وعلى هدى. لكن حظّهم من هـذه المنّـة أقل من حظّ أهل العلم، فإن أهل العلم من هذه الأمة أعطاهم الله حظاً وافراً من العلم والعمل والإيمان واليقين أكثر من غيرهم.

الله جلّ وعلا يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:28].

ويقول الشيخ: أنّه لو جمعت الحكمـة الـتي حصـل عليهـا أتبـاع هـذا الرسول صلى الله عليه وسلم بحكمة الأولين والآخـرين لمـا وازنت الحكمة التي عند الأمم الأخرى، ما وازنت أقـل قليـلٍ للحكمـة الـتي حصل عليها أتباع هذا الرسول صلى الله عليه وسلم، ودليل ذلك أنّ هؤلاء سادوا على العـالم بحكمتهم وعلمهم فأصـبحوا قـادة الـدنيا، أمّا أولئك وإن كان أعطاهم الله شيئاً من الحكمة والإيمـان لكن مـا وجدنا أنّ أحداً منهم ساد العالم كله كسيادة هذه الأمة، ما قرأنا ولا عرفنـا أنّ أحـداً من تلـك الأمم السـابقة أنّهـا انبسـطت على وجـه



الأرض، وأطاعت لها البشرية كما أطاعت لهذه الأمة المحمدية؛ ممّا يدلّ على تميّز هذه الأمّة على غيرها من الأمم. نعم.

51) صفة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وهي الإسلام

المذيـــــــع: قال: ودلائل هـذا وشـواهده ليس هـذا موضـعها، ثمّ إنّه سبحانه بعثه بدين الإسلام الذي هو الصراط المستقيم.

الشيخ صالح: نعم. بماذا بعث الله محمداً صلى الله عليه وسـلم؟ بعثه الله بدين الإسلام. والإسلام هو دين جميـع الرسـل، فالإسـلام هو دين الله عزّوجلّ من أول الخليقة إلى أخرها.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُـرْ بِآيَـاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران:19]

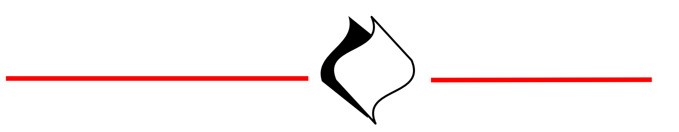
قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْـرَ الإِسْـلامِ دِينًـا فَلَنْ يُقْبَـلَ مِنْـهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:85]

والإسلام هو عبادة الله بما شـرع في كـل وقتٍ بحسـبه. فمن اتّبـع رسولاً من الرسل وتمسّك بشـريعته في وقتـه فهـو مسـلم إلى أن جاء محمدٌ صلى الله عليه وسلم فكان الإسلام هـو مـا بعث اللـه بـه محمدٌ صلى الله عليه وسلم. نعم

المذيـــــــع: قال: وفرض على الخلق: أن يسألوه هدايته كل يومٍ في صلاتهم.

الشيخ صـالح: والإسـلام مـا هـو؟ الإسـلام هـو الاستسـلام للـه بالتوحيد والانقياد له بالطاعـة والـبراءة من الشـرك وأهلـه، يتلخّص الإسلام في هـذه الكلمـات: الاستسـلام للـه بالتوحيـد والانقيـاد لـه بالطاعـة والـبراءة من الشـرك وأهلـه. هـذا هـو الإسـلام. فمن لم يستسلم لله عزّ وجلّ فهو مستكبر، ومن استسلم لـه ولغـيره فهـو مشرك. والمستكبر والمشرك كلاهما في النار.

أمّا من استسلم وانقاد لله عزّ وجلّ وتبرأ من الشرك وأهل الشـرك فإنّه هو المسلم الحقيقي. وبعثه بالصراط المستقيم وهو الإسلام، الصراط المستقيم هو الإسلام. وهذا الصـراط نسـأل اللـه أن يـدلّنا



عليه وأن يثبّتنا عليه في كل ركعة من صلاتنا بقولنا: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:6]

المذيع: ووصفه بأنّه صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين.

الشيخ صالح: نعم، نحن نسأل الله أن يهدينا الصّراط المستقيم. ما هو الصّراط المستقيم؟ هو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

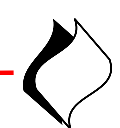
وهم الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح. لأنّ الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق. فالهدى هو العلم النافع ودين الحق هو العمل الصالح. فالذين جمعوا بينهما هم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. فهم درجات: أعلاهم درجةً الأنبياء ثمّ يليهم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون. كلهم أنعم الله عليهم. بسبب ماذا؟ بسبب أنّهم تمسّكوا بهذا الصّراط المستقيم. نعم.

المذيع: غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

الشيخ صالح: أن يُجنبني طّريق، صراط المغضوب عليهم وهم الذين أخذوا العلم وتركوا العمل، ويتمثّل هذا في اليهود. فإنّهم أهل علم لكنّهم عطّلوا العمل. واتّبعوا أهواءهم، والضّالون هم الذين أخذوا العمل وتركوا العلم، ويتمثّل هذا في النّصارى. فإنّ عندهم رهبانيةً وعندهم زهداً وعندهم، وعندهم... لكن لا يعبأون بالعلم. ويعملون على غير علم، ويشبههم في هذا كل أصحاب البدع والمحدثات والخرافات من هذه الأمّة الذين يتقرّبون إلى الله بما لم يشرعه من البدع والخرافات والمحدثات.

المذيع: نعم. أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس السادس

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمـد لله رب العـالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

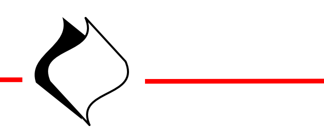
أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلًا وسهلًا بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يشرحه فضيلة الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع هذا اللقاء نرحب بشيخنا الكريم حياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

52) فوائد من حديث عدي بن حاتم

المذيـــــــع: في مقدمة المؤلف ـ رحمه الله ـ وحديثه عن حال الناس قبل الإسلام، وبيانه الصراط المستقيم، قال: قال عدي بن حاتمٍ ـ رضي الله عنه ـ أتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، وهو جالسٌ في المسجد؛ فقال القوم: هذا عدي بن حاتم. وجئت بغير أمانٍ ولا كتاب، فلما دُفِعت إليه أخذ بيدي، وقد كان قال قبل ذلك: "إني لأرجو أن يجعل الله يده بيدي". قال: فلقيته امرأةٌ وصبيٌ معها؛ فقال: إن لنا إليك، حاجة فقام معهما حتى قضى حاجتهما، ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره، فألقت له الوليدة وسادةً فجلس عليها، وجلست بين يديه. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما يُفِرُّك؟ أيُفِرُّك أن تقول لا إله الا الله؟ فهل تعلم من إلهٍ سوى



الله؟ قال: قلت: لا. ثم تكلم ساعة ثم قال: إنما يُفِرُّك أن تقول: الله أكبر، وتعلم شيئًا أكبر من الله؟ قال: قلت: لا. قال: فإن اليهود مغضوبٌ عليهم، وإن النصارى ضُلّال. قال: فقلت: فإني حنيفٌ مسلم. قال: فرأيت وجهه ينبسط فرحًا. وذكر حديثًا طويلًا رواه الترمذي، وقال هذا حديث حسن غريب.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

هذه قصة إسلام عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ كان أبوه حاتم الطائي، المشهور بالجود والكرم، حتى ضُرب به المثل، والطائي لأنه من جبل طيِّئٍ المعروف، وكان سيدًا على قومه، فلما مات صار ابنه عديٌّ مكانه، فأخذ السيادة على قومه على ما كان من جهليات، وما كان من عاداتٍ ورسومٍ بجاهلية، أخذها وقام مقام أبيه في السيادة، فلما ذهبت جيوش الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى جبل طيئ، ونصرهم الله هرب عدي، هرب عديٌ إلى الشام؛ خشيةً على نفسه، وكان في السبي أخته، كان في السبي أخت عدي بنت حاتم؛ فجيء بها إلى المدينة، وكانت كبيرة السّن، وكانت حكيمة وعاقلة، فطلبت مقابلة النبي صلّى الله عليه وسلم؛ فسمح لها بالمقابلة، فأخبرته أنها كبيرة السّن وليس بها من خدمة، وطلبت من الرسول أن يمُن عليها؛ فمنَّ عليها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأطلقها.

ثم أرسلت إلى أخيها في الشام؛ تطلب منه أن يقدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتخبره أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يقابل السيئة بالسيئة، وأنه يعفو ويصفح؛ فأذهبت الخوف الذي في قلب أخيها عدي بن حاتم. حتى قدم على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان أن دخل عليه، وهو بين أصحابه في المسجد؛ فقالوا له: هذا عدي بن حاتم، فقام إليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخذ بيده وذهب به إلى بيته، بينما هم في الطريق صادفتهم امرأة، ومعها صبي؛ فأخذت بيد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتنحَّت به ناحية تسأله، وهو يجيبها. فقال عدي في نفسه: إن هذا ليس بملك، قال: إن هذا ليس بملك،، هذا الذي

يتواضع، هذا التواضع مع امرأة تأخذ بيده ويُقبل عليها وتسأله ويجيبها، هذا ليس بملك، إنما هو رسول، فذهب معه؛ هذه واحدة.

فذهب معه إلى البيت، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذ وسادةً، وأجلس عديًا عليها؛ تكرمةً له؛ وهذه مسألة ثانية أيضًا أثَّرت في نفسية عدي ـ رضي الله عنه.

ثم جرى بينه وبين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الحوار:

أَتفِرُّ من أن تقول: لا إله إلا الله؟ وهل تعلم أن هناك إلهًا حقًا غير الله سبحانه وتعالى؟

قال: لا، ... إلى آخر ما جاء في المحاورة التي نقرؤها مرةً ثانية.

المذيــــــع: قال ما يُفرُّك؟ أيفرك أن تقول....؟

الشيخ صالح: ما يفرك؟ يعني ما الذي يجعلك تهرب من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم؟ هل جاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشيءٍ تَفِر منه؟ إنما جاء بـ(لا إله إلا الله)، وأنت تقر بـ(لا إله الا الله).

المذيــــــع: وما يفرك أن تقول: لا إله إلا الله، فهل تعلم من إلهٍ سوى الله؟ قال: قلت: لا.

الشيخ صالح: لا، لا أحد يستطيع أن يقول: إن هناك إلهًا حقًا، وإلا الآلهة كثيرة، لكنها باطلة.

لكن الإله الحق؟ لا، ليس هناك إلهٌ حق إلا الله سبحانه وتعالى.

المذيــــــع: قال: قلت لا، ثم تكلم ساعةً، ثم قال: إنما يفرك أن تقول: الله أكبر.

الشيخ صالح: يعني أعطاه المهلة بعد أن ألقى عليه هذه المجادلة، أعطاه المهلة؛ ليتروّى، ثم عاد إليه مرةً ثانية.

المذيـــــــع: قال: إنما يفرك أن تقول: الله أكبر، وتعلم شيئا أكبر من الله؟

الشيخ صالح: أيفرك، أي يعني: يحملك على الفرار من رسول الله. النداء بـ "الله أكبر" لكل صلاة. فهل تعلم شيئاً أكبر من الله عز وجل؟ قال: لا، لا أكبر من الله عز وجل.

المذيـــــــع: قال: فإن اليهود مغضوبٌ عليهم. وإن النصارى ضُلَّال.

الشيخ صالح: اليهود مغضوبٌ عليهم، لماذا؟ لأنهم عندهم علم، لكنهم لم يعملوا به، غضب الله عليهم؛ لأن من يعلم ليس كمن لا يعلم.

المذيـــــــع: وأن النصارى ضُلَّال.

الشيخ صالح: وإن النصارى ضلالٌ؛ لأنهم يعبدون الله على جهل وضلال، ولا تقبل العبادة إذا كانت على غير علم وعلى غير بصيرة.

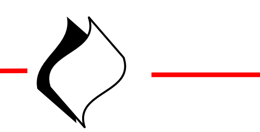
المذيـــــــع: قال: فقلت: فإني حنيفٌ مسلم؛ فرأيت وجهه ينبسط فرحًا.

الشيخ صالح: أعلن إسلامه ــ رضي الله عنه ــ، إنني حنيف، والحنيف: هو المقبل على الله المعرض عما سواه، مسلمٌ: منقادٌ لله عز وجل؛ فلذلك سُرَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.

فهذا يؤخذ منه فوائد عظيمة؛ أولا: العناية بالرؤساء ودعوتهم إلى الله؛ لأنهم إذا أسلموا هدى الله على أيديهم خلقًا كثيرًا.

ثانيًا: فيه إنزال الناس منازلهم، فإن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ـ استقبل عديًّا بالحفاوة والإكرام؛ مما أثّر في نفسه.

ثالثًا: فيه الحكمة في الدعوة إلى الله ــ عز وجل؛ فإن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما قرأنا في هذا المقطع، النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يسأله، كان يسأله أسئلةً لا بد أن يجيب



بالحق ولا يحيد. سأله هل هناك إلهٌ حق غير الله؟ قال: لا. قال: هل هناك أكبر من الله؟ قال: لا.

ثم إن عديًا ـ رضي الله عنه ـ أعلن إسلامه؛ لأنه قد انقطعت حجته، تبين له الحق. وهذه طريقة الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ تكون بالجدال بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:125]، قال تعالى:﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:46]. وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: "إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله". أخبره أنه سيقدم على قوم من العلماء، يحتاجون إلى استعداد، يحتاجون إلى مناظرة، ليسوا مثل العوام والجهال؛ فإنهم يحتاجون إلى مناظرة وإلى جدال، ومن لهم غير معاذ رضي الله عنه؟!!

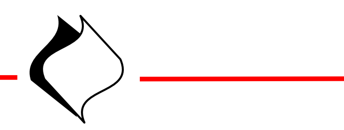
53) خبث اليهود ونقمتهم على المسلمين

المذيـــــع: قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ وقد دلَّ كتاب الله على معنى هذا الحديث، قال الله سبحانه ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾[المائدة:60]، فالضمير عائدٌ إلى اليهود.

الشيخ صالح: نعم. اليهود كانوا يسخرون من الصلاة ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾[المائدة: 58]﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾[المائدة:59] شف أهل كتاب ويسخرون.

المذيـــــع: من الصلاة؟

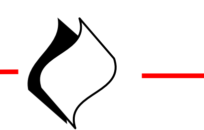
الشيخ صالح: من الصلاة،﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾[المائدة:59]، نحن نؤمن بما عندنا وبما عندكم، كله من عند الله ـ عز وجل ـ فلماذا تسخرون منا؟! ﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾[المائدة:59] هل الإيمان بالله يُسخر من صاحبه؟! ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾[المائدة:59] من القرآن وما أنزل إليكم من التوراة والإنجيل والكتب ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾[المائدة:



59] يعني: الذي ينبغي أنه يُلام ويُعاتب أنتم؛ لأنكم أهل فسق؟ أما نحن فآمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل، وأما أنتم فإنكم فاسقون؛ لأنكم لم تؤمنوا بما أنزل إليكم، وما أنزل على الرسل، فأنتم الفسقة الخارجون، والفسق معناه: الخروج عن طاعة الله ـ عز وجل ـ ثم إن الله ـ جل وعلا ـ رد عليهم ردًا مفحمًا، وبيَّن مواقعهم وما هم عليه مما لا ينكرونه ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾[المائدة:60]

الذي زعمتم أنه فينا وهو ليس فينا ﴿بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾[المائدة:60] والذين لعنهم الله هم اليهود الذين حرفوا وبدلوا وغيروا ـ لعنهم الله ـ ما هم كل اليهود، لكن الذي الذين حرفوا وبدلوا وغيروا؛ قال تعالى:﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[آل عمران:199] قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾[المائدة:83] وقال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[آل عمران:113] ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

[آل عمران:114] لكن عتاتهم وطغاتهم هم الذين فسقوا وخرجوا عن طاعة الله، فالله ـ جل وعلا ـ غضب عليهم ومسخهم، جعل منهم القردة والخنازير، وهذا في قضية السبت، لما احتالوا على صيد السمك الذي حرمه الله عليهم يوم السبت ونصبوا له الشباك، واحتالوا على صيده وأخذوه يوم الأحد، استحلوا محارم الله بالحيل. الله ـ جل وعلا ـ مسخهم قردةً وخنازير ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[البقرة:65] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[البقرة:65]، الله مسخهم وصاروا قردة وخنازير والعياذ بالله ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾[المائدة:60] هذا أشد شيء لعنة الله؛ لأن من عنده علم ليس كمن ليس عنده علم. فهم عصوا الله على علمٍ وبصيرة فلعنهم الله ـ عز وجل ـ يعني: أبعدهم من رحمته. و ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[المائدة:60] وهذا أشد الغضب والعياذ بالله غضب الله، وغضب الله عليهم، لماذا؟ لأن عندهم علمٌ ولم يعملوا به. فهم عصوا الله على بصيرة. و ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ



وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ[المائدة:60] وفي قراءة وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ[المائدة:60]، وعبُد الطاغوت الذين يعبدون الأصنام كما عبدوا العجل، عبدوا العجل من دون الله ــ عز وجل ـ لما صنعه لهم السامري من الذهب على صورة عجل، عبدوه من دون الله ـ عز وجل، فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ[طه:88] موسى نسي راح يبحث عن ربه، وهو عندكم هنا، راح يبحث عن ربه؛ لأن موسى راح للقاء الله ـ عز وجل ـ قالوا: إنه نسي، إنه راح يبحث عن ربه وهو موجود عندكم هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ [طه:88]. فهؤلاء هم الأولى والأليق بأن يذموا ويستهزأ بهم ويسخر منهم.

المذيــــــــع: الإشارة في قوله ـ تعالى ـ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا [المائدة:59] فيها أن هؤلاء يعيبون المؤمنين بأشرف المنازل وأفضلها.

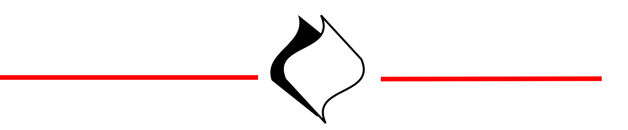
الشيخ صالح: ما فيه شك في الإيمان بالله ـ عز وجل.

المذيــــــــع: جعلوه عيبًا لهم.

الشيخ صالح: جعلوه عيبًا، كذلك أهل الشر يجعلون الخير عيبًا وشرًا، لأنهم مُسِخت أذواقهم؛ فصاروا يعتقدون أن الخير شرًّا والحق باطلًا.

54) نقمة الجهلاء على علماء المملكة وأنواع السفر

المذيــــــــع: من هذا الباب شيخنا ـ حفظك الله ـ أحيانًا بعض من لا يفهم الخير يظنه شرًّا، فيعيب أهله به مثل ما جاء في القرآن وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ[البروج:8]، هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا[المائدة:59] أحياناً يقال عنكم ـ عفوًا شيخنا ـ علماء المملكة، نجاكم الله من الخروج، جلستم في خير بلاد، دعوتم إلى الخير ـ جزاكم الله خيرا، مما يُنْقَم عليكم يقال: إن علماءَكم لم يخرجوا. ترون هذا عيبًا أنتم أو مدحة تحمدون الله عليها؟ يعني الأفضل لو أنكم خرجتم وخالطتم الناس، شفتم النساء السافرات والمشاكل،



يـنقمون منكم أنكم لم تخرجوا. مشكلة علمائكم السعوديين أنهم لم يخرجوا، أنتم معيبون أنكم لم تسافروا ولم تخرجوا.

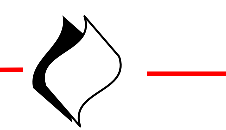
الشـيخ صـالح: **الخــروج على قســمين. خــروج للــدعوة والبيــان والإرشــاد، وهــذا واجب وهــذا قــام بــه العلمــاء ــولله الحمدــ فهم يخرجـــــون ويطلعـــــون على المنـــــابر، يظهـــــرون في النـــــدوات والمحاضرات والمساجد والمحافل ويُبيِّنون للناس الحق، هذا خـروجٌ شرعي.**

أما النوع الثاني: وهـو الخـروج للميوعـة، وتمـتيع الأنظـار بالفسـق والمناظر الخبيثة من غير إنكار، ومن غير أمرٍ بمعـروف أو نهيٍ عن منكر، فهذا الخروج برَّأ الله منه العلماء، فالعلماء يترفعون عن هــذا الخروج الذي فيه الميوعة والانسـياح، وإقـرار المنكـر وعـدم الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المذيــــــــع: هل العلماء بحاجة أن يخرجوا لـيروا النـاس؛ ليعطـوا فتاوى تناسب الناس، أو يعلِّموا الناس بالحق ليحملوهم عليه؟

الشيخ صالح: **كما ذكرنا العلماء يخرجون الخروج الشرعي، الــذي فيه الدعوة والبيــان والأمــر بــالمعروف والنهي عن المنكــر، وتعليم الناس الشريعة. العلماء يخرجــون في المســاجد وفي المنــابر وفي الندوات وفي المحافل، وفي كل مجالٍ فيه مجال للدعوة إلى الله، مــا اختفــوا ولا تَسَــتَّروا. لكن هم لا يريــدون هــذا، هم يريــدون من العلمــاء أن ينــدمجوا في المجتمــع الفاســد، وأن لا يتشــددوا وأن لا يتعصبوا ـ بزعمهم ـ يكونون مرنين. هذا قصدهم. يكونون مرنين مع أهل الباطل، لا ينكــرون عليهم ويعتــبرونهم من البشــرية. وهم من البشرية الفاسدة، نعم. بشرية لكن فاسدة.**

العلماء يــترفعون عن أنهم ينــدمجون مــع أهــل الباطــل، ومــع أهــل الشر بدون إنكار وبــدون بيــان، وبــدون ...، يريــدون أن لا نــبين، ولا ننصح ولا ...، بل نندمج معهم ونكون مرنين، والدين يقولــون الــدين يسر وسماحة، يفسرون اليسر والســماحة بهــذا التفســير الخــاطئ، والذي معناه أن نترك الناس، ونقول: الناس أحــرار وكلهم يعــبرون عن رأيهم وعن حريتهم وعن كذا وكذا، بئست الحرية وبئست الآراء



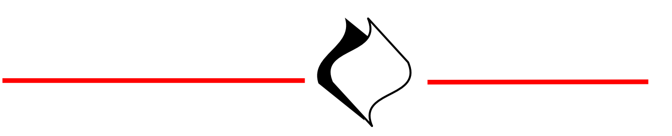
هذه تهلكهم قبل غيرهم. فنحن نبين لهم لأجل أن ننقذهم من هذه الورطات ومن هذه المهلكات.

55) موالاة الكفار من علامات المنافقين

المذيـــــــع: قال ـ رحمه الله: وقال الله ـ تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ ﴾ [المجادلة:14] وهم المنافقون الذين تولَّوا اليهود باتفاق أهل التفسير، وسياق الآية يدل عليه.

الشيخ صالح: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[المجادلة:14]، الآية في سياق أعمال المنافقين، في سياق أعمال المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر؛ لأن في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا، هؤلاء هم المنافقون، علامتهم: أنهم يوالون الكفار يتولونهم، يحبونهم ويناصرونهم ويؤيدونهم على المسلمين، تولوا قوماً يعني أيدوهم وناصروهم، في أول الآيات يقول ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾[الحشر:11] هذه مناصرة، ﴿وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[الحشر:11] فهم يتولونهم بهذا، يقولون ﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ﴾، ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[الحشر:11]، هذه موالاة هذه موالاة، مع أنهم يدَّعون أنهم مؤمنون، فهذا دليل على كذبهم في هذه الدعوة. " ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم"،﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[المجادلة:14] من هم؟ اليهود الذين كانوا في المدينة من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، فهم يهود تولوا قوما غضب الله عليهم، فدل على أن اليهود مغضوبٌ عليهم، وأن المراد بقوله ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:7] هم اليهود ومن سار في ركابهم.

56) إذلال الله لليهود وتفسير قوله تعالى: ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾



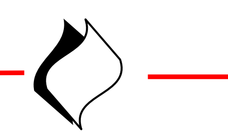
المذيـــــــع: وقال تعـالى ﴿ضُـرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَـا ثُقِفُـوا إِلَّا بِحَبْـلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْـلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَـاءُوا بِغَضَـبٍ مِنَ اللَّهِ﴾[آل عمـران: 112].

الشيخ صالح: هـذه عقوبـة لهم، لمـا غضـب اللـه عليهم ولعنهم ضربهم بهذه العقوبة للذلة، ضربهم الله بالذلة ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَـا ثُقِفُـوا إِلَّا بِحَبْـلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْـلٍ مِنَ النَّاسِ﴾[آل عمــران:112] فــاليهود لا يظهـــرون إلا بـــأمرين، إمـــا بإظهـــار اللـــه لهم للابتلاء والامتحان وإما بنصـرٍ من النـاس يؤيـدونهم، والواقـع هـو الحاصـل الآن، فإن اليهود مـا ظهـروا إلا على أكتـاف النصـارى، على أكتـاف المسيحيين الذين يسـمون أنفسـهم بالمسـيحيين، فهم مـا ظهـروا بأنفسهم، وإنما أظهرهم النصارى، واعتمـدوا على النصـارى. فهـذا مصـداق قولـه تعـالى ﴿ إِلَّا بِحَبْـلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْـلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَـاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾[آل عمران:112] لكن لا يستمر ظهورهم لا يستمر.

المذيـــــــع: الحمد لله.

الشيخ صـالح: بـل يضـمحل، وقـد سـلط اللـه عليهم على مـدار التاريخ الجبابرة، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَـةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَـذَابِ﴾[الأعـراف:167] فظهـر عليهم بختنصـر في الأول، وكما قصه الله في أول سورة الإسـراء ودمـرهم تـدميرًا، ثم ظهر عليهم فرعون كما في مصـر، وكمـا حصـل من فرعـون معهم ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾[الأعراف:141]، لـولا أن اللـه بعث موسى ــ عليـه الصـلاة والسـلام ــ فأنقـذهم اللـه بـه، لكن لم يتبعوا موسى وحرَّفوا وبدَّلوا فعادت عليهم اللعنـة والغلـظ، وسـلط عليهم في الوقت الأخير الألمان بقيادة هتلر، فماذا صـنع بهم ممـا لا يزالون يذكرونه؟ وسينزل الله بهم بأسه في آخر الزمان على يـد المسلمين، كما أخبر بذلك نبينا محمد ـ صلى الله عليـه وسـلم ــ أن اليهودي يختبئ وراء الحجر والشجر، فيقول: يا مسلم، هـذا يهـوديٌ خلفي، تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود.

المذيـــــــع: قال: وذكر في آل عمران قوله: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَــبٍ مِنَ اللَّهِ﴾[آل عمران:112] وهذا بيان أن اليهود مغضوبٌ عليهم.



الشيخ صالح: نعم وذكر في سورة آل عمران ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾[آل عمران:112] باؤوا يعني رجعوا بغضبٍ من الله. وكل هذه الآيات تدل على أن المغضوب عليهم هم اليهود، لماذا؟ لأنهم عصوا الله على بصيرة، وهم علماء يعرفون ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:146] ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[البقرة:89]

في الجاهلية يقولون: سيُبعث نبي فنقاتلكم، يقولون لأعدائهم: سيبعث نبيٌ فنقاتلكم معه، فلما بعث محمدٌ ـ صلى الله عليه وسلم ـ كفروا به، ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[البقرة:89] ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾[البقرة:90]،

رجعوا بغضبين والعياذ بالله، غضب على غضب، لماذا؟ لأنهم بدَّلوا وغيَّروا وعصوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فغضب الله عليهم. فهذه كلها أدلة على أن المغضوب عليهم المذكورين في سورة الفاتحة أنهم اليهود.

المذيـــــــع: لكن يدخل معهم من اتصل بصفتهم مَن عصا على علم؟

الشيخ صالح: ما هذا خاصٌ بهم، كلّ عالمٍ لا يعمل بعلمه فهو مثلهم.

المذيـــــــع: نسأل الله العافية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع

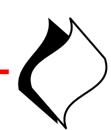
المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين. وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أيّها المستمعون الكرام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام/ ابن تيمية - رحمه الله - يشرحه فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء في مطلع هذا اللقاء نرحّب بشيخنا الكريم حيّاكم الله شيخ /صالح.

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

المذيـــــــع: كان المؤلّف - رحمه الله - يتحدث عن بيان أنّ المغضوب عليهم هم اليهود ذكر ما يحقّ عليهم الوصف بذلك من الآيات، ثمّ ذهب يبيّن المقصود بالضّالين هم النّصارى. فقال: - رحمه الله- وقال الله تعالى في النصارى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾[المائدة:73] - إلى قوله - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[المائدة:77] وهذا خطابٌ للنّصارى، كما دلّ عليه السياق.

57) كل من لا يعمل بعلمه فقد أشبه اليهود

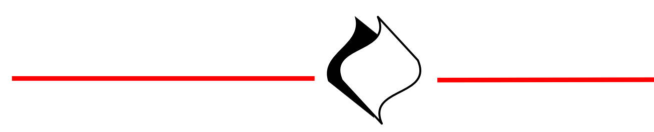
الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين. صلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.



لا شك أنّ اليهود مغضوبٌ عليهم. لأنّ الله سبحانه وتعالى قال:
﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[المائدة:60]
وهذا في اليهود لأنّهم هم الذين مسخ الله منهم قردةً وخنازير في قضية السبت التي ذكرها الله في سورة الأعراف لمّا تحايلوا على شرع الله -عزّ وجلّ- أحلّوا ما حرّم الله بالحيلة. فمسخهم الله قردة وخنازير. فهم مغضوبٌ عليهم. ودلّت على هذا آياتٌ كثيرة.
والنبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر أنّهم مغضوبٌ عليهم. ولكنّ هذا لا يعني أنّ الغضب قاصرٌ عليهم. بل يتناول كل من اتّصف بصفتهم من هذه الأمّة من كل عالمٍ لا يعمل بعلمه فإنّه يكون مشابهاً لليهود. ويستحقّ الغضب من الله -عزّ وجلّ-.

58) من يعمل بغير علم فهو ضال

وكذلك في النّصارى فإنّ القرآن دلّ على أنّهم ضالون. والضالّ هو الذي يعمل بغير علم ويتّبع هواه. ويعمل بالبدع والمُحدَثات التي لم يشرعها الله سبحانه وتعالى. فهذا ضالٌ عن الصراط المستقيم.
الاوّل مغضوبٌ عليه لأنّه تاركٌ للصراط المستقيم، وهذا ضالّ لأنّه يعمل على غير الصراط المستقيم.
اليهود عطّلوا العمل، وهذا يعمل لكنّه يعمل على غير هدى، وعلى غير صراطٍ مستقيم. وهذا كما في الآية التي ساقها المصنّف-رحمه الله-
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[المائدة:77]
وهذا لا شك أنّه خطابٌ للنّصارى الذين غلو في المسيح وقالوا: أنّه ابن الله، فالله - جلّ وعلا - حكم عليهم بالضلال، وأنّهم يتّبعون قوماً من قبلهم ضلّوا أيضاً كما في الآيات الأخرى في قوله تعالى:
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة:30]



﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:31]

فالنّصارى هم الضّالّون في الأصل، وهم القادة في الضّلال. لكن يتّبعهم كلّ من اتّصف بصفاتهم من كل مبتدعٍ يعبد ربّه بالبدع والمحدثات، أو يعبد ربّه على غير دليل وعلى غير علمٍ من كتاب الله ومن سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولهذا يقول بعض السّلف من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبّادنا ففيه شبهٌ من النّصارى.

59) تفسير الغلو والنهي عنه وعن ضده وهو التقصير وأن الحق بينهما

المذيـــــع: أحسن الله إليكم. قال: ولهذا نهاهم عن الغلو، وهو مجاوزة الحدّ، كما نهاهم عنه في قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء:171]

الشيخ صالح: الشيخ- رحمه الله - يفسّر الغلو لأنّه مجاوزة الحد. يقال غلى القدر إذا ارتفع الغليان. غليان الماء فيه. وخرج عن حده، فهذا هو الغلو هو الزيادة عن الحد المشروع والنّصارى غلو في المسيح، حيث رفعوه من منزلة العبودية إلى منزلة الإلهية. فهم خرجوا عن الحد في حقّ عيسى - عليه السلام - ولهذا قال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:171]

لأنّ النصارى طوائف منهم من يقول أنّ المسيح ابن الله، ومنهم من يقول: الله ثالث ثلاثة. ومنهم من هو على الحق فيقول: المسيح عبد الله ورسوله.

المذيـــــع: قال: واليهود مقصّرون عن الحق والنّصارى غالون فيه.

الشيخ صالح: نعم. النّصارى يتّصفون بالغلو. يتصفون بالغلو وهو الزيادة على الدين، على ما شرعه الله - عزّ وجلّ -، وأمّا اليهود فهم على العكس. يتصفون بالتقصير عن الحق وترك الحق.

المذيـــــع: نعم. فأمّا وسم اليهود بالغضب، والنصارى بالضلال: فله أسبابٌ ظاهرةٌ وباطنة، ليس هذا موضعها.

الشيخ صالح: أي نعم لا شك أنّ اليهود يوصفون بالغضب، ولذلك يسمّون بالأمّة الغضبية، والنّصارى يوصفون بالضّلال؛ وهذا في أدلةٍ كثيرة، فهم على طرفي نقيض، فاليهود مقصّرون. والنّصارى غالون ومتجاوزون، وخير الأمور هو الوسط، وهو الذي نسأل الله أنّ يهدينا إليه ويثبّتنا عليه في قولنا في كل صلاة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:6]

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:7]

فهو الطريق الوسط بين الغالي والجافي.

60) بيان سبب كفر اليهود والنصارى

المذيـــــع: وجماع ذلك: أنّ كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم؛ فهم يعلمون الحقّ ولا يُتبِعونه عملاً، أو لا قولاً ولا عملا.

الشيخ صالح: نعم، هذا صفة اليهود، أنّهم يعلمون. عندهم علم. ولذلك سمّاهم الله أهل الكتاب، سمّاهم العلماء، لكنّهم عطّلوا العمل؛ أخذوا العلم وعطّلوا العمل، والعلم إنّما يُراد للعمل. العلم لا يُراد لذاته. وإنّما يُراد للعمل. فإذا خلا من العمل أصبح لا فائدة فيه، بل أصبح حجةً على صاحبه يوم القيامة، والذي يعصي الله على بصيرة أشدّ من الذي يعصي الله على جهل.

المذيـــــع: وكفر النصارى: من جهة عملهم بلا علم. فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعةٍ من الله، ويقولون على الله ما لا يعلمون.

الشيخ صالح: نعم، وأمّا كفر النّصارى فهو أنّهم أخذوا العمل وعطّلوا العلم. فهم يعملون بغير علم ولا يرغبون في العلم بل يزهدون فيه، ويقولون أنّه يُشغلنا عن العبادة، ويُشغلنا عن العمل.

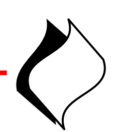
وهذه مقولةٌ لا تزال على ألسنة الصوفية إلى وقتنا الحاضر. فهم ينفرون من العلم ومن العلماء ويشتغلون بالذكر والتّسبيح وقيام الليل؛ لكن على غير علم. وإذا قيل لهم: اطلبوا العلم قالوا: المقصود العمل. أمّا طلب العلم فهو يشغلنا عن العبادة. زيّن لهم الشيطان هذا؛ فهم ضالّون من هذه النّاحية أنّهم يعملون على غير علمٍ، وعلى غير بصيرةٍ، وعلى غير هدىً من الله -عز وجل.
فلاً بد فلا بد من جمع الأمرين: العلم النّافع والعمل الصالح. نعم.

المذيع: قال ولهذا كان السّلف، سفيان بن عيينة وغيره يقولون: إنّ من فسد من علمائنا ففيه شبهٌ من اليهود، ومن فسد من عُبّادنا ففيه شبهٌ من النّصارى. وليس هذا موضع شرح ذلك.

الشيخ صالح: نعم، هذا صحيح قول سفيان بن عيينة وغيره -رحمهم الله: من فسد من علمائنا- يعني من علماء المسلمين-؛ ففيه شبهٌ من اليهود. لأنّه أخذ العلم وترك العمل، بل فسد في سلوكه وفي عبادته، وكان المفروض فيه الصلاح؛ في سلوكه وفي عبادته عملاً بالعلم.
وإنّ من فسد من عُبّادنا، وزُهّادنا ففيه شبهٌ من النصارى الذين أخذوا العمل وتركوا العلم، وهذا كما ذكرنا ينطبق على كثيرٍ من الصوفية اليوم. وهي ظاهرةٌ عليهم: أنّهم لا يجلسون في حلق الذكر، ولا يجلسون عند العلماء؛ وإنّما يشتغلون بالعبادة -بزعمهم-.
والعبادة إذا كانت على غير علم فهي ضلال وليست هدى، وهي شقاء وليست سعادة، وهي تعبٌ وليست راحة، ولا فيها فائدة، إنّما فيها الضّلال؛ فهم يبعدون عن الله -سبحانه- مع أنّهم يظنّون أنّهم يتقرّبون إليه.

61) تشبه المسلمين باليهود والنصارى من دلائل النبوة

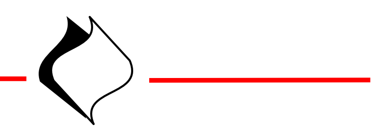
المذيع: قال: ومع أنّ الله قد حذّرنا سبيلَهم، فقضاؤه نافذٌ بما أخبر به رسوله ممّا سبق في علمه، حيث قال: فيما أخرجاه في الصحيحين عن أبي سعيدٍ الخدري - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: " لتتبعُنّ سَنَن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه " قالوا: يا رسول الله، اليهود والنّصارى؟ قال: " فمن؟ "



الشيخ صالح: نعم، مع أنّ الله - جلّ وعلا - حذّرنا من اتّباع طّريق المغضـوب عليهم. وطريـق الضّـالّين، وأنّ نسـأل اللـه أن يجنّبنـا طريقة الفئتين، فإنّ قدر اللـه نافـذ؛ وذلـك أنّ النـبي - صـلى اللـه عليـه وسـلم -أخـبر أنّـه سـيكون في هـذه الأمّـة من يتّبـع هـاتين الطّائفتين.

فقال صـلى اللـه عليـه وسـلم: " لتتبعنّ سُـنن " وفي روايـةٍ سـنَن بالفتح. أي طريقة والسنن الطريقة والسنن الطرق. " لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة" القذة أي: السّهم؛ لأن السّهم له قذّتان متعادلتان؛ حتى لا يميـل في أثنـاء إرسـاله كجنـاحي الطـائر يعتـدل بهمـا. "حـذو القـذّة بالقـذّة "أي كمـا تسـاوي القـذّة القـذّة الأخرى؛ فيكون في هذه الأمّـة من يعمـل بعمـل اليهـود والنّصـارى تماماً حذو كما تشبه القذّة -قذة السهم- القـذّة الأخـرى، "حـتى لـو دخلوا " دخل اليهود والنّصـارى في جحـر ضـب مـع أنّ جحـر الضّـب معلومٌ أنّه من أعسر الجحور. ومن أضيقها؛ لأنّ الضّـب يتّخـذ جحـراً يلجأ فيه عن الطلب، ويكون عَسِراً في الدخول عَسِـراً في الخـروج. فلو أنّ اليهود والنّصارى دخلوا في هذا الجحر الضّيق لوجد في هذه الأمّة من يدخله تقليداً لهم.

وهذا واضـحٌ كمـا أخـبر بـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، وكم نـرى من التّشـبّه بـاليهود والنّصـارى في الأمـور التّافهـة الـتي لا قيمـة لهـا والتي هي مذمّة. ومنقصة، لكنّ هـؤلاء يعتبرونهـا كمـالاً، يعتبرونهـا رقياً وحضارةً وتطوّراً. لمّا كان اليهـود والنّصـارى يعـرّون نسـاءهم، ويخرجونهنّ إلى الأعمال الشّاقة، ومخالطة الرجـال وجـد في هـذه الأمة من يدعو إلى ذلك ويرغب فيه ويحبّذه؛ بـل ينفّـذه في نسـائه وبناته تقليداً لليهود والنّصارى، يظنّ أنّ اليهود والنّصارى ما وصلوا إلى هذه المنزلـة في الصـناعة إلا بسـبب تعريـة نسـائهم، وسـفور نسـائهم، وكـذلك في بقيـة الأمـور من حلـق اللحى ومن توفـير الشـوارب ومن، ومن.... إلى آخـره، وفي اللبـاس؛ يقلّـدون اليهـود والنّصارى ويعتبرون هذا من الكمال، ينظرون إلى ما بأيـدي اليهـود والنّصارى الآن من الثروة ومن السّلاح والمخترعات، ويظنّـون أنّهم وصلوا إليه بهذه التّرّهات؛ في حين أنّهم إنّما وصلوا إلى هذا بالجـدّ والاجتهاد في طلبه وتعلّمه.



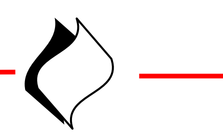
أمّا هذه التّرّهات فإنّها لا توصّل إلا إلى الأخلاق الذميمة، فهم وإن تطوّروا في صناعاتهم ومخترعاتهم، إلّا أنّهم منحطون في أخلاقهم وسلوكهم.

فالحاصل أنّ الشيخ - رحمه الله - يقول: مع أنّ الله ورسوله حذّر من اتّباع اليهود والنصارى إلا أنّه قضى الله أن يكون في هذه الأمّة من يتّبعهم. هذا قضاء وقدر. نعم. والله قضى عليهم بذلك عقوبةً لهم. فإن الإنسان إذا أحبهم وإذا رأى فيهم رفعة؛ قلّدهم وتبعهم في ذلك. فالله عاقبه بهذه المصيبة.

المذيع: وروى البخاري في صحيحه: عن أبي هريرة - رضي الله عنه -عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع" فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: " ومن الناس إلا أولئك؟ "

الشيخ صالح: نعم، في الحديث الذي قبل هذا قالوا: يا رسول الله، اليهود والنّصارى؟ يعني أتعني بقولك لتتبعنّ سنن من قبلكم، أتعني بمن قبلنا اليهود والنّصارى؟. قال فمن؟ يعني لا أعني إلا إيّاهم، وفي هذا أنّه قال صلى الله عليه وسلم: " لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع"؛ لأنّهم يتّبعونهم في كل شيء، في الحديث الذي قبله حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه، فهم يتّبعون اليهود والنّصارى في أتفه الأشياء، وأحطّ الأشياء؛ لأنّهم يروْن أنّ هذا هو الكمال وهذا هو الرقي. " فقالوا: يا رسول الله، فارس والروم " وفارس: هم الشعب المعروف في المشرق، والروم: هم الشعب المعروف في المغرب، وكلا الفريقين من الكفار. ويوجد في هذه الأمّة المحمدية من يأخذ مأخذ هاتين الأمّتين: أمّة الفرس، وأمّة الروم، ويترك هدي الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويتشبّه بهؤلاء.

فهذا من علامات نبوته - صلى الله عليه وسلم -، حيث إنّه أخبر بما سيقع؛ فوقع كما أخبر -صلى الله عليه وسلم-، وهذا خبرٌ منه معناه التحذير ليس هو مجرد الخبر، وإنّما هو معناه التحذير. لهذه الأمّة أن لا تغتّر بمن تشبّه باليهود والنّصارى، بل عليها أن تتجنّب هذا، وأن تبتعد عنه إذا حصل وإذا وقع.



المذيـــــــع: فـأخبر أنّـه سـيكون في أمتـه مضـاهاةٌ لليهـود والنّصــارى وهم أهــل الكتــاب، ومضــاهاةٌ لفــارس والــروم وهم الأعاجم.

نعم مضـاهاة لليهـود والنّصـارى، ومضـاهاة للأعـاجم من الفـرس والــروم وكلا المضــاهاتين كلاهمــا مــذموم. لا مضــاهاة اليهــود والنّصارى. -مع أنّهم أهل كتاب-، ولا مضاهاة الأعاجم الذين لا كتاب لهم.

62) نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بأهل الكتاب والأعاجم

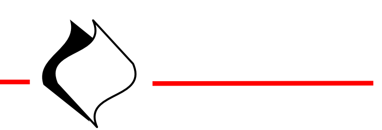
المذيـــــــع: وقد كـان صـلى اللـه عليـه وسـلم ينهى عن التّشـبّه بهؤلاء وهؤلاء، وليس هذا إخباراً عن جميع الأمّة.

الشيخ صالح: نعم، وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن التّشـبّه بهؤلاء وهؤلاء: التّشـبّه بأهـل الكتـاب، والتّشـبّه بالأعـاجم. لمـا في التّشبّه بهم من النقص، ولما فيه من أنّ الإنسان إذا تشـبّه بهم في الظّاهر، فإنّه يتشبّه بهم في الباطن -بلا شـك-. ولهـذا سـيأتي في قول الشيخ: أنّ هذا الحديث من تشبّه بقومٍ فهو منهم أنّـه يقتضـي بظاهره تحريم التّشبّه. وإن كان يقتضي في باطنه أنّ التّشبّه كفرٌ، لقوله فهو منهم "من تشـبه بقـوم فهـو منهم" ومعـنى منهم: أنّـه يكفر بذلك، وهذا فيه تفصيل كما يأتي: أنّ التّشبّه قد يكون مكروهاً وقـد يكـون محرمـاً، وقـد يكـون كفـراً. فـإذا تشـبّهنا بهم في دعـاء الأموات، والغلو في الصالحين، وبنـاء المشـاهد على القبـور؛ فهـذا كفر.

هذا تشـبّهٌ كفـر، أو يـؤوّل وهـو وسـيلة إلى الكفـر، وأمّـا أن يكـون معصــية وكبــيرة من كبــائر الــذنوب، أو يكــون محرمــاً على حســب المقامات.

63) بقاء أهل الحق في أمة النبي صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بالدين وهذا من دلائل النبوة

المذيـــــــع: وقد كـان ينهى صـلى اللـه عليـه وسـلم عن التّشـبّه بهؤلاء وهؤلاء، وليس هذا إخباراً عن جميع الأمّة؛ بل قـد تـواتر عنـه



أنّه: لا تزال طائفةٌ من أمّته ظاهرةً على الحق حتى تقوم السّاعة، وأخبر صلى الله عليه وسلم أنّ الله لا يجمع هذه الأمّة على ضلالة.

الشيخ صالح: يعني لا تفهم أيّها السامع أنّ قوله - صلى الله عليه وسلم - "لتتبعنّ سنن من قبلكم" ومن قوله صلى الله عليه وسلم: "لتأخذن أمتي مأخذ الأمم قبلها "لا تفهمنّ الأمّة كلها ستعمل هذا العمل، بل إنّ من يعمل هذا العمل إنّما هو بعض هذه الأمّة، أو كثير من هذه الأمّة، ولكن لا تزال بقيةً باقية على الحق لا تتحوّل عنهم ولا تتشبّه باليهود ولا بالنّصارى ولا بالأعاجم، وهم الذين أخبر عنهم صلى الله عليه وسلم بقوله: " لا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله " تبارك وتعالى، فهذا فيه أمران: الأمر الأوّل التّحذير من التّشبّه باليهود والنّصارى والأعاجم، والأمر الثّاني أنّ في هذه الأمّة بقيةٌ لا تسلك هذا المسلك، علينا أن نكون مع هذه الطّائفة، أن نكون مع هذه الطائفة الثابتة على الحق. نعم.

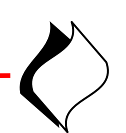
المذيـــــع: وأخبر صلى الله عليه وسلم أنّ الله لا يجمع هذه الأمّة على ضلالة. وأنّ الله لا يزال يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم فيه بطاعته.

الشيخ صالح: أي نعم هذا من البشرى. أنّه مع كثرة من يقلّدون اليهود والنّصارى ويتشبّهون بهم؛ فإنّ في هذه الأمّة طائفةً ثابتة على الحق، ولا تسلك هذه المسالك التي حذّر منها النبي صلى الله عليه وسلم، وأنّ هذه الأمة لا تجمع على ضلالة، هذا فيه دليل على حجية الإجماع. أي نعم

كما هو عند الأصوليين، فإنّ هذه الأمّة لا تجمع كلها على ضلالة، بل لا بد أن يكون فيها من هو على الحق ولا يتّبع الضّلال، وهذا خبرٌ منه - صلى الله عليه وسلم - معناه الحثّ على أن نكون مع هذه الطّائفة الباقية على الحق الثابتة عليه وأن لا نذهب مع الكثرة التي راحت مع تقليد اليهود والنّصارى ومن ضاهاهم.

64) أوصاف أهل الحق

المذيـــــع: قال: فعُلِم بخبره الصدق أنّه في أمته قومٌ مستمسكون بهديه الذي هو دين الإسلام محضاً، وقومٌ منحرفون إلى شعبةٍ من شعب اليهود، أو إلى شعبةٍ من شعب النّصارى.



الشيخ صالح: نعم، هذا مقتضى خبره صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، أنّه مع كثرة الشّرّ فإنّ الخير موجود في هذه الأمة، وأنّ هذه الأمّة لا تضلّ كلها، وإنّما يضلّ بعضها ويبقى البعض على الحق، وهذه بشارة منه صلى الله عليه وسلم، وأنّ الله سبحانه يغرس لهذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته من ناشئة المسلمين الذين ينشأون على الخير، ويسلكون طريق الحق من غير غلوٍ ومن غير جفاء، بل يأخذون منهج السّلف الصّالح ذي حكمةٍ ورويّة واعتدال لا إفراط ولا تفريط. نعم.

ثمّ أيضاً نبّه - رحمه الله - في أخر كلامه إلى أنّ هذا التّشبّه باليهود والنّصارى ليس معناه أنّه من تشبّه بهم يكفر.. ويخرج من الدين، بل معناه أنّه يكون على شعبةٍ من النفاق، أو شعبةٍ من الكفر أو شعبةٍ من الضّلال، لكن لا يُحكَم عليه بالكفر، بل يحكم عليه بأنّ عنده شعبة من الكفر أو شعبة من النفاق.

65) بيان أن التشبه بالكفار منه كفرٌ وفسقٌ ومعصيةٌ

المذيع: قال: وإن كان الرجل لا يكفر بكل الانحراف بل وقد لا يفسق أيضاً.

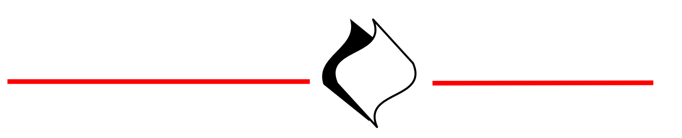
الشيخ صالح: نعم. يعني لا يفسق الفسق المخرج من الملّة، أو لا يفسق الفسق المخرج من العدالة. فقد يكون التّشبّه كما ذكرنا سابقاً.

قد يكون كفراً، وقد يكون كبيرةً من كبائر الذنوب، وقد يكون معصية من الصغائر، فالتّشبّه يختلف؛ فلا نحكم على كل متشبّه بأنّه كفر، أو أنّه فاسق؛ بل نحكم عليه بمقتضى العدل ومقتضى الدليل، لكن على العموم، فالتّشبّه بالكفار لا يجوز سواءً أكان كفراً أو كان فسقاً أو كان معصية.

لا نتساهل في التّشبّه بالكفار نعم.

المذيع: قال: بل قد يكون الانحراف كفراً، وقد يكون فسقاً، وقد يكون معصيةً، وقد يكون خطأً.

الشيخ صالح: قد يكون خطأً، إذا لم يقصده، المتشبّه ما قصد، ولكن رأى الناس يعملون هذا وهو على جهل وظنّ أنّ هذا لا بأس به فأخذه؛ فهذا عن خطأ لم يتعمده. فإذاً المتشبّه على أربعةٍ أنواع:



إمّا أن يكون كافراً، وإمّـا أن يكـون فاسـقاً، وإمّـا أن يكـون عاصـياً، وإمّـا أن يكـون مخطئـاً. هـذا هـو العـدل. فلا نغلـو في الحكم على المتشبهين بأنّهم كفار، ولا نتساهل فنقول: هـذا تقـدّم وهـذا رقي وحضارة؛ بل علينا أن نعتدل في حكمنا. نعم.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم الله خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثامن

المذيـــــــع: الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أيّهـا المسـتمعون الكـرام السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقـةٍ جديـدة في برنامج اقتضاء الصراط المسـتقيم مخالفـة أصـحاب الجحيم. لشـيخ الإسلام /أحمد بن عبد الحليم بن تيمية -رحمه الله.

ضيف اللقاء فضيلة الشـيخ الـدكتور صـالح بن فـوزان بن عبـد اللـه الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للافتاء.

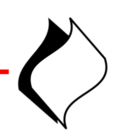
في مطلـع لقائنـا نـرحّب بشـيخنا الكـريم حيّـاكم اللـه شـيخ صـالح وبيّاكم.

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

المذيـــــــع: في لقائنـا السـالف وقفنـا عنـد بيـان أنّ التّشـبّه باليهود والنصارى والأعاجم ليس على درجةٍ واحدة. وأنّه قـد يكـون منه كفرٌ وقد يكون فسق. وقد يوجد منه معصية وقد يكـون متشـبّه مخطئاً خطأً.

66) متى يكون التشبه كفرًا أو فسقًا؟

المذيـــــــع: وأشار فضيلتكم - جزاكم اللـه خـيرا- إلى أنّـه يجب التّوسّط في الحكم على المتشبّهين. فلا كل متشبّه يقال أنّه كـافر ولا كل متشبّه يقال أنّه متقدّم.



الشيخ صالح: نعم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد. وعلى آله وصحبه.

أما بعد؛ بقي أن نبيّن متى يكون كفراً؟. نعم. متى يكون فسقاً؟ ومتى يكون معصية؟. ومتى يكون خطأً؟ يكون كفراً إذا كان التّشبّه بهم في عباداتهم. فإنّهم يغالون في الأولياء والصالحين. ويدعونهم من دون الله -عز وجل- ويبنون على قبورهم الكنائس والمشاهد. فإذا وُجد في هذه الأمّة من يعمل هذه الأعمال فإنّه يكون كافرا؛ لأنّه عبد غير الله، دعا غير الله أو عمل عملاً يوصّل إلى الكفر بالله -عز وجل- فالبناء على القبور. وسيلة إلى الشرك فإذا عبد الميت ودعاه من دون الله واستغاث به. صار كفراً مخرجاً من الملة وشركاً أكبر.

ويكون معصية، كما إذا كان من المؤمنين: من يشرب الخمر، ومن يزني، ومن يفسق؛ تقليداً لليهود والنصارى؛ فهذا يكون فاسقا. لأنّه مرتكبٌ لكبيرةٍ من كبائر الذنوب دون الشرك.

ويكون معصية، كمن حلق لحيته هذا معصية. هو محرّم ومعصية لكن لا يصل إلى حد الفسق. إلا إذا داوم عليه وجاهر به فإنّه حينئذٍ يتحوّل إلى كبيرة. لأن التّساهل في الصغيرة والمجاهرة بها يحوّلها إلى كبيرة.

ويكون خطأً إذا - كما ذكرنا سابقاً - إذا ظنّ أن هذا خير وأنّه رأى عليه الناس، وهو لاعلم عنده، فهو يقلّد من يتشبّهون وهو لا يريد الشّرّ وإنّما يظنّ أن هذا أنّه من المباحات أو أنّه من الكمالات فهذا مخطئ.

67) طبيعة الإنسان البشرية تقتضي فساده إن لم يهده الله تعالى

المذيع: أحسن الله إليكم، قال: - رحمه الله - (وهذا الانحراف أمرٌ تتقاضاه الطباع. ويزيّنه الشيطان. فلذلك أمر العبد بدوام دعاء الله - سبحانه - بالهداية إلى الاستقامة التي لا يهودية فيها ولا نصرانية أصلا.)

الشيخ صالح: نعم، والطباع البشريّة تقتضي من الإنسان الانحراف، واتباع الشهوات. الطّبيعة البشرية، الإنسان في طبيعته.

إن لم يتداركه الله -عز وجل- فإنّه بطبيعته البشرية يميل إلى ما يتعارض مع الأخلاق ومع الدّين إلا من رحم الله - سبحانه وتعالى- وبقي على فطرته.

بقي على فطرته لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: (كل مولودٍ يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه) فتفسد الفطرة وتنحرف الطبيعة. وكذلك الشهوات النفسانية فإن نفسه أيضاً تأمر بالسوء، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف:53]

فالإنسان لو ترك وشهوته، أو ترك وطبيعته المنحرفة. لمال إلى ما عليه هؤلاء.

المذيـــــــع: فيما يكون من السبب خطأً يا شيخ ممكن يوصف به من فعله وهو غير عالم.

الشيخ صالح: فعل شيئاً لم يعلم أنّه يعني لم يقصد التّشبّه به. هذا هو بأي خطأ يعني. هذا هو نفع.

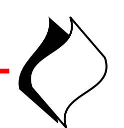
المذيـــــــع: قال: وهذا الانحراف أمرٌ تتقاضاه الطباع ويزينه الشيطان.

الشيخ صالح: لذلك تتقاضاه الطباع الشريرة المنحرفة، ويزينه الشيطان الذي هو شياطين الإنس والجنّ دعاة الضلال.

الشيطان المراد بهم دعاة الضلّال الذين يدعون إلى هذه الأمور - وما أكثرهم اليوم-؛ من يدعون إلى اتباع هذه الأمور والتّشبّه بالكفار ويظنّون أنّ الرقي والحضارة والتّقدم إنّما هو بالتّشبّه بهم في أخلاقهم وفي قشورهم التي لا خير فيها، فهم يتشبّهون بهم فيما لا يوصّل إلا إلى الشّر لا يتشبّهون بهم بالجد. العمل. والتّعلّم الجاد. وإنّما يتشبّهون بهم في التّرّهات التي لا فائدة فيها من أخلاقهم وأعمالهم وأقوالهم.

المذيـــــــع: نعم. قال: (لأن ذلك تتقاضاه الطباع ويزينه الشيطان فلذلك أمر العبد بدوام دعاء الله- سبحانه- بالهداية إلى الاستقامة.)

الشيخ صالح: نعم، لذلك أُمر العبد بمداومة الدعاء. دعاء الله- عز وجل- بالهداية. ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:6]. وهذا في



كل ركعة من صلاتنا ندعو بهذا الدعاء، دعاء مسألة اهدنا: أي دلنا وارشدنا الصراط المستقيم أي الطريق المعتدل المخالف طريق المغضوب عليهم والمخالف لطريق الضّالّين.. هذا هو الّسر في أننا نقرأ هذه السورة العظيمة في كل ركعةٍ من صلاتنا. أننا على خطر - فنسأل الله أن يؤمِّننا من هذا الخطر؛ لأنّ خطر اليهود والنصارى مستفحل. لكل زمانٍ ومكان لا سيما وأنّهم يدّعون أنّهم أهل علم. وأهل خبرة وأسبقية.
والغرّ من المسلمين قد ينخدع بهم.

المذيع: وأنهم يريدون أن يعلّموا النّاس وينقذوهم وينصفوهم.

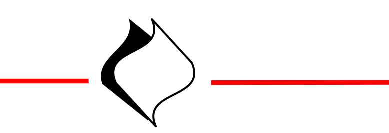
الشيخ صالح: هو هذا. نعم هو، هم الآن يريدون أنّهم هم معلموا البشرية وأنّهم يعلّمون الديموقراطية والإصلاح. في حين أنّهم يدمّرون العالم. يدمّرون لمصلحتهم، ولا ينظرون إلى مصلحة العالم، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[البقرة:11]
﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة:12]

68) حسد اليهود للمسلمين

المذيع: قال: - رحمه الله - (وأنا أشير إلى بعض أمور أهل الكتاب والأعاجم التي ابتليت بها هذه الأمّة ليجتنب المسلم الحنيف الانحراف عن الصراط المستقيم إلى صراط المغضوب عليهم أو الضالين)

الشيخ صالح: نعم لمّا تكلّم الشيخ- رحمه الله - في مطلع هذا الكتاب هذه المقدمة وهذه القواعد العظيمة. أراد أن يفصّل. ما أجمله في هذه المقدمة.

المذيع: قال: - رحمه الله- قال الله : - سبحانه وتعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:109]
(فذمّ اليهود على ما حسدوا المؤمنين على الهدى والعلم)



الشيخ صالح: **نعم، في هذه الآية يخبر الله تعالى أنّه: ودّ كثيرٌ من أهل الكتاب؛ والمراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى؛ لأن الله أنزل على رسلهم الكتاب: التوراة والإنجيل. (لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفارا): ودّوا هذه القضية أن يصرفوا المسلمين عن دينهم؛ دين الإسلام إلى دين الكفر.**

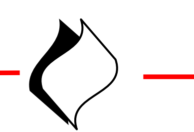
وهم يعلمون أنّه كفر، ويعلمون أنّ المسلمين على حق؛ لكن هم يريدون أن يصرفوهم عن هذا الحق إلى الباطل. السبب الذي يحملهم على هذا- وهم يعلمون- الحسد. (حسداً من عند أنفسهم). أي فعلوا هذا من أجل الحسد؛ لا من أجل أنّه يخفى عليهم الحكم على حق. وأنّ هذا باطل؛ وإنّما حملهم الحسد. والحسد: هو تمني زوال النعمة للمحسود. فهم يتمنّون أن تزول نعمة الإسلام عن المسلمين. وأن يرجعوا كفاراً. فتزول عنهم هذه النعمة. (من بعد ما تبيّن لهم الحق)؛ لأنهم لا يعملون هذا عن جهل. وإنّما يعملونه عن علمٍ؛ ولكنّهم مغضوبٌ عليهم -خالفوا العلم-، وحملهم الحسد على مخالفة ما يعلمونه من الحق. وهكذا الحسد - والعياذ بالله - يُخرج الإنسان من دينه. كما حصل لإبليس وكما حصل لليهود؛ فإنّهم كفروا بالحق وهم يعلمونه مع محمد - صلى الله عليه وسلم - من باب الحسد. وانظر إلى قوله تعالى:(ودّ كثيرٌ) أنّه ليس كل أهل الكتاب على هذا المستوى. ففيهم أخيار، فيهم مؤمنون؛ آمنوا بالرسول- صلى الله عليه وسلم - وأقرّوا بالحق.

منهم من مات على إيمانه قبل البعثة- وهو مؤمن- ومنهم من أدرك البعثة فآمن بمحمدٍ- صلى الله عليه وسلم - فجمع بين الهدايتين؛ ولذلك يؤتيه الله أجره مرتين. فهؤلاء القلّة من أهل الكتاب هؤلاء محمودون .

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[آل عمران:199]

قال تعالى ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾
[آل عمران:113]

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[آل عمران:114]



. فهذا فيه تعليم أنّهم لا يعمّمون الأحكام على الناس عموماً. وإنّما يستثنون من لا يدخل فيها، ويعرفون لأهل الفضل فضلهم. ولا ينكرونهم. وهذا من الإنصاف. هذا من الإنصاف والعدل. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المائدة:8]

69) قد يُبتلى بالحسد من هذه الأمة من ينتسب إلى العلم والدين

المذيـــــع: قال - رحمه الله -: فذمّ اليهود على ما حسدوا المؤمنين على الهدى والعلم)
وقد يبتلى بعض المنتسبين إلى العلم وغيرهم بنوعٍ من الحسد لمن هداه الله بعلمٍ نافعٍ أو عملٍ صالح وهو خلقٌ مذمومٌ مطلقا.

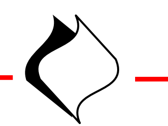
الشيخ صالح: نعم. قد يكون من هذه الأمّة من يتشبّه باليهود والنصارى فيحسد أهل الفضل الذين آتاهم الله الفضل والعلم والعمل؛ فيحسدهم وهذا تشبّهٌ لليهود والنصارى الذين حسدوا المسلمين.
فالشيخ يحذّر من هذا.

المذيـــــع: قال: وهو خلقٌ مذموم مطلقا وهو في هذا الموضع من أخلاق المغضوب عليهم.

الشيخ صالح: نعم، وهو هذا الحسد الذي يحمل بعض الناس على تنقُّص أهل الحق وأهل الخير. والحط من قدرهم لا لشيء إلا الحسد.

لقولهم: حسدوا الفتى إن لم ينالوا سعيه فالنّاس أعداءٌ له وخصومُ
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً -إنّه لدميمُ.

ففي هذه الأمّة من أهل الحسد يتصف بصفة اليهود والنصارى فيحسدون أهل الخير (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله).



والحسد هو -كما ذكرنا-: تمنِّي زوال النعمة عن المحسود وهو خلقٌ ذميم. فهذا فيه التحذير. من الحسد لأهل الإيمان، وأن نعرف لأهل الفضل فضلهم، وألا نحسدهم على ما آتاهم الله. لكن ينبغي أن نسأل الله أن يعطينا مثلهم. كما قال صلى الله عليه وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين. رجلٌ آتاه الله مالا فهو ينفقه في سبيل الله ورجلٌ آتاه الله علماً فهو يعلمه ويعمل به)، فيراه من يراه فيتمنى أن يكون مثله. وهذا فيه خير. تمني أن تكون مثل أهل الخير؛ هذا فيه خير وتؤجر عليه. تؤجر على نيتك الصالحة. أما إذا تمنيت زوال النعمة؛ فهذا هو الحسد المذموم.

فالحسد على قسمين: حسدٌ مذموم؛ وهو تمني زوال النعمة عن المحسود، وحسدٌ محمود؛ وهو تمني أن تكون مثل أهل الخير؛ لتعمل بعملهم وتنال مثل أجرهم.

70) بُخل اليهود بالعلم والمال

المذيع: قال: - رحمه الله- وقال الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[النساء:37]

فوصفهم بالبخل الذي هو البخل بالعلم والبخل بالمال وإن كان السياق يدل على أنّ البخل بالعلم هو المقصود الأكبر.

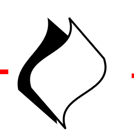
وكذلك وصفهم بكتمان العلم في غير أية:

كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[آل عمران:187]

. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[البقرة:159]

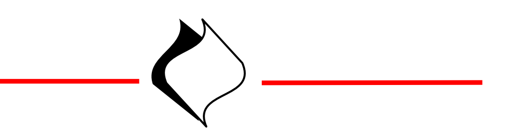
وقوله:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة:174]

وقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:76]



فوصف المغضوب عليهم بـأنّهم يكتمـون العلم تـارةً بخلاً بـه وتـارةً اعتياضـاً عن إظهـاره بالـدنياوتارةً خوفـاً يحتج عليهم بمـا أظهـروه منه.
وهذا قد يبتلى به طوائف من المنتسبين إلى العلم.

الشيخ صالح: نعم، ذكـر في هـذه القطعـة، وبهـذه القطعـة من الكلام النفيس. أنّ الله - جلّ وعلا - أخبر أنّه لا يحبّ من كان مختالاً فخوراً.
من هو المختال الفخور؟ الـذين يبخلـون ويـأمرون النـاس بالبخـل؟ فالبخل مذموم الحسد مذموم كما سبق، وأيضاً البخل مذموم.
والبخل على قسمين: بخـلٌ بالمـال، وبخـلٌ بـالعلم. والبخـل بـالعلم أشدّ من البخل بالمـال؛ لأنّ العلم أنزلـه اللـه حجـةً على عبـاده، فلا يجوز للعـالم أن يبخـل بعلمـه؛ بـل عليـه أن يبذلـه، وأن ينشـره في الناس لينتفعوا به. لأنّه إنّما هو مبلّغ، وليس هو مخزن للعلم فقط، ومسـتودع للعلم فقـط؛ وإنّمـا هـو مبلّـغ. ينشـر علمـه على النّـاس ويبيّن لهم. فـإذا لم يـبيّن أو كتم؛ أشـد من هـذا الكتمـان. أشـد من البخل بالعلم واختزان العلم الكتمـان؛ بحيث إنّـه إذا سُـئل المسـألة أفتى فيها بغير الحق: إمّا لهوىً في نفسه، وإمّا طلباً لطمعٍ دنيـوي فيفتي بغير الحق؛ فهذا- والعياذ بالله- هو كتمان العلم وأن يُشترى به ثمناً قليلا، ربّما تحمله وظيفتـه ومنصـبه ومركـزه على ألا يقـول الحق، وأن يحكم بغير ما أنزل الله، وأن يفتي بغـير الحـق؛ لأنّـه لـو أفـتى بـالحق وحكم بالشـرع لأزيح من منصـبه -بزعمـه-، وانقطـع رزقه؛ فهـو يريـد الإبقـاء على وظيفتـه وعلى منصـبه، ولا يعلم أنّ الله سيعوّضه خيراً ممّا يفوتـه - إن فـات - وإلا الغـالب أنّـه أيضـاً لا يفـوتهم. وأنّـه قـد يهـدي اللـه على يديـه من هـو فوقـه ومن هـو تحته,ومن هو مثله؛ فيكون له الفضل؛ فضـل العلم وفضـل التعليم. لكن يخيّل إليه أنّه إذا نطق بالحق فسـتزول نعمتـه وهـذا هـو الـذي حمل اليهود على عـدم اتّبـاع الرسـول. - صـلى اللـه عليـه وسـلم - وحمل كفّار قريش على عدم اتّباعـه مـع أنّهم يعلمـون أنّـه رسـول الله لأنّهم ظنّوا أنّهم لو تبعوه لفقدوا رئاسـاتهم وفقـدوا مكـانتهم في النـــاس وانقطعت أرزاقهم إلى غـــير ذلـــك ممـــا يخـــذِّلهم بـــه شياطين الإنس والجن. فالبخل بالعلم أشد من البخل بالمال، وأشد



من البخـل الكتمـان؛ أن يكتم العلم عنـد الحاجـة إليـه والحاجـة إلى بيانه. هذه الصفات المذمومة. هي موجـودة في اليهـود. وفي هـذه الأمّة من يتشبّه بهم فيها .

المذيـــــــع: قال: فوصف المغضوب عليهم بأنّهم يكتمـون العلم, تارةً بخلاً به وتارةً اعتياضاً عن إظهاره بالدنيا وتـارةً خوفـاً أن يُحتج عليهم بما أظهروه منه.

الشيخ صالح: نعم، في قوله تعالى:﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَـالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَـا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:76]

يعـني لا تعـترفوا للمسـلمين؛ لأنّهم على حـق وإنّكم على باطـل؛ لأنّهم سيحتجّون عليكم أمام الله - سبحانه وتعالى- فاكتموا هذا لئلا يُتخذ حجةً عليكم، وكذلك بعض العلماء قد لا يبيّن الحق وهو لا يعمل به، فلو بينّـه للنّـاس احتجـوا بـه عليـه، وقـالوا: أنت لمـاذا لا تعمـل بعلمك؟ لماذا أنت تخالف مـا تعلم؟ فهـو يكتمـه خشـية أن يحتج بـه عليـه؛ فهـو يكتم العلم: إمّـا لأجـل البخـل بـه وازدراء النـاس وأنّهم ليسوا بمسـتوىً يسـتحقون التلقي منـه ومن هـذا العلم، أو يكتمـه من باب الخوف على دنياه، أو يكتمه لئلا يُحتج به عليه لأنّه يفعل مـا لا... لأنّه يقول ما لا يفعل. يقول ما لا يفعل.

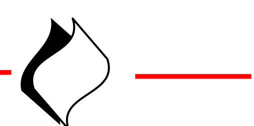
71) تشبه بعض هذه الأمة باليهود في كتمان العلم

المذيـــــــع: قال:- رحمه الله - وهـذا قـد يُبتلى بـه طوائـف من المنتسبين إلى العلم.

الشيخ صالح: نعم، من هذه الأمّة يبتلى بهذه الأمور. طوائف هو من أخلاق أهـل كتـاب. لكن قـد يُبتلى بـه طوائـف من هـذه الأمّـة. ونحن لا يعنينا أنّنا نـذمّ أهـل الكتـاب، ونـذكر مخـازيهم؛ هـذا شـيء ثابت -ولو لم نذكره-؛ الله سجّله عليهم. لكنّ المقصود أنّنا نحذّر أن نسلك سبيلهم أو نتشبّه بهم هذا هو المقصود.

المذيـــــــع: قال: وقد يبتلى به طوائف من المنتسبين إلى العلم فـإنّهم تـارةً يكتمـون العلم بخلاً بـه وكراهـةً لأن ينـال غـيرهم من الفضل ما نالوه.

الشيخ صالح: أي نعم يقـول لا ألا يصـيروا مثلنـا. خلونـا نصـير البارزين. نعم. لو علّمناهم نافسونا.



المذيـــــــع: نعم. وتارةً اعتياضاً عنه برئاسةٍ .

الشيخ صالح: نعم، أو يكون على منصب ويأتيه أشـياء من النـاس فلـو أنّـه بيّن الحـق لانقطعت هـذه الأمـور عنـه. ويظنّ أنّ هـذا هـو مصدر رزقه؛ لأنّه لا يتوكّل على الله ولا يعتمد على اللـه. اللـه- جـلّ وعلا- يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[الطلاق:2] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِـبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُـوَ حَسْـبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[الطلاق:3]

المذيـــــــع: فيخاف من إظهاره انتقاص رئاسته, أو نقص ماله.

الشيخ صالح: أي نعم.

المذيـــــــع: وتارةً يكون قـد خـالف غـيره في مسـألة ,أو اعـتزى إلى طائفـةٍ قـد خـولفت في مسـألة فيكتم من العلم مـا فيـه حجـةٌ لمخالفه وإن لم يتيّقن أن مخالفه مخطئ.

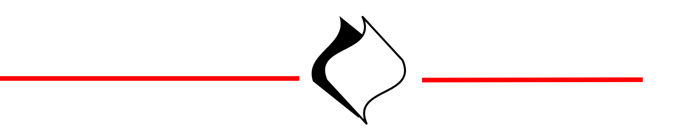
الشيخ صالح: نعم، (أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم) فهو على خطأ وعلى المخالفة. ولو بيّن الحـق لانكشـف أمره. واحتج الناس عليه بعلمه، فهو يريد أن يتكتم، أو يكـون هنـاك طائفة هو يصاحبها ويميل إليهـا. وهي على ضـلال، فلـو بيّن الحـق لانكشفت هـذه الطائفـة الـتي هـو يشـفق عليهـا؛ وكـل هـذه أمـورٌ مذمومة وهي من أخلاق أهل الكتاب. ومن وقع فيها قد تشبّه لأهل الكتاب.

المذيـــــــع: نعم. قال: - رحمه الله - ولهذا قال عبدالرحمن بن مهدي وغيره :أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم وأهل الأهـواء لا يكتبون إلا ما لهم.

الشيخ صالح: يـا لهـا من كلمـة! عبـدالرحمن بن مهـدي هـذا من الأئمة الكبار وقـال هـذه الكلمـة: "أهـل العلم يكتبـون مـا لهم ومـا عليهم"؛ أمّا أهل الأهواء فيكتبون ما لهم ويتركون مـا عليهم". هـذه كلمةٌ عظيمة، واقعٌ فيها كثيرٌ من أهل الأهواء، ولكنّ الله سلّم منها أهل العلم الراسخين في العلم الذين قال الله فيهم:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر:28]

الذين قـال اللـه فيهم: (يَرْفَـعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُـوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[المجادلة:11]



فهؤلاء يكتبون مالهم وما عليهم؛ يبدأون بكتابة ما لهم ثم بكتابة ما عليهم؛ لئلا يغتر بأنّهم يريدون الانتصـار على النـاس ولا يكتبـون إلا ما لهم، فهم يكتبون ما عليهم. كما يكتبون ما لهم.

المذيـــــــع: مثـل مـا فعـل الشـيخ هنـا بـدأ بنصـيب العلمـاء من التّشبّه باليهود والنّصارى، الحسد والكتمان.

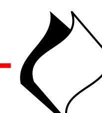
الشيخ صالح: أي نعم، بدأ بعلماء هذه الأمّة، بدأ بعلماء هذه الأمّـة ولم يجاملهم؛ بل إنّه بيّن الحق.

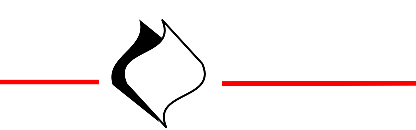
المذيـــــــع: قال: - رحمه الله - وليس الغرض تفصيل ما يجب أو يُستحب في ذلك بل الغرض: التّنبيه على مجامع يتفطن اللبيب بهـا لما ينفعه الله به.

الشيخ صالح: يقول ليس الغرض من هذا الكتاب أنّنا نحيـط بكـل المسائل التي تنـدرج تحت العمومـات الـتي ذكرناهـا؛ وإنّمـا المـراد بيان النماذج فقط تدلّ على المقصود، ويحصـل بهـا الفائـدة؛ وأمّـا الإحصاء والشمول فهذا له مواضيع أُخر وكتبٌ أُخر.

المذيـــــــع: نعم. الله لكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





الدرس التاسع

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، مستمعينا الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه جمعين.

وأهلا وبكم في حلقة جديدة من برنامج اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام / أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله يشرحه صاحب الفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان. عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الداعمة للافتاء. في مطلع هذا اللقاء نرحب بضيفنا الكريم فحياكم الله الشيخ صالح.

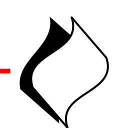
الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك الله فيك.

72) بعض صفات المغضوب عليهم وأحوالهم الخبيثة

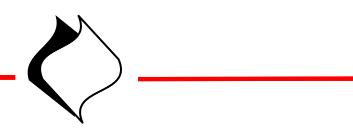
المذيـــــــع: ما زال المؤلف -رحمه الله- يتحدث في بيان صراط الذين غضب الله عليهم والضالين. في ذكر أنهم اليهود والنصارى ومن اتصف بصفاتهم. وقفنا عند قوله -رحمه الله- وقال الله -تعالى-: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة:91]

بعد أن قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:89]

فوصف اليهود أنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور الناطق به، والداعي إليه فلما جاءهم الناطق به من غير طائفةٍ يهوونها لم ينقادوا له. وأنهم لا يقبلون الحق إلا من الطائفة التي هم منتسبون إليها. مع أنهم لا يتبعون ما لزمهم في اعتقادهم. وعقداً للشبه بينهم وبين من شابههم من هذه الأمة، قال: وهذا يبتلى به كثيرٌ من المنتسبين إلى طائفةٍ معينةٍ في العلم أو الدين من المتفقِّهة أو المتصوِّفة أو غيرهم



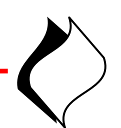
الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ما زال السياق في أهل الكتاب، الشيخ رحمه الله يتكلم عن اليهود والنصارى، وعن اليهود بالذات؛ لأنهم أهل تعنت، وأهل عناد، وأهل بغض للذين آمنوا، {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا}[المائدة:82]_ فهم مثل عبدة الأوثان في عداوة التوحيد، وعداوة المؤمنين مع أنهم أهل كتاب، وأهل علم، وعبدة الأصنام أهل جهل، فهم شابهوا الجهّال والعياذ بالله، وألغوا العلم الذي معهم؛ فلذلك صاروا مغضوبًا عليهم، بل إن الله لعنهم. وذكر الآيتين: الآية الأولى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فلعنة الله على الكافرين﴾[البقرة:89] وهذه الآية في اليهود؛ فإنهم كانوا قبل أن يُبعث محمدٌ صلى الله عليه وسلم كانوا يعلمون بعثته، ويعلمون من هو هذا الرسول الذي سيأتي، {كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[البقرة:146] فإذا صار بينهم وبين المشركين، بين الذين كفروا من الأوس والخزرج، لأنهم كانوا يجاورونهم في المدينة، فإذا صار بينهم خصومة أو اختلاف فإنهم يهددون هؤلاء الكفار يهددونهم في أنه سيبعث نبيٌ قريبٌ خروجه، وسينضمون إليه فيقاتلون هؤلاء الكفار{وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا}، يستفتحون بهذا النبي، ويقولون: إنه سيبعث عن قريب ونكون معه فنقاتلكم. {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا} لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، وكانوا يعرفونه من قبل حسدوه، وكفروا به. قال الله - جل وعلا- { فلعنة الله على الكافرين} لعنهم، كما أنه غضب عليهم؛ لأنهم خالفوا الحق عن معرفةٍ وعن علمٍ، وحملهم على ذلك الكبر والحسد لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم وأمته، إذن فاليهود مغضوبٌ عليهم وملعونون، واللعن هو: الطرد والإبعاد من -رحمة الله- سبحانه وتعالى، وسجل الله عليهم الكفر (فلعنة الله على الكافرين)؛ فدل على أن أهل الكتاب الذين لا يتبعون محمداً -صلى الله عليه وسلم - أنهم كفار، وأنهم أشد كفراً من عبدة الأوثان ومن الأميين.



لأن عنـــدهم الكتـــاب والمعرفـــة فهم عصـــوا اللـــه على بصـــيرة، فاستحقوا هذا الغضب وهذه اللعنة، وسجل الله عليهم الكفر. وفي هذا ردٌ على الذين ينـادون الآن بـأن الأديـان كلهـا صحيحة، وأنـه لا إنكـار على اليهـود ولا إنكـار على النصـارى، وأنـه يجب أن تجتمـع الأديان الثلاثة؛ يعني يريدون الجمع بين الحق والباطل، وبين الكفـر والإيمان؛ وهذا لن يكون أبداً، فإنه لا دين بعد بعثة محمدٍ -صلى الله عليه وسلم- إلا الدين الذي جاء به رسـولنا محمـدٌ -صـلى اللـه عليـه وسلم-، فمن أبى أن يطيع هذا الرسول ويتبعه فهـو من الكـافرين، وهو من أهل النار -خالداً مخلداً فيها-، سواءً أكان من اليهود أو من النصارى أو من الأميين أو من العرب أو من العجم، أو من أي جنسٍ كان؛ هذه الآية الأولى.

ومن لطائف حكمـة اللـه سـبحانه وتعـالى، أن هـؤلاء الكفـار الـذين كـانوا يهـددونهم ببعثـة محمـد، وأنهم سـيتبعونه ويقـاتلونهم، هم الذين منّ الله عليهم باتبـاع محمـدٍ -صـلى اللـه عليـه وسـلم-؛ وهم الأوس والخـزرج رضـي اللـه عنهم، لمـا قـدموا إلى مكـة حـاجين، وجاءهم رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم يعـرض عليهم الـدعوة، ويعرض عليهم الدخول في الإسلام، قالوا: إن هذا الرجل لهو الـذي تتهـددكم بـه اليهـود، فبـادروه قبـل أن يسـبقوكم إليـه، فـآمنوا بـه وبايعوه، وصاروا هم أتباعه على الحقيقة، وقاتلوا اليهود مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المدينة، لما خانوا العهـد، قـاتلوهم حتى أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة، (وأورث الله المسلمين أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم يطأوها).

والآية الثانية، قال: {وإذا قيل لهم} أي لليهود {آمِنُـوا بِمَـا أَنـزَلَ} أي اتبعوا، {وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله}، وهـو القـرآن الـذي أنزل على محمدٍ صلى الله عليه وسلم. واتبعـوه، (قـالوا نـؤمن بمـا أنزل علينا). يعني لا نقبل إلا ما عندنا، ولا نقبل ما عند غيرنا؛ وهذا تعصبٌ ممقوت، فإن الحق يُقبل ممن جاء به، والحق ضالة المـؤمن، لا سيما وأن الذي هم عليه: إما أنه مبدلٌ. ومغـير وإمـا أنـه منسـوخ بالقرآن لا عمل عليه، ومـع هـذا يقولـون: (نـؤمن بمـا أنـزل علينا)، وكذبوا في ذلك؛ لأنهم لو آمنوا بما أنزل عليهم لاتبعوا محمداً صلى الله عليه وسـلم؛ لأن الـذي أُنـزل عليهم يُبشّـر بمحمـد -صـلى اللـه عليه وسلم- (الـذي يجدونـه مكتوبـاً عنـدهم في التـوراة والإنجيـل،



يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزروه نصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون).

فهم كذبوا في قولهم: (نؤمن بما أنزل علينا)؛ لأن في الذي أنزل عليهم وهو التوراة والإنجيل البشارة بمحمدٍ -صلى الله عليه وسلم- والأمر باتباعه؛ فدل على أنهم لم يؤمنوا حتى ولا بما ادَّعوا أنهم يؤمنون به؛ (قالوا نؤمن بما أنزل علينا، ويكفرون بما وراءه) يعني غيره من الكتب؛ وهو الحق، والواجب أن الحق يُقبل أينما وجد؛ سواء أكان في التوراة أو في الإنجيل أو في القرآن.

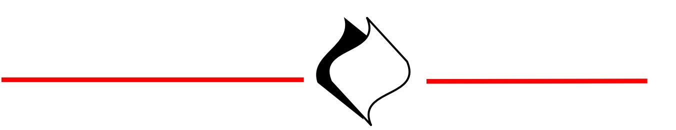
المؤمن الصادق يدور مع الحق أينما وجده أخذه، فهؤلاء لا يريدون الحق؛ وإنما يريدون اتباع أهوائهم.

(وهو الحق مصدقا لما معهم)؛ القرآن يصدق الكتب التي معهم ويوافقها؛ فكيف يكفرون بالقرآن! مع أن القرآن جاء مصدقاً لما سبقه من الكتب. (ومهيمناً عليها). (وهو الحق مصدقا لما معهم).

ثم إن الله سبحانه وتعالى فضحهم: في قولهم: (نؤمن بما أنزل علينا)، كيف يؤمنون بما أنزل عليهم وهم يقتلون الأنبياء؟ هل الذي يؤمن بالأنبياء يقتلهم؟ فالله جل وعلا عيَّرهم بذلك؛ {قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ}[البقرة:91]، فقد قتلوا زكريا وقتلوا ابنه يحيى، وأرادوا قتل عيسى فمنعه الله منهم، وأرادوا قتل محمدٍ صلى الله عليه وسلم فحماه الله منهم؛ فهم يقتلون الأنبياء مع أنهم يقولون (نؤمن بما أنزل علينا)، فهم كاذبون في ذلك.

73) التعصب ليس قاصرًا على اليهود بل يُبتلى به من ينتسب إلى الإسلام

المذيع: قال رحمه الله في هذه الصفة: وهذا يُبتلى به كثيرٌ من المنتسبين إلى طائفةٍ معينة في العلم أو من المتفقهة أو المتصوفة أو غيرهم. أو منتسبين إلى رئيسٍ معظمٍ عندهم في



الدين. غير النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإنهم لا يقبلون من الدين رأياً وروايةً إلا ما جاءت به طائفتهم.

الشيخ صالح: هذا من فقه الشيخ-رحمه الله- فإنه أراد أن يبين أن هذه الآيات ليست خاصةً من اليهود؛ بل هي عامةٌ لكل من اتصف بصفتهم وعمل مثل عملهم من المتعصبة في هذه الأمة.

الذين يتعصبون لإمام من أئمتهم أو يتعصبون لرأيٍ أو لمنهجٍ من مناهجهم ولو كان يخالف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فهؤلاء فيهم شبهٌ من اليهود، فكل من تعصب لمذهب أو تعصب لقولٍ من الأقوال، أو تعصب لإمامٍ من الأئمة غير الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فإن فيه شبهاً من اليهود. فالواجب على المؤمن أن يتبع الحق. وأن يترك الباطل ولا يتعصب له أبدا؛ هذا هو الإيمان.

74) توحيد المتابعة بإطلاق للنبي صلى الله عليه وسلم

المذيـــــع: قال: ثم إنهم لا يعلمون ما توجبه طائفتهم، مع أن دين الإسلام يُوجب اتباع الحق مطلقاً، روايةً ورأياً من غير تعيين شخصٍ أو طائفة غير الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

الشيخ صالح: هذا تتمة للكلام يقول: يتعصبون، مع أنهم لا يعرفون ما تعصبوا له، وهذا في المقلدين التقليد الأعمى، الذين لا ينظرون في قول إمامهم أو قول عالمهم أو قول طائفتهم، لا ينظرون فيه ويتفحصونه ويعرضونه على الكتاب والسنة: فإن كان صواباً أخذوه، وإن كان خطأً تركوه، هذا هو الواجب عليهم. والأئمة ليسوا معصومين غير الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا هناك أحد في الناس يجب اتباعه غير الرسول صلى الله عليه وسلم وأما غيره فإنه يُتبع فيما أطاع الرسول صلى الله عليه وسلم فيه، وفيما وافق الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيه، وأما ما خالف الرسول من الآراء والمذاهب والأقوال؛ فإنها مرفوضة رفضا تاماً. لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:59].

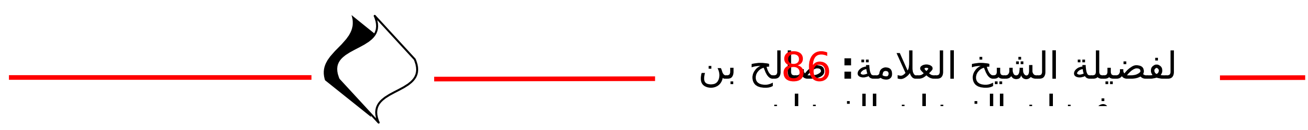
والأئمة الذين يقلدونهم ينهون عن ذلك؛ ينهون عن تقليدهم على الخطأ. فالإمام أبو حنيفة يقول: إذا جاء الحديث عن رسول الله فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فهم رجالٌ ونحن رجال، يعني ما نأخذ أقوال غير الرسول صلى الله عليه وسلم وغير صحابته حتى نعرضه على الدليل - ولو كان من التابعين فمن دونهم-؛ يعرض قوله على الكتاب والسنة: فان كان صواباً أخذ به، وإلا فإنه يرد. هذا قول الإمام أبو حنيفة. والإمام مالك يقول: كلنا رادٌ ومردودٌ عليه إلا صاحب هذا القبر -يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم-.

فالذي يخطئ -وإن كان مجتهداً وإن كان مأجوراً على اجتهاده-، لكن إذا أخطأ فإنه لا يُؤخذ الخطأ؛ بل يترك إلى الصواب.

ولهذا قال الشافعي -رحمه الله -: إذا خالف قولي قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ فخذوا بقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واضربوا بقولي عرض الحائط، ويقول رحمه الله: إذا صح الحديث فهو مذهبي. والإمام أحمد يقول -رحمه الله-: عجبت لقومٍ عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:63] يخالفون عن أمره: أي أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن السياق في الرسول عليه الصلاة والسلام. (يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة)، فتنةٌ: زيغٌ في القلوب، أو عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة بما يحل به من النكبات والمصائب، فالذي يخالف قول الرسول صلى الله عليه وسلم متعمدا، ويتعصب لرأي المخالفين؛ فهذا يتوقع إحدى هاتين العقوبتين: إما الزيغ في قلبه، وإما العقوبة في نفسه وماله.

ولهذا قال رحمه الله: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيهلك؛ هذا تمام كلام الإمام أحمد رحمه الله.

هذه أقوال الأئمة، يُحذرون من اتباعهم من غير معرفة أقوالهم وموافقتها للدليل، وأنها إذا كانت مخالفة للدليل؛ فإنها تُرد لأنهم غير معصومين: يجوز عليهم الخطأ والصواب، والحكم في هذا هو



الكتاب والسنة ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء: 59]

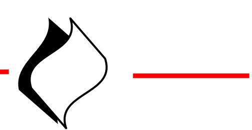
_فالمؤمن يدور مع الحق أينما دار سواءً أكان مع إمامه أو مع غيره؛ ولهذا كان شيخنا؛ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـــ رحمه الله ـــ وذريته وأتباعهم أي من أئمة الدعوة لا يتعصبون لمذهب الحنابلة -مع أنهم حنابلة-، لكن إذا كان في المسألة دليلٌ عند غيرهم؛ فإنهم يأخذون بما قام عليه الدليل من أقوال الأئمة الآخرين ويتركون الخطأ إذا وقع في مذهبهم؛ لأنهم لا يتعصبون لمذهب الإمام أحمد بن حنبل، وإنما يريدون الحق مع الإمام أحمد أو مع غيره من الأئمة.

75) التحريف من صفات اليهود، ومعنى التحريف وأقسامه

المذيـــــع: أحسن الله إليكم، قال -رحمه الله- وقال الله تعالى في صفة المغضوب عليهم:، (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه). ووصفهم بأنهم (يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب)، والتحريف قد فُسِّر بتحريف القول وبتحريف التأويل.

الشيخ صالح: من صفات المغضوب عليهم وهم اليهود ومن اتصف بصفتهم وسار على نهجهم؛ أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه؛ يحرفون كلام الله- عز وجل- والتحريف على قسمين: تحريفٌ للفظ بأن يُزاد فيه أو ينقص؛ لأنهم لما قال لهم الله -جل وعلا-: {وقولوا حطة} قالوا: حنطة. قولوا حطة: يعني اغفر لنا ذنوبنا وحط عنا خطايانا؛ طلب منهم الاستغفار، فهم غيّروا وحرفوا كلام الله وقالوا حبةٌ في حنطة، يعني: يريدون الأكل، بدل الاستغفار، قالوا: حبةٌ في حنطة، فزادوا النون في كلام الله عز وجل. هذا تحريف اللفظ.

تحريف المعنى: أن يبقوا اللفظ على ما هو عليه لكن يفسرونه بغير تفسيره؛ مثل تفسير الجهمية لآيات الأسماء والصفات؛ أنهم يؤولونها، ويفسرونها بغير معناها الصحيح، فهذا من تحريف اللفظ؛



مثل تفسيرهم الوجه بأنه الذات، واليد بأنها النعمة، وتفسير الرحمة بأنها النعمة، أو إرادة الإنعام، إلى غير ذلك من تأويلاتهم الباطلة.

المذيـــــــع: قال فأما تحريف التأويل فكثير جدا. وقد ابتُليت به طوائف من هذه الأمة،

الشيخ صالح: تحريف التأويل كثيرٌ جداً في اليهود وفي هذه الأمة. وأكثر من تحريف اللفظ. عندنا تحريف اللفظ أيضاً وجد في هذه الأمة؛ فان الأشاعرة يقولون: في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5]

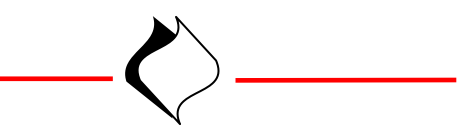
استولى؛ فزادوا اللام، زادوا اللام من عندهم. استوى قالوا: استولى، فهذه زيادة تُشبه زيادة النون عند اليهود في قولهم: (حنطة)، فهذا تحريفٌ للفظ، وتحريف المعنى كثير: يُفسرون الوجه بالذات، واليد بالقدرة، والرحمة بالنعمة، والغضب بإرادة الانتقام، ويفسرون (وجاء ربك): جاء أمره.

ينزل ربنا إلى السماء الدنيا: ينزل أمره. أو ينزل ملك من الملائكة. ويفسرون كلام الله، لأنه من كلام الله في المعنى وأما في اللفظ فهو كلام جبريل، أو كلام محمد صلى الله عليه وسلم حكاية أو عبارة عن كلام الله.

76) مشابهة هذه الأمة لليهود في تحريف الكلم عن مواضعه

المذيـــــــع: قال -رحمه الله- وأما تحريف التنزيل فقد وقع في كثيرٍ من الناس، يحرفون ألفاظ الرسول صلى الله وسلم ويروون الحديث برواياتٍ منكرة -وإن كان الجهابذة يدفعون ذلك-، وربما يطاول بعضهم إلى تحريف التنزيل، وإن لم يمكنه ذلك؛ كما قرأ بعضهم: (وكلم اللهَ موسى تكليما).

الشيخ صالح: يقول - رحمه الله-: إن مما ذكر عن اليهود أنهم يحرفون الكلم من بعد مواضعه، ذكر أن هذا قد يقع في هذه الأمة



أيضاً؛ فإنهم يحرفون كما حرفت اليهود، يحرفون كتاب الله كما حرفت اليهود.

فإما أن يحرفوا اللفظ كما ذكرنا في كلمة استوى قالوا: استولى، أو يحرفون المعنى كما في كثيرٍ من آيات الصفات؛ يفسرونها بغير تفسيرها. فيقولون: في قوله -صلى الله عليه وسلم-: ينزل ربنا: ينزل أمره. أو ملكٌ من الملائكة. وجاء ربك: أي جاء أمره، أو جاء أمر ربك إلى غير ذلك من تفسيراتهم الباطلة، فهذا تحريفٌ للمعنى؛ لأنهم لا يقدرون على تحريف اللفظ.

وقد يحرفون أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيروونها برواياتٍ منكرة، ليست من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأجل أن توافق أهواءهم، وتوافق مذاهبهم، وهذا كثيرٌ في كتبهم، لأنهم حملهم التعصب لمذاهبهم، وأقوال شيوخهم إلى أن يرووا الأحاديث برواياتٍ منكرة، لم تثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

بل حتى في القرآن، فإن منهم من حاول أحد القراء السبعة في أن يقرأ قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء:164] بأن يقرأ لفظ الجلالة بالفتح (وكلم اللهَ موسى)؛ فيكون موسى هو الفاعل، ويكون الله جل وعلا هو المُكلَّم؛ لأجل ألا يثبت أن الله يتكلم، لأنهم ينفون صفة الكلام عن الله جل وعلا؛ فيكون الذي كلم هو موسى؛ كلم الله. فقال له ذلك المقرئ: هبني قرأت هذه الآية: {وكلم اللهَ موسى تكليما} فماذا تقول في قوله: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ}[الأعراف:143]؛ فحينئذٍ انخصم الفاجر وانقطع.

77) مشابهة هذه الأمة لليهود في ليّ الألسنة

المذيع: الحمد لله. أحسن الله إليكم. وأما ليّ الألسنة بما يظن أنه من عند الله فكوضع الوضّاعين الأحاديث على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو إقامة ما يظن أنه حجةٌ في الدين وليس بحجة.

الشيخ صالح: الله -جل وعلا- ذكر عن اليهود قال: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ

الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[آل عمران:78]ـ الذين يضعون الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لتوافق مذهبه.

كما يذكر أن واحدا منهم لما ذكر الإمام الشافعي قال حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إنه قال يخرج في أمتي رجلٌ يقال له محمد بن إدريس يكون أضر عليها من إبليس. نعم.

المذيــــــع: قال وهذا الضرب من أنواع أخلاق اليهود وذمها كثيرٌ لمن تدبره في كتاب الله وسنة رسوله ثم نظر بنور الإيمان لما وقع في الأمة من الأحداث.

الشيخ صالح: نعم. هذا كثيرٌ في القرآن لمن تدبره من أحوال اليهود وما ذكر الله عنهم. وذلك لأمرين:

أولاً- للرد عليهم، الأول الرد على اليهود

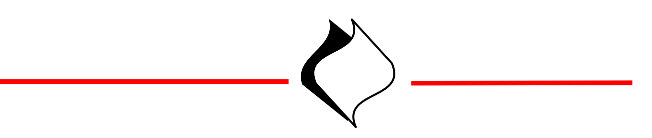
وثانياً- لتحذير هذه الأمة أن تسلك مسلكهم، ولكن مع هذا وقع بعض هذه الأمة فيما وقعت فيه اليهود من وضع الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليؤيدوا بها مذاهبهم الباطلة، ولكن الله قيَّض للحديث حُرّاساً وحُفّاظاً يحرسونه من الدخيل، ومن الكذب، ويدرسون الأسانيد ويدرسون المتون ويضعون الضوابط الدقيقة التي حالت بين هؤلاء وبين ما يريدون؛ فأصبحت كاذيبهم معزولة وبائرةً بأيديهم ولله الحمد.

المذيــــــع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس العاشر

المذيــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أيها



المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم. لشيخ الاسلام/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية -رحمه الله-، ضيف اللقاء صاحب الفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع هذا اللقاء نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله شيخ صالح،

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

78) غلو أهل الكتاب وتشبه بعض المسلمين بهم وأقسام الناس في الإيمان بعيسى عليه السلام

المذيع: قال المؤلف -رحمه الله تعالى- في ذكر أوجهٌ من الشبه بينما عند المغضوب عليهم والضالين المخالف للصراط المستقيم وما عند هذه الامة. قال: وقال الله سبحانه عن النصارى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء:171]

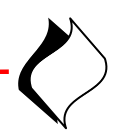
وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:17]

إلى غير ذلك من المواضع.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم،

الحمد لله رب العالمين صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، لما ذكر الشيخ -رحمه الله- ما وقع من اليهود من التحريف والتبديل لكتابهم، ودعواهم: أنهم يؤمنون بما أنزل عليهم ومع هذا يخالفونه، ويأتون بأهوائهم، ويحرفون كلام الله -لفظاً ومعنى-، ويلوون ألسنتهم بالكتاب، فيضعوا كلاماً من عندهم وينسبونه إلى الله -جل وعلا-؛ وهو ليس من عند الله.

وأن من هذه الامة من تشبه بهم؛ فتعصبوا لمذاهبهم ومشايخهم، وآرائهم وحرفوا من أجلها كلام الله لفظا ومعنى.



أو وضعوا أحاديث لوَّوا ألسنتهم، ووضعوا أحاديث نسبوها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسول بريء منها، يريدون بها نصرة مذاهبهم، لما ذكر هذا انتقل إلى النصارى وهم الطائفة الثانية من أهل الكتاب، الذين بعث الله إليهم نبيه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام.

بعثه الله بالتوراة، وأنزل عليه الإنجيل مكملاً للتوراة ومبيناً ما فيها، وناسخا لبعضها، ولهذا قال عيسى عليه السلام لهم ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران:50]

ومع هذا لم يعبأوا به، إلا قليلٌ منهم أمنوا بالمسيح عليه السلام، إيماناً صحيحاً مستقيماً، وهؤلاء أثنى الله عليهم ومدحهم، ووعدهم بجزيل الثواب. ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران:199]

وأما الفريق الثالث فهم الذين غلو، أطاعوا المسيح أمنوا به، لكنهم غلوا فيه ورفعوه فوق منزلته.

فهم صاروا على ثلاث طوائف: الطائفة الأولى، الذين كفروا بالمسيح، وقالوا فيه قولاً قالوا فيه وفي أمه قولاً قبيحاً.

والطائفة الثانية، الذين آمنوا بالمسيح لكنهم غلوا وزادوا.

والطائفة الثالثة، الذين آمنوا بالمسيح واعتدلوا وساروا على المنهج الصحيح.

أما الذين غلوا في المسيح فإنهم طوائف؛ منهم من يقول: إن الله هو المسيح بن مريم. ومنهم من يقول: إن الله ثالث ثلاثة: الله، وعيسى، وروح القدس. ومنهم من يقول المسيح ابن الله.

فهؤلاء غلو في المسيح عليه الصلاة والسلام ورفعوه من منزلة البشرية إلى منزلة الربوبية، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا، وقد فضحهم الله، وقال تعالى. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا

ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً [النساء:171]

لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا [النساء:172]

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا [النساء:173]

من هذه الأمة من سلك مسلك النصارى؛ فغلا في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفعوه فوق منزلته؛ بل غلوا في الأولياء والصالحين فأنزلوهم فوق منزلتهم وعبدوهم من دون الله وذبحوا لهم ونذروا لهم واستغاثوا بهم، ودعوهم من دون الله، فهم غلوا في رسول الله وغلوا في الأولياء والصالحين، كما غلا أهل الكتاب في رسلهم وفي صالحيهم، سواءً بسواء.

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم حذر هذه الأمة أن تأخذ مأخذ اليهود والنصارى في الغلو.

فقال عليه الصلاة والسلام فقال "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبدٌ تقول عبد الله ورسوله" أخرجاه في الصحيحين. لكن هناك من قال بحق الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

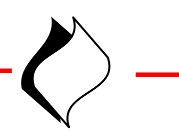
يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي   فاظلم، وإلا قل: يا زلة القدم

فإن من جودك الدنيا وغرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم

إلى أخر ما غلا في الرسول صلى الله عليه وسلم، وُجد في هذه الأمة مَن أخذ مأخذ النصارى.

فغلا في محمدٍ صلى الله عليه وسلم، كما غلت النصارى بالمسيح، وهذا مصداقًا لقوله صلى الله عليه وسلم "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه".



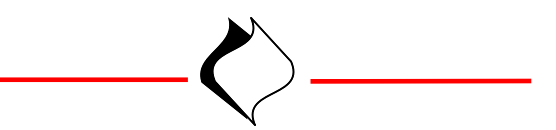
79) تشبُّه بعض المتعبدة والمتصوفة بأهل الكتاب في الغلو في الأنبياء والصالحين

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم. قال المؤلف -رحمـه اللـه-، ثم إن الغلـو في الأنبيـاء والصـالحين قـد وقـع فيـه طوائـف من ضُـلَّال المتعبـدة والمتصـوفة حـتى خالـط كثـيراً منهم بمـذهب الحلـول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى أو مثله أو دونه؟

الشـيخ صـالح: إن هـذه الامـة في بعض فرقهـا مثـل مـا وقـع للنصارى من الغلو في المسيح أو أشد منه؛ حيث غلو في عبادتهم، واشتدوا في زهدهم، حتى خرجوا عن المشروع، وهذا ينطبـق على العُبَّاد والزهاد المتشددين المتنطعين، الذين قال فيهم رسول اللـه -صلى الله عليه وسلم-: "هلـك المتنطعـون هلـك المتنطعـون هلـك المتنطعون؛ قالها ثلاثـاً. قـال عليـه الصـلاة والسـلام: أيـاكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو، وقال عليه الصلاة والسلام: "فـإن المنبت لا أرضًـا انقطـع ولا ظهـرًا أبقى" ولمـا أراد ثلاثـة نفـرٍ أن يزيدوا في العبادة؛ قال بعضهم: أنا أصلي ولا أنام، وقال الآخر: أنـا أصوم ولا أفطر؟ وقال الثالث: أنا لا أتزوج النسـاء، فلمـا بلـغ ذلـك رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب أشد الغضب، وقال "أما أنـا فأصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النسـاء فمن رغب عن سـنتي، فليس مني".

وجاء -صلى الله عليه وسـلم بالشـريعة السـمحة الوسـط، المعتدلـة بين الافراط والتفريط وبين الغلو والجفاء.، هذه شريعته صلى الله عليـه وسـلم، لكن أبى طوائـف من الغلاة إلا أن يزيـدوا عليهـا ويخرجوا عن حدِّها، والله جل وعلا قال لنبيه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَـا أُمِـرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود:112]

أمره بالاستقامة هو ومن اتّبعه، ونهاه عن الطغيـان؛ وهـو التشـدد، والغلـو عن الحـد المـألوف المشـروع في العبـادة؛ فوقـع في هـذه الأمة حتى اشتد الأمر حتى ظهرت فرقة وحدة الوجود، الـذين غلـوا في التوحيد؛ حتى قالوا: إن الكون ليس فيه انقسام؛ كله هو الله.



فمن قال إن هناك خالقاً ومخلوقاً فهو مشرك، وأما الموحِّد عندهم فهو الذي يقول: إن الكون كله هو الله، ليس فيه خالق ولا مخلوق، بلغ بهم الغلو إلى هذا الحد -والعياذ بالله-، هذا في الصوفية، في غلاة الصوفية، وهم أهل وحدة الوجود.

80) طاعة العلماء فيما حرم الله من اتخاذهم أربابًا

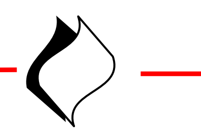
المذيع: قال -رحمه الله- في وجهٍ آخر من التشبه قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾[التوبة:31]

وفسره النبي- صلى الله عليه وسلم- لعدي بن حاتمٍ رضي الله عنه "بأنهم أحلّوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرَّموا عليهم الحلال فاتبعوهم". وكثيرٌ من اتباع المتعبدة يطيع بعض المُعظَّمين عنده في كل ما يأمر به، وأن تضمن تحليل حرامٍ أو تحريم حلال.

الشيخ صالح: نعم، الله -جل وعلا- ذكر عن النصارى؛ فقال ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾[التوبة:31]. فلما سمعها عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه، وكان نصرانياً قبل الإسلام، قال: يا رسول الله، "إننا لسنا نعبدهم". هو ظن أن العبادة هو الركوع لهم والسجود لهم؛ قال: إننا لسنا نعبدهم، قال: " أليس يُحلون ما حرم الله فتطيعوهم؟ قال: بلى. قال: أليس يُحرمون ما أحل الله فتطيعوهم؟ قال: بلى. قال: فتلك عبادتهم".

فمن أطاع مخلوقاً في التحليل والتحريم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإنه قد اتخذه رباً؛ لأن التحليل والتحريم من حق الله جل وعلا، وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه مُبلِّغٌ عن الله سبحانه وتعالى، وقال سبحانه وتعالى ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[الأنعام:121]

الذين أحلوا الميتات. وقالوا: إنها أولى من المُزكَّاة؛ لأنها ذبيحة الله، وأما المزكاة فهي ذبيحتكم. قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ



الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112]

(وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون). إن أطعتموهم في التحليل في استحلال الميتة، إنكم لمشركون بالله في التحليل والتحريم؛ لأن هذا من شرك الطاعة.

هذا يسميه العلماء شرك الطاعة؛ وهي الطاعة العلماء والعباد في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله سبحانه وتعالى؛ وهذا نوعٌ من الشرك.

وهذا في النصارى كما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾[التوبة:31]، وفسّره النبي صلى الله عليه وسلم بأنه في التحليل والتحريم من دون الله عز وجل، وكان في هذه الأمة من تشبه بالنصارى؛ فصاروا يتبعون مقلَّديهم وأئمتهم في الأقوال، ولو كانت مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله، فلو أحلوا شيئاً حرمه الله لأطاعوهم، ولو حرموا شيئاً أحله الله لأطاعوهم تعصباً لأقوالهم.

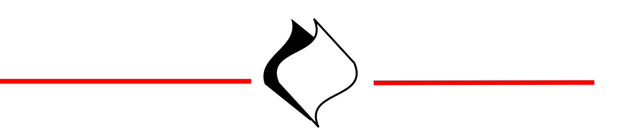
وهم قد يكونون مخطئين؛ لم يتعمدوا هذا، وينهون عن هذا، لكن أولئك أتباعهم لا يتركون شيئاً مما قالوه، ويعتقدون فيهم العصمة، ويقولون هم أعلم مِنّا، وهم أحسن منا وهكذا.

81) ذم الرهبانية وتشبه بعض المسلمين بالنصارى في الرهبانية

المذيع: نعم. أحسن الله إليكم، قال -رحمه الله- وقال سبحانه عن الضالين:

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 27]

، وقد ابتلي طوائف من المسلمين من الرهبانية المبتدعة بما الله به عليه.



الشيخ صالح: قال الله سبحانه: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابتدعوها﴾ [الحديد:27]

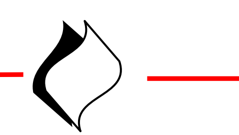
هذه لم يجعلها الله؛ (جعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة)، وأما قوله: (ورهبانية)؛ فهذه لا تدخل مع قوله وجعلنا. بل هي شيءٌ ابتدعوه هم (ورهبانيةً ابتدعوها). رهبانية، منصوب على ابتدعوها، العامل فيه ابتدعوها من باب: يُسميه العلماء بالاشتغال، وابتدعوا رهبانيةً ابتدعوها. (ما كتبناها عليهم) يعني: ما شرعناها لهم. (إلا ابتغاء رضوان الله)، يعني: هم فعلوها ابتغاء رضوان الله؛ ما فعلوها لشيءٍ أخر إنما فعلوها عن اجتهاد، وعن طلب إرضاء الله سبحانه وتعالى؛ لكن الله جل وعلا لا يرضى إلا بما شرع: فلا يرضى بالبدع والمُحدثات، ويُقال: هذا زيادة طاعة، وزيادة خير، لا، هذا مرفوض ومردود، ولو كانت نية صاحبة حسنة؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" وقال: "وإياكم ومحدثات الأمور، فان كل محدثةٍ بدعة".

فالنصارى ابتدعوا الرهبانية، ومع هذا ما رعوها حق رعايتها؛ لأنهم لا يستطيعون أن يوفوها لعجزهم ونقصهم.

فالله جل وعلا شرع لهم الاعتدال، وشرع لهم التوسط، ولكنهم هم يريدون الزيادة، وانقطعوا؛ (فما رعوها حق رعايتها). فالله جل وعلا ينهى هذه الأمة عن الرهبانية وعن الغلو، ولكن مع هذا وُجد في هذه الأمة من سلك مسلك النصارى فجعل يتعبد لله بالبدع والمُحدثات. يظن أنها تقربه إلى الله وهي تُبعده عن الله؛ لأن عمله مردود، كما قال صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد". فهو مردود، وهو يجهد نفسه، وهو مردود. ماذا يستفيد؟ ما يستفيد إلا البعد عن الله -جل وعلا-

يعني يسير في طريق هلاك، ولا يسير في طريق. نجاة.

82) بناء المساجد على القبور من التشبه باليهود والنصارى



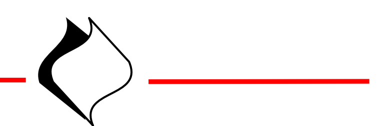
المذيــــــع: وقال الله سبحانه: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾[الكهف:21]

فكان الضالون بل والمغضوب عليهم يبنون المساجد على قبور الأنبياء والصالحين، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته عن ذلك في غير موطن حتى وقت مفارقته الدنيا -بأبي هو وأمي-.

الشيخ صالح: الله جل وعلا ذكر عن الأمم السابقة: أنهم كانوا يبنون على القبور، وذلك في قصة أصحاب الكهف الذين ذكر الله قصتهم فلما عثر عليهم أهل البلد وهم أموات في كهفهم؛ تشاوروا في ماذا يصنعون بهؤلاء الأموات، فقال بعضهم: (ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم به)، (وقال الذين غلبوا على أمرهم) أي الأقوياء منهم، الذين غلبوا على أمرهم: يعني فرضوه على غيرهم. ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف:21]

أي مكانا نصلي فيه تبركًا بهم؛ فهذا من بناء المساجد على القبور، وأنه موجودٌ في الأمم السابقة، جاءت اليهود والنصارى فمشت على هذا المنهج الشركي، الذي لم يَشرعه الله عز وجل على أنبياء بني إسرائيل، لكن هم أحدثوه وابتدعوه؛ فصاروا يبنون المساجد على القبور، ويُصوِّرون صور الصالحين والأنبياء على قبورهم وعلى أضرحتهم، ولما ذكرت أمهات المؤمنين ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم، كنيسة رأتها بأرض الحبشة -لأن الصحابة هاجروا إلى الحبشة كما هو معلوم-، ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم ما رأته في كنيسةٍ في أرض الحبشة -لأن الحبشة نصارى-، وما فيها من التصاوير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أولئكِ إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوْا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك الصور أولئكِ شرار الخلق عند الله.".

وقبل موته صلى الله عليه وسلم بزمنٍ يسير وكان يعالج سكرات الموت، ومع هذا لم ينس النصيحة والبلاغ لأمته، فقال عليه الصلاة والسلام وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك". قالت عائشة رضي الله عنها "ولولا ذلك لأبرز قبره" يعني



لدُفن في البقيع، غير أنه خُشِيَ أن يتخذ مسجدا؛ فدُفِن في بيته صلى الله عليه وسلم محافظةً عليه من الغلو؛ كغلو النصارى وأهل الكتاب في أنبيائهم واتخاذ المساجد عليها.

الحاصل أن البناء على القبور ذكره الله في القرآن عن الأمم السابقة، ولحقتهم بنو اسرائيل من اليهود والنصارى، وقلَّدهم جُهَّال هذه الأمة وضُلال هذه الأمة.

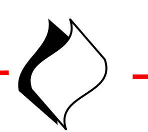
فصاروا يبنون بكثرة الآن المساجد على القبور، والمسجد الذي ليس فيه قبر ليس له قيمة عندهم الآن، ولا يتوجهون اليه، وأنما يتوجهون إلى المساجد التي فيها قبور، ويتهافتون عليها؛ أما المساجد السُنيَّة الخالية من القبور؛ فإنها لا قيمة لها عندهم، وهذا من تمام الابتلاء والامتحان، ومن السير على منهج اليهود والنصارى، الذي حذرنا الله -جل وعلا- منه. حذرنا منه رسوله صلى الله عليه وسلم.

المذيع: قال -رحمه الله- ثم إن هذا قد ابتلي به كثيرٌ من هذه الأمة.

الشيخ صالح: نعم؛ هذا واقع! الآن لو تذهب إلى أي جهة -في غير المملكة حماها الله وحفظها-، لو تذهب إلى أي جهة تجد كل مسجد أو أغلب المساجد على قبور، ولا يدفن المُعظم عندهم أو الرئيس أو العالم إلا في مسجد، أو يبنى عليه مسجد: إما أن يدفن في مسجدٍ موجود، وأما أن يبنى على قبره مسجد، هذا كله تقليد لليهود والنصارى.

المذيع: والحكم الشرعي، أن تلك المساجد مواطن بدعة؛ لا تجوز الصلاة فيها.

الشيخ صالح: الحكم الشرعي أنه منهي عن الصلاة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تصلوا إلى القبور، لا تتخذوا القبور مساجد" أي مصليات، فالمراد بالمساجد ما يصلى فيها ولو لم تبنى، فلا يصلى عند القبر، ومن صلى عند القبر فقد اتخذه مسجدا.



83) تقرب النصارى إلى الله بسماع الألحان والنظر إلى الصور وتشبه الصوفية بهم

المذيــــــع: أحسن الله إليكم؛ قال رحمه الله: ثم إن الضالين تجد عامة دينهم إنما يقوم بالأصوات المطربة والصور الجميلة، فلا يهتمون بأمر دينهم بأكثر من تلحين الأصوات.

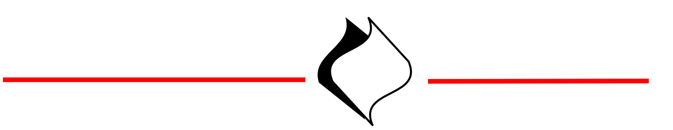
الشيخ صالح: هذا عند الصوفية من هذه الأمة: أنهم كانوا الى الله بالأناشيد والتنغيمات الجماعية مثل النصارى، فان صلواتهم كلها ترانيم، وكلها أنغام، فتشبه بهم الصوفية وصاروا يتقرَّبون إلى الله بهذه التي يسمونها: الأذكار والأحوال؛ فيترنَّمون وينشدون، ويقولون: إن هذا ذكرٌ لله عز وجل، فهم حذوا حذو النصارى في صلواتهم وفي ترانيمهم.

وكذلك -والعياذ بالله- أشد من ذلك أنهم ينظرون إلى الصور الجميلة من النساء والمُردان، ويقولون: هذا من التفكر في آيات الله، وهذا عبادة؛ التفكر في آيات الله والنظر إلى المرد وإلى الوجوه الحسان هذا عبادة!، لأنه من التفكر في آيات الله. وينسون قوله تعالى:
﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[النور:30]

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: 31] الآية

فالله جل وعلا أمر بغض البصر عما حرم الله؛ ولذلك شرع الحجاب على النساء من أجل أن يمنع النظر، ويكفي الفتنة؛ فهؤلاء يقولون: لا، النظر إلى الوجوه الحسنة من النساء والمرد عبادة لله عز وجل يتقربون به إلى الله! تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

ويتقربون إلى الله بالأناشيد والأهازيج ومثل ذلك؛ بدلاً من ذكر الله بالتسبيح والتهليل والتكبير وتلاوة القرآن



المذيــــــــع: قال ثم تجد قد ابتُليت هذه الأمة من اتخاذ السماع المطرب بسماع القصائد وإصلاح القلوب والأحوال به؛ ما فيه مُضاهاةٌ لبعض حال الضالين.

الشيخ صالح: نعم، من هذه الأمة من يتخذ الأناشيد والابتهالات الجماعية والتنظيمات والقبور، يتخذونها تقرباً إلى الله جل وعلا، ويتخذونها عبادة.

(اتخذوا دينهم لهواً ولعباً)؛ هذا من اللهو واللعب، هم جعلوه ديناً، يتعبَّدون لله به.

النبي صلى الله عليه وسلم جاء بتحريم الملاهي وتحريم المزامير، وتحريم الدفوف؛ إلا ما رخص فيه الشارع من مناسبة الزواج ليضرب الدف للنساء، وإلا فالأصل التحريم في آلات اللهو جميعا، والمعازف والمزامير والأغاني كلها مما حرم لله سبحانه؛ لأنها تصد عن سبيل الله. هم يقولون: لا، إنها تُحيي القلب، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: إنها تزرع النفاق في القلب، تزرع الشهوة في القلب، تزرع الشر في القلب، هم يقولون: لا، إنها تزرع محبة الله، وتزرع الإيمان في القلب، وتقرب إلى الله عز وجل، شابهوا في هذا الضالين، وهم النصارى؛ لأن النصارى غالب دينهم من هذا النوع: من اللهو، واللعب، والأصوات، وغير ذلك من المبتدعات. نعم.

المذيــــــــع: يعني: تركوا الصراط المستقيم واتبعوا أصحاب الجحيم؟

الشيخ صالح: نعم، تركوا الصراط المستقيم، واتبعوا أصحاب الجحيم -من اليهود والنصارى-، من المغضوب عليهم والضالين.

المذيــــــــع: أحسن الله اليكم وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

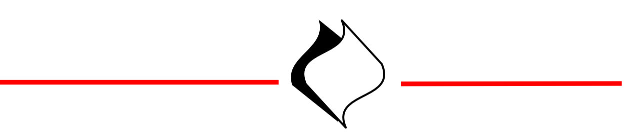
الدرس الحادي عشر

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمـد للـه ربّ العـالمين. وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
مستمعينا الكرام السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامجكم/
شرح كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم
لشيخ الإسلام/ ابن تيمية- رحمه الله.
يشـرحه ويعلّـق عليـه فضـيلة الشـيخ الـدكتور/ صـالح بن فـوزان الفوزان. عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.
في مطلع لقائنا نرحّب بضيفنا الكريم حيّاكم الله شيخ/ صالح.

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

84) تضليل اليهود والنصارى ومَن شابههم مِن هذه الأمة لبعضهم البعض

المذيـــــــع: قال شيخ الإسلام:- رحمـه اللـه- في وجـهٍ آخـر من مشابهة صراط أهل الجحيم، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُـودُ لَيْسَـتِ النَّصَـارَى عَلَى شَـيْءٍ وَقَـالَتِ النَّصَـارَى لَيْسَـتِ الْيَهُـودُ عَلَى شَيْءٍ﴾[البقرة:113]
فأخبر أنّ كل واحدةٍ من الأمتين تجحد كل ما الأخرى عليه.
وأنت تجد كثيراً من المتفقهة إذا رأى المتصوفة والمتعبدة,لا يراهم شيئاً. ولا يعدهم إلا جُهالاً ضُلّالاً، ولا يعتقـد في طـريقهم من العلم والهـدى شـيئا. وتـرى كثـيراً من المتصـوفة والمتفقـرة لا يـرى الشريعة ولا العلم شيئاً؛ بل يـرى المتمسـك بهـا منقطعـاً عن اللـه، وأنّه ليس عند أهلها شيء مما ينفع عند الله شيئا.



الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين. صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾[البقرة:113].

ذكر الشيخ- رحمه الله- في معنى هذه الآية أنّ كلاً من الطائفتين يجحد ما عند الأخرى من الحقّ وذلك من أجل أن ينتصر لنفسه، ويعتبر نفسه هو المحق وأنّ غيره على الباطل. وهذه مصادرةٌ للحقّ لمن كان معه من الخصوم, وهذا أمرٌ لا يجوز؛ بل الواجب الاعتراف بما عند المخالف من الحقّ، وبيان ما عنده من الباطل- هذا هو الإنصاف والعدل-: أنّك إذا رددت على شخصٍ فإنّك تبيّن ما عنده من الحقّ وتردّ على ما عنده من الباطل.

شابه اليهود والنّصارى في هذا- من هذه الأمّة- بعض المتفقهة والمتصوفة، فريقان: فالمتفقهة يرون أنّ المتصوفة ليسوا على شيء مطلقا, وأنّهم ضُلّال ليس عندهم من الحقّ شيء، وكذلك العكس المتصوفة يرون المتفقهة ليس عندهم عبادة، وليس عندهم زهد، وليسوا على شيءٍ؛ وهذا ظلمٌ وجور من كلا الطائفتين. فالواجب الإنصاف مع الخصوم ومع المخالفين وأن لا يُدحض الحقّ مع من كان, وأمّا الباطل فإنّه يُبيّن ويردّ.

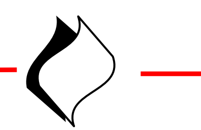
85) وجوب اتباع الدليل

المذيع: قال رحمه الله: وإنّما الصواب أنّ ما جاء به الكتاب والسّنّة من هذا وهذا حقّ وما خالف الكتاب والسّنّة من هذا وهذا باطل.

الشيخ صالح: نعم، الواجب أن يُعرض ما عند المختلفين على الكتاب والسّنّة؛ فيؤخذ ما وافق الحقّ ويردّ ما خالف الحقّ؛ هذا هو الواجب.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:59]

فإذا اختلفنا فلا نبقى على اختلافنا، وكلٌّ يركب رأسه ويرى أنّه هو المحقّ وغيره هو المبطل؛ بل علينا أن نعرض ما معنا على كتاب الله، نعرض أقوالنا ومذاهبنا وأراءنا على كتاب الله وعلى سُنّة رسوله، فما وافق الحقّ -معنا أو مع مخالفينا-؛ فإنّنا نقبله, وما



خالف الحقّ -معنا أو مع مخالفينا-؛ فإنّنا نردّه. هذا هو العدل والإنصاف.

86) النهي عن مشابهة فارس والروم

المذيـــــع: قال رحمه الله: وأمّا مشابهة فارس والروم: فقد دخل في هذه الأمّة من الآثار الرومية -قولاً وعملاً-, والآثار الفارسية -قولاً وعملاً-: ما لا خفاء به على مؤمنٍ عليمٍ بدين الإسلام وبما حدث فيه.

الشيخ صالح: لمّا ذكر الشيخ-رحمه الله- طرفاً من مخالفة اليهود والنصارى -وهم أهل الكتاب-؛ انتقل إلى بيان مخالفة من ليس عندهم كتاب من الفرس، والروم، فإنّ المسلمين يخالفونهم، ولا يتشبّهون بهم؛ لأنّهم أهل كفر وأهل ضلال، وأهل جاهلية. نعم.

المذيـــــع: قال: فقد دخل في هذه الأمّة من الآثار الرومية -قولاً وعملاً-، ومن الآثار الفارسية -قولاً وعملاً- ما لا خفاء به .

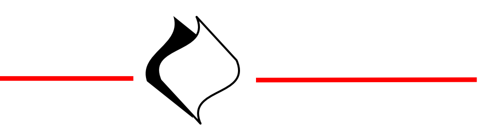
الشيخ صالح: إي نعم, فيجب على أمّة محمدٍ صلى الله عليه وسلم أن تتجنّب ما عليه الفرس وما عليه الروم من الأخلاق والعادات الذميمة والنِحل الباطلة؛ لأنّ الله أغنانا بالإسلام عن كل مذهبٍ وعن كل طائفة وعن كل أمّة. أغنانا بالإسلام,فنحن نستغني بما في هذا الدين من الخير والحقّ والعدل والهدى ونترك ما عليه تلك الأمم؛ لا سيما وأنّ فارس والروم ليسوا أهل كتاب وإنّما يعيشون على الجهل وعلى الضلال. نعم.

87) الغرض من الاستقصاء في مشابهة الكفار، والتفصيل فيمن شابههم الكتاب التقعيد وليس

المذيـــــع: قال رحمه الله: وليس الغرض هنا تفصيل الأمور التي وقعت في الأمّة مما تُضارع طريق المغضوب عليهم أو الضالين؛ وإن كان بعض ذلك قد يقع مغفورًا لصاحبه، إمّا لاجتهاد أخطأ فيه أو لحسنات محَت السيّئات أو غير ذلك.

وإنّما الغرض: أن نبيّن ضرورة العبد وفاقتَه إلى هداية الصراط المستقيم وأن ينفتح بابٌ الى معرفة الانحراف.

الشيخ صالح: نعم. يقول الشّيخ: ليس الغرض من هذا الكتاب هو أن نستقصيَ كل ما عليه أهل الضلال والمغضوب عليهم والضالون



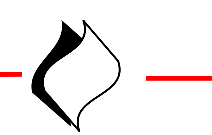
من الانحرافات؛ لا نستقصي هذا، ونستقصي ما وقعت فيه المشابهة لهم من هذه الأمّة، فإنّ هذا شيءٌ كثير.
ولكنّ الغرض من هذا الكتاب هو رسم القاعدة والخطّة التي يسير عليها المؤمن في حياته؛ حتّى يكون على الصراط المستقيم، ويكون مخالفاً لصراط المغضوب عليهم والضالين.
ثمّ نبّه- رحمه الله- إلى أنّ المتشبّه بالمغضوب عليهم، والمتشبّه بالضالين، والمتشبّه بالأميين وأهل الجاهلية وفارس والروم؛ قد يكون مغفوراً له، إمّا لاجتهاده؛ لأنّه لم يتعمد المشابهة، بل ظنّ أنّ هذا شيءٌ مباح وأنه شيء طيب، ولوعلم ما فيه من الشّرّ لتجنّبه؛ فهذا يُغفر له خطؤه؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:"عُفِي لأمتي الخطأ والنسيان وما اُستكرهوا عليه" فإذا فعله وهو لم يتعمّد هذا الشيء وإنّما ظنّه مُباحاً وظنّه جائزاً، ثمّ لمّا تبيّن له أنّه خطأ تركه؛ فإنّ الله يغفر له ما سبق. نعم.

المذيـــع: الحمد لله. قال: أو لحسناتٍ محت السيئات.

الشيخ صالح: **أو يكون عالماً بأنّه خطأ وأنّه لا يجوز. ويكون هذا معصية، يكون تشبّهه بهم مع علمه بتحريم ذلك يكون معصية؛ لكن قد يغفر الله هذه المعصية لما له من الحسنات العظيمة.**
قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفِيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[هود:114]
فالصغائر تُكفّر بأمور؛ منها اجتناب الكبائر.
﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[النساء:31]
ومنها أداء الفرائض فإنّ أداء الفرائض يُكفّر الصغائر؛ كما في هذه الآية الكريمة، وكما في قوله صلى الله عليه وسلم:" الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارةٌ لما بينهنّ إذا اجتُنبت الكبائر".
وكما جاء أنّ الحجّ يُكفّر ما قبله من الذنوب، وأنّ الحاجّ إذا حجّ ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمّه.

88) حاجة العبد إلى هداية الله له

المذيـــع: قال: وإنّما الغرض: أن نبيّن ضرورة العبد وفاقته إلى هداية الصراط المستقيم وأن ينفتح بابٌ إلى معرفة الانحراف.



الشيخ صالح: وإنّما الغرض من هذا الكتاب إنّما هو رسم الخُطّة الصحيحة والمنهج السليم الذي يسير عليها المسلم في حياته وهي لزوم الصراط المستقيم، ولا يمكن هذا إلّا بمعرفة هذا الصراط والتفقّه فيه وتبيّن الحقّ من الباطل؛ فإنّ الإنسان إذا كان يجهل فإنّه يقع في الأشياء وقد لا يدري عنها. نعم.

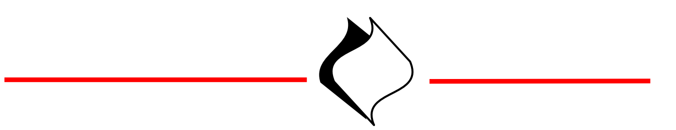
89) صفة الصراط المستقيم

المذيـــــــع: قال: ثمّ إنّ الصراط المستقيم هو: أمورٌ باطنةٌ في القلب: من اعتقاداتٍ، وإراداتٍ، وغير ذلك، وأمورٌ ظاهرة: من أقوالٍ وأفعال.

الشيخ صالح: نعم، الصراط المستقيم: هو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الدين وهذا الدين يكون: أعمالا ظاهرة، وأعمالاً باطنة. الأعمال الباطنة: ما يكون في القلوب من الاعتقاد الصحيح والإيمان الصادق والخوف من الله والخشية من الله, ومحبة الله سبحانه وتعالى؛ هذه من أعمال القلوب. أو يكون ظاهراً على اللسان؛ وذلك بالكلام الطّيب والذكر وتلاوة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والكلام الطيب مع الناس. أو يكون بالجوارح؛ كالصلاة والصيام والجهاد في سبيل الله. أو يكون بالاموال؛ كالزكاة والصدقات التّطوعيّة والتّبرعات الخيرية؛ فإنّ هذا الدين شامل -ولله الحمد- لكل الخير: من واجبٍ ومستحبٌ، من عملٍ ظاهرٍ وباطن.

المذيـــــــع: قال: وأمورٌ ظاهرة: من أقوالٍ وأفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة, والركوب وغير ذلك.

الشيخ صالح: والغرض من بيان الصراط المستقيم هو ما كان في أمر العبادات؛ أمّا ما كان من أمر العادات فهذا من المباحات, هذا من الأمور المباحة -لا يُثاب عليه ولا يُعاقب عليه-، المباح: هو ما يتساوى طرفاه؛ فلا يُثاب فاعله ولا يُعاقب تاركه، وهذا مثل: المشي والنوم والركوب ولبس الثياب وأكل الطعام والشراب؛



بشرط أن تكون هذه الأمور داخل حدود المُباحـات، وألا يكـون فيهـا إسرافٌ وتبذير.

المذيـــــــع: إذاً حينما نسمع المحافظة على عاداتنـا وتقاليـدنا؛ هذا لزوم ما لا يلزم.

الشـيخ صـالح: لا، هـذه عبـارة سـيئة؛ لأنّهم يريـدون بالعـادات والتقاليد أمور الدين، يسمّونها عادات وتقاليد وهذا خطأ؛ فلا يجــوز التعبير بهذا.

فالعـادات والتقاليـد في الأمـور المباحـة, أمّـا هم لا يريـدون هـذا، يريدون أمور الدين، يعبّرون عنها بالعادات والتقاليد.

المذيـــــــع: ونخضـع لعـادات وتقاليـد ولمـاذا تحكمنـا عـادات وتقاليد؟

الشـيخ صـالح: وهـذا لا يجـوز، التعبـير عن الشـريعة وأحكـام الشريعة بأنّها عادات وتقاليد؛ هذا من الخطأ الواضح.

90) تلازم الظاهر والباطن

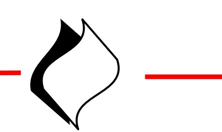
المذيـــــــع: قال: وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهمـا ارتبـاطٌ ومناسبة؛ فإنّ ما يقوم بـالقلب من الشـعور والحـال يُـوجب أمـوراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يـوجب للقلب شـعوراً وأحوالا.

الشيخ صالح: نعم، أعمال القلب وأعمال الجوارح مترابطة؛ فمـا يكــون في القلب من النّيّــات والمقاصــد والهمــوم؛ يظهــر على الجوارح, الجوارح تتحرّك بمـا في القلب, ومـا يـدور في القلب من الأفكـار،والعكس كـذلك، القلب يتـأثّر بمـا يكـون على الجـوارح من الحركات والذهاب والمجيء والأخذ والإعطاء.

فـالقلب يتـأثّر بأعمـال الجـوارح والجـوارح تتـأثّر بأعمـال القلب؛ فبينهما تلازم وبينهما ارتباطٌ وثيق.

91) فساد قول القائل (الدين في القلب)

لمّا كـانت أعمـال القلـوب مرتبطـة مـع أعمـال الجـوارح، والعكس: أعمال الجوارح مرتبطة مع أعمـال القلـوب؛ ففي هـذا ردٌّ على من يعملون المعاصي والسـيئات وإذا نُصـحوا قـالوا: الـدين في القلب، يعـني: أمـا أعمـال الجـوارح فلا تـدلّ على شــيء؛ لأنّ الـدين في القلب، وربّما يستدلّون بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "التقوى



ها هنا" وأشار إلى صدره صلى الله عليه وسلم. فلا شك أنّ القلب هو الأصل وهو المدار. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:" إنّ في الجسد مُضغة إذا صُلحت صُلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله" لكن نقول: الأعمال السيئة بالجوارح، والأعمال الظاهرة تدل على فساد القلب؛ لأنّها صادرةٌ عن إرادته؛ صادرة عن إرادة القلب فالإنسان لا يتحرك إلّا بإرادة قلبه, وبقصده في قلبه. فأعمال الجوارح مرتبطة بالقلب: إن كانت طيبة فارتباطها بأعمال القلب الطيبة. وإن كانت سيئة فارتباطها بأعمال القلب السيئة.

المذيع: لنا أن نقول- يا شيخ- أيضاً كما أنّ الإيمان يكون في القلوب وكذلك النفاق.

كما في قوله تعالى:﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾[التوبة:77]

الشيخ صالح: ما في شك؛ النفاق يكون في القلب ويكون في الأعمال أيضاً.

لقول النبي صلى الله عليه وسلم:"أية المنافق ثلاث إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أُؤتمن خان وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر" وهذه أعمالٌ ظاهرة، لكن مصدرها من القلب، لأنّه ليس فيه إيمان، أو فيه إيمانٌ ضعيف. إذا كان النفاق عملياً فيكون مع الإيمان الضعيف، وإذا كان النفاق اعتقادياً فلا يكون معه إيمانٌ أصلاً.

92) كمال ما جاء به الرسول يتطلب دفع ما سواه من الشرائع

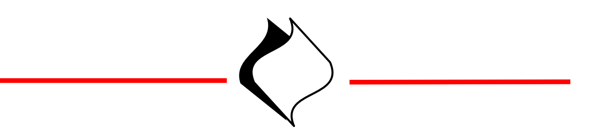
المذيع: قال رحمه الله: وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحكمة التي هي سُنّته، وهي الشِّرعة والمنهاج الذي شرعه له.

فكان من هذه الحكمة: أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يُباين سبيل المغضوب عليهم والضالين.

الشيخ صالح: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[الجمعة:2]

وقال جلّ وعلا لنبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم:

﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[النساء:113]



فالكتاب: هو القرآن، والحكمة: هي سُنّة الرسول صلى الله عليه وسلم من أعمالٍ وأقوالٍ وتقريرات؛ هذه هي الحكمة.
النبي صلى الله عليه وسلم كما أنّه أُوتي القرآن أُوتي السّنّة فهي وحي من الله عزّ وجلّ, وهي الوحي الثّاني بعد القرآن الكريم.
قال الله جلّ وعلا في حقه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[النجم:3]
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم:4]
وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:7]
فالحكمة هي السّنّة التي جاء بها صلى الله عليه وسلم؛ من أقوالٍ، وأفعالٍ، وتقريرات.

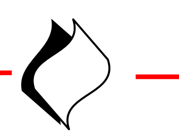
93) وجوب مخالفة الكفار وإن لم تعلم الفائدة في ذلك

المذيـــــع: قال: فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر- وإن لم يظهر لكثيرٍ من الخلق في ذلك مفسدة.

الشيخ صالح: النبي صلى الله عليه وسلم من الحكمة التي جاء بها: أنّه نهى عن التّشبّه بالكفار في هديهم الظاهر. قال صلى الله عليه وسلم:" من تَشبّه بقومٍ فهو منهم"و قال:" لا تشبّهوا باليهود ولا بالنصارى"، وهذا لا شك أنّ له حكمة عظيمة؛ فإنّ مخالفتهم في الظّاهر تدلّ على مخالفتهم في الباطن، والعكس كذلك مشابهتهم في الظّاهر تدلّ على محبتهم في الباطن -كما يأتي في كلام الشيخ-. فالتّشبّه له ارتباط وثيق بما في القلب من محبتهم أو من تعظيمهم، فهو لم يتشبّه بهم إلّا لأنّه يرى فيهم الكمال ويرى فيهم القدوة الحسنة له. فالتشبّه ليس هو أمراً عادياً، أو أمراً عابراً؛ وإنّما له مدلوله الذي بعث عليه، وهو تعظيم الكفار، والرأي أنّهم أهل كمال... ولذلك يتشبّهون بهم لأجل هذه الأمور.

المذيـــــع: قال: فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر -وإن لم يظهر لكثيرٍ من الخلق في ذلك مفسدة.-

الشيخ صالح: إي نعم، المدار على نهي الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنّه لا ينطق عن الهوى، وإن لم يظهر لنا الحكمة في ذلك والعلة في ذلك؛ فإنّه لا ينهى إلّا عن شيءٍ فيه محذور ولو لم يظهر لنا، أو قد يخفى علينا في وقتٍ ويظهر في وقتٍ آخر.



فالواجب علينا الامتثال؛ فالمدار على الأمـر والنهي، وإن لم يظهـر لنا الحكمة في ذلك.

94) التشبه يورث المشابهة

المذيـــــــع: قال: لأمورٍ منها: أنّ المشاركة في الهدي الظـاهر تورث تناسباً وتشـاكلاً بين المتشـابهين يقـود إلى موافقـةٍ مـا: في الأخلاق، والأعمال؛ وهذا أمرٌ محسوس.

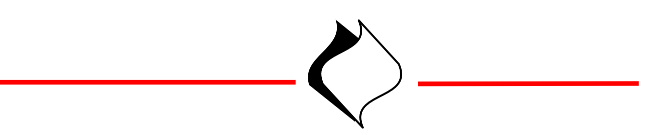
الشيخ صـالح: هـذه هي الحكمـة في النهي عن التّشـبّه بـاليهود والنّصارى وأضرابهم من الكفرة؛ أنّ التّشبّه بهم في الهدي الظاهر يـــدلّ على شــعورٍ في البــاطن نحــوهم: بـــالتعظيم، والاحـــترام، والتوقير؛ لأنّه لو لم يعظّمهم، ولم يـر أنّهم أهـل كمـال؛ لمـا تشـبّه بهم.

المذيـــــــع: قال: فـإنّ اللابس ثيـاب أهـل العلم يجـد من نفسـه نـوع انضـمامٍ إليهم، واللابس لثيـاب الجنـد المقاتلـة- مثلاً- يجـد من نفسـه نـوع تخلـقٍ بـأخلاقهم، ويصـير طبعـه متقاضـياً لـذلك؛ إلّا أن يمنعه مانع.

الشيخ صالح: نعم، التّشـبّه باللبـاس أيضـاً فيـه سـرّ أنّـه يتشـبّه بصاحب ذلك اللباس: فمَن لبس لباس العلماء صار في نفسه شعور نحو العلماء والانتماء اليهم, ومَن لبس لباس الجنود صار في نفسه شعور نحو الجندية والعسكرية وما كانوا عليه من العادات والتقاليـد التي يمشون عليها؛ هذا في اللباس -وهـذا مثـال- التشـبّه باللبـاس هذا مثال لسائر أنواع التّشبّه، فما من أحـدٍ يتشـبّه بأحـدٍ في شـيءٍ من لباسه أو من كلامه أو من مشـيته أو غـير ذلـك، إلّا وهـو يحمـل في قلبه له شعوراً خاصاً من أجله تشبّه به، لولا أنّه يميـل إليـه لمـا تشبّه به, و لو كان يبغضه وينفر منه لما تشبّه به.

المذيـــــــع: ويمكن أن يكـون أيضـاً المتشـبّه بدرجـة من التّبعيـة والانصهار والانحطاط.

الشـيخ صـالح: هـذا من ثمـرات التشـبه: أنّ الإنسـان إذا تشـبّه بطائفة من الناس أو بأشخاصٍ من الناس؛ فإنّ شخصيته تـذوب في شخصـية المُتشَـبَّه بـه، والمسـلم يجب أن يكـون عنـده اسـتقلال بشخصيته وعزة بدينه، ولا يخضع للمخالفين في الدين يتشبّه بهم.



95) المخالفة في الظاهر لأهل الشر توجب الانقطاع عن أسباب الشر واللّحوق بأهل الخير

المذيـــــــع: قال: ومنها أنّ المخالفة في الهـدي الظّـاهر تـوجب مباينـةً ومفارقـةً تـوجب الانقطـاع عن موجبـات الغضـب وأسـباب الضّلال، والانعطاف على أهل الهدى والرضـوان، وتُحقـق مـا قطـع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

الشـيخ صـالح: نعم، التشـبّه بـالمُنعَم عليهم-أهـل الصـراط المسـتقيم- يـورث محبـةً لهم، ويـورث انضـماماً إليهم وبحثـاً عن صفاتهم. والتّشبّه بالمغضوب عليهم -وهم اليهود-، والضّـالّين -وهم النصـارى- على العكس، يُحـدث في نفس المتشـبّه ميـولاً إلى المغضـوب عليهم, وإلى الضّـالين, وأن يقتبس من أخلاقهم ومن عـاداتهم الفاسـدة وتقاليـدهم الفاسـدة، بحسـب مـا يعلـق بـه من التّشبّه بهم؛ فالتّشبّه لا شك أنّه يجـرّ إلى المتشـبّه بـه -سـواءً كـان طيباً أو سيئاً-، نعم.

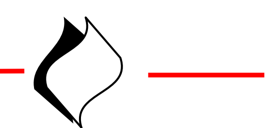
المذيـــــــع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني عشر

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمـد للـه رب العـالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ومرحبا بكم إلى لقاء جديد في برنامج اقتضاء الصـراط المسـتقيم مخالفـة أصـحاب الجحيم، لشـيخ الإسـلام أحمـد بن عبـد الحليم ابن تيميـة ـ رحمه الله ـ يشرحه ويعلق عليـه فضـيلة الشـيخ الـدكتور: صـالح بن فـوزان الفـوزان، عضـو هيئـة كبـار العلمـاء وعضـو اللجنـة الدائمـة للإفتاء.



في مطلع هذا اللقاء نرحب بضيفنا الكريم حياكم الله شيخ صالح وبياكم.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

96) التشبه بأهل الخير يقود إلى موافقتهم والعكس بالعكس

المذيـــــــع: وقفنا مع المؤلف ـ رحمه الله ـ في حلقتنا السالفة عند قوله: "إن المشاركة في الهدي الظاهر تُورث تناسبًا وتشاكلًا بين المتشابهين يقود إلى موافقةٍ ما، ومن النهي من حِكَمِه أن المخالفة في الهدي الظاهر، المخالفة تُوجِب مباينةً ومفارقة تحقق ما أمر الله به من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

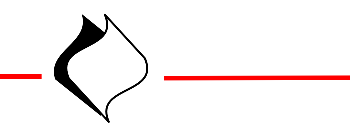
الشيخ صالح: : بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، بهذه الكلمات الطيبة يبيِّن الشيخ ـ رحمه الله ـ ما يورثه التشبه من ارتباطٍ بالمتشبَّه به، فإن كان المتشبَّه به من أهل الخير؛ فإن هذا يورث انقيادًا إلى فعل الخير ومحبةً للخير وكما قال الشاعر:

فتشبَّهوا بهم إن لم تكونوا مثلهم فتشبهٌ بالصالحين فلاح

وكذلك العكس، التشبه بأهل الشر يقود إلى صفاتهم وأخلاقهم وعاداتهم السيئة؛ لأن التشبُّه في الهدي الظاهر يدل على الميول إليهم في الهدي الباطن وفي القلوب.

فهذه كلماتٌ طيبة تبين الحكمة أو العلة في النهي عن التشبه بالمغضوب عليهم والضالين، والحث على التشبه بالمنعَم عليهم أهل الصراط المستقيم.

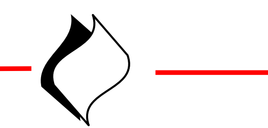
97) كلما كان العبد بالدين أعلم كان أشد تمسكًا به ومخالفة لغيره



المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قـال ــ رحمـه اللـه ــ وكلمـا كـان القلب أتم حياة، وأعرف بالإسلام الذي هـو الإسـلام ــ لسـت أعـني مجـرد التوسُّـم بـه ظـاهرًا أو باطنًـا بمجـرد الاعتقـادات من حيث الجملة؛ كلما كان كذلك كان إحساسه بمفارقـة اليهـود والنصـارى - باطنًـــا وظــــاهرًا- أتم، وبُعــــده عن أخلاقهم الموجــــودة في بعض المسلمين أشد.

الشيخ صـالـح: نعم، كلمـا كـان الـدين متمكنًـا من قلب المـؤمن وأعماله وأقواله؛ فإنه بذلك يبتعد عن هدي المخـالفين لهـذا الـدين من اليهود والنصارى وغيرهم، وإنما ينشأ التشبه بالكفار من ضعف الـدين وضـعف الإدراك، والشـيخ ــ رحمـه اللـه ــ يقـول: إنـه يعـني بالإسلام الإسلام الصحيح، القـائم على الكتـاب والسـنة في القـول والعمل والاعتقاد، فإن هذا هـو الـذي يـدعو إلى التباعـد عن أخلاق الكفـار والمنـافقين وأصـحاب الجحيم وأهـل الضـلال؛ لأن صـاحبه يكون على بصيرة يعرف الحق والباطل، فيأخذ الحق ويترك الباطل، وأما من يتسمى بالإسلام، ولم يحقـق هـذه النسـبة في عقيدتـه أو في أخلاقه وسلوكه؛ فإنه يرى أن التشبه بهؤلاء من الكمال، ويــرى أنه هو الأحسن؛ لأنه يرى ما بأيـديهم من زهـرة الـدنيا؛ فيظن أنهم إنما حصلوا على هذا بسبب مذهبهم وما هم عليه، وينسى أن الله ـ جل وعلا ـ يملي لهم، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون، وأنـه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، وأنه لو كـانت الـدنيا تسـاوي عنـده جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء، فهو يغتر بهـذا لضـعف إيمانه، وهذا إسلامه ضعيف، أو ليس عنده إلا اسـم الإسـلام، وليس عنده حقيقة.

فهذا يدل على أن التشبه بالكفار إنما مبعثه من ضـعف الإيمـان أو من فَقْد الاِيمان والاكتفاء بمجرد التسمي، أمـا من كـان مؤمنًـا حقًّا ومسلمًا حقًا؛ فإنه يكون بعيدًا عن هـؤلاء؛ لأنهم أهـل ضـلال وأهـل كفر، والله ـ جل وعلا ـ أمرنـا بالبعـد عنهم وعن أخلاقهم والاعـتزاز بـدينا، (ولله العـزة ولرسـوله وللمؤمـنين) [المنـافقون: 8]، (وأنتم الأعلـون إن كنتم مؤمـنين) [آل عمـران:139]، الإسـلام يعلـو ولا يُعلى عليه، نعم.



98) من مفاسد التشبه اختلاط أهل الحق بأهل الباطل

المذيـــــــع: أحسـن اللـه إليكم، قـال: فيمـا يظهـر من مفاسـد المشابهة منها: أن مشاركتهم في الهـدي الظـاهر تـوجب الاختلاط الظاهر؛ حتى يرتفع التمـيز ظـاهرًا بين المهـديين المرضـيين وبين المغضوب عليهم والضالين.

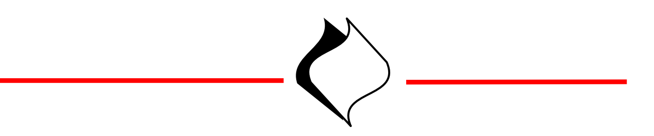
الشيخ صالح: نعم، هذا من مفاسد التشبه: أن المتشـبِّه بهم أنـه تـذوب شخصـيته فيهم، وأيضًـا لا يبتعـد عنهم وإنمـا يختلـط بهم؛ فـيزول التمـايز بين المسـلم والكـافر، واللـه ــ جـل وعلا ــ أمـر المسلمين بأن يعتزوا بإسلامهم وبأمتهم، ويكون لهم الظهور، قال ــ تعـالى ـ (وأنتم الأعلـون إن كنتم مؤمـنين) [آل عمـران: 139]،قـال ـ تعالى ـ (ولله العزة ولرسـوله وللمؤمـنين) [المنـافقون: 8]، (أيبتغـون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا) [النساء: 139]، قال ـ تعـالى ـ (من كان يريد العزة فلله العزة جميعًـا إليـه يصـعد الكلم الطيب والعمـل الصالح يرفعه) [فاطر: 10].

المذيـــــــع: نعم، أحسن الله اليكم، قال ـ رحمه الله ـ هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظـاهر إلا مباحًـا محضًـا لـو تجـرد عن مشـابهتهم، فأمـا إن كـان من موجبـات كفـرهم؛ كـان شـعبةً من شـعب الكفـر، فموافقته فيه موافقةٌ في نوعٍ من أنواع معاصيهم.

الشيخ صالح: نعم، يقول ـ رحمه الله ـ هذا لو كـان مـا تشـبه بـه الإنسان للكفار هـو من الأمـور المباحـة، فإنـه ينبغي تركـه؛ ابتعـادًا عنهم، وأما إذا كان التشبه بهم فيما هـو من أمـور دينهم، والتشـبه بهم في شيءٍ من بدعهم وضلالهم؛ فهذا محرمٌ لا شـك فيـه. وهـذا هو أعظم أنواع التشبه المحرم، نعم.

المذيـــــــع: قال: فهذا أصلٌ ينبغي أن يُتَفَطن له.

الشـيخ صـالح: إي نعم، الأصـل هـذا الـذي نبَّه عليـه الشـيخ من الحكمة في تحريم التشبه بالكفار أصـلٌ يجب التنبـه لـه، وأنـه ليس



مجرد نهي عن التشبه بهم؛ وإنما له سر، وله معنىً يجب معرفته؛ حتى إن الإنسان يقتنع بذلك اقتناعًا تامًّا ويصل إلى اليقين، نعم.

99) لا يوجد في الشرع أمر بالتشبه بقوم أو نهي عن بقوم إلى لمصلحة

المذيع: أحسن الله إليكم، قال ـ رحمه الله ـ فصل: لما كان الكلام في المسألة الخاصة قد يكون مندرجًا في قاعدة عامة؛ بدأنا بذكر بعض ما دل من الكتاب والسنة والإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم في الجملة.

الشيخ صالح: علمنا فيما سبق أن الله حرم التشبه بالكفار، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حرمه، قال الله ـ جل وعلا ــ: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) [آل عمران: 105]، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ــ نهى عن التشبه بالكفار، فهذه قاعدة عامة، النهي عن التشبه بوجهٍ عام، لكن الشيخ الآن ـ رحمه الله ــ يريد أن يذكر التفصيل في هذا بعد الإجمال، يذكر التفصيل في هذا الأمر؛ لأنه الحقيقة أمرٌ جديرٌ بالعناية والاهتمام؛ لأن كثيرًا من المسلمين مع تطاول الزمن ذابت شخصيتهم مع الكفار، وقلدوهم وتشبهوا بهم، واعتبروا أن هذا من الرقي والتقدم والحضارة، وكأن الإسلام ما جاء برقيٍ ولا جاء بتقدم ولا جاء بحضارة، وإنما تُطلب من هؤلاء، نعم.

المذيع: قال: بدأنا بذكر بعض ما دل من الكتاب والسنة والإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم. سواءٌ أكان ذلك عامًا في جميع أنواع المخالفات، أو خاصًا ببعضها، وسواءٌ أكان أمر إيجاب أو أمر استحباب، ثم أتبعنا بما يدل على النهي عن مشابهتهم في أعيادهم خصوصًا.

الشيخ صالح: نعم، هذا وصفٌ لما يأتي من كلامه ــ رحمه الله ـ ومن تفصيل في منع التشبه بالكفار، وأن التشبه بالكفار منه ما هو محرم، ومنه ما هو مكروه، نعم.

المذيـــــــع: قال: وهنا نكتة، قد نبهت عليها في هذا الكتاب، وهي أن الامر بموافقة قومٍ أو بمخالفتهم قد يكون لأن نفس قصد موافقتهم أو نفس موافقتهم مصلحة، وكذلك نفس قصد مخالفتهم أو نفس مخالفتهم مصلحة.

الشيخ صالح: إي نعم، النهي عن التشبه بقومٍ؛ لأن قصد مخالفتهم مصلحة للمخالِف فيه مصلحةٌ له، وموافقتهم فيه مضرةٌ عليه، والأمر بموافقة قومٍ؛ يعني موافقة المؤمنين والصالحين أصله مصلحة ومخالفته مضرة، فالتشبه بأهل الصلاح وأهل التقى وأهل الخير هذا مقصود وهو مصلحة، ومخالفته مضرة.

الكفار على العكس، قصد موافقتهم مضرة، وقصد مخالفتهم مصلحة، نعم.

المذيـــــــع: قال: بمعنى أن ذلك الفعل يتضمن مصلحةً للعبد أو مفسدة.

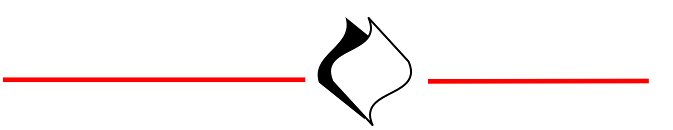
الشيخ صالح: إي نعم، الذي هو التشبه، العمل الذي هو التشبه يتضمن مصلحة له إن كان تشبها في الخير.

المذيـــــــع: بأهل الصراط المستقيم.

الشيخ صالح: إي نعم، ويتضمن مضرة إذا كان تشبهًا بأهل الشر.

المذيـــــــع: نعم، وإن كان ذلك الفعل الذي حصلت به الموافقة أو المخالفة لو تجرد عن الموافقة والمخالفة لم يكن فيه تلك المصلحة أو المفسدة.

الشيخ صالح: نعم، فمجرد الفعل، هو لا ينهى عن مجرد الفعل، وإنما ينهى لما يترتب على الفعل، أو يأمر بما يترتب على الفعل من خيرٍ أو من شر، لا لمجرد الفعل فقط، وإنما لما يترتب عليه من مصلحةٍ أو مفسدة.



المذيـــــــع: نعم، إما في هـذا الفعـل موافقـةً لأهـل الصـراط المستقيم، أو العكس، أو موافقةً لأصحاب الجحيم أو العكس.

الشيخ صالح: ما في شك.

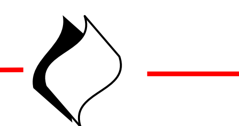
100) مناقع التشبه بالرسول وأصحابه ومفاسد التشبه بغيرهم

المذيـــــــع: قال ـ رحمه الله ـ ولهـذا نحن ننتفـع بنفس متابعتنـا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ــ والسـابقين في أعمـالٍ لـولا أنهم فعلوها لربما قد كان لا يكون لنا مصلحة.

الشـيخ صـالح: نعم، فنحن إذا تشـبهنا بالسـابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وصدر هـذه الأمـة، فهـذا فيـه صـلاح وهـو أمـرٌ مقصـود، قـال ــ تعـالى ــ: (والسـابقون الأولـون من المهـاجرين والأنصار والذين اتبعـوهم بإحسـان رضـي اللـه عنهم ورضـوا عنهم وأعد لهم جناتٍ تجري تحتها الانهـار خالـدين فيهـا أبـدًا رضـي اللـه عنهم ورضوا عنه) [التوبة:100]، التشبه بأهل الخـير والسـلف الصـالح هذا مصلحة؛ لأنه يجر إلى فعل الخير وإلى الصفات الحميـدة، وعلى العكس، التشبه بالمغضوب عليهم والضالين يجر إلى الشر والتخلـق بأخلاقهم وفعل أفعالهم ومبتدعاتهم، نعم.

المذيـــــــع: قـال: لِمَـا يـورث ذلـك ــ يعـني في التشـبه بمتابعـة الرسول صلى الله عليـه وسـلم والسـابقين ــ من محبتهم وائتلاف قلوبنا بقلوبهم، وأن ذلك يـدعونا إلى مـوافقتهم في أمـورٍ أخـرى، إلى غير ذلك.

الشيخ صالح: نعم، هذا تقرير لما سـبق من أنـه ليس النظـر إلى الفعل المتشبَّه به، وإنما النظر إلى ما يترتب على ذلـك الفعـل من صـلاحٍ أو فسـاد؛ هـذا هـو المقصـود، التشـبه بالصـالحين يُكسـبك أخلاقهم وسماتهم والانضباط بما كانوا عليـه، والتشـبه بمخـالفيهم على العكس، نعم.



101) التشبه ببعض عادات أصحاب الكفر والضلال منهي عنه

المذيـــــــع: قال ــ رحمه الله ــ كذلك قد نتضرر بمتابعتنا الكافرين في أعمالٍ لولا أنهم يفعلونها لم نتضرر بفعلها.

الشيخ صالح: إي نعم، فإذا كان هذا العمل من خصائص -لاحظ هذا-، وما هو بالنهي عن مجرد العمل لذاته. وإنما كما سبق لما يترتب عليه، فإذا كان هذا العمل أصله مباح، لكن صار أكثر من يتعامل به ويسير عليه هم الأعداء والمخالفون؛ فنحن نترك هذا العمل؛ تغليبًا لجانب المضرة؛ لأن درء المفاسد مقدمٌ على جلب المصالح، نعم.

المذيـــــــع: قال: وقد يكون الأمر بالموافقة والمخالفة؛ لأن ذلك الفعل الذي يوافَقُ فيه أو يخالَف متضمنٌ للمصلحة أو المفسدة ولو لم يفعلوه.

الشيخ صالح: إي نعم، وقد يكون أصل العمل غير مناسب حتى ولو لم يفعلوه، فكيف إذا فعلوه؟ فيكون فيه محذورات: المحذور الأول، أنه غير مناسب ولا يصلح هذا العمل.

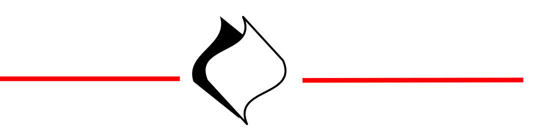
والأمر الثاني، أنه من صفاتهم وأفعالهم، ففيه تشبه بهم. ففيه مضرتان، نعم.

المذيـــــــع: يعني إما أن يكون التشبه في أمرٍ مباح لكنه نهي عنه؛ لأنهم فعلوه.

الشيخ صالح: لأنهم غلبوا عليه وصار من سماتهم وعاداتهم.

المذيـــــــع: أو يكون النهي لأن الأمر في أصله مفسدة ثم أيضًا غلبوا عليه.

الشيخ صالح: إي نعم، فيكون فيه مضرتان. الأول فيه مضرة واحدة.



المذيــــــع: بذاته.

الشيخ صالح: إي نعم، والثاني فيه مضرتان.

102) قياس العِلَّة وقياس الدلالة (الأولى)

المذيــــــع: قال ــ رحمه الله ــ لكن عبر عن ذلك بالموافقة والمخالفة على سبيل الدلالة والتعريف، فتكون موافقتهم دليلًا على المفسدة، ومخالفتهم دليلًا على المصلحة.

الشيخ صالح: إي نعم، مخالفتهم دليل على المصلحة؛ لأن في مخالفتهم بعدًا عنهم وعن صفاتهم، وموافقتهم دليل على المفسدة لما فيه من سريان عاداتهم وأخلاقهم إلى المسلم عن طريق المشابهة.

المذيــــــع: واعتبار الموافقة والمخالفة على هذا التقدير من باب قياس الدلالة.

الشيخ صالح: نعم.

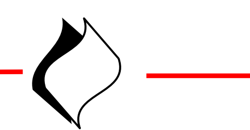
المذيــــــع: الاستدلال بأحد النظيرين على الآخر.

الشيخ صالح: نعم.

المذيــــــع: وعلى الأول من باب قياس العلة.

الشيخ صالح: نعم، القياس ينقسم إلى: قياس علة: وهو المعروف عند الأصوليين، إلحاق فرعٍ بأصلٍ في الحكم بجامعٍ بينهما، هذا يسمونه قياس العلة، وهو من أصول الفقه ومن أصول الأدلة عند الجمهور. وقياس دلالة: وهو قياس الأولى، وذلك كما في قوله ـ تعالى ـ (فلا تقل لهما أف) [الإسراء: 23]،ـ فلما نهى عن قول أف دل بدلالة من باب أولى على منع ضربهم، ضرب الوالد؛ إذا كنت لا تقول له: (أف)، فضربه من باب أولى، هذا يسمى قياس الدلالة وقياس الأولى، نعم.

103) قد يجتمع في التشبه فساد الفعل وفساد التشبه



المذيـــــــــع: قال ـ رحمه الله ـ وقد يجتمع الأمران، أعني الحكمة الناشـئة من نفس الفعـل الـذي وافقنـا فيـه أو خالفنـا ومن نفس مشاركتهم فيه.

الشيخ صـالح: إي نعم، قـد يكـون -كمـا سـبق- أن الفعـل الـذي تشبهنا بهم فيـه يكـون لا خـير فيـه -في حـد ذاتـه-، ويجمـع لنـا إذا تشبهنا بهم فيه يجمع لنا مضرتين: مضرة أن هذا الفعل لا خير فيـه بذاته، ومضرة التشبه بالكفار، نعم.

المذيـــــــــع: وهذا هو الغالب على الموافقـة والمخالفـة المـأمور بهما والمنهي عنهما.

الشيخ صالح: إي نعم.

المذيـــــــــع: فلا بد من التفطن لهذا المعنى؛ فإن به يُعرف معنى نهي الله لنا عن اتباعهم وموافقتهم مطلقًا ومقيدًا.

الشـيخ صـالح: إي نعم، إذا عـرفت هـذه القاعـدة الـتي ذكرهـا الشـيخ، وهي أن الفعـل قـد يكـون في أصـله مباحًـا لكن لمـا غلب تخلُّقهم به واستعمالهم له؛ نُهينـا عن التشـبه بهم فيـه لئلا تسـري إلينـا عـاداتهم وأخلاقهم الفاسـدة، أو يكـون هـذا الفعـل من أصـله منهيًّا عنــه، وهــو مفســدة في حــد ذاتــه وهم يفعلونــه، فنحن إذا تشبهنا بهم جمعنا بين المضرتين: مضرة فعل مـا لا يجـوز، ومضـرة التشبه، نعم.

104) تفسير السنة للقرآن

المذيـــــــــع: واعلم أن دلالــة الكتــاب على خصــوص الأعمــال وتفاصيلها إنما يقع بطريق الإجمـال والعمـوم أو الاسـتلزام، وإنمـا السنة هي التي تفسر الكتاب وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه.

الشيخ صالح: الكتاب هو القرآن، وقد جاءت فيـه أوامـر وجـاءت فيه نـواهٍ، وجـاءت فيـه أحكـام، لكن قـد تكـون هـذه الأوامـر وهـذه النواهي وهذه الأحكام مُجملة، أو تكون مطلقـة، فالسـنة هي الـتي

تبين القرآن؛ تبين مجمله، وتقيد مطلقه، وتوضح مشكله، فالسنة مبينة ومفسرة للقرآن؛ لأن الله وَكَلَ البيان بيان هذا القرآن إلى رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) [النحل: 44]، هذه هي القاعدة، لكن ما نحن فيه الآن، وهو مسألة التشبه.

الله نهانا عن التشبه بالكفار، نهانا عن التشبه بأهل الكتاب (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) [آل عمران: 105].

(كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوةً وأكثر أموالًا وأولادًا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا) [التوبة: 69].

هذا التشبه، تشبه بهم في هذه الأمور: إما في أمور العقيدة، وإما في أمور العمل والشهوات؛ فهذه مجملات في القرآن، السنة جاءت مفصلة لهذا التشبه الممنوع؛ فنهى مثلًا: عن حلق اللحى، وإرسال الشوارب، هذا من التفصيل الذي جاء في القرآن والنهي عن التشبه بهم عمومًا، نعم.

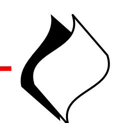
السنة بينت هذا؛ التشبه بهم في اللباس، في الإسبال، التشبه بهم في العري والتعري، واللبس غير المحتشم وسفور النساء، هذه كلها من مفردات التشبه الذي جاء في القرآن مجملًا، نعم.

المذيـــــــع: وفي السنة مُفصّل.

الشيخ صالح: وفي السنة مُفصّل.

المذيـــــــع: قال رحمه الله لذلك فنحن نذكر من آيات الكتاب ما يدل على أصل هذه القاعدة في الجملة، ثم نتبع ذلك بالأحاديث المفسرة في أثناء الآيات وبعدها.

الشيخ صالح: هذا شيءٌ طيب من الشيخ ـ رحمه الله ـ لما ذكر أن القرآن تأتي فيه الأوامر والنواهي وقد تأتي فيه مجملة، وتأتي السنة مفصلة لتلك الأوامر والنواهي؛ قال: أنا أذكر لك الآيات التي من هذا النوع والأحاديث المفسرة لها، نعم.



المذيـــــع: قال ـ رحمه الله ـ قال الله ـ سبحانه ـ (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين. وآتيناهم بيناتٍ من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. ثم جعلناك على شريعةٍ من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون. إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين)[الجاثية: 16ـ19].

الشيخ صالح: نعم، هذا مثال من القرآن أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذكر أنه آتى بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة، ورزقهم من الطيبات وفضلهم على العالمين، يعني عالم زمانهم؛ وإلا فهذه الأمة هي أفضل العالمين، كما قال ــ تعالى ــ: (كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس) [آل عمران: 110]، لكن هذا بعد بعثة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أما قبل ذلك؛ فكان بنو إسرائيل هم خير العالمين؛ لما كانوا متمسكين بدينهم وبالتوراة التي نزلت على موسى، فهم خير العالمين؛ لأنهم أهل كتاب، وغيرهم أهل وثنية وأمية، فالله فضلهم على العالمين بالعلم الذي أعطاهم إياه، لكن لم يعملوا بهذا العلم، اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم، الذي حملهم على هذا الاختلاف هو البغي وحب الظهور والعصبية، هذا الذي حملهم على الاختلاف، ليس الذي حملهم على الاختلاف هو البحث عن الحق والاجتهاد في الأدلة، الذي هو الاجتهاد الفقهي -فهذا أمرٌ محمود-، لكن الذي حملهم على هذا هو البغي والإعجاب؛ كلٌ معجبٌ بما هو عليه (كل حزبٍ بما لديهم فرحون) [المؤمنون:53]، هذا الذي حملهم، نهانا الله عن ذلك، فقال لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ثم جعلناك على شريعةٍ) شريعة الإسلام (من الأمر فاتبعها) [الجاثية: 18] اتبعها، اتبع هذه الشريعة، ثم قال: (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) [الجاثية: 18] هذا نهيٌ عن التشبه بهم، وقال: "أهواء"؛ لأن اختلافهم هذا اختلاف هوى، وليس اختلاف بحثٍ عن الحق، وإنما هو اختلاف هوى (ولا تتبع أهواءهم)، فلا تتبع أهواء الذين لا يعلمون؛ لأنهم ليسوا على علم بهذا، فتركوا العلم، تركوا الكتاب الذي أعطاهم الله، واتبعوا أهواءهم.

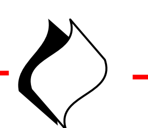
فأنت أيها النبي منهيٌ عن التشبه بهم في هذا الأمـر، ويجب عليـك أن تُمْسِك الكتاب الذي أنزل إليك ولا تتركـه كمـا تـرك أهـل الكتـاب كتابهم واتبعوا أهواءهم، نعم.

المذيــــــع: (إنهم لن يغنـوا عنـك من اللـه شـيئًا وإن الظـالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) [الجاثية: 19]

الشيخ صالح: نعم، إذا اتبعتهم فإنهم يوم القيامة لن يغنـوا عنـك من الله شيئًا، لن يدفعوا عنك عذاب اللـه لـو أنـك سـلكت سـبيلهم، وهكـذا أهـل الضـلال يتـبرأ بعضـهم من بعض يـوم القيامـة (الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين) [الزخــرف: 67] تبرأ بعضــهم من بعض (لن يغنوا عنـك من اللـه شـيئًا وإن الظـالمين بعضـهم أوليـاء بعض) يعني: ولا يجوز للمسلمين أن يتولوهم، وإنما بعضـهم أوليـاء بعض كمـا قـال ــ تعـالى ـ (يـا أيهـا الـذين آمنـوا لا تتخـذوا اليهـود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتـولهم منكم فإنـه منهم إن الله لا يهدي القوم الظـالمين) [المائـدة: 51]، فـالمؤمنون بعضـهم أولياء بعض، والظالمون بعضهم أولياء بعض، ولا يجوز للمؤمنين أن يتولوهم، نعم.

المذيــــــع: أحسن الله إليكم، وجزاكم خيرًا شيخنا.

وصلّى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الثالث عشر

المذيـــــــع: الحمـد للـه رب العـالمين وصـلى اللهم وسـلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمـة اللـه وبركاتـه، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنـامج اقتضـاء مسـتقيم مخالفـة اصحاب الجحيم لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية -رحمـه الله- يشرحه فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفـوزان عضـو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للافتاء.

في مطلع هذا اللقاء نرحب بفضيلة الشيخ حياكم الله شيخ صالح

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

105) الأمر بالتمسك بالوحي وترك الأهواء

المذيـــــــع: في وجـهٍ من وجـوه موافقـة أصـحاب الصـراط غـير المستقيم ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله- قـول اللـه تعـالى عن أهـل الكتاب: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَـاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية:16]

﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْـدِ مَـا جَـاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًـا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِـي بَيْنَهُمْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ فِيمَـا كَـانُوا فِيـهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية:17]

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَـا وَلا تَتَّبِـعْ أَهْـوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:18]

﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُـوا عَنـكَ مِنَ اللَّهِ شَـيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:19]

ثم قال- رحمه الله- أخبر سبحانه أنه أنعم على بـني إسـرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغياً من بعضـهم على بعض، ثم جعل محمداً -صلى الله عليه وسـلم- على شـريعة شـرعها

له، وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل فيهم كل من خالف شريعته.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد، فمن صفات المغضوب عليهم؛ وهم اليهود، من صفاتهم: الاختلاف فيما بينهم، لا عن جهلٍ وإنما عن هوى، فإن الله آتاهم خيري الدنيا والآخرة وأنعم عليهم، وخصهم بين العالمين بما آتاهم من التوراة، وبعث إليهم نبيَّه ورسوله وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام، وأعطاهم العلم، ولكنهم تركوا العلم وأخذوا بالأهواء والتفرق.

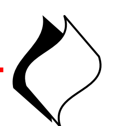
فالله -جل وعلا- لما بين هذا نهى نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم - وأمته أن يسلكوا مسلك بني إسرائيل، فيترك العلم الذي أعطاهم الله إياه في القرآن والسنة ويتفرقوا تبعًا لأهوائهم، ورغباتهم.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:18]

﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الجاثية:19]

فهم استبدلوا العلم بالجهل؛ لا يعلمون، فكأنهم لا يعلمون ولم يصل إليهم علم. لأنهم اعرضوا عن كتاب الله -عز وجل - وعما جاء به نبيهم موسى -عليه الصلاة والسلام-، والذي حملهم على هذا بغي بعضهم على بعض، وتعدِّي بعضهم على بعض، والبغض الذي انتشر بينهم، فكلٌ لا يتبع الآخر. والجميع لا يتبعون شرع الله سبحانه وتعالى، لأنهم لو تبعوا شرع الله لرجعوا في خلافهم إليه وأنهوا خلافهم، ولم يستمروا على الخلاف؛ لأن الله لا يرضى لعباده الخلاف والاختلاف.

وإنما يرضى لهم الجماعة، ويرضى لهم وحدة الكلمة على الحق؛ فالله نهى نبينا محمداً -صلى الله عليه وسلم- أولاً، ثم أمره أن يتمسك بما أعطاه الله من الوحي، ثم نهاه أن يتركه هو وأمته ويذهبوا إلى الآراء والأهواء والرغبات.



ويحملهم الحقـد فيمـا بينهم على أن يكـذب كـل واحـدٍ منهم على الآخر، ويعاديه ويـترك مـا معـه من الحـق، فهـذه بليَّة عظيمـة وهي واقعةٌ الآن في هذه الأمة؛ إلا من رحم الله -سبحانه وتعالى-.

فهم خـالفوا مـا نهى اللـه عنـه، فهم فعلـوا مـا نهـاهم اللـه عنـه، وتفرقوا في دينهم وتركوا كتابـه والسـنة واتبعـوا أهـواءهم، وهـذه مصـيبةٌ عظيمـة، ولكن من عصـمه اللـه ورحمـه، فإنـه وإن حصـل اختلاف، لأن الاختلاف من طبيعـة البشـر، وإن حصـل اختلاف، فـإن أهل الإيمان يرجعون إلى كتاب الله وسنة رسوله.

ثم ينهي ذلـك مـا بينهم من اختلاف، لأن هـدفهم الحـق، وإذا كـان هدفهم هدف الحق وهو موجودٌ في الكتاب والسنة، فإذا ظفروا بـه أخذوا به، وتركوا أهواءهم.

بخلاف اهل الكتاب من اليهود والنصـارى، والـذين تشـبهوا بهم من هذه الأمة؛ فإنهم يتركون الكتاب ويأخذون بالأهواء والرغبـات، ومـا يوافق رغباتهم وشهواتهم.

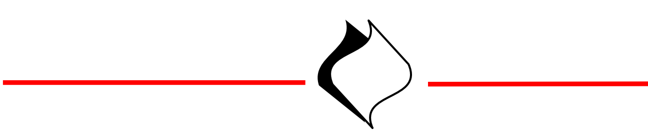
ولـذلك نجـد حـتى من المثقفين من هـذه الأمـة، والـذين يـدعون المعرفـة والفكـر أنهم: إذا وافـق قـول العـالم أهـواءهم أخـذوه ومدحوه وأثنوا عليه.

وإذا خالف أهواءهم ذموه وطعنوا فيه، وقالوا فيـه الأقاويـل، لأنهم يتبعون أهواءهم ولا يريدون الحق، نعم.

المذيـــــع: أثابكم الله. قال -رحمه الله -وقد دخل في الـذين لا يعلمون، كل من خالف شريعتهم، وأهواؤهم هي ما يهوونه..

الشيخ صالح: نعم، دخل في هذا -ليس هذا خاصاً باليهود-، وإنمـا هو عامٌ لكل من سلك سبيلهم، من رفض الحق وأخذ الباطـل الـذي يوافقه هواه.

المذيـــــع: قال وأهواؤهم هى ما يهوونه وما عليـه المشـركون من هديهم الظاهر، الـذي هـو من موجبـات دينهم الباطـل.، وتوابـع ذلك.



الشيخ صالح: إي نعم، الهواء كل ما يهواه الإنسان ويرغبه ويشتهيه من الأمور، ولو كانت هذه الرغبات مخالفة للوحي، فإنهم يتركون الوحي الذي به العصمة وبه النجاة، ويأخذون ما يوافق أهواءهم، ربما يبتكرون الآراء من عندهم، وربما يأخذون آراء غيرهم التي إذا كانت توافق أهواءهم. ويقولون: هذا قول فلان العالم المبجل الحبر البحر الفهَّامة إلى آخره، إذا وافق هواهم، وإذا خالف هواهم قالوا: هذا المعقد هذا الجاهل هذا الجامد إلى آخر ما يقولون؛ وهذا ما نسمعه ونقرأه في صحفنا ومجلاتنا وفي كتب بعض أولئك، الذين ساروا على نهج أهل الكتاب. نعم

106) فرح أهل الضلال بموافقة أهل الحق لهم، وبذلهم الأموال حتى يوافقوهم

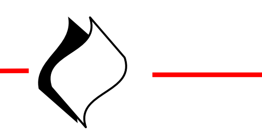
المذيـــــــع: قال: فهم يهوونه وموافقتهم فيه اتباعٌ لما يهوونه، ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم ويُسَرُّون به.

الشيخ صالح: إي نعم إذا وافق أهواءهم فرحوا به، وإذا خالف أهواءهم غضبوا منه وتركوه، ولهذا المشركون يُسرون بما يوافقوا أهواءهم، مما في الإسلام، يفرحون بذلك إذا وافقنا أهواءهم فرحوا.

وإذا خالفنا يعني إذا وافق الحق الذي معنا؛ وافق أهواءهم فرحوا بذلك؛ لأنهم يعتبرونه تأييداً لهم. وإذا خالفناهم وخالفنا ما هم عليه من النهج الباطل؛ فانهم يحصل منهم ما يحصل من العداء والكلام السييء. نعم.

المذيـــــــع: ويودون أن لو بذلوا عظيماً ليحصلوا على ذلك.

الشيخ صالح: إي نعم، يودون أنهم يبذلون الأموال الطائلة؛ من أجل أن يحصلوا على موافقةٍ لهم منا، وهذا شيءٌ نلمسه الآن من الكفار: أنهم يطلبون منا أن نوافق أنظمتهم ونوافق أهواءهم ورغباتهم، ولو يعطوننا ما يعطوننا من الأموال والمساعدات؛ فهم لا يبذلون هذه الأموال وهذه المساعدات كما يقولون إنها



مساعدات إنسانية؛ كذبوا في هذا، وإنما يريدون أن يشتروا الضمائر، ويكسبوا الاتباع لهم. نعم.

107) وجود المنافقين في كل زمان ومكان

المذيع: قد يكون في داخل الصف الإسلامي من يفرح بذلك بموافقة حق المسلمين لبعض أهواء الكافرين،

الشيخ صالح: لا شك هذا شي موجود وقت نزول وجد من يدعي الإسلام وهم أهل نفاق من يتابع أهل الكتاب ويمدحهم ويثني عليهم ويقولون كما ذكر الله عنهم: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا..﴾ [الحشر:11]

إلى أخر الآيات، ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة:52]

فهذا شيء موجود يعني من وقت نزول الوحي أنه يوجد ممن يدعون الإسلام، من يوافق الكفار على ما يطلبون من المسلمين من موافقتهم واتباع آرائهم. نعم.

108) وجوب مخالفة غير المسلمين

المذيع: قال ولو فرض إن ليس الفعل من اتباع أهوائهم فلا ريب إن مخالفتهم في ذلك أحسن لمادة متابعتهم، وأعون على حصول مرضاة الله في تركها.

الشيخ صالح: نعم، المطلوب من المسلم أن يخالف أهل الكتاب حتّى ولو كان ذلك في الأمور العادية؛ لأن موافقتهم حتّى في الأمور العاديّة تجر إلى موافقتهم في الأمور الدينية.

فمهما أمكن أننا نتميز؛ فان هذا واجبٌ علينا. قال الله -جل وعلا-: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:139]

فالمسلمون هم الأعلون، فلماذا الأعلى يتنازل إلى الأسفل؟ ويجحد ما أعطاه الله من الرفعة والمكانة، فالمسلم يعتز بدينه، ويعتبر أنه هو الأعلى.

الله جل وعلا جعل له العلو على أهل الارض بالدين وبالعلم، والكرامة التي أكرمه الله إياها.

فكل من كفر بالله فإنه الأسفل، مهما كان، كيف يتنزل الأعلى إلى الأسفل؟ نعم.

المذيع: قال: "وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعةً إلى موافقتهم بغيره"، كما تفضلت.

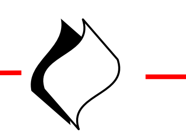
الشيخ صالح: إي نعم، يعني أن موافقتهم في الأشياء العادية، يجر إلى موافقتهم في الأشياءالدينية، فالأحسن أننا نتميز بأخلاقنا وعاداتنا وأعمالنا ومآكلنا ومشاربنا وملابسنا، إننا نتميز عنهم، ونعتز بديننا وما كنا عليه. نعم.

المذيع: قال فإن من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه.

الشيخ صالح: نعم، هذا كما في الحديث النبي -صلى الله عليه وسلم - قال :"إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمورٌ مشتبهات، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يُوشك أن يقع فيها أو يرتع فيه" فما في شك أن هذا وسيلة، يعني التساهل في الأمور البسيطة يؤدي إلى التساهل في الأمور العظيمة، شيئاً فشيئاً؛ فيجب أن المسلمين يتميزون بما أعطاهم الله عز وجل، ويعتبرون العزة للإسلام، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[المنافقون:8]

المذيع: قال: وأي الأمرين كان حصل المقصود في الجملة؛ وإن كان الأول أظهر.

الشيخ صالح: أي الأمرين سواءً مشابهتهم في الأمور العادية، أو مشابهتهم في الأمور الدينية.



كله يعني يجر بعضه إلى بعض، وإن كان التشبه بهم في الأمور الدينية أشد؛ لأن هذا تغييرٌ لدين الله -عز وجل-

المذيع: قال -رحمه الله- وفي هذا الباب قوله سبحانه ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ [الرعد:36]

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ﴾ [الرعد:37]

فالضمير في أهوائهم يعود -والله أعلم- إلى ما تقدم ذكره وهم الأحزاب الذين ينكرون بعضه.

الشيخ صالح: (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) وهم اليهود أحبار اليهود وعلماء اليهود، يفرحون بما أنزل الله على محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وهذا في المؤمنين منهم؛ في المؤمنين الذين آمنوا من أهل الكتاب. وقال الله -جل وعلا-: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة:82]

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: 83]

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء:107]

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾[الإسراء:108]

﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:109]

وقال سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[آل عمران: 199]



والله لا يظلم أحداً؛ بل هو العدل سبحانه الحكم العدل لا يجحد فضل أهل الفضل.

ولذلك لم يذم بني إسرائيل ولم يذم أهل الكتاب على وجه العموم. وإنما ذم الذين تركوا الحق وآمنوا بالباطل، ورفضوا العلم وأخذوا بضده، ونهانا أن نتشبه بهم في ذلك.

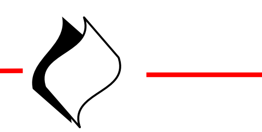
(ومن الأحزاب من ينكر بعضه) من أحزاب أهل الكتاب من ينكر بعض ما أنزل إليك. (ومن الأحزاب من ينكر بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَـآبِ﴾[الرعد:36] فهذا الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم دعوة إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة، وإفراده بالدعاء، وإليه المرجع سبحانه وتعالى.

فهذا هو الذي جاء به، وإن كرهه بعض الأحزاب، فليس العبرة برغبات الناس، وإنما العبرة بموافقة الحق، هذه هي العبرة. وإلا فقد يتبرَّم. بعض الناس -وخصوصاً العلماء لأنهم أهل علم- فإن بعض العلماء قد يتبرأون من الحق؛ لأنه يخالف أهواءهم. فهذا تحذير لهذه الأمة ولعلماء هذه الامة بالذات.

أنهم يكرهون شيئاً من الحق أو ينكرون شيئاً من الحق؛ من أجل مخالفة من يبغضونهم، فهم لم ينكروا أن محمداً على حق؛ لكنهم أنكروه لم ينكروا. من باب أنهم يجهلون هذا؛ وانما أنكروه من باب أنهم يعلمونه، لكن أنكروه من باب الحسد، ومن باب التكبُّر على الحق، "إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ""وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا" أنزل الله جل وعلا هذا القرآن بلسانٍ عربي؛ وهذا الذي أثار وهيَّج اليهود؛ لأنهم حسدوا هذه الأمة على هذا القرآن العظيم الذي نزل بلغتهم بلسانٍ عربيٍ مبين، وهم يريدون أن يكون الرسول ويكون الكتاب في اليهود؛ ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة:105]

فهم إنما حسدوا هذا الرسول وهذه الأمة العربية.

109) ماذا يحدث للنبي ومن معه إذا اتبعوا أهواء أهل الضلال.



ثم قال لنبيِّه (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ) يقيك من عذاب الله سبحانه وتعالى.

فهذا تحذيرٌ لهذا النبي وتحذيرٌ لأمته من أن يتبعوا أهواء أهل الكتاب، ورغبات أهل الكتاب أو غيرهم. وإنما المطلوب اتباع الحق، وأما أننا نرضي الناس، فهذا لا يمكن أبداً؛ لأن رضا الناس لا يمكن، ليس كل الناس سيرضون عنك أبداً. وليس المطلوب أنك ترضي الناس؛ المطلوب أنك ترضي الله جل وعلا. ولهذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" من التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس، ومن التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس."

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم.

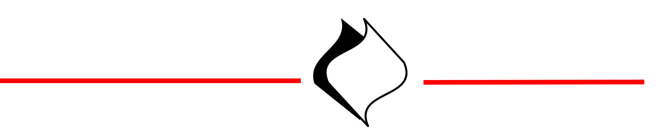
قال رحمه الله فالضمير في أهوائهم يعود والله أعلم إلى ما تقدم ذكره وهم الأحزاب الذين ينكرون بعضه.

الشيخ صالح: فلا تتبع أهواءهم، الضمير -والله أعلم- يرجع إلى هذا الصنف الأخير، وهم الذين ينكرون بعض ما أنزل على محمد؛ فالله يقول له: لا تلتفت، لا تلتفت إلى انكارهم؛ لأنهم لم ينكروه عن حق وإنما أنكروه عن هوى؛ وإلا يعلمون أنه حق.

- 110) لا نلتفت إلى مَن خالفنا ولا نعتد به

المذيـــــــع: قال فدخل في ذلك كلّ من أنكر شيئاً من القرآن من يهوديٍ ونصرانيٍ وغيرهما.

الشيخ صالح: إي نعم. كلّ من أنكر شيئاً من القرآن من الحق الذي نزل في القرآن أو من سنة الرسول صلّى الله عليه وسلم؛ فإنّه يدخل في هذا: أنّنا لا ننظر اليه، ولا نعتبره شيئا. وعلينا أن نتمسك بالحق، ونسير على المنهج الصحيح؛ صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا نلتفت إلى مَن خالفنا ما دمنا على حق وهو على باطل. نعم.



111) ما الذي نخالف فيه أهل الضلال والأهواء

المذيـــــــع: وقد قال تعالى: "وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَـاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ "ومتـابعتهم فيمـا يختصـون بـه من دينهم وتوابـع دينهم اتباعٌ لأهوائهم.

الشيخ صالح: نعم، هذا بيان للمراد بما نخالفهم فيه؛ وهو أننـا لا نوافقهم على دينهم، أو شيء من دينهم المبتدع المحرف، أما دين التوحيـد فهـذا هـو دين جميـع الأنبيـاء لم يختلفـوا فيـه؛ لأن دين التوحيد وإفراد الله بالعبادة، واتباع مـا جـاءت بـه الرسـل، هـذا دين جميع الأنبياء. الحمد لله.

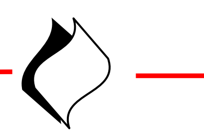
إنما لا نتبع أهل الكتاب فيما نسخ من دينهم أو مـا حرفـوه وغيّـروه وبدّلوه،: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِـنَتَهُمْ بِالْكِتَـابِ لِتَحْسَـبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:78]

فنحن حُذِّرنا من أن نسلك مسلكهم في هـذا: في أمـور دينهم، في أمور عباداتهم، في أعيادهم، في جميـع مـا يختص بهم؛ أمـا الأمـور العامة والمشتركة والمنافع المباحة فلا بـأس بـذلك وليس هـذا من التشبه بهم؛ بل هذا في الأصـل مخلـوقٌ للمؤمـنين: ﴿قُـلْ مَنْ حَـرَّمَ زِينَـةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْـرَجَ لِعِبَـادِهِ وَالطَّيِّبَـاتِ مِنَ الـرِّزْقِ قُـلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:32]

الله خلق هـذه المصـالح وهـذه المنـافع وهـذه الأسـرار في الكـون خلقها لعباده المؤمنين.

وإنما شاركهم فيها الكفار في الدنيا، مشـاركة وإلا هي في الأصـل للمؤمـنين، والكفـار شـاركوهم فيهـا. مشـاركة، واللـه لم يخلقهـا للكفار إنما خلقها للمؤمنين. نعم.

112) الفرق بين اتباع أهل الضلال في تحريفهم لدينهم وفي أهوائهم وعاداتهم



المذيـــــــع: أحسن الله اليكم، قال: ومتابعتهم فيما يختصون بـه من دينهم وتوابع دينهم اتباعٌ لأهوائهم.، بل يحصـل اتبـاع أهـوائهم بما هو دون ذلك.

الشيخ صالح: إي نعم، اتبـاع أهـوائهم في كـل شـيءٍ؛ لكن اتبـاع أهـوائهم يختلـف ويتفاضـل -بعضـه أشـد من بعض-؛ اتبـاعهم في دينهم الباطـل هـذا أشـد الاتبـاع المنهي عنـه، والتشـبه المحـرم، وكذلك اتباعهم في عاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم.

فنحن لا نتشـبه بهم في الأمـور الخاصـة بهم ولـو كـان من أمـور العـــــــــــــادات؛ لأن هـــــــــــــــذا يجـــــــــــــــر إلى التشــبه بهم في دينهم إي نعم -كمــا ســبق- أن التشــبه في الأمور العادية يجر إلى التشبه في الأمور الدينية.

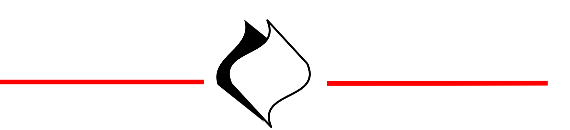
وكما قال صلى الله عليه وسلم: "كالراعي حـول الحمى يوشـك أن يقع فيه".

المذيـــــــع: إذاً يكون المبدأ المخالفة ما استطاع المسلم.

الشـيخ صـالح: مـا اسـتطاع المسـلم، المخالفـة فيمـا هـو من خصائصهم: في أمور العادات، وأمور العبادات. إي نعم، بمـا هـو من خصائصهم. أما الشيء المشترك فهـذا لا نخـالفهم؛ لأن هـذا أصـله لنا، وهم الذين وافقونا فيه.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً.

وصلّى الّله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الرابع عشر

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمـد لله رب العـالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام السـلام عليكم ورحمـة اللـه وبركاتـه، وأهلا وسهلا بكم إلى حلقة جديدة في برنامج (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-)

يشرحه فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع هذا اللقاء نرحب بفضيلة الشيخ؛ حياكم الله.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

113) النهي عن التشبه بأهل الكتاب ومخالفة الوحي متابعة لأهوائهم، فإنهم لا يرضون إلا باتباع ملتهم

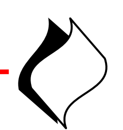
المذيـــــــع: قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: ومن هذا أيضا قوله تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: 120].

فانظر كيف قال في الخبر: (مِلَّتَهُمْ) ، وقال في النهي (أَهْـوَاءَهُمْ)، لأن القـوم لا يرضـون إلا باتبـاع الملـة مطلقـا، والزجـر عن اتبـاع أهوائهم.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العـالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله جل وعلا: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُـدَى اللَّهِ هُـوَ الْهُـدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْـوَاءَهُمْ بَعْـدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: 120].

في هذه الآية ساقها الشيخ -رحمه الله- في سياق منع التشبه فيما عليه أهل الكتاب من الأهواء ومخالفة ما أنزل الله عز وجل



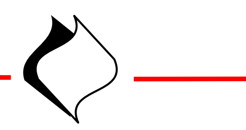
من الوحي نهى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأمته تبعا له في أن يأخذوا هذا المأخذ ويسلكوا هذا المسلك.

أخبر سبحانه وتعالى؛ أنه لا يمكن أن ترضى عنّا اليهود والنصارى حتى نتبع ملتهم، ما يكفيهم اتباع اليسير مع التمسك بديننا، ما يكفيهم التنازل اليسير عن شيء من أمور ديننا، وإن كان هذا لا يجوز، لكن هم لا يرضيهم -أيضا-، هو لا يجوز -وأيضا- هو لا يرضيهم حتى ننسلخ من ديننا {وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}[البقرة:217] {وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ}[آل عمران:69] {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ} [الممتحنة:2] {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً} [النساء:89]

هذه طبيعة اليهود والنصارى أنهم لا يريدون منا إلا أن نتحول عن ديننا نهائيا، وهذه طبيعة كل أهل الضلال يريدون من أهل الحق أنهم يتحولون عن حقهم، ويشاركون هؤلاء في ضلالهم، حينئذ يرضون عنهم؛ لأنهم سلخوهم من دينهم، وجردوهم مما أكرمهم الله به، فأسخطوا الله ورضي عنهم اليهود والنصارى وماذا يستفيدون من رضى اليهود والنصارى (المغضوب عليهم والضالون)! ماذا يستفيد المسلمون؟ خسروا الدنيا والآخرة، فالواجب أن نثبت على ديننا، ولا نحاول أننا نرضيهم أبدًا لأنهم لا يرضون إلا بترك الدين، وهذا شيء مجرب ومشاهد، وهم الآن على قدم وساق في تحويل المسلمين عن دينهم، حتى إنهم وضعوا قرآنا سموه (الفرقان)؛ فرقان الحق وكذبوا فيه، كما فعلوا بالتورة والإنجيل، أرادوا أن يحرفوا القرآن ولكن الله كف أيديهم -فالقرآن محفوظ ولله الحمد-، وما كتبوه وسموه (الفرقان) هذا يبقي في أيديهم لا يصل إلى القرآن -ولله الحمد-.

فعلى كل حال هذا مثال لما يريده الكفار منا الآن، والله نبهنا عليه وقت نزول القرآن منذ أكثر من وألف أربعمائة سنة أن الله قال: إن اليهود والنصارى لن يرضوا عنكم أبدًا إلا إذا تركتم دينكم.

وهل المسلمون على استعداد أنهم يتركون دينهم الذي أكرمهم الله به وعلمهم من الجهالة، وأنقذهم به من الضلالة، وجعلهم خير



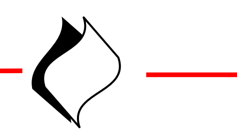
أمة أخرجت للناس، وجعل لهم السيادة على أهل الأرض! هل المسلمون على استعداد! وإن تنازل بعض الأغرار من المسلمين أو الذين لم يتمكن الإيمان في قلوبهم لكن لا يمكن أن يتحول المسلمون كلهم أبدًا، "لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهريين" كما أخبر صلى الله عليه وسلم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}[المائدة:54] فهذا فيه قطع لأطماع اليهود والنصارى في أن المسلمين يتركون دينهم جملة؛ وإن كان قد يتركه فئام من الناس لكن الأمة المحمدية لا تُجمع على ضلالة أبدًا، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى لكن الله يبين لنا أننا لا نطمع في إرضاء اليهود والنصارى أبدًا إلا أن نتحول عن ديننا {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى}[البقرة:120]

الواجب أننا نتبع الهدى مع من كان، نتبع الحق مع من كان، لا نتبع الأهواء والرغبات أو نتبع رغبة أمة من الأمم أو دولة من الدول مهما كان، ولكن نتبع الحق مهما كلفنا ذلك ونصبر عليه فإنه هو طريق النجاة في الدنيا والآخرة {حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى}[البقرة:120]

ثم بين سبحانه وتعالى عقوبة من اتبع أهواءهم {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ}أيها الرسول، وهذا من باب الفرض، وإلا فالرسول صلى الله عليه وسلم قد عصمه الله ولن يتبع أهواءهم ولا أهواء غيرهم، وإنما يؤدى ما عليه من الحق، ويبلغ الرسالة ويصبر في سبيل ذلك مهما كلفه الثمن، كما فعل صلى الله عليه وسلم، لكن هذا من باب الفرض كما في قال تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ}[الزمر:65]

الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرك لأن الله عصمه ولكن هذا من باب تحذير الناس، تحذير الأمة؛ أنه حتى الرسول لو أشرك لحبط عمله؛ فكيف بغيره ممن يقول: أنا مسلم وأنا أعمل كذا وأنا أعمل كذا ولا يضرني إذا دعوت الولي أو ذبحت للبدوي.

فهذا رد على هؤلاء، {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ}[البقرة:120] وهو القرآن العظيم والسنة النبوية.



(اتبعت أهـواءهم) مـا قـال: (اتبعت ملتهم)؛ لأن ملتهم الصـحيحة تحوّل على ديننا.

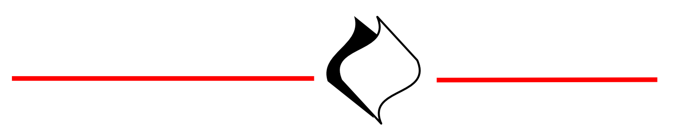
المذيـــــع: ما لم يُحرف وينسخ منها.

الشيخ صالح: نعم، تحول على ديننا وتأمر بـه، تـأمر بـأن إذا بعث محمـد صلى اللـه عليـه وسـلم فكـل البشـر يتبعونـه، هـذا موجـود عندهم، فدينهم يحول على دين الإسـلام، لكن أهـواءهم تـأبى هـذا، أهواؤهم تأبى أن تنفِّذ مـا في دينهم الحـق؛ من اتبـاع محمـد صـلى الله عليه وسلم {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَـا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ}[البقرة:120]

فهذا فيه دليل على أن العالم لا يتحول عن الحـق أبـدًا مهمـا كلفـه الثمن، وأنــه لا يطمــع في إرضــاء النفس أبــدًا، خصوصــا اليهــود والنصارى، لا يطمع في إرضائهم، فمهما فعلت فلن يرضوا عنك إلا إذا تخليت عن دينك نهائيا وصرت كافرا مثلهم، نعم.

المذيـــــع: قال -رحمه الله-: فانظر كيف قال في الخــبر (حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) وقـال في النهى (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْـوَاءَهُمْ) لأن القـوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقا، والزجر وقع عن اتبـاع أهـوائهم في قليل أو كثير.

الشيخ صـالح: يعـني لا تتبعهم على شـيء: لا فيمـا يدّعونـه من الـدين، ولا في رغبـاتهم وأهـوائهم؛ لأن دينهم محـرف أو منسـوخ وأهواءهم باطلة؛ إذن لم يبق معهم شـيء نتبعهم عليـه؛ بـل الحـق ولله الحمد مائة بالمائة مع المسلمين وهذا شـيء شـهد اللـه -جـل وعلا- بــه قــال تعــالى: {الْيَــوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا}[المائـدة:3] فالمسـلمون هم الـذين على الحق الآن، ومن تبعهم ورضي بدينهم فهو على الحق، أمـا من خالف فهو على باطل وعلى كفر مهما كان؛ يهـودي أو نصـراني أو وثني أو قبائلي أو ملحد؛ كلهم على الباطل.



المذيـــــــع: قـال: ومن المعلـوم أن متـابعتهم في بعض مـا هم عليه من الدين؛ نوع متابعة لهم في بعض مـا يهوونـه أو مظنـة لما يهوونه. كما تقدم.

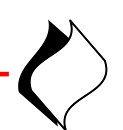
الشيخ صالح: نعم؛ إن اتبعتهم فيما يدعونـه من الـدين فـإن هـذا يجرك إلى اتبـاع أهـوائهم والخـروج عن الـدين فـإذن لا مطمـع في اتباعهم أبدًا، وهذا تيْئِيس من أن نحصل على طائل إذا اتبعنـاهم: لا في دينهم ولا في أهـوائهم؛ دينهم محـرف أو منسـوخ، وأهـوائهم باطلة.

114) التفصيل في أمر القبلة

المذيـــــــع: قال -رحمـه اللـه- : ومن هـذا البـاب قولـه سـبحانه: {وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُـلِّ آيَـةٍ مَـا تَبِعُـوا قِبْلَتَـكَ وَمَـا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَـةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْـوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ*الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَـابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُـونَ الْحَـقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ*الْحَـقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُـونَنَّ مِنَ الْمُمْتَـرِينَ*وَلِكُـلٍّ وِجْهَـةٌ هُـوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَـكَ شَـطْرَ الْمَسْـجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَـا اللَّهُ بِغَافِـلٍ عَمَّا تَعْمَلُـونَ*وَمِنْ حَيْثُ خَـرَجْتَ فَـوَلِّ وَجْهَـكَ شَـطْرَ الْمَسْـجِدِ الْحَـرَامِ وَحَيْثُ مَـا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} [البقرة:145-150]

قال غير واحد من السلف معناه: لئلا يحتج اليهود عليكم بالموافقـة في القبلة فيقولون: قد وافقونا في قبلتنا؛ فيوشـك أن يوافقونـا في ديننا، فقطع الله بمخالفتهم في هذه القبلة هذه الحجة.

الشيخ صالح: نعم، هذه الآيات في شأن القبلـة اسـتقبال القبلـة في الصلاة، كان النصـارى يسـتقبلون المشـرق في صـلواتهم؛ لأن هذا مما دسه عليهم اليهودي بولس الذي ادعى اتباع المسيح، ودس في دين النصـارى التثليث، ودس فيـه عبـادة الصـليب، ودس فيـه



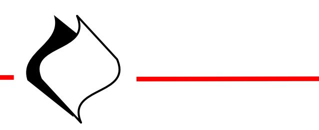
التوجه إلى المشرق؛ فهذه القبلة ليست مشروعة من الله -سبحانه وتعالى- وإنما هذا من تغييرهم.

وأما اليهود، فيستقبلون الصخرة يستقبلون بيت المقدس، وهذه كانت قبلة صحيحة في الأول، قد استقبلها الرسول صلى الله عليه وسلم في أول هجرته إلى المدينة، واستقبلها المسلمون وصلوا إلى بيت المقدس طاعة لله -سبحانه وتعالى-، لكن كان في علم الله وحكمه وشرعه أن هذا الرسول يستقبل قبلة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- وهي الكعبة المشرفة؛ فهي قبلة الجميع، وكان اليهود يعلمون هذا، يعلمون أن هذا الرسول سيستقبل قبلة أبيه إبراهيم -عليه الصلاة السلام- وهي الكعبة المشرفة، فلما أمر الله -جل وعلا- بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة عند ذلك ثارت ثائرة اليهود واستغلوا هذا الحدث في الطعن في الرسول -صلى الله عليه وسلم- وارتد من ارتد من ضعاف الإيمان من المسلمين {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ}[البقرة:143]

تحويل القبلة حدث عظيم استغله اليهود في الطعن في محمد -صلى الله عليه وسلم- وهم يعلمون أنه الحق، لكن من باب التشنيع والتشويش للرسول -صلى الله عليه وسلم- فلما حولت القبلة؛ أولا:

أن هذا أمر الله -جل وعلا- والواجب على المسلم أن يتبع أمر الله، فحيث أمرك أن تتوجه يجب عليك أن تتوجه ولا تتبع شيئا لم يأمر الله أو أمر به أولا ثم نسخه، أنت تدور مع أمر الله {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ}[البقرة:115] {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}[البقرة:177]

فالعبرة بأمر الله سبحانه وتعالى حيث أمرك أن تتوجه في صلاتك فإن الواجب عليك أن تتوجه، ولا تعترض، هذا شيء.

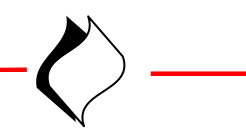


الشيء الثاني، أن هذه القبلة مذكورة في التوراة والإنجيل، وأن هذا الرسول يستقبل قبلة أبيه إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- وهم يعلمون ذلك لكنهم جحدوا وأنكروا {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ*الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}[البقرة: 146- 147] فلما حُوِّلت القبلة قالوا: إنه تحوّل عن القبلة التي أمر الله باستقبالها وهذا يريد أن يخالفنا في كل شيء، وهذا وهذا، وارتد من ارتد من بعض المسلمين ضعاف الإيمان.

والله -جل وعلا- طمأن رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذا دأبهم، ليس هدفهم الحق وإنما هدفهم اتباع أهوائهم {وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} لأن ما هم مقصودهم الحق حتى تنفع فيهم الآيات، الآيات إنما تنفع فيمن يريد الحق، وهؤلاء لا يريدون الحق وهذا كل صاحب هوى فهو كذلك؛ لا يريد الحق مهما أقمت عليه من الأدلة؛ لأنه يريد اتباع هواه، ومن يريد اتباع هواه فلن تملك له من الله شيئا قال الله -جل وعلا-: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا}[الفرقان:43]، {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} [الجاثية:23]

فالذي يتبع هواه هذه سبيله؛ لا يقنع بالآيات ولا الأحاديث وهذا شيء مشاهد الآن أنَّ أهل الضلال والفرق الضالة مهما أقمت لهم من الأدلة لا يعبؤون بها؛ لأنها تخالف أهواءهم، وإذا جئت بحديث مكذوب أو حديث ضعيف أو حكاية أو منام (رؤيا) وهي توافق أهواءهم فرحوا به وجعلوه دليلا قاطعًا لا يقبل الشك، وإذا جئتهم بآية أو بحديث صحيح أو حتى متواتر وهو يخالف أهواءهم؛ فلن يقبلوه ولن يعبأوا به أبدًا؛ فهذه طريقة أهل الأهواء وأهل الضلال.

{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ}[البقرة:145] والدليل على ذلك أنهم هم مختلفون بينهم، النصارى يستقبلون المشرق، وهؤلاء يستقبلون بيت المقدس؛ فدل على أنهم يتبعون أهواءهم حتى فيما بينهم، فكيف تطمع أنت في أن يتبعوك {وَلَئِنْ

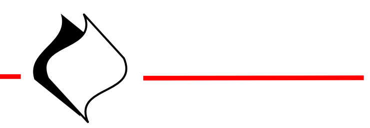


أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ}[البقرة:145]

وهذا تيئيس لهم من أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قد عصمه الله من أن يتبع أهواءهم فلا يطمعون في هذا {وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ }[البقرة:145]كما ذكرنا أن النصارى لهم قبلة واليهود لهم قبلة لماذا هذا؟ أليس الدين واحد، أليس العبادة لله وحده، وقد أمرهم أن يستقبلوا بيت المقدس، فلماذا يستقبلون المشرق؟! فهذا دليل على أنهم يتبعون أهواءهم {وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ}[البقرة:145]ـ ثم قال لنبيه {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ} يعني هذا من باب الفرض، وهو تحذير للأمة التي يمكن أنها تتبعهم أو يتبعهم أحد منها، أما الرسول فلا يمكن لأن الله عصمه بذلك، لكن هذا من باب الافتراض والتحذير {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ}[البقرة: 145]

والظلم وضع الشيء في غير موضعه؛ لأنك وضعت القبلة في غير موضعها الذي شرعه الله سبحانه وتعالى وهذا ظلم، لأن الظلم أنواع: منه ظلمٌ بين العبد وبين ربه، ومنه ظلمٌ بين العبد وبين نفسه، ومنه ظلمٌ بين العبد وبين الناس.

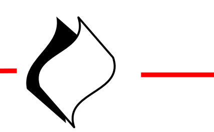
فهذا من الظلم الذي بين العبد وبين ربه {إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ}، ثم بين الله لرسوله أنهم لم يخالفوك عن جهل؛ وإنما خالفوك عن علم ومعرفه، لكنهم خالفوك حسدًا وتكبرًا {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} يعني اليهود والنصارى{يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ}، يعرفون هذا الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ويعرفون أين يستقبل في صلاته، هذا يعرفونه، ليس غريبا عليهم حتى يستنكروه، بل كما يعرفون أبناءهم، وهذا أدق شيء، ولكن قال عبدالله بن سلام رضي الله عنه وهو من أحبار اليهود قال: "والله إننا لنعرف محمدا صلى الله عليه وسلم أكثر مما نعرف أبناءنا" لأننا معرفتنا لأبنائنا بناءً على الثقة بأمهاتهم، أما هذا الرسول صلى الله عليه وسلم فنحن نعرفه بناء على وحى الله -سبحانه وتعالى-، فنحن نعرفه أكثر مما نعرف أبناءنا.



{كَمَـا يَعْرِفُـونَ أَبْنَـاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًـا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُـونَ الْحَـقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[البقرة:146]؛ هذا هو الذي حملهم على هذا؛ الكتمان؛ كتمان الحق تكبرا وحسدا لهذا الرسول ولأمته، والكبر والحسد كما حصـل لإبليس بسبب الكبر وبسبب الحسد، تكـبر على آدم وحسـده، فمـاذا صار له من العاقبـة والعيـاذ باللـه! هـو الـذي سـبب لـه هـذا الطـرد والإبعاد عن رحمة الله، وكذلك اليهـود إنمـا منعهم من قبـول الحـق واستقبال الكعبة هو الحسد والاستكبار والعياذ بالله.

ثم إن الله أمر نبيه بعد أن بين له نفسية اليهـود والنصـارى، وأنهم لم يخالفوه عن جهـل وإنمـا خـالفوه عن عنـاد، وأنـه لا مطمـع في إقنـاعهم، ولا مطمـع في رجـوعهم، بـدليل أنهم هم أنفسـهم مختلفون في القبلة فلو كانوا على حق لما اختلفوا؛ لأن أهل الحق لا يختلفـون ثم قـال لنبيـه: {وَلِكُـلٍّ وِجْهَـةٌ هُـوَ مُوَلِّيهَـا فَاسْـتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَـأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًـا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُـلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ}[البقرة:148]، فهذا وعد ووعيد: وعـد للمؤمـنين الـذين تمسـكوا بـوحي اللـه واسـتقبلوا الكعبـة بـأنهم سـيواجهون اللـه عـز وجـل ويجازيهم على إيمانهم، وسيأتيه الذين خالفوا أمره وعتوا عن أمره وسيجازيهم على إعراضهم، مـا هي المسـألة مسـألة دنيـا وتنتهي! وكل يتبع ما يشتهي وينفذ رغباته وتنتهي الأمور! لا، هنـاك تصـفية حساب يوم القيامة، كلٌ يواجه ما عمله وما قدمه لنفسه.

{وَلِكُلٍّ وِجْهَـةٌ هُـوَ مُوَلِّيهَـا فَاسْـتَبِقُوا الْخَيْـرَاتِ} يعـني: بـادروا إلى امتثال الطاعات؛ لأنها تفوت {أَيْنَ مَا تَكُونُـوا يَـأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًـا} الله -جـل وعلا- يجمـع الخلائـق يـوم القيمـة، ويحشـرهم في مكـان واحد للعرض والحساب والجزاء، وكلٌ يلقى حسابه، فلا يظن هـؤلاء أنهم إذا نفـذوا رغبـاتهم وأهـواءهم أنهم سـيُهملون ويُـتركون، ولا يقع في نفس المؤمن أن عملـه سيضـيع قـال اللـه -جـل وعلا- في أول الآيـات: {وَمَـا كَـانَ اللَّهُ لِيُضِـيعَ إِيمَـانَكُمْ} أي صـلاتكم إلى بيت المقـدس؛ لأنـه لمـا نـزلت هـذه الآيـات وحـولت القبلـة إلى الكعبـة تأسـف بعض المسـلمين على الـذين مـاتوا وهم يصـلون إلى بيت المقدس؛ فالله طمأنهم قال {وَمَـا كَـانَ اللَّهُ لِيُضِـيعَ إِيمَـانَكُمْ} لأن صلاتهم إلى بيت المقدس قبل الناس صـلاة صـحيحة ومقبولـة عنـد اللـه -سـبحانه وتعـالى- فلا تخشـوا عليهم {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَـرَءُوفٌ رَحِيمٌ}[البقرة:143].

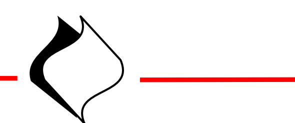


ثم إنه بعد ذلك أمر نبيه أمرا جازما فقال: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[البقرة:149]، هذه تطمين للرسول وتطمين للمؤمنين في أنه لا تضرهم مخالفة اليهود والنصارى بل الواجب عليهم ذلك؛ أن يتبعوا الحق وأن لا يعبأوا باليهود والنصارى ولا بغيرهم.

ثم قال مكررا ومؤكدا: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ} يعني في أي جهة كنت من الأرض {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} ولهذا قال العلماء الفرض على من يرى الكعبة استقبال عينها ومن لا يراها أن يستقبل الجهة التي فيها الكعبة ولو انحرف يمينا أو شمالا لا يضر هذا ما دام أنه مستقبل للجهة التي فيها الكعبة وهذا من تيسير الله -سبحانه وتعالى- ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة ما بين المشرق والمغرب قبلة، فالانحراف اليسير لا يضر ما لم يتعمده الإنسان فإنه لا يضر؛ لأن القبلة في الجهة التي يستقبلها ولهذا قال: {شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} ما قال المسجد الحرام قال: (شطر) أي: الجهة التي فيها المسجد الحرام { فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ} في بر أو بحرٍ أو جوٍ أو أي مكانٍ {فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} ثم قال: {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ} يعني اليهود والنصارى {عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ} أنتم لو تركتم استقبال الكعبة احتجوا عليكم وقالوا خالفوا ما عندنا؛ لأن عندنا أنهم يستقبلون الكعبة فهم لم يعملوا بهذا، وطعنوا عليكم سواء وافقتموهم أو خالفتموهم {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[البقرة:150]

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.

وصلّى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الخامس عشر

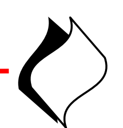
المذيــــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. أيّها المستمعون الكرام: السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وحيّاكم الله، إلى حلقةٍ جديدةٍ في برنامجكم (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله. ضيف اللقاء فضيلة الشّيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة بالإفتاء). في مطلع لقائنا نُرحّب بفضيلة الشّيخ حيّاكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

115) توجه المسلمون إلى القبلة الأولى والثانية محض استسلام لله وليس موافقة لليهود أو للمشركين

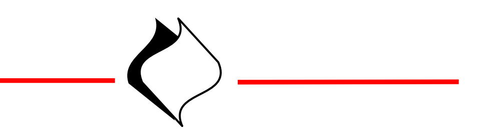
المذيــــــــع: وقفْنا في الحلقة الماضية عند قول المؤلف - رحمه الله تعالى - في قول الله جلّ وعلا: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ }. قال رحمه الله: قال غير واحدٍ من السّلف: معناه لئلّا يحتجّ اليهود عليكم بالموافقة في القبلة فيقولوا: قد وافقونا في قِبلتنا فيوشك أن يوافقونا في ديننا، فقطع الله بمخالفتهم في القِبلة هذه الحجة؛ إذ الحجة اسمٌ لكلّ ما يُحتجّ به من حقٍّ وباطلٍ. وقوله: {إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} هم قريش؛ فإنهم يقولون: عادوا إلى قبلتنا، فيوشك أن يعودوا إلى ديننا، فبيّن سبحانه أن من حكمة نَسخ القِبلة وتغييرها مخالَفة النّاس الكافرين في قِبلتهم؛ ليكون ذلك أقطعَ لما يطمعون فيه من الباطل. ومعلومٌ أنّ هذا المعنى ثابتٌ في كلّ مخالفةٍ وموافَقة؛ فإنّ الكافر إذا اتُّبع في شيءٍ من أمره كان له في الحُجّة مثل ما كان أو قريبٌ ممّا كان لليهود من الحُجّة في القِبلة.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن والاه. أمّا



بعد، فلا شكّ أن حدث تحويل القِبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة أنّه حدثٌ عظيمٌ، حصل بسببه اعتراضاتٌ، واستشكالاتٌ كثيرةٌ من المعاندين والمعارضين والجهّال وضعاف الإيمان، والواجب على المؤمن أن يتْبع أوامر الله جلّ وعلا؛ حيث وجَّهه يتوجه، من غير اعتراضٍ سواءً وجّهه إلى بيت المقدس، أو وجَّهه إلى الكعبة {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ }. و{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}. ومن الإيمان بالله واليوم الآخر اتّباع ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه دون اعتراضٍ أو انتقادٍ؛ فإن هذا ليس شأن المؤمنين {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا}. فالمؤمن يدور مع أمر الله سبحانه وتعالى، حيثما وجّهه يتوجّه؛ ولذلك لمَّا حُوِّلت القِبلة وصلَّى ناسٌ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر إلى الكعبة، وخرجوا إلى مسجد بني زُريق وجدوهم يصلُّون إلى بيت المقدس، لأنه لم يَبْلُغهم تحويل القِبلة، فلمّا أخبروهم استداروا وهم في الصلاة، استداروا وهم في الصلاة من اتّجاه بيت المقدس إلى اتجاه الكعبة؛ امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى، دون اعتراض، ودون أيّ استشكال؛ لأنهم مؤمنون بالله عزّ وجلّ ومؤمنون برسوله صلى الله عليه وسلم، فهم يدورون مع أمر الله جلّ وعلا. أمّا اليهود فإنهم فرحوا في الأول لمّا توجّه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى قِبلتهم، وقالوا: إنه سيوافق ديننا، وليس هذا هو ليس هذا كما تصوروا؛ فإن فإن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم يتمشّى مع أمر الله، فحيث لم يأمره الله بتحوُّلٍ عن بيت المقدس بقي على ذلك.

بقي على ذلك. فلمّا أمره الله بالتحوُّل إلى الكعبة توجَّه إلى الكعبة دون أي توقُّف، وتوجَّه معه المؤمنون دون أيّ اعتراضٍ أو أي استشكالٍ؛ لأنّهم عبادٌ لله يأتمرون بأمره، فهو لم يستقبل بيت المقدس من أجل أن يتْبع اليهود، وإنَّما استقبل بيت المقدس لأنه لم يُؤمَر بالتحوُّل عنه بعدُ. ولمَّا تحوَّل إلى الكعبة فنفس الاعتراض الذي قاله اليهود قال المشركون: تَحَوَّل إلى قِبلتنا يعني الكعبة

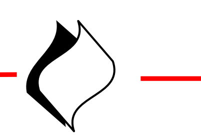


المشركون من العرب تَحَوَّل إلى قبلتنا فيوشك أن يتحول إلى ديننا، يعني دين المشركين، وهو عبادة الأصنام، حاشا وكلا، فهو لا يلتمس رضا أحدٍ من الناس، أو موافقة أحدٍ من الناس وإنما يتمشّى مع أمر الله سبحانه وتعالى. ولهذا قال جل وعلا: { لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ}، لو بقيتم على الصلاة إلى بيت المقدس لاحتجّ عليكم اليهود؛ لأنّ قِبلتكم الكعبة كما هو عندهم في التّوراة. وكذلك الّذين ظلموا منهم وهم المشركون ظنّوا أنّ تحوُّله إلى الكعبة أنّه سيتحوّل إلى دين المشركين، والله جلّ وعلا وصفهم بالظّلم، {إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} أيْ من الكفّار، فهؤلاء لا عبرة لقولهم، أو توقعاتهم؛ فإنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لا يتمشّى مع رغبات النّاس، أو استرضاء النّاس، وإنّما يتمشّى حسب أوامر الله سبحانه وتعالى، فلا مَطمع لأحدٍ -لا من اليهود ولا من المشركين- أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم سيوافقهم على ما هم عليه، أو يترضّاهم في دينهم، وإنّما هو يدور مع أمر الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال: {فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}؛ فلا تخشوا اليهود، ولا تخشوا المشركين، وإن قالوا ما قالوا فإنكم مع الله سبحانه وتعالى، وفي طاعته وامتثال أمره، ومن كان كذلك فإنّه لا يخشى أحداً في تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى، وإن اعترض المعترضون.

116) النهي عن التشبه بأهل الكتاب في افتراقهم، وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم بافتراق أمته من دلائل نبوته

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم. قال رحمه الله: قال سبحانه: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}، وهم اليهود والنصارى الذين افترقوا على أكثر من سبعين فرقة؛ ولهذا نهى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن متابَعتهم في نفس التفرُّق والاختلاف، مع أنه صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنّ أمّته ستفترق على ثلاثٍ وسبعين فرقة.

الشيخ صالح: نعم، ومن جملة ما نهانا الله عنه من التَّشبُّه بالكفار التَّشبُّه بأهل الكتاب، من جملة ذلك تفرُّقهم؛ فإنهم تفرَّقوا

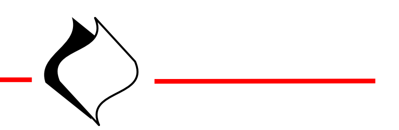


(افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة)، بسبب اتّباع الأهواء، وما كان لهم أن يفترقوا لو تمسَّكوا بكتاب الله (التوراة والإنجيل)؛ لكانوا صفّاً واحداً، فهم افترقوا تبعاً لأهوائهم، فالله ينهى هذه الأمة أن تتشبه بهم في التفرُّق والاختلاف، وترك ما أنزل الله عليهم.

{وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} [آل عمران:105]. وأنتم قد جاءتكم البيِّنات وهو القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، فلا تتفرَّقوا، حسب الأهواء والرَّغبات والعصبيَّات، وإنَّما تكونون أُمّةً واحدة، {وإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}[الأنبياء:92] ، والله جلّ وعلا يريد لنا الاجتماع. {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا} [آل عمران:103]. التّفرُّق والاختلاف شرّ، ولكن مع هذا؛ مع نهي الله عن التفرُّق، وعن مخالَفة اليهود والنصارى في تفرُّقهم، فإنه حصل في هذه الأُمّة تفرُّقٌ واختلافٌ، لكن بعدما بلغتهم الحُجّة، وقامت عليهم البيِّنة؛ فلا عُذرَ لمن تَفَرَّق وخالف، فإن هذا عن هوًى، والتّفرُّق إذا كان عن هوًى، فإنّه لا عِبرة به، فهذا هو السِّرُّ في إيراد المصنِّف - رحمه الله - لهذه الآيات؛ لأنّ الكتاب موضوعه كلّه في النّهي عن التّشبُّه باليهود والنصارى [اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم]، ومن جملة ذلك التفرُّق، فإنّهم تفرَّقوا في دينهم، فالله نهى هذه الأمّة أن تتفرَّق في دينها، وأمَرها أن تكون أمّةً واحدة على كتاب الله.
والذي يعصم من التفرُّق هو التمسُّك بكتاب الله {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا}. فمن اعتصم بحبل الله فلن يتفرّق، وإنّما يتفرّق من خالف حبل الله سبحانه وتعالى، كما حصل لليهود والنصارى، أنّهم لمّا خالفوا كتاب الله تفرّقوا، كذلك من ضلّ من هذه الأمّة فإن تفرُّقه وضلاله إنما هو بمخالفة الكتاب والسُّنَّة. وأمّا من اعتصم بالكتاب والسُّنَّة فإنهم لا يتفرقون أبداً؛ بل يكونون جماعةً واحدةً.

117) عدد أصول فرق المسلمين

المذيــــــــع: جزاكم الله خيراً، العدد المذكور في الفرق يا شيخ إحدى وسبعين اثنتين وسبعين مثلاً سبعين. المقصود منه التحديد؟ أو ليس التحديد؟



الشيخ صالح: ليس المقصود التحديد؛ فالفِرَق أكثر من هذا، ولكن يقول العلماء: هذه أصول الفِرَق، هذه الأعداد هي أصول الفرق وتشعَّبت وتفرَّقت إلى فرقٍ أخرى.

118) تفاوت التشبُّه وبيان أنه كله منهيٌّ عنه

المذيـــــــع: جزاكم الله خيراً. قال رحمه الله مع أن قوله صلّى الله عليه وسلّم: "لا تكن مثل فلان"، قد يعم مماثَلته بطريق اللَّفظ أو المعنى، وإن لم يعمّ، دلّ على أن جنس مخالفتهم وترك مشابهتهم أمرٌ مشروعٌ، ودلّ على أنه كلّما بعُد الرجل عن مشابَهتهم فيما لم يُشْرَع لنا كان أبعدَ عن الوقوع في نفس المشابَهة المنهيِّين عنها؛ وهذه مصلحةٌ جليَّة.

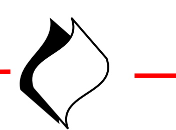
الشيخ صالح: نعم، التشبُّه يختلف، فقد يكون تشبُّهاً كثيراً، وقد يكون تشبُّهاً قليلاً -وكلُّه منهيٌّ عنه-؛ لأنّ التشبُّه القليل يجرُّ إلى التشبُّه الكثير، وأيضاً هو مخالَفة -ولو كان قليلاً-.

فالإنسان لا يتساهل في أمر التشبُّه، فالتشبُّه منهيٌّ عنه سواءٌ أكان قليلاً أو كثيراً، سواء أكان في العبادات أو في العادات الخاصّة بهم؛ فإنَّا منهيُّون عن التشبُّه بهم في أيّ شيءٍ من خصائصهم.

119) بيان أن متابعة أمر الله وطرح ما سواه هو طريق الأنبياء، وأن الفساد هو مخالفة أمر الله في أي زمان ومكان

المذيـــــــع: وقال سبحانه لموسى وهارون: {......فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}[يونس:89]. وقال سبحانه: { وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف:142]. وقال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}[النساء:115]إلى غير ذلك من الآيات.

الشيخ صالح: الآية الأولى؟



المذيـــــــع: {فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}.

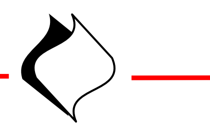
الشيخ صالح: نعم، الله جلّ وعلا أمر موسى وهارون عليهما السّلام بالاستقامة على كتاب الله التّوراة، وما أوحى الله إليهما، ونهاهما عن اتّباع سبيل الذين لا يعلمون، فدلّ على أنّ من خالف ما أنزل الله فهو جاهل، وإن ادّعى أنه عالم، والله جل وعلا يقول: { فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}. فأيّ إنسانٍ يأتي بشيءٍ يظن أو يعتقد أنه خير وهو مخالفٌ لما في كتاب الله، فإنه ضلال، ولو كان يظن أنّه هدًى، وهو شرٌّ وإن كان يظن أنه خير.

{وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}، وهذا منهجٌ يجب أن يسلكه المؤمنون في كلّ زمانٍ ومكان، وهو التمسك بما أنزل الله وترك سبيل المخالفين؛ لأنهم على جهل، ما داموا ليسوا على منهج كتاب الله فإنهم على جهل وعلى ضلال.

المذيـــــــع: {وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}[الأعراف:142].

الشيخ صالح: لمّا أراد موسى عليه السلام أن يذهب إلى موعد الله الذي واعده أن يعطيه صحائف التوراة، {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}. لمّا تم الموعد وحان الذهاب إلى مكان الموعد الذي وعده الله، فإنه أوصى أخاه هارون. وهكذا ينبغي لولي الأمر، أنه إذا أراد أن يغيب عن رعيته أنه يوصي ويُخَلِّف من يقوم مقامه، {وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي} {اخْلُفْنِي} يعني: كن خليفةً بعدي في سياسة بني إسرائيل، {اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}؛ هذه وصايا.

فينبغي لولي الأمر إذا أراد أن يستخلف لعارضٍ من العوارض أن يستخلف غيره أن يوصيه ويرسم له المنهج الذي يسير عليه من بعده، {اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ}، أصلح فيهم، والإصلاح إنّما يكون وَفْقَ كتاب الله وسنَّة رسوله؛ ولهذا قال: {وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} فإن سبيل المفسدين فساد وليس إصلاحاً، فعليك أن



تتمسك بهدي الوحي، ولا ترجع إلى أهواء الناس ورغباتهم فإن كثيراً من الناس لا يريدون التمسُّك بالشَّرع؛ وإنما يريدون تحقيق رغباتهم وأهوائهم، فهؤلاء لا عِبرةَ بهم، ولا بقولهم، مهما كانوا من الكثرة أو من الغنى أو من الثروة أو من المكانة، فإنهم لا عِبرةَ بهم ما داموا مخالفين لمنهج الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال: {وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}.

لا يكن عندك من المستشارين من المفسدين، بل اتخذ وساطةً صالحة؛ أهل رأي وتدبير وحسن سياسة، اختر البطانة الصالحة، وتجنب البطانة السيئة؛ لأنهم من المفسدين.

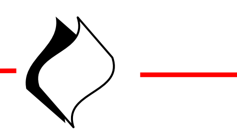
المذيـــــــع: وقال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ}.

الشيخ صالح: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ} يكون في شقّ والرسول في شقّ، يعني يخالف؛ يخالف الرسول بحيث يكون هو في شقّ والرسول في شقٍّ آخر.

{مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى}، فهو لم يخالف الرسول عن جهل؛ وإنّما خالفه عن هوًى، أما من خالف الرسول من غير قصد، وإنما أخطأ في ذلك وهو يريد الحقّ، يريد الحق، لكنه أخطأه فهذا يُعْذَر حتى يتبيَّن له الحقّ فيجب عليه الرجوع إليه.

ولهذا قال سبحانه وتعالى في هذه الآية: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى}، فإنه إذا تبين له الهدى وبقي على شِقاقه فإنّه يكون متَّبِعاً لهواه؛ لأنَّه قامت عليه الحجة. ففي هذا دليلٌ على أن الجاهل يُعْذَر حتى تقوم عليه الحجة.

{مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ}، كذلك، بعد كتاب الله وسنَّة رسوله، يتبع الإجماع؛ فإن الإجماع أصلٌ من أصول الاستدلال؛ لأن أصول الأدلة الكتاب والسُّنَّة والإجماع، فبعد الكتاب وبعد السُّنَّة يُؤخذ بما عليه الإجماع، فمن خالف إجماع المسلمين فإنه قد ضلّ، ويتبع غير سبيل المؤمنين، توعَّده الله بقوله: {نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}. فإن الله جلّ وعلا يتركه وضلاله يهيم في الضلال عقوبةً له؛ لأنه خالف كتاب الله وخالف



سنَّة رسول الله وخالف إجماع المسلمين؛ ففي هذا دليلٌ على حجية الإجماع.

وقد استدل الأصوليون بهذه الآية على حجية الإجماع؛ إجماع علماء المسلمين، وأنّ من خالف الإجماع فإنه قد ضلّ، وأنه معرَّضٌ للوعيد؛ بل قالوا: إن من خالف الإجماع يكفر، إن من خالف الإجماع فإنّه يكفر.

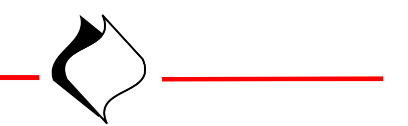
المذيـــــــع: نعم، أحسن الله إليكم. قال رحمه الله: وما هم عليه من الهدي والعمل هو من سبيل غير المؤمنين، بل ومن سبيل المفسدين، والذين لا يعلمون.

الشيخ صالح: نعم، ما عليه المخالفون لما أنزل الله عزّ وجلّ في كلّ وقت، في وقت موسى ومن بعده، فالمخالفون لما أنزل الله فإنهم يكونون ضالين، ويكونون مفسدين -وإن كانوا يزعمون أنهم مصلحون-؛ ولهذا قال جلّ وعلا: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}[البقرة:11] {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ}[البقرة:12]؛ فالإصلاح والصلاح إنما هو باتّباع ما جاء في كتاب الله وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمّا ما خالف الكتاب والسُّنَّة فإنه إفساد، وإن كان أصحابه يزعمون أنه إصلاح.

120) بيان أن المنهي عنه ليس من شرطه أن يُنص عليه بل قد يكون داخلا في عموم منهي عنه

المذيـــــــع: قال -رحمه الله-: وما يقدر عدم اندراجه في العموم فالنهي ثابتٌ عن جنسه فيكون مفارقة الجنس بالكلية أقرب إلى ترك المنهيّ ومقاربته مظنّة وقوع المنهيِّ عنه.

الشيخ صالح: نعم، الأدلّة من الكتاب والسنَّة جاءت على أنواع منها ما هو نصّ، منها ما هو نصٌّ ومنها ما هو ظاهرٌ ومنها ما هو عامٌّ ومنها ما هو خاصٌّ، ومنها ما هو مُطْلَق ومنها ما هو مقيِّد، فأدلة الشَّرع على هذا النمط، فليس من ضرورة المنهيّ عنه أن يكون منصوصاً عليه؛ بل قد يكون داخلاً في عموم النهي، فيُتَجَنَّب



المنصوص عليه من باب أَولى، ويُتَجَنَّب ما يدخل في عموم النهي، وتُتَجَنَّب المخالفة الكثيرة والمخالفة القليلة، فعلى المسلم أن يتنبَّه لهذا الأمر.

المذيـــــــع: قال سبحانه: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}[المائدة:48]. إلى قوله بعدها:

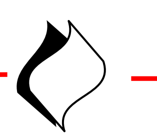
{وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ }[المائدة:49].

ومتابعتهم في هديهم هي من اتّباع ما يهوَوْنه أو مظِنّةٌ لاتّباع ما يهوَوْنه، وتركُها معونةٌ على ترك ذلك، وحسمٌ لمادة متابعتِهم فيما يهوَوْنه.

الشيخ صالح: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا} فأنزلنا عليك الكتاب: الذي هو القرآن، {مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} يعني: لما سبقه من الكتب السماوية، فإن هذا القرآن يوافقها ويُصدِّقها. {وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}، مهيمناً على الكتب السابقة، بمعنى أنه يبيِّن ما وقع فيها من التحريف والتبديل والتغيير، وما نُسخ منها وما لم يُنسخ، فهو هذا الكتاب القرآن الكريم مهيمِن على الكتب السابقة، بمعنى أنه يصحِّح الصحيح الذي لم يُغَيَّر، ويبيِّن المُبدَّل والمغيَّر والمنسوخ.

{وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ}، أمر الله نبيه أن يحكم بين الناس بين اليهود والنصارى وغيرهم، بما أنزل الله من الكتاب والسُّنَّة، فالحكم بين الناس إنّما يكون بالشّرع، لا يكون بالقوانين، لا يكون بالأنظمة البشرية، ولا يكون بالعادات والأعراف القَبلية، وحكم الجاهلية، وإنما يكون بالشرع المنزَّل؛ لأنه هو الكفيل لمصالح العباد وقطع النزاع وصلاح القلوب وردِّ المظالم وغير ذلك وقطع الأهواء والرغبات؛ فالكتاب كفيلٌ بذلك كلّه.

المذيـــــــع: الله أكبر.



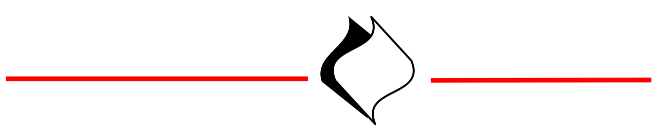
الشيخ صالح: ولا تتبع أهواءهم وأن يحكم بينهم بما أنزل الله {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}. لكلٍّ جعلنا منكم: أي الرسل، شرعة ومنهاج، فالرسل دينهم واحد وهو التوحيد، والاسلام لله عزّ وجلّ، وإن اختلفت شرائعهم فإن الله يشرع لكل أمّةٍ ما يصلحها في وقتها، ثم ينسخ ذلك بشريعةٍ ثانيةٍ تصلح لوقت المتأخر، إلى أن جاء القرآن الكريم، فالله جعله صالحاً لكلّ زمانٍ ومكان،

المذيـــــــع: الحمد لله.

الشيخ صالح: لا يغيّر ولا يبدل إلى أن تقوم الساعة؛ لأن الله ضَمَّنه كل ما يحتاجه البشر في كلّ زمانٍ ومكانٍ إلى أن تقوم الساعة، وهو العليم الخبير فيما يصلح عباده سبحانه وتعالى؛ فهذا القرآن لا يُنسخ، وأما ما قبله من الشرائع فإنها يجري فيها النسخ؛ فهذا منزلة القرآن والإسلام من الأديان والكتب السابقة.

{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} لجعلكم على شريعةٍ واحدة ولم تختلفوا، ولكنْ أمرُ الله جلّ وعلا نافذٌ في وقوع الاختلاف من باب الابتلاء والامتحان.

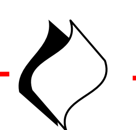
{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ}. ليبلوكم يعني: ليختبركم فيما آتاكم، فالله قادرٌ على أن يجعل الناس كلهم مؤمنين موحِّدين، ولكنه سبحانه وتعالى أراد أن يبتليهم ويمتحنهم، ويكون إيمانهم عن اختيار وعن قَبول، ولا يكون إيمانهم عن إجبار، وإنما عن اختيارٍ ومشيئةٍ لهم، {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} هذا من باب التهديد لا من باب الإقرار كما يحتجّ بعض الناس؛ لأن الناس أحرار من شاء أن يؤمن ومن شاء أن يكفر، ويقولون: هذي حرية الرأي وحرية العقيدة. لو كان الأمر كذلك ما احتاج إلى إرسال الرسل وإنزال الكتب، كلٌّ يأخذ رأيه وخلاص، لكن الله جلّ وعلا يريد طريقاً واحداً، من سلكه نجا، ومن خالفه هلك، فالله جلّ وعلا أراد أن الناس يأتون الأشياء عن اختيارٍ وعن إرادةٍ، وعن مشيئةٍ منهم، فإن كانت خيراً حازوا على الصلاح والفلاح، وإن كانت شراً حازوا على الخسار، وهذا فعلهم هم، وهذا اختيارهم هم؛ فجعل الاختيار لهم في هذا الأمر، جعل الاختيار لهم



في هذا الأمر ولكن المؤمن لا يختار إلّا ما يُرضي الله سبحانه وتعالى. وأمّا المنافق والكافر فيختار ما ترضاه نفسه -ولو أسخط الله عزّ وجلّ-.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس السادس عشر

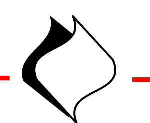
المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامجكم اقتضاء صراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية-رحمه الله-. ضيف اللقاء فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء. في مطلع لقائنا نرحب بفضيلة الشيخ فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

121) **الوصية باتباع ما أنزل الله والمسارعة في تنفيذه، وترك الأهواء كلها**

المذيـــــــع: وقفنا في الحلقة الماضية عند بيان قول الله تعالى: (وَلَو شَاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّة وَٰحِدَة وَلَٰكِن لِّيَبلُوَكُم فِي مَا ءَاتَىٰكُم فَٱستَبِقُوا ٱلخَيرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرجِعُكُم جَمِيعا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ) إلى قوله: (وَلَا تَتَّبِع أَهوَاءَهُم وَٱحذَرهُم أَن يَفتِنُوكَ عَن بَعضِ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيكَ). وأن متابعتهم في هديهم من اتباع ما يهووْنه وتركها معونةٌ على ترك ذلك.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه. ما زلنا في الكلام على قوله سبحانه وتعالى أن الله جل وعلا قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (وَأَنزَلنَا إِلَيكَ ٱلكِتَٰبَ بِٱلحَقِّ مُصَدِّقا لِّمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ ٱلكِتَٰبِ وَمُهَيمِنًا عَلَيهِ فاحكُم بَينَهُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِع أَهوَاءَهُم). أمر الله نبيه أن يحكم بين الناس من يهود ونصارى ومسلمين وكل من تحاكم إليه يحكم بينهم بما أنزل الله؛ لأنه هو الشرع المُطهَّر وهو الذي تطمئن إليه القلوب والنفوس وترضى به نفوس المؤمنين. وهو الذي يقطع النزاع وينهي الأهواء، لأنه من حكيمٍ حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من



حكيمٍ حميد. (وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَاۤءَهُمۡ عَمَّا جَاۤءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ). لا تتبع أهواء اليهود أو النصارى فتحكم لهم بما يرضيهم ويوافق رغباتهم، بل احكم بينهم بما أنزل الله عز وجل. وهذا عامٌ في كل نزاع سواءً أكان بين اليهود والنصارى أو غيرهم. ولا تتبع أهواءهم؛ فدل على أن من أعرض عن الكتاب والسنة فإنه متبعٌ لهواه، وأن من تحاكم إلى الكتاب والسنة فإنه متحاكمٌ إلى الهدى. وماذا بعد الحق إلا الضلال. أما (وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَاۤءَهُمۡ عَمَّا جَاۤءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلࣲّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةࣰ وَمِنۡهَاجࣰاۚ) وبيّنا هذا في الحلقة السابقة (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً). لو شاء الله لم يختلف الناس وجعلهم كلهم على دينٍ واحد، ولكنه أراد أن يختبرهم، وأن يجعل لإرادتهم ومشيئتهم دورًا في أعمالهم وفي أقوالهم وفي تدينهم، فمن كان هواه تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا هو السعيد، ومن كان هواه تبعاً لرغباته وشهواته فهذا هو الشقي. وليتميز هذا من هذا. (ولكن ليبلوكم بما آتاكم)، ثم قال جل وعلا: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ). فاستبقوا أي: بادروها، بادروا الخيرات قبل أن تفوت؛ لأن الدنيا تنتهي والأيام تنطوي والساعات تنقضي، فإذا أخَّرت العمل فقد لا تدركه؛ فعليك أن تبادر، (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) استبقوها قبل أن تفوت. ولا تؤجلوا إلى الغد أو ما بعد الغد أو إلى العام القادم؛ فإنك قد لا تدركه، ولو أدركت قد لا توفق، وقد يعرِض لك ما يعرض من الحوائل أو تعجز عن ذلك، فبادر ما دمت متمكِّناً. (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) ثم قال جل وعلا: (أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا). الله يجمع الخلائق يوم القيامة على اختلاف أجناسهم وأعمالهم ويجازيهم بها -كلٌ بحسب عمله-؛ فلا يظن الظانون أن الناس مهملين في هذه الدنيا؛ يسرحون ويمرحون ويختلفون، ويعرضون عن كتاب الله ويُتركون؛ بل لابد أن يكون لهم موعد مع الله جل وعلا يجازيهم بأعمالهم ويحاسبهم عليها (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا) بأي مكان، وفي أي زمان؛ عليك بالمبادرة (يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا).

المذيـــــــع: في الآية الأخرى في آية البقرة في هذه الآية قال: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ).

الشيخ صالح: هذا الاختلاف الذي حصل في الدنيا ولم يُحسم بالرجوع إلى الكتاب والسنة، فإنه يوم القيامة يحكم فيه أحكم الحاكمين، وإن دخله في الدنيا الأهواء والتغيير واتباع الأهواء؛ فإنه في يوم القيامة لابد أن يحكم الله فيه بالحق ويرد الباطل. (إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون) يعني يخبركم، فيجازي المحق بالخير، ويجازي المسيء بالشر. نعم.

المذيــــــــع: قال إلى قوله: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) ومتابعتهم.

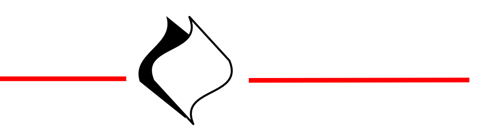
الشيخ صالح: نعم، ثم كرر سبحانه وتعالى: (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ).

هذه وصايا من الله جل وعلا لنبيِّه (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) وهو القرآن والسنة. ولا تتبع أهواءهم؛ لأن ما خالف الكتاب والسنة فهو أهواء ورغبات؛ فعلى الحاكم ألا يراعي أهواء الناس ورغباتهم؛ وإنما يراعي ما أنزل الله سبحانه وتعالى، فيحكم بينهم بذلك.

(ولا تتبع أهواءهم واحذرهم)، هذا تأكيد، لا تتبع واحذر، الانسان وإن خالفهم وحكم بينهم بما أنزل الله؛ لكن لا يطمئن إليهم بل يحذر، يحذر في المستقبل.

(واحذرهم سيفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك)؛ فعليك بالثبات، ولا يُغروك بمخالفة ما معك ويُطمعونك في أشياء، فإن هذا من ترك الحق إلى الباطل.

الله جل وعلا يقول: (وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا*وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً*إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ). فدائماً المشركون والكفار والمنافقون يحاولون مع العلماء ومع ولاة الأمور، يحاولون استمالتهم إلى رغباتهم وإلى شهواتهم بالأحكام، والعمل بالقوانين والأنظمة المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله، هذا ديدنهم، فعلى المسلمين أن يحذروا؛ وخصوصًا العلماء،



وخصوصا الذين يحكمون بين الناس عليهم أن يحذروا من تغريرات هؤلاء، أن يصرفوهم عن الحق.

(واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا)، يعني: أعرضوا ولم يقبلوا، (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم)؛ فهذا فيه دليلٌ على أن من ترك الحق فإنه يُعاقب باتباع الباطل؛ لأن الله يطمس على قلبه ويعاقبه فيتبع الباطل.

(فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ) وهذا أعظم المصيبة، مصيبة القلب أعظم المصيبة، لو أنه أصيب بماله أو أصيب ببدنه لكان أسهل من إصابته في قلبه؛ لأنه اذا أصيب في قلبه زاغ وضل، والقلب إذا ضل وزاغ فلا فائدة فيه؛ لأنه قد انحرف.

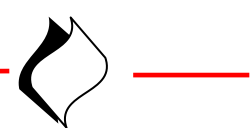
(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) فلا يرجع إلى الحق بعد ذلك.

122) التشبه بأهل الكتاب إما متابعة لأهوائهم أو مظنة لذلك

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم. قال رحمه الله: ومتابعته بهديهم هي من اتباع ما يهوونه أو مظنةٌ لاتباع ما يهوونه، وتركها معونةٌ على ترك ذلك وحسمٌ لمادة متابعتهم فيما يهوونه.

الشيخ صالح: نعم. اتباع أهوائهم هو شرٌ كله، إما أن يكون اتباعاً صريحاً لما يهوونه أو مظنة ذلك؛ فعلى المسلم أن يتجنب هذا خصوصاً من ولّاه الله أمور المسلمين عليه أن يحذر من تضليل هؤلاء الضالين ودعاة الظلال، فإنهم دائماً جادُّون في صرف المسلمين عن دينهم -دائماً وأبداً- لا يفتئون عن ذلك (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) (وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ). هذا دائماً وأبداً، ما انتهى في وقت الرسول صلى الله عليه وسلم، بل هو دائم إلى أن تقوم الساعة.

123) أمثلة النهي في القرآن عن مشابهة الكفار كثيرة



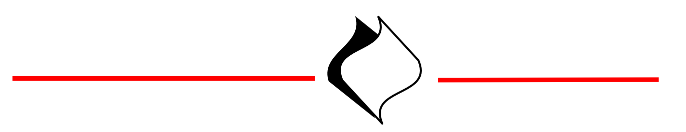
المذيـــــــع: قال رحمه الله: واعلم أن في كتاب الله من النهي عن مشابهة الأمم الكافرة وقصصهم التي فيها عبرةٌ لنا بترك ما فعلوه كثير، مثل قوله لما ذكر ما فعله بأهل الكتاب من المثلات: (فاعتبروا يا أولي الأبصار). وقوله: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) وأمثال ذلك.

الشيخ صالح: فالله جل وعلا ذكر في القرآن من النهي عن مشابهة المشركين الشيء الكثير. ولما ذكر ما أحل باليهود بالمدينة في بني النظير، لما خانوا العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا العهد الذي عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم عليه، حين ذاك سلّط الله رسوله عليهم فغزاهم في محلاتهم، وحاصرهم وحرّق نخيلهم، وأخيراً تصالحوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على أن يجلوا عن المدينة، ويأخذوا ما خف معهم، ويتركوا الباقي للمسلمين.

الله جل وعلا قال في صدر سورة الحشر: بسم الله الرحمن الرحيم (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ*هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) هذا هو الفوج الأول، وتبعهم بنو قينقاع وبنو قريظة. الفوج الأول من اليهود الذين جلوا عن المدينة هم بنو النظير في أول الحشر (مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). الشاهد في قوله: (فاعتبروا يا أولي الأبصار): يا أصحاب العقول والبصائر، اعتبروا بما جرى لهؤلاء، فإنهم أهل كتاب وأهل علم؛ ولما خانوا الله ورسوله حل بهم ما حل، فعليكم أن تحذروا من طريقتهم والتشبه بهم في ذلك.

المذيـــــــع: قال ومثل قوله تعالى: (لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب).

الشيخ صالح: نعم، لما ذكر الله في قصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف ذكر: ما جرى ليعقوب وما جرى ليوسف وأخوته



وما انتهى إليه أمرهم من الاجتماع وأن يعقوب -عليه السلام- سمح لهم واستغفر لهم وأن يوسف -عليه السلام- سمح لهم وقال: (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم).

الله جل وعلا لما ذكر هذه القصة العظيمة في هذه السورة قال في ختامها: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)؛ فالله قص علينا قصص هؤلاء الرسل وهؤلاء الأنبياء وقص قصص غيرهم في القرآن من أجل أن نعتبر بذلك.

(عبرة لأولي الألباب)، لأصحاب العقول؛ أما الذين لا عقول لهم فإنهم تمر عليهم هذه القصص ولا يلتفتون إليها ولا يعتبرون بما فيها.

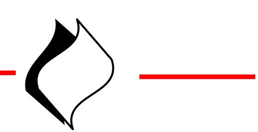
(ما كان حديثاً يُفترى): ما كانت هذه القصص مثل قصص التاريخ التي أكثرها كذب وافتراء؛ وإنما هذا وحيٌ من الله سبحانه وتعالى، وحيٌ منزل لا يتطرق إليه أي احتمال؛ (ما كان حديثاً يفترى).

124) تنوع الأدلة الدالة على النهي عن مشابهة غير المسلمين

المذيـــــــع: أجسن الله إليكم، قال رحمه الله: ومنه ما يدل على مقصودنا، ومنه ما فيه إشارة وتسميمٌ للمقصود.

الشيخ صالح: نعم ما يذكره الشيخ رحمه الله في هذا الكتاب من الآيات والأحاديث: منه ما هو نصٌ في المقصود وهو تحريم التشبه بالكفار عموماً، من اليهود والنصارى والأعاجم والمشركين وأهل الجاهلية منه ما هو نصٌ في ذلك، وهو النص هو ما يحتمل غيره. والظاهر هو ما يحتمل، منه ما هو نص، ومنه ما هو ظاهر وعموم واحتمال؛ فهذا يحصل به المقصود من التنبيه على تحريم التشبه إما نصاً وإما ظاهراً وإما عاماً وإما خاصاً. نعم.

المذيـــــــع: قال رحمه الله: ثم متى كان المقصود ببيان أن مخالفتهم في عامة أمورهم اصلح لنا فجميع الآيات دالةٌ على ذلك. وإن كان المقصود أن مخالفتهم واجبةٌ علينا؛ فإن هذا إنما يدل عليه بعض الآيات دون بعض.



الشيخ صالح: نعم؛ فهذا الذي يذكره من الآيات والأحاديث لمخالفة أهل الكتاب، فهو كله يتفق في المنع من التشبه بالكفار عموماً، وأن المسلمين يستقلون بشخصيتهم الإسلامية التي أكرمهم الله بها. فمن ذلك -كما سبق-: ما هو نصٌ لتحريم التشبه بهم في القليل والكثير، ومنه ما هو ظاهرٌ وعامٌ في منع التشبه؛ وكلا الأمرين مكروه في الشرع. فما كان من نصٍ فهو واجب، والتشبه بهم فيه حرام، وما كان من عمومٍ أو شمولٍ، فإنه -على أقل الأحوال- يكون مكروهاً، والتشبه بهم فيه مكروه. نعم.

المذيـــــــع: قال: ونحن نذكر ما يدل على أن مخالفتهم مشروعةٌ في الجملة.

الشيخ صالح: مشروعةٌ في الجملة يعني، وإن كان بعضها أنكد من بعض. بعضها حرام وبعضها مكروه.

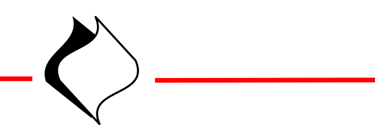
المذيـــــــع: إن كان هو المقصود هنا، أما تمييز دلالة الوجوب أو الواجب عن غيرها وتمييز الواجب عن غيره فليس هو المقصود هنا.

الشيخ صالح: إي نعم؛ لأن المقصود ذكر قواعد في التشبه، ليس المقصود الاستقصاء بجميع أفراد التشبه. فإن هذا كما سبق لكلامه رحمه الله، أن هذا يستدعي كلاماً طويلاً فيستدعي مؤلفات كثيرة، ولكنه يُقعّد قواعد في هذا الكتاب في التشبه الممنوع. نعم.

125) النهي عن مشابهة أهل الكتاب في أعيادهم

المذيـــــــع: قال رحمه الله: وسنذكر إن شاء الله أن مشابهتهم في أعيادهم من الأمور المحرمة؛ فإنه هو المسألة المقصودة بعينها، وسائر المسائل إنما جلبها تقرير القاعدة الكلية العظيمة المنفعة.

الشيخ صالح: نعم، ومن الأمور التي يحرم التشبه بهم فيها وهي المقصودة تشبه بالكفار في أعيادهم، والعيد اسمٌ لما يتكرر ويعود إما على مدار السنة، أو على مدار عددٍ من السنين، أو مدار



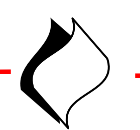
الأسبوع، أو غير ذلك. وهو ينقسم إلى قسمين، عيدٌ زماني، وعيد مكاني، فما يعود ويتكرر؛ فإنه يسمى بالعيد. والكفار لهم أعياد، لهم اعيادٌ يعتبرونها من شعائر دينهم. والمسلمون لهم أعياد من شعائر دينهم، وهما عيدان: عيد الفطر وعيد الأضحى.

وقد قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة والمشركون لهم أعياد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [إن الله قد أبدلكم بها خيرٌ منها: عيد الفطر، وعيد الأضحى]. فيجب على المسلمين أن يقتصروا على هذين العيدين: عيد الفطر، وعيد الأضحى، ولا يجعلوا لهم أعياداً تشبه أعياد أهل الكتاب: المناسبات، عيد المولد، عيد الجلوس، عيد كذا وعيد كذا؛ لأن هذه أعياد جاهلية.

126) أوصاف النفاق وأقسامه

المذيـــــــع: قال رحمه الله: وقال الله عز وجل:(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ) إلى قوله تعالى: (يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ جٰاهِدِ الْكُفّٰارَ وَ الْمُنٰافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ). قال رحمه الله: بيّن سبحانه وتعالى في هذه الآيات أخلاق المنافقين وصفاتهم، وأخلاق المؤمنين وصفاتهم وكلا الفريقين مظهرٌ للإسلام. ووعد المنافقين المظهرين للإسلام مع هذه الأخلاق والكافرين المظهرين للكفر نار جهنم، وأمر نبيه بجهاد الطائفتين، ومنذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم..

الشيخ صالح: الله سبحانه وتعالى قال في سورة التوبة في سياق ذم المنافقين، قال تعالى: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ). المنافقون والمنافقات: دل على أن في النساء منافقات مثل الرجال، المنافقون والمنافقات. والنفاق هو: إظهار الإيمان وإبطان الكفر، هذا هو النفاق الاعتقادي الكفري، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، وهو الذي يُظهر الإيمان ويظهر الإسلام، يظهر الاسلام ويبطن الكفر خداعاً ومكراً (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ). وهناك نفاقٌ عمليٌ؛ وهو يصدر من بعض



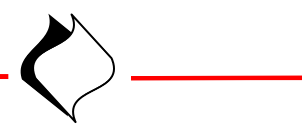
المؤمنين، وهو أن يتصف بصفة من صفات المنافقين لكن قلبه مؤمن، هو مؤمن في قلبه لكن قد يصدر منه قولٌ أو فعلٌ يُشبه صفات المنافقين؛ هذا نفاقٌ عملي، ويسمى بالنفاق الأصغر. وهذا هو الذي خافه النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه، قال صلى عيه وسلم: [أربع من كن فيه كان منافقاً خالصًا ومن كانت به خصلة منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر].

وقال صلى الله عليه وسلم: [آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان]؛ فهذه صفات قد تصدر من بعض المؤمنين لضعف إيمانهم، لكنهم لا يكفرون بها، وتسمى بالنفاق الأصغر، وهي خطيرة جداً؛ لأنها قد تجر إلى النفاق الأكبر، والاتصاف بها مشابهة للمنافقين، وإن كانت مشابهة جزئية لكنها خطيرةٌ جداً ومرضٌ عضال؛ حتى يتوب الانسان منها.

(المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض)؛ ما قال أولياء بعض، لأنهم أعداء فيما بينهم، إي نعم، وإن كانوا يُظهرون أنهم جميع وأنهم...، لكن هم فيما بينهم.. (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ).

قال: (بعضهم من بعض)، يعني: يشبه بعضهم بعضا في المكر والخداع والسلوك السيء.

(يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف)، دائماً هذه صفة المنافق؛ يأمرون بالمنكر، والمنكر: كل ما تنكره العقول السليمة والفطر المستقيمة، هذا هو المنكر، وهو كل ما حرم الله سبحانه وتعالى، كل ما نهى الله عنه وحرمه فإنه منكر؛ لأنه تُنكره العقول السليمة والفطر المستقيمة؛ فهؤلاء يأمرون بالمنكر، هذه صفاتهم أنهم يأمرون بالمنكر، دائماً يدعون إلى الرذيلة، دائماً يدعون إلى العري والتفسخ وخلع الحجاب، وإخراج المرأة من بيتها إلى مخالطة الرجال، يدعون إلى تغيير الشرع والحكم بالقوانين والأنظمة ومسايرة الكفار، هذه دعاياتهم دائماً واردة؛ هذه صفات المنافقين.



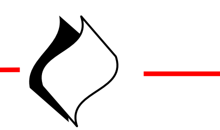
وما اشبه الليلة بالبارحة، الدعاة الآن من هؤلاء على قدمٍ وساق، دائماً يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ينهون عن التمسك بالكتاب والسنة، ويسمون هذا من الغلو والتطرف والتشدد والتزمّت، إلى غير ذلك، يزهّدون في طباع الكتاب والسنة والاستقامة.

نعم إنكار الغلو والتشدد والتزمت هذا أمرٌ واجب، يُنكر؛ لكن ليس التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتقيد بالحلال والحرام، ليس هذا هو التشدد، وليس هذا هو التزمت؛ بل هذا هو الحق، وهو المنهج السليم.

(يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم)، يقبضون أيديهم: كناية عن البخل، أنهم يمنعون الزكاة ولا يتصدقون ولا ينفقون؛ لأنهم لا يؤمنون بالله، ولا يرجون ثواب لله، ويحبون المال ويبخلون به، ويخشون الفقر، ما عندهم أمل بالله عز وجل واعتماد على الله، ويظنون أنهم إذا انفقوا أنه ينفذ مالهم ويصيبهم الفقر؛ فهم يقبضون أيديهم عن النفقات الواجبة والمستحبة؛ هذه صفات المنافقين والعياذ بالله.

(نسوا الله فنسيهم)، نسوا الله: أي تركوا طاعته جل وعلا، وارتكبوا ما حرّم عليهم، فنسيهم الله: تركهم الله، وإلا فالله جل وعلا لا ينسى؛ النسيان الذي معناه الذهول، وإنما معنى النسيان هنا الترك، النسيان يأتي بمعنى الترك، كما أنه يأتي بمعنى الذهول، الله مُنزَّهٌ عن ذلك؛ (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا).(فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى). الله منزهٌ عن النسيان الذي هو الذهول، وعدم الإدراك، وإنما المراد بالنسيان هنا: الترك. نسوا الله: تركوا أوامره وأعرضوا عن ذكره؛ فنسيهم، يعني: تركهم من فضله وإحسانه، تركهم في العذاب.

(إن المنافقين هم الفاسقون): أي الخارجون عن طاعة الله؛ لأن الفسق هو الخروج، الفسق في اللغة: هو الخروج، والمراد بها هنا: الخروج عن الدين. والفسق ينقسم إلى قسمين؛ فسقٌ أكبر: وهو فسق المنافقين، وفسقٌ أصغر: وهو ما يحصل من المؤمن من بعض المعاصي، هذا فسق؛ لكنه فسقٌ أصغر لا يُخرِج من الملة.



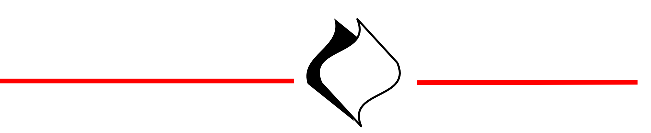
المذيـــــــع: شيخنا عذراً لإرجاء بيان هذه الأنواع من الفسق وإتمام شرح الآيات في لقاءنا القادم إن شاء الله.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع عشر

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الـرحيم، الحمـد للـه رب العـالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمـة اللـه وبركاتـه، وأهلا وسـهلًا بكم الى حلقـةٍ جديـدة في برنـامجكم "اقتضـاء الصـراط



المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام/ أحمد ابن عبد الحليم ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

ضيف اللقاء فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع هذا اللقاء نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله شيخ صالح.

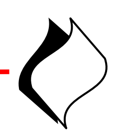
الشيخ صالح: حياكم الله.

127) فسق المنافقين أعظم من فسق الكفار، ومجاهدة الطائفتين

المذيع: قال -رَحِمَهُ اللهُ تعالى-: [في وجهٍ آخر من المشابهة بين هذه الأمة وأهل الجحيم، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة:67]، في آخر هذه الآيات قد بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أخلاق المنافقين وصفاتهم وأخلاق المؤمنين وصفاتهم، وكلا الفريقين مظهرٌ للإسلام، ووعد المنافقين المظهرين للإسلام مع هذه الأخلاق، والكافرين مظهرين للكفر نار جهنم وأمر نبيه بجهاد الطائفتين].

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، في الحلقة السابقة كنا في آخر الآية وهي قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [التوبة:67]، وصلنا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة:67].

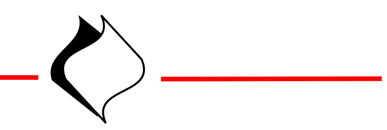
الله -جل وعلا- حصر الفسق بالمنافقين، والفسق معناه الخروج عن طاعة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فهم خارجون عن طاعة الله نهائيًا، وإن كانوا يتظاهرون في طاعة الله، في الظاهر فهذا لا يفيد شيئًا، يقولون بأفواههم، ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:11]، والله يشهد أنهم لكاذبون، ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:9، 10].



فلذلك حصر الله الفسق فيهم، إن المنافقين مؤكدًا بأن المنافقين هم الفاسقون، أي لا أحد أفسق منهم، فهم أفسق من الكفار الأصليين، لأن الأصليين وإن كانوا فساقًا عن أمر الله -جل وعلا- إلا أنهم أظهروا ذلك، وصرحوا به، فكان المسلمون على بينةٍ من أمرهم، لكن هؤلاء خدعوا المؤمنين فأظهروا الإيمان والإسلام وهم في الباطن أعداءٌ للمؤمنين، وأعداءٌ للإسلام، فلذلك صار فسقهم أشد من فسق الكفار الأصليين، ثم أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بعدما ذكر المنافقين ذكر صفات المؤمنين، فقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ [التوبة:71]، انظر الى المقابلة، هؤلاء سماهم المنافقين والمنافقات، ولم يقل المؤمنين مع أنهم يتظاهرون بالإيمان لأن العبرة ليست بالمظاهر، ولكن العبرة بالحقيقة، فلم يعطهم اسم الإيمان، وإنما أعطاهم اسم النفاق، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ [التوبة:71]، الذين استوى ظاهرهم وباطنهم في الصدق مع الله -جل وعلا-.

هؤلاء هم المؤمنون والمؤمنات، والإيمان هو قولٌ باللسان واعتقادٌ بالقلب وعملٌ بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص للمعصية، وهذه صفة هؤلاء، ولذلك قال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ [التوبة:71]، يعني أن الإيمان أن أهل الإيمان يكونون الرجال ويكونون من النساء، ففي هذا اعطاء المرأة مسؤوليةً عظيمة نحو دينه، وأنها مثل الرجل في هذا، فهي إما أن تكون كافرة أو مشركة، وإما أن تكون منافقة، وإما أن تكون مؤمنة، فلتنظر لنفسها أي مكانٍ هي فيه، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:71]، هذا في مقابل قوله في المنافقين: ﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [التوبة:67]، لم يقل المنافقون والمنافقات بعضهم أولياء بعض، وإنما قال: ﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [التوبة:67].

يعني يشبه بعضهم بعضًا بالكفر والنفاق والكذب، ولا يتولى بعضهم بعضًا، وإنما هم أعداءٌ فيما بينهم؛ لأنهم لا يجمعهم دين ولا ينطوون تحت عقيدة، فهم فيما بينهم، أما المؤمنون فإنهم بعضهم أولياء بعض بالمحبة والنصرة والتعاون على البر والتقوى، ويتألم بعضهم لألم بعض، ويسر بعضهم لسرور الآخر، هذا معنى الإخوة الإيمانية، بعضهم أولياء بعض، وفي ضمن ذلك قطع الولاية بينهم

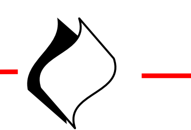


وبين المنافقين والمنافقات والكافرين والكافرات، بعضهم أولياء بعض، هذه صفاتهم بعضهم يتولى بعضًا بالمحبة والنصرة والتعاون، والمشاركة في الآمال والآلام، كما قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: >مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد<. وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: >المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا<، وشبك بين أصابعه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقال -عَلَيْهِ الصَّلَاة السَّلَامُ-: >والله في عون العبد كما كان العبد في عون أخيه<.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:71]، هذه صفة.

الصفة الثانية: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة:71]، أما المنافقون فهم بالعكس: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة:67]، المعروف المراد به كل ما أمر الله به سمي معروفًا؛ لأنه تعرفه العقول السليمة والفطر المستقيمة، والمنكر كل ما نهى الله عنه، سمي منكرًا؛ لأنه تنكره العقول والفطر، يأمرون بالمعروف فهم يأمرون بما أمر الله به أو أمر به رسوله، ينهون عن المنكر وهو كل ما نهى الله عنه أو نهى عنه رسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم دعائم الإسلام، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: >من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان<، وهذا في الحقيقة داخلٌ في قوله -تعالى-: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:71]؛ لأن من موجب الولاية لما بينهم أنهم يتآمرون بالمعروف ويتناهون عن المنكر؛ لأنهم يحرصون على ما ينفع الجميع، ويتجنبون ما يضر الجميع، ولا يقتصر أحدهم على نفسه فقط، وإنما يحرص على ما ينفع إخوانه ويدفع الضرر عنهم.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة:71]، هذه صفات المؤمنين، وأما ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه من صفات المنافقين، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ [التوبة:71]، هذا من صفاتهم أنهم يحرصون على إقامة الصلاة، فرضها ونفلها، يقيمونها لم يقل يصلون، بل قال يقيمون الصلاة؛ لأن المقصود إقامة الصلاة، وذلك بأن يؤتى بها قائمةً على أركانها وواجباتها، وشروطها وخشوعها، هذا هو



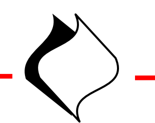
المقصود من الصلاة، أنهم يقيمونها كما أمر الله -جل وعلا- بذلك، وليس المقصود مجرد الركوع والسجود والقيام والقعود.

﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [التوبة:71]، الركن الثالث من أركان الإسلام الزكاة وهي قرينة الصلاة، فمن علامة الإيمان أنهم يؤتون الزكاة، من صفات المؤمنين بمعنى أنهم يدفعون زكاة أموالهم التي أوجبها الله عليهم حقًا للسائل والمحروم، وأولئك المنافقون على العكس لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، ولا ينفقون إلا وهم كارهون، وقال الله فيهم: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة:67]، عن النفقة، أما المؤمنون فإنهم يبسطون أيديهم بالنفقة في طاعة الله لا سيما إخراج الزكاة.

﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة:71]، هذا تعميمٌ بعد تخصيص، يطيعون الله فيما أمر ويطيعون رسوله فيما أمرهم، ويتركون ما نهى الله عنه ورسوله، هذه صفات أهل الإيمان،﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:36]، ثم أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ذكر جزاءهم، قال: ﴿أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة:71]؛ لأنهم أتوا بأسباب الرحمة، فأتوا بأسباب الرحمة، فالله وعدهم الرحمة، إن الله لا يخلف وعده -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فإذا قاموا بهذه الصفات فإنهم جاؤوا بأسباب الرحمة، والله وعدهم بذلك، والله لا يخلف وعده.

﴿أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:71]، إن الله عزيز يعني قوي، حكيمٌ يضع الأمور في مواضعها، فيضع الثواب فيمن يستحقه، ويضع العقاب فيمن يستحقه، ولا يعذب من لا يستحق العذاب ولا يثيب من لا يستحق الثواب، بل هو يضع الأمور في مواضعها، ﴿أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:71]، وأيضًا هو عزيز لا يعجزه شيء، فإن بعض الناس أو-بعض الخلق- وإن أراد أن يعمل شيئًا لكنه قد يعجز، أما الله -جل وعلا- فإنه لا يعجزه شيءٌ.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [التوبة:72]، لما ذكر جزاء المنافقين هناك قال: ﴿الْمُنَافِقُونَ

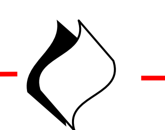


﴿وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة:67، 68]، نار جهنم هذا جزاؤهم، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة:68]، يعني باقين إلى الأبد، لا يخرجون منها، ولا يخفف عنهم العذاب، بل هم أشد للنار عذابًا؛ لأنهم في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا، خالدين فيها وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار، الكفار الأصليين نار جهنم خالدين فيها يعني باقين إلى الأبد ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾، أي كافيتهم في العذاب، كافيتهم في الآلام والأحزان والمصائب، ليس بعد النار شقاء -والعياذ بالله-، ليس بعد النار عذاب، ليس بعد النار تعب، وكل الهموم وكل الأحزان وكل الآلام والاوجاع كلها تجتمع في النار،﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾.

وأشد من ذلك ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾، يعني طردهم وأبعدهم من رحمته، فلا مطمع لهم في رحمة الله، فإن المؤمن العاصي وإن دخل النار فإنه يطمع في رحمة الله، في أنه يخرج من النار ويدخل الجنة كما صحت بذلك الأدلة، أما هؤلاء فقد لعنهم الله، يعني طردهم وأبعدهم من رحمته فلا مطمع لهم بما من الخروج من النار.

﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة:68]، يعني دائمًا أبدًا، لا يستريحون منه ولا يخفف عنهم، فهو عذاب ومقيم، أيضًا قد يكون العذاب ساعةً أو أيامًا أو سنين ثم يزول، لكن هؤلاء عذابهم مقيم، لا يرجون منه خلاصًا أبدًا، والعياذ بالله، حتى ولو كان العذاب يسيرًا إذا كان دائمًا فإنه شديد، فكيف إذا كان العذاب شديدًا ودائمًا؟ فالأمر أشد -والعياذ بالله.

في مقابل ذلك قال الله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ [التوبة:72]، ولم يقل جنةً، بل قال جنات، يعني جنات متعددة، ومتنوعة وواسعة، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ [التوبة:72]، وفي هذا دليلٌ على أن المرأة كالرجل في العمل الصالح والعمل السيء والجزاء عند الله يوم القيامة، وإن كانت تختلف عنه في الدنيا بخواص تليق بها، فإنها في الثواب والعقاب هي مثل الرجل وشريكة الرجل.



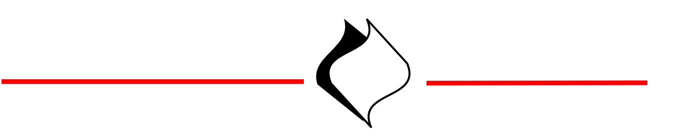
﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة:72]، والجنات جمع جنة، وهي الشجر الملتف، والخضرة النضرة، سمي جنةً من الاجتنان، وهو الاستتار، لأنها ملتفةٌ تستر ما وراءها في شجرها وخضرتها، ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، زيادةً في النعيم، فهي جناتٌ خضرة ومناظر جميلة وتحتها أنهارٌ جارية مما يمتع الأبصار، ويفرح النفوس، تجري تحتها الأنهار، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة:72]، يعني ليس إقامتهم فيها مؤقتة، حتى يحزنوا من الرحيل، وإنما تقر أعينهم بأنهم لا يخرجون منها، ولا يموتون ولا ينتقلون منها، ﴿لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف:108]، يعني لا يملون منها، فإن العادة أن الانسان إذا أقام في المكان فإنه يمل، لكن هؤلاء لجمالها ولرونقها ولذتها ﴿لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة:72]، جعل الله لهم مساكن يسكنون فيها هم وأزواجهم وذرياتهم، يسكنون في هذه المساكن ومساكن طيبة ليست مساكن مؤقتة أو مساكن بسيطة يعني مساكن محل، محل إقامة يسيرة، وإنما هي مساكن طيبة، ولا يعلم صفتها إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فهي طيبة من جميع النواحي، طيبةٌ من ناحية بنائها، وطيبةٌ من ناحية رائحتها، وطيبةٌ من ناحية سكانها، طيبة النواحي.

النواحي: في جنات عدن، هذه المساكن في جنات عدن، والعدل الإقامة، يقال عدن في المكان، إذا اقام، فهم مقيمون فيها، أبد الأبد في جنات عدن، ذلك هو الفوز العظيم، فختم الله جزاءهم بقوله ذلك؛ أي ما هم فيه من النعيم المقيم والجنات والسرور هو الفوز، والفوز هو النجاة من المحذور، فهم فازوا يعني نجوا من الهلاك، ذلك هو الفوز العظيم الذي لا أعظم منه، نعم.

128) الفرق بين المؤمنين والمنافقين

المذيع: ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة:73].



الشيخ صالح: والشاهد من هذه الآيات أننا نستخلص منها صفات المنافقين، وصفات المؤمنين، ونعرف فرق بين صـفات الفـريقين، وذكر الله فيها جزاء المنافقين وجزاء المؤمنين، ونعرف الفرق بين الجزاءين، وهذا مما يحث المؤمن على الإيمان وعلى تجنب النفاق.

المذيـــــــع: قال -رَحِمَهُ اللهُ -: بين -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في هـذه الآيات أخلاق المنافقين وصفاتهم، وأخلاق المؤمنين وصفاتهم.

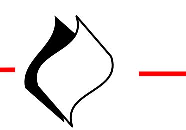
الشيخ صالح: كمـا ذكرنـا وكلا الفـريقين مظهـرٌ للإسـلام، كلا الفريقين مظهرٌ للإسلام، لكن المؤمنون مظهرون للإسلام حقيقة، ظاهرًا وباطنا، وأما المنافقون فهم يظهرونه في الظاهر ويبطنون خلافه وضده، نعم.

المذيـــــــع: ووعـد المنـافقين المظهـرين للإسـلام مـع هـذه الأخلاق، والكافرين مظهرين للكفر نار جهنم.

الشيخ صالح: لم يفرق بين المنافقين مع إنهم يدعون الإسـلام وبين الكفار؛ لأنهم كفـارٌ في البـاطـل، وإن تظـاهروا بالإسـلام في الظاهر، فالعبرة ليست بالمظـاهر، وليس العـبرة بالخـداع والمكـر؛ وإنما العـبرة بالحقـائق والصـدق مـع اللـه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فهم صـاروا مـع الكفـار، لا فـرق بينهم، وإن كـانوا تسـموا بالإسـلام، فالتسـمي بالإسـلام لا يفيـد شـيئًا، وهـذا ممـا يـرد بـه على الـذين يقولون يكفي أن المسلمين يسمون بالإسلام، ولا يقال هذا مـؤمن وهذا من أهل السـنة والجماعـة، وهـذا مسـتقيم وهـذا على مـذهب السلف، بل يقولـون يكفي تسـمى تحت مظلـة الإسـلام، وإن فعـل الإنسان واعتقد ما اعتقد من والكفر يكفي انـه يتسـمى بالإسـلام، فهؤلاء المنافقون تسـموا بالإسـلام، وصـلوا وصـاموا وخرجـوا في الجهاد مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولم ينفعهم ذلـك، لم ينفعهم التسمي بالإسـلام، لمـا لم يكن هـذا حقيقـةً، ولم يكن هـذا عن صدقٍ مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

129) أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين

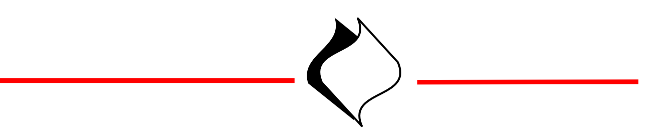
المذيـــــــع: قال: وأمر نبيه بجهاد الطائفتين.



الشيخ صالح: ثم أمر الله نبيه بجهاد الطائفتين الكفار والمنافقين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة:73]، والخطاب لمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومن كرامته على الله أنه لا يناديه باسمه، وإنما يناديه باسم النبي، يا أيها النبي، يا أيها الرسول، ولم يناده أبدًا بقوله يا محمد، إكرامًا له -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، بينما كان ينادي الأنبياء قبل بأسمائهم يا موسى، يا عيسى، الله ينادي الأنبياء الأولين -عَلَيْهِم الصَّلَاة السَّلَامُ- بأسمائهم، يا إبراهيم، أما هذا النبي؛ فإن الله لم يناده باسمه أبدًا، وإنما قال: يأيها النبي، يا أيها الرسول، واذا جاء الخبر عنه، فإنه يسميه باسمه، محمدٌ رسول الله والذين معه وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم، فإذا جاء الأخبار عنه ذكر اسمه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وإذا نودي إنما ينادى باسم النبوة واسم الرسالة، (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين).

الكفار يجاهدون بالسلاح، والمنافقون يجاهدون بالحجة والبيان والرد على شبهاتهم؛ لأن المنافقين شغلهم الشاغل هو الطعن في الإسلام والمسلمين دائمًا وأبدًا، فيجب على النبي وعلى اتباع النبي-عَلَيْهِ الصَّلَاة السَّلَامُ- أن يكونوا بالمرصاد، لهؤلاء المنافقين يردون شبهاتهم، ويدمغون حججهم، ويبطلون كيدهم، وكم في القرآن من الآيات التي ترد على المنافقين وتفضح المنافقين وتبين كيدهم ومكرهم وخداعهم للمسلمين، فهذا هو الجهاد، جهاد المنافقين بالحجة واللسان، ولا يقاتلون بالسلاح لأنهم يظهرون الإسلام.

أما الكفار الأصليون؛ فإنهم يقاتلون بالسلاح إذا لم يقبلوا الدعوة، يدعون إلى الله أولًا فإن استجابوا فالحمد لله، وإلا فإنهم يقاتلون؛ لأن لا ينشروا الكفر في الأرض؛ ولأن لا يصدوا عن سبيل الله؛ ولأن لا يضايقوا عباد الله المؤمنين ويتطاول عليهم، ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، ثم قال: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾، يعني لا تتساهل معهم، أو تلين في القول معهم، أي ما داموا أظهروا العداوة لله ولرسوله، فإنهم يغلظ عليهم، ويوبخون لأجل كف شرهم وقمعي عنادهم، ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾، مأواهم أي مقرهم ومصيرهم المحتوم الذي ينتظرهم، جهنم وهي النار-والعياذُ بالله- والنار تسمى بأسمى



جهنم وسقر والهاوية، والقارعة تسمى بأسمى، فمنها جهنم، وقد اختلف العلماء جهنم هل هو اسمٌ اعجمي او عربي؟ الله اعلم.

المهم أن هذا من أسماء النار-والعياذُ بالله- ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، بئس المصير مصيرهم الذي ينتهي أمرهم إليه، والمستقبل الذي يسيرون إليه، ومستقبلهم النار -والعياذُ بالله- وإن تمتعوا في الدنيا واستقالوا في الدنيا، فإن هذا يزول عما قريب سوء المصير، سوء المنقلب، نعم.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

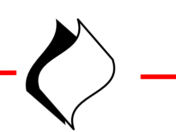
الدرس الثامن عشر

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلًا وسهلًا بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامجكم اقتضاء الصراط المستقيم، اصحاب الجحيم لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-، يشرحه في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح ابن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع لقائنا نرحب بضيفنا الكريم حياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: وحياكم الله وبارك فيكم.

130) أقسام الناس بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم



المذيـــــــع: ذكـر المؤلـف وكنـا معـه في الحلقـة الماضـية آيـات المنافقين والمؤمنين وصفاتهم في سورة التوبة من قولـه تَعَـالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبــة:71]، إلى قولـه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة:73].

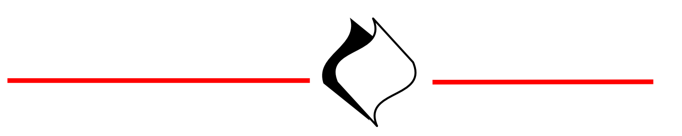
ثم قال -رَحِمَهُ اللهُ-: ومنذ بعث الله محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- وهاجر إلى المدينة صار الناس ثلاثة أصناف: مؤمن ومنافق وكـافر، فأما الكافر....

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد للـه رب العـالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى إله وصحبه أجمعين.

لما بعث الله نبيه محمـدٌ -صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- في مكـة ودعـا الناس إلى الإسـلام، انقسـم النـاس في مكـة إلى قسـمين: مـؤمنٍ وكافر، مؤمنٍ به وكافرٍ به، ولما هاجر إلى المدينـة وقـوي الإسـلام ظهر صنفٌ ثالث، وهم المنافقون، فصار الناس بعد هجـرة النـبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثلاثة أقسام: مؤمنون كافرون، ومنافقون.

والنفاق إنما يظهر عنـد قـوة الإيمـان مـع قـوة المسـلمين، يظهـر النفاق أما مع ضعف المسلمين فإنه لا حاجة إلى النفـاق يصـرحون بكفرهم، لكن إذا قـوي المسـلمون وخـافوا منهم أظهـروا الإسـلام اتقاءً ولأجل أن يعيشوا مع المسلمين ويتخذونه جنــة يســتترون من ورائهم، كما قال -تَعَالَى-: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَـانَهُمْ جُنَّةً فَصَـدُّوا عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ﴾ [المجادلة:16]، هذه صفة المنافقين.

النفـاق إنمـا بعـد الهجـرة لمـا قـوي الإسـلام، صـار هنـاك قـومٌ لا يجــرؤون على أن يواجهــوا المســلمين، ويقــاوموا المســلمين، فأظهروا الإسلام لأجل الخديعـة، وبقـوا على كفـرهم في الباطـل، ونحن ليس لنا إلا الظاهر نحكم على الظاهر، وأما الباطن فإن اللـه يتولاه، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: >أمرت أن أقاتل النـاس حـتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصـموا مـني دمـائهم، وأمـوالهم وحسابهم على الله<، فاللـه هـو الـذي يتـولى السـرائر؛ وأمـا نحن نقبل الظاهر، ولـذلك قبـل النـبي -صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- إيمـانَ المنافقين؛ لأن المقصود هو كف شرهم وأما الإيمان فهو بيـد اللـه



يؤتيه من يشاء، والرسول لا يمنح الإيمان، ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص:56]، فإذًا كف شرهم وبقوا على كفرهم في الباطن فهذا ضرره عليهم.

المذيـــــــع: قال: فأما الكافر وهو المظهر للكفر فأمره بَيِّن.

الشيخ صالح: أي نعم المسلمون على معرفةٍ منه ويعرفون أنه عدوهم وأنه كافر.

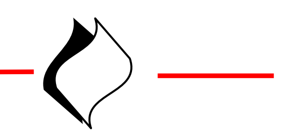
131) أقسام النفاق: اعتقادي، وعملي

المذيـــــــع: وإنما الغرض هنا متعلقٌ بصفات المنافقين المذكورة في الكتاب والسنة.

الشيخ صالح: فالمنافقون هم الذين أظهروا الإيمان والكفر وهؤلاء أخطر من الكفار الأصليين؛ لأن الكفار الأصليين يعرفهم المسلمون ويأخذون حذرهم منهم، أما المنافقون فالمسلمون ينخدعون بهم، وهم يخدعون المؤمنين، فيعملون الكيد لهم في الباطل، وينشرون الشر والفتن فهم أشد خطرًا من الكفار الأصليين؛ ولذلك قال تَعَالَى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:4]، نعم.

المذيـــــــع: يا شيخ حتى في هذا الزمان وفي زمن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لم يكن أحد الا ما أخبر الله به الرسول له ثم أسر بها حذيفة -رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- من أسمائهم، لم يكن يعرف أن فلانًا منافق بشخصه، يعني ممكن يقول المسلم أو السامع الآن يسمع حديثه؟ نحن قد نظن بأحد خيرًا أو نظن به سوءً، والظن لا يغني من الحق شيئًا، لكن كيف؟ هل لأحدٍ أن يقول هذا منافق أو هذا غير منافق؟ أو يحكم عليه من قوله او من فعله؟ أو متخلف عن الصلاة كما قال ابن مسعود: [لا يتخلف عنها إلا منافق] معلوم النفاق؟

الشيخ صالح: مسألة النفاق الاعتقادي لا يعلمه إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ لأنه عملٌ قلبي، أما النفاق العملي فهذا يظهر من أنه يتعاطى شيئًا من صفات المنافقين مثل تأخره عن صلاة الجماعة هذه علامة نفاق، مثل كراهيته للصدقة هذه علامة نفاق وتظهر



عليه يعرف ذلك منه، ومثل الكذب: >إذا حدث الكذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان<، هذه آية المنافق يعني علامةٌ يعرف بها.

الله -جل وعلا- يقول: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد:30]، فيظهر على فلتات ألسنتهم وصفحات وجوههم ما يبطنون من النفاق، لكن نحن ليس لنا إلا الظاهر، نعم.

المذيع: أحسن الله إليك، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [فإنها أي صفات المنافقين المذكورة في الكتاب والسنة هي التي تُخاف على أهل القبلة].

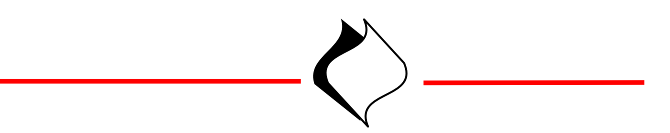
الشيخ صالح: نعم صفات النفاق العملي هي التي تخاف على أهل القبلة، المؤمن لا يمكن أن ينافق نفاقًا اعتقاديًا أبدًا، الحمد لله، وإنما قد يأتي منه النفاق العملي، وذلك بالكذب في الحديث وإخلاف الوعد، والفجور في الخصومة؛ فهذه علامات المنافق، وهي من صفاته وقد تصدُر من المؤمن، قد يصدر من المؤمن النفاق العملي، نعم.

132) مشابهة المنافقين لبعضهم ومشابهة المؤمنين لبعضهم

المذيع: فوصف الله سبحانه المنافقين بأن بعضهم من بعض وقال في المؤمنين بعضهم أولياء بعض.

الشيخ صالح: نعم، الفرق بينهما ظاهر، أن بعضهم من بعض أن يشبهوا بعضهم بعضًا في الكذب، والخبث، والنفاق، والمؤمنون بعضهم أولياء بعض، بمعنى أنهم يحب بعضهم بعضا ويعطف بعضهم على بعض، ويتولى بعضهم أمور البعض الآخر إذا عجز عن بعض الأمور، فإن أخاه يساعده هكذا.

المذيع: وذلك لأن المنافقين تشابهت قلوبهم وأعمالهم، وهم مع ذلك تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى.



الشيخ صالح: لأن المنافقين يتظاهرون بالإسلام، فتحسبهم جميعًا في الظاهر لكن قلوبهم شتى متفرقة؛ لأنها ليس فيها إيمان، ولا يجمع القلوب إلا الإيمان بالله -عز وجل-.

المذيـــــع: يعني ممكن يكون أيضًا مثل ما ذكر الشيخ من الصفات المنافقين التي على أهل القبلة أن نجد في بعض المشتغلين بالدعوة والإسلام والتدين أنهم لا يكونون متوادّين، أو تكون قلوبهم شتى إذا غاب إخوانه يقع فيهم، أو لا يحوطهم بنصحه؟

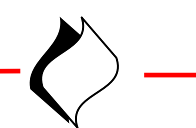
الشيخ صالح: هذا نتيجة أحد أمرين: إما كبر وإما حسد، وهذه من صفات المنافقين، فالمؤمنون الصادقون في إيمانهم لا يمكن أن يقع بعضهم في عِرض بعض أبدًا، فإن وقع فإنه دليلٌ على حسد أو على كبر، أو على إعجابٍ في الشخص، أو بغضٍ لأخيه، وهذه من صفات المنافقين بلا شك، نعم.

المذيـــــع: قال: [فليست قلوبهم متوادةً متوالية إلا ما دام الغرض الذي يؤمنون به مشتركًا بينهم، ثم يتخلى بعضهم عن بعض].

الشيخ صالح: أي نعم لا يتحدون إلا عندما يكون القمع واحدًا، وهم يتحدون في طلب هذا الطمع، وإذا حصل فإنهم يتفرقون؛ لأنه حصل المقصود الذي جمع قلوبهم فإذا انتهى عادت القلوب وهم إلى التفرق والتشتت، نعم.

المذيـــــع: قال: [بخلاف المؤمن فإنه يحب المؤمن وينصره بظهر الغيب، وان تناءت بهم الديار وتباعد الزمان].

الشيخ صالح: المؤمنون بعضهم أولياء بعض، سواءً كانوا متعاصرين أو كان بعضهم متقدمًا ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ [الحشر:10]، سواءً أكانوا مجتمع في الزمان أو متفرقين في الزمان، وسواءً أكانوا مجتمعين في المكان أو متفرقين في المكان -في أقطار الأرض-، فهم إخوة متحابون، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10]، فالمؤمنون إخوة، على الزمان واختلاف المكان، نعم.



133) أعمال المؤمنين وأعمال المنافقين

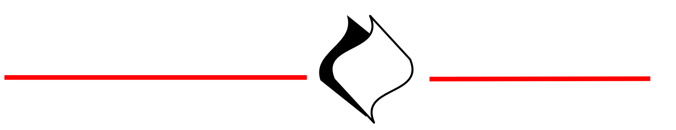
المذيـــــع: قال: [ثم وصف -سبحانه- كل واحدةٍ من الطائفتين بأعمالهم في أنفسهم وفي غيرهم].

الشيخ صالح: أي نعم وصف الله كلًا من الطائفتين الطائفة المنافقين، وطائفة المؤمنين بصفاتهم المميزة، فالمنافقون والمنافقات ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:67]، هذه صفاتهم، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة:71]، هذه صفات المؤمنين،

المذيـــــع: قال: [وكلمات الله جوامع، وذلك أنه لما كانت أعمال المرء المتعلقة بدينه قسمين أحدهما أن يعمل ويترك، والثاني: أن يأمر غيره بالفعل الترك ثم مضى يذكر ذلك].

الشيخ صالح: نعم، أعمال المؤمن على قسمين: أعمال خاصةٌ به، في نفسه يعملها ويقوم بها وأعمال عامةٌ له ولغيره، مثل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيتاء الزكاة: الصلاة مثلًا، هذي خاصة بالمصلي عملٌ بدني، خاصٌ بالمصلي، لكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا يتعدى نفعه إلى الغير، تعليم العلم النافع يتعدى نفعه إلى الغير، الصدقة، يتعدى نفعها إلى الغيب، فالمؤمنون يعملون الأعمال الخاصة بهم، والأعمال العامة لهم ولغيرهم؛ لأنهم يحبون لغيرهم ما يحبون لأنفسهم ، قد قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: >لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

المذيـــــع: قال: [أحدها ما يقوم بالعامل ولا يتعلق بغيره كالصلاة مثلا ، والثاني ما يعمله لنفي غيره كالزكاة، والثالث ما يأمر غيره أن يفعله، فيكون حظ العامل منه هو الأمر به].



الشيخ صالح: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ هذا يتعدى نفعه إلى الغير نعم.

المذيــــع: [وقال تَعَالَى بصفة المنافقين: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾، وقال بإزائه في صفة المؤمنين ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾].

الشيخ صالح: بالعكس، فأولئك يأمرون بالمنكر، وهو كل فعلٍ قبيح وعملٍ شنيع، وينهون عن المعروف وهو كل خيرٍ وكل طاعة، ينهون عن ذلك وينهون عن التمسك بالدين، وهذه الصفة لا تزال باقية في الخلق، فالذين يظهرون الإسلام تظهر عليهم هذه الصفات؛ لأنهم يمقتون أهل الخير ويمقتون فعل الخير، ويصفونه بالرجعية والتأخر إلى غير ذلك، -كما هو معلومٌ الآن هذا ظاهر-، والنفاق لم ينقض، هذه الصفات باقية، وهذه الأمور باقية إلى أن تقوم الساعة

المذيــــع: قال: [والمعروف: اسم جامع لكل ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح].

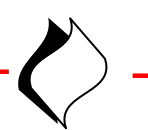
الشيخ صالح: المعروف: ما تعرفه العقول السليمة والفِطَر المستقيمة، وهو كل ما أمر الله به من الخير والبر والإحسان.

المذيــــع: [والمنكر: اسم جامع لكل ما نهى الله عنه].

الشيخ صالح: والمنكر: كل ما نهى الله عنهُ فهو مُنكر، سُميَ مُنكرًا؛ لأنه تُنكره العقول السليمة والفِطَر المستقيمة.

المذيــــع: ثم قال: [﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: 67]، قال مجاهد: "يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله"، وقال قتادة: "يقبضون أيديهم عن كل خير"].

الشيخ صالح: [﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾، معناها أنهم يبخلون بالصدقة والإنفاق في سبيل، لأن الإنفاق بسطٌ لليد، والبخل قبض لليد، فهذه صفة اليهود وصفة المنافقين، أنهم يقبضون أيديهم عن الصدقات، وقيل أعم من ذلك، يقبضون أيديهم عن كل خير.



المذيــــــــع: [وقبض اليـد: عبـارة عن الإمسـاك كمـا في قولـه -تَعَالَى-: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: 29]، وفي قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: 64] وهي حقيقة عرفية ظاهرة من اللفظ، أو هي مجاز مشهور.

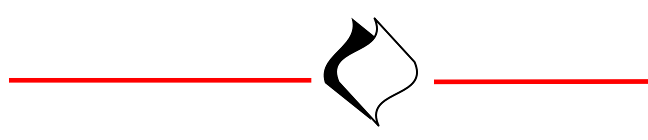
الشيخ صالح: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ المقصود النهي عن البخل، البخيل قد غُلت يده وقُبضت يدهُ عن الإنفاق، والمنُفق هذا قد بُسطت يده في الخير، وفي قولهُ -تَعَالَى-: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ يعني لا تقبضها عن الخير، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾، قال المقصود الوسط بين القبض وبين البسط أي يتوسط الإنسان ويعتدل في الإنفاق، فلا يبخل ولا يُسرف، وفي صفات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:67].

المذيــــــــع: قال: [وبإزاء قبض أيديهم قوله في المؤمنين: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [التوبة: 71]، فإن الزكاة - وإن كانت قد صارت حقيقة عرفية في الزكاة المفروضة - فإنها اسم لكل نفع للخلق: من نفع بدني، أو مالي. فالوجهان هنا كالوجهين في قبض اليد].

الشيخ صالح: المنافقون يقبضون أيديهم، يؤتون الزكاة، هذا في مقابل هذا، فالمؤمنون يؤتون الزكاة، والزكاة على قسمين: زكاة الأموال، وزكاة الأعمال والأنفس، في طاعة الله -عز وجل- في تزكيتها بطاعة الله وعبادة الله، بمعنى وتكميلها في طاعة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فالمؤمنون يفعلون الزكاتين، زكاة المال وزكاة البدن وزكاة النفس،

المذيــــــــع: ثم قال: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:67]، ونسيان الله ترك ذكره وبإزاء ذلك في صفة المؤمنين].

الشيخ صالح: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ نسوا ذكر الله -جل وعلا-، ولهذا قال: ﴿وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:142]، فعلامة المنافق أنه لا يذكر الله إلا قليلًا، وهذا نسيانٌ لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-،



الله جازهم نسيهم يعني تركهم، ليس المراد بالنسيان في حق الله الذهول، وليس المراد النسيان أيضًا نسيان المنافقين أنهم ذهلوا، الذي يذهل لا يؤاخذ، وإنما المراد أنهم تركوا ذكر الله -عز وجل-.

فلما تركوا ذكر الله تركهم الله من فضله؛ لأن الجزاء من جنس العمل وهذا من باب المقابلة يسمونه من باب المقابلة، والا فإن الله لا يوصف بالنسيان، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:64]، فالله لا ينسى -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بمعنى أنه يغفل أو يذهل عن الشيء؛ لأنه منزهٌ عن ذلك ﴿فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ [طه:52]، فالله منزهٌ عن ذلك وإنما هذا من باب الجزاء، مثل قوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة:79]، وكذلك في ومكروا، ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران:54]، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال:30]، هذا من باب الجزاء والمقابلة، نعم.

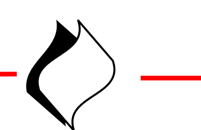
134) معنى الصلاة وفضلها

المذيـــع: قال: [وبإزاء ذلك في قول: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، قال: في صفة المؤمنين: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [التوبة: 71]، فإن الصلاة أيضا تعم الصلاة المفروضة، والتطوع، وقد يدخل فيها كل ذكر الله: إما لفظا وإما معنى].

الشيخ صالح: لما كان المنافقون نسوا الله يذكرونه؟ قال في إزاء ذلك في حق المؤمنين ويقيمون الصلاة، الصلاة ذكرٌ لله -عز وجل-، قال تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾، وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:45].

الصلاة فيها فائدتان:

- **الفائدة الأولى: أنها ذكرٌ لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ذكر الله أكبر.**
- **والفائدة الثانية: أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.**
- **والفائدة الثالثة: أنها تعين على المشاق وعلى المصاعب ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة:45].**



المذيـــــــع: قال: ويدخل فيها كل ذكر الله: إما لفظا وإما معنى، قال ابن مسعود -رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "ما دمت تذكر الله فأنت في صلاة وإن كنت في السوق"، وقال معاذ بن جبل: "مدارسة العلم التسبيح".

الشيخ صالح: الصلاة تطلق ويراد بها العبادة المعروفة المبدوءة بالتكبير المختتمة بالتسليم ذات القيام والركوع والسجود والدعاء وتلاوة القرآن، فهذه الصلاة مجموعة من الأعمال القولية والعملية والقلبية، مبدوءة بالتكبير مختومة بالتسليم، ويطلق عليها الصلاة؛ ويراد بها ذكر الله عمومًا بالتسبيح والتهليل والتكبير، الصلاة عامة.

135) ثمار النفاق، وثمار الإيمان

المذيـــــــع: ثم ذكر ما وعد الله به المنافقين والكفار: من النار ومن اللعنة، ومن العذاب المقيم وبإزائه ما وعد المؤمنين: من الجنة والرضوان، ومن الرحمة.

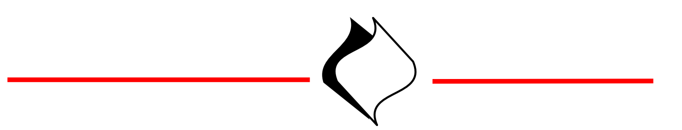
الشيخ صالح: يعني ثلاثة أمور: النار واللعنة والعذاب المقيم، كلها -والعياذ بالله- عقوباتٌ شديدة، نعم.

المذيـــــــع: وبإزائه ما وعد المؤمنين: من الجنة والرضوان والرحمة.

الشيخ صالح: أي نعم، ثلاثة أمور وعد المؤمنين في مقابل ما وعد به المنافقين ثلاثة أمور، جنات، ورضوان ورحمة، وأولئك لعنة، بدل الرحمة، لعنة، واللعنة هي الطرد والإبعاد من الرحمة، نعم.

المذيـــــــع: ثم في ترتيب الكلمات وألفاظها أسرار كثيرة، ليس هذا موضعها.

الشيخ صالح: -رَحِمَهُ اللهُ-، وما أغزر علمه، يعتذر عن أنه لم يبين كل ما تشتمل عليه الآيتان من الأسرار العظيمة، وإنما ذكر إشارةً خفيفةً منها، نعم.



المذيـــــــع: قال: وإنما الغرض تمهيد قاعدة لما سنذكره إن شاء الله.

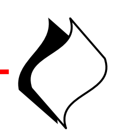
الشيخ صالح: من مشابهة المغضوب عليهم والضالين، نعم.

المذيـــــــع: وقد قيل: إن قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة: 68]، إشارة إلى ما هو لازم لهم في الدنيا والآخرة من الآلام النفسية.

الشيخ صالح: يعني أعم، ﴿وَلَهُمْ عَـذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبـة: 68]، يفسـر ويراد به عذاب الآخرة، وقد يفسر ويراد به ما هو أعم، وهـو مـا هم عليه في الدنيا من ضيق النفس، وتفكير البال فـإن المنـافق دائمًـا في همٍ وغمٍ، إذا رأى نصرة المؤمنين ورأى ما فيـه المسـلمون من الخير؛ فان ذلـك يغمـه ويسـوئه، فهـو دائمًـا في همٍ وقلـقٍ وعـذابٍ نفسي في الدنيا، وفي الآخرة في عذابٍ جسمي.

المذيـــــــع: فإن للكفر والمعاصي من الآلام العاجلة الدائمـة مـا الله به عليم

الشيخ صالح: وهذا شـيءٌ مشـاهد، فتجـد الكـافر تجـده من أشـد النـاس ضـيقًا في الـدنيا، ضـيقًا في نفسـه وضـيقا في تصـرفاته، وتجده مهمومًا وتجده مغمومًا دائمًـا وأبـدا ولا يحب أن يـنزل الخـير على المسلمين أبدًا، لا يسره ذلك، ﴿مَـا يَـوَدُّ الَّذِينَ كَفَـرُوا مِنْ أَهْـلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِـهِ مَنْ يَشَـاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْـلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقـرة:105]، فـدائمًا الكفار في همٍ وغمٍ وقلـق؛ وإن ظهـروا في نعيمٍ وفي بسـطةٍ من العيش؛ لكن العـبرة بنعيم القلب لا بنعيم البـدن والمظـاهر: فقـد يكون الإنسان في مآكل طيبة وفي ملابس طيبـة ومسـاكن فـاخرة لكن هـو في نفس بـه في عـذاب، وفي قلـق، وقـد يكـون الانسـان مسـرورًا في قلبـه وفي نفسـه، ولـو كـان ليس عليـه ثيـابٌ جميلـة وليس عنده أكلٌ يعني لذيذ وليس هـو في مسـكنٍ مـريح، فإنـه في راحةٍ في قلبه، وقد قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-: >من بـات معافًى في جسمه آمنًا في سربه عنده قوت يومه فكإنما سيقت له الدنيا بحذافيرها<، فالعبرة ما هي بكثرة الغنى وكثرة الثروة وكثرة الزهرة في الدنيا، إنما العبرة بنعيم القلب وسـروره، ولهـذا يقـول



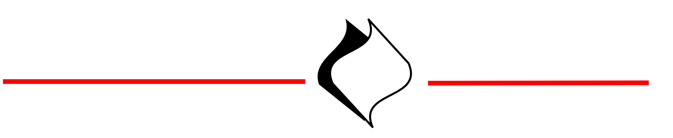
بعض الصالحين: "لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف"، فالملوك في أبّهة وفي لكنهم في أنفسهم في ضيقٍ وحسرة، وأما أهل الإيمان وأهل التقوى وإن كان ما بأيديهم شيء؛ فهم في نعيم وسرور القلب ونفسه.

المذيـــــــع: حين قال -رَحِمَهُ اللهُ-، قال: [ولهذا تجد غالب هؤلاء لا يطيّبون عيشهم إلا بما يزيل العقل، ويلهي القلب: من تناوُل مسكر، أو رؤية مُلْهٍ، أو سماع مطرب ونحو ذلك].

الشيخ صالح: مما يدل على أن هؤلاء الكفار في همٍ، والمنافق في همٍ وغم، أنهم يتعاطون ما يريحهم من هذا الهم والغم ولو بالمحرمات والمفسدات، فيتعاطوْن المسكرات والمخدرات، لأجل أن يستريحوا مما هم فيه من الهم، ويسمونه الشراب الروحي، يسمونه الشراب الروحي؛ لأجل أن يطردوا ما هم فيه من الهموم والأحزان، ولا يدرون أن الراحة في ذكر الله -عز وجل-، وطاعة الله -عز وجل-، ويتلذذون بأصوات الملاهي والمزامير، والأغاني؛ لأنهم في همٍ وغم، ولا يتلذذون بسماع ذكر الله وبتلاوة القرآن الكريم الذي يغذي الروح والبدن ويقوي النفس ويزيد الإيمان، محرومون من هذا، وقد يؤول الأمر بهم إلى أن ينتحروا -وهذا مُشاهد-، تضيق الدنيا بما رحبت حتى ينتحر ليستريح بزعمه يظن انه إذا مات يستريح، مع أنه إذا مات ينتقل إلى ما هو أشد، -والعياذ بالله-.

المذيـــــــع: إذًا ما دمنا نتابع هذه الصفة يا شيخ وهذه صفة المنافقين والكفار- كما ذكرت- توجد عند المسلمين أنه يحس بهذا الضيق والألم ويطلب ما يلهيه في بزوال عقله أو رؤية ملهي أو سماع مطرب، أن ذلك قد يكون بسبب قلة الإيمان أو النفاق في القلب.

الشيخ صالح: حتى المؤمن قد يحصل منه ضعف في الإيمان أو نقص في الإيمان فيريد أن يعود عن هذا النقص بهذه الأمور التي تزيده شرًا، تفسد عليه عقله، تفسد عليه جسمه، وفي النهاية تكون شقاءً له، فهذا ليس خاصًا بالكفار والمنافقين، حتى في المؤمنين الذين عندهم فسق وعندهم ضعف إيمان، فإنهم قد



يتعاطون هذه الأشياء لما يجدونه في أنفسهم من الوحشة ومن الضيق بسبب ذنوبهم ومعاصيهم؛ لأنها ترهبهم وتخوفهم.

المذيـــــع: أحسن الله اليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.

وصلّى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس التاسع عشر

المذيـــــع: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. أيّها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلًا وسهلًا بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامجكم شرح كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

لشيخ الإسلام/ ابن تيمية - رحمه الله.

ضيف اللقاء فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

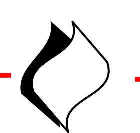
في مطلع لقائنا نرحّب بضيفنا الكريم، فحيّاكم الله شيخ / صالح.

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

136) غزارة علم ابن تيمية، ومعنى الخَلَاق

المذيـــــع: قال المؤلف- رحمه الله تعالى-: "ثمّ قال الله -سبحانه- في تمام خبر المنافقين: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[التوبة:69]

ثم مضى- رحمه الله- في مباحث لغوية قد لا تفيد السامع غير المتخصّص كثيرًا.



الشيخ صالح: نعم. بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد. من عادة الشيخ- رحمه الله- غزارة علمهأنّه يدخل في مباحث تعترض في طريقه فلا يتركها بل يفصّلها ولكن هذه قد لا يستفيد منها إلّا المتخصّصونوأمّا عامّة الناس المبتدئون في طلب العلم فقد لا يستفيدون من هذه المباحثفلذلك نحن نتجاوزها.

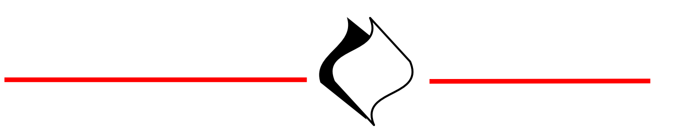
المذيـــــــــع: أحسن الله إليكم. قال بعد ذلك: أمّا قوله: (فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ) ففي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن الحسن في قوله: (فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ) قال: بدينهمويروى ذلك عن أبي هريرة- رضي الله عنه- وروي عن ابن عباس: أي بنصيبهم من الأخرة في الدنيا.

الشيخ صالح: نعم. قوله تعالى: (فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ) الخلاق فيه معنيان قيل:معناه الدين. الخلاق هو الدين، وقيل معناه النصيب كما في قوله تعالى: ﴿مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ [البقرة:102] يعني من نصيب، وكلا المعنيين حقّ فإنّ الأوّلين من الكفّار والمنافقين استمتعوا بدينهم، بنصيبهم من هذه الدنيا. فهؤلاء استغلّوا الدّين لمصالحهم. أهل النفاق أظهروا الإيمان وأظهروا الدين، ليستمتعوا به في الدنيا ويسلموا من القتل والتشريد، لأنّه لو صرّحوا بكفرهم لنالهم ما ينال الكفّار الأصليين فهم بدلًا من ذلك لجأوا إلى الخديعة لأجل أن يستمتعوا بهذه الخديعة. والنصيب كذلك فالدين هو النصيب، هو نصيب الإنسان من الدنيا والآخرة. المعنيان لا يتغيّران. نعم.

المذيـــــــــع: قال: والآية تعمّ ما ذكره العلماء جميعهم.

الشيخ صالح: أي نعم. الذين قالوا: أنّه الدّين والذين قالوا: أنّه النّصيب. فالآية تعمهموإنّ الكفّار منافقون. الأوّلون استمتعوا بدينهم أو بنصيبهم في هذه الدنيا. فهؤلاء المنافقون مثلهم استمتعوا بخلاقهم ونصيبهم ودينهم في هذه الدنيا. نعم.

المذيـــــــــع: وذكر قوله تعالى: ﴿ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾ [البقرة:102]



وقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إنّما يلبس الحرير من لا خلاق له في الأخرة ".

الشيخ صالح: يعني نصيب.

137) معنى الاستمتاع وأقسامه

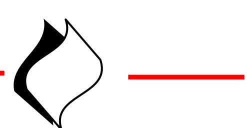
المذيــــــع: قال: فإنّ والآية تعم ما ذكره العلماء جميعهم، فإن الله سبحانه قال: (كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلادًا) فتلك القوة التي كانت فيهم كانوا يستطيعون أن يعملوا بها للدنيا والأخرة، وكذلك أموالهم وأولادهم وتلك هي الخلاق.

الشيخ صالح: نعم. هذا إذا فسّر الخلاق بالنصيب من الدنيا. فالدنيا هي نصيبٌ أعطاه الله لمن يشاء من عباده. فمن الناس وهم الموفّقون من استعملوا ما أعطاهم الله في الدنيا، واستعانوا به على طاعة الله فكان زادًا لهم إلى الاخرة، ومن الناس من استمتع به عاجلًا ونسي الأخرة وهم المنافقون الذين انشغلوا بالملذّات والمشتهيات وتركوا العمل للأخرة. الاستمتاع على قسمين: استمتاعٌ حسن، واستمتاعٌ سيء. الاستمتاعٌ الحسن الذي يستعين بما أعطاه الله من الدنيا على عمل الأخرة.
والاستمتاع السيء هو الذي يستمتع به عاجلًا وينسى الأخرة. نعم.

المذيــــــع: قال: فاستمتعوا بقوتهم وأموالهموأولادهم في الدنياونفس الأعمال التي عملوها بهذه القوةوالأموال: هي دينهم وتلك الأعماللو أرادوا بها الله والدار الأخرةلكان لهم ثوابٌ في الأخرة عليها.

الشيخ صالح: نعم. فهؤلاء قصر نظرهم على الدنيا فنالوا الدنياولكنّ الدنيا فانيةوأمّا المؤمنون فإنّهم نظروا إلى الأخرة فاستعانوا بقوتهم وما أعطاهم الله من المال، استعانوا به على الأعمال الصالحة فكان نصيبهم في الدنيا والأخرة لهم مستمرًا نعم.

المذيــــــع: قال: فتمتعهم بها أخذ حظوظهم العاجلة بها، فدخل في هذا من لم يعمل إلّا لدنياهسواءً أكان جنس العمل من العبادات أو غيرها.



الشيخ صالح: من لم يعمل إلّا لدنياه سواءً استمتع بأمواله وشهواته في الدنيا ولم يستعملها للأخرة، أو أنّه أراد الدنيا بعمل الأخرة وهذا أشد.
الذي يستمّتع بالملذّات والمشتهيات والمحرمات وإن كان مجرمًا وضارًّا لنفسه؛ لكنّه أخفّ من الذي يختِل الدنيا للدين. الذي يعمل الأعمال مثل: المنافقين فإنّهم يعملون العبادات لا لأجل الثواب والأجر؛ وإنّما لأجل نيل الدنيا والعيش فيها، ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾[هود:15]﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[هود:16]
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:" تعس عبد الخميصةتعس عبد الخميلة" سمّاه عبدًا لهذا المال"إن أعطي رضي وإن لم يُعط لم يرض"

138) معنى الخوض وأقسامه

المذيــــــــع: قال:- رحمه الله- ثم قال سبحانه:(فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) وفي "الذي" وجهان: قيل كالخوض الذي خاضوهوقيل: أي كالذين خاضوا. وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوضلأنّ فساد الدين إمّا أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلّم به أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق. والأول: هو البدع والثاني فسق الأعمال.

الشيخ صالح: نعم. الخوض على قسمين: (وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) أي خوض كالذي خاضوا، فيكون صفة للمصدر، أو أنّ "الذي" بمعنى الذين (وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) أي كالذين خاضوا من قبلكم.
والخوض على قسمين: خوضٌ في العقيدةوخوضٌ في الشهوات.
خوض في العقيدة ويسمّى الشبهاتوخوض في الملذّات والمشتهيات؛ وهذا يسمّى بالشهوات. فالذين من قبلنا خاضوا الخوضين: خاضوا في عقيدتهم فصار منهم الكفّار والفسّاق والمبتدعةوخاضوا أيضًا في أموالهم وشهواتهم فصاروا فسّاقًا فسقًا عمليًا لأنّ الفسق على قسمين: فسقٌ اعتقاديوفسقٌ عملي.

والخوض كذلك: خوضٌ اعتقادي كالذين يخوضون في مسائل العقيدة كالمعتزلة والجهمية والأشاعرة وغيرهم ممن خاضوا في أمور العقيدة، وما كان لهم ذلك. الواجب أن يستسلموا ويسلّموا لما جاء عن الله ورسوله في أمور العقيدة دون تدخّلٍ بأفكارهم.. وأهوائهم وخوضهم ولم يتوصّلوا إلى شيء؛ تعبوا ولم يتوصّلوا إلى شيء. في حين أنّهم لو سلّموا وقبلوا ما جاء عن الله ورسوله ولم يتدخّلوا لكان هذا أسلم لهموأحسن عاقبة كما فعل أهل السّنّة والجماعة.

هؤلاء خاضوا في العقيدة فهذا خوض الشبهات- والعياذ بالله- وهذا أشدّ. والفسّاق وأصحاب الملذّات خاضوا في الشهوات، والأعمال المحرّمة. والشهوات المحرّمة وأعطوا نفوسهم ما تشتهي فهذا خوض عمليٌ ليس اعتقاديًاوهو أخفّ. صاحبه يسمّى فاسقًا فسقًا عمليًا ينقص به إيمانه.

139) العالم الفاجر والعابد الجاهل

المذيـــــــع: قال: ولهذا كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوىً قد فتنه هواه.

الشيخ صالح: وهذا هو القول في العقيدة. الذي يقول في العقيدة هذا صاحب هوى.

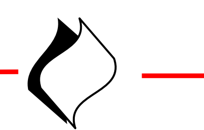
المذيـــــــع: وصاحب دنيا أعمته دنياه.

الشيخ صالح: وهذا القول في الشهوات. صاحب دنيا استعمل دنياه لشهواتهوملذاته ونسي الأخرة. نعم.

المذيـــــــع: وكانوا يقولون: احذروا فتنة العالم الفاجروالعابد الجاهلفإنّ فتنتهما فتنةٌ لكل مفتون. فهذا يشبه المغضوب عليهم وهذا يشبه الضّالّين.

الشيخ صالح:نعم. وفتنة العابد الجاهل. هذه هي فتنة الضّالّين الذين يعبدون الله على جهلٍ وضلال. في مقدمتهم النّصارى -كما سبق-. وفتنة العالم هذه فتنة المغضوب عليهم، وهم الذين أعطاهم الله العلم ولم يعملوا بهبل باعوه بثمنٍ بخس واشتروا به ثمنًا قليلا؛ وهم اليهود ومن سار على نهجهم من علماء الضلال الذين لم يبيّنوا للناس، وكتموا ما أنزله الله لأجل مصالحهم. نعم.

140) فضل الإمام أحمد



المذيـــــــع: قال:- رحمه الله- ووصف بعضهم أحمد بن حنبل فقال: رحمه اللهعن الدنيا ما كان أصبرهوبالماضين ما كان أشبهه، أتته البدع فنفاهاوالدنيا فأباها.

الشيخ صالح: هذا الإمام أحمد- رحمه الله- إنّه كان أشبه بالماضين لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتابعين لهم. فكان الإمام أحمد ينزع إلى الصحابة والتابعين في سلوكه وأعمالهويقتدي بهم. هذا في أمور العقيدة، وفي أمور الدنيا كان يصبر على دينه، ولهذا امتُحن وضُرب ولم يتنازل عن شيءٍ من دينه فصبر- صبر على دينه- ولم يُعطِهم شيئًا من التنازل أبدًا فهو أتته الدنيا فأباها فيعني عُرضت عليه الدنيا والوظائف ولكنّه أباها، لأنّه لا يريد طمع الدنياوأتته البدع فنفاهاولم يستسلم لها ويضعف أمامهابل ثبت أمامها ثبات الجبال. نعم.

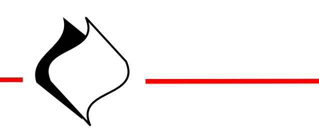
المذيـــــــع: قال: وقد وصف الله أئمة المتقين فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة:24]

فبالصبر تُترك الشهواتوباليقين تُدفع الشبهات.

الشيخ صالح: نعم. والله جلّ وعلا يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة:24] لمّا صبروا؛ هذا هو السبب. صاروا أئمة بسببين: السبب الأوّل، الصّبر. أنّهم صبروا عمّا حرّم الله، وأمسكوا أنفسهم عمّا حرّم الله. (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) يعني يؤمنون بها ولا يشكّون فيهاولهذا يقول الشيخ في عبارةٍ اخرى: بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدينوهذا أخذًا من هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة:24]، فالصبر يمنع من الشهوات المحرّمةواليقين يمنع من الدخول في الشّبهاتويُصبِّر الإنسان على عقيدتهومن هؤلاء الإمام أحمد- رحمه الله- كما سبق. فإنّه صبر عن الشهوات، وأيقن بما أخبر الله به. وما أمر به ونهى عنه فلذلك ثبت عليه ولم يتنازل عن شيءٍ منه.

141) تفسير سورة العصر

المذيـــــــع: قال: ومنه قوله: في سورة العصر ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر:3]



الشيخ صالح: نعم. الذين أمنوا، الله جلّ وعلا قال في سورة العصر: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ﴾[العصر:1]﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[العصر:2]﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾[العصر:3]

فوصف الإنسان كله جميع أجناسه: عربًا وعجمًا وأحرارًا وعبيدًا وذكورًا وإناثًا وملوكًا وصعاليك وأغنياء وفقراء لأنّهم في خسارة إلّا من اتّصف بأربع صفات: الصفة الأولى: الإيمان، الصفة الثانية: العمل الصالح، الصفة الثالثة: التواصي بالصبر والتواصي بالحق. التواصي بالحق وهذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الصفة الرابعة: صبر على ما ينالهم في مقابل ذلك من الأذى والمشقة. أنّهم يصبرون على ذلك؛ فمن اتّصف بهذه الصفات الأربع فإنّه ينجو من هذه الخسارة المحقّقة، والشاهد الأخير: أنّهم تواصوا بالحقّ وتواصوا بالصّبر، فهم ثبتوا على الحقّ، وأمروا غيرهم بالثبات عليه، ونهوا غيرهم عن العدول عن الحق، وأوصوا بالصبر لأنّ الذي يأمر وينهى لا بد أن يتعرّض لمشقة وهذا كما قال لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان:17]

فالذي يأمر وينهى ويدعو إلى الله؛ لا بد أن يقابل بالأذى وما يفعله نحوه الفسّاق والجهلة من القدح والذمّ أو النيل باليد أو حتّى بالقتلفيصبر على ذلك.

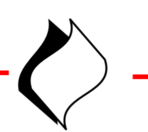
142) البصيرة والعمل بها

المذيـــــــع: وقوله:﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾[ص:45]

الشيخ صالح: أولي الأيدي يعني القوة في الحق، والأبصار أي: البصيرة النافذة، وهذا هو صلاح العقيدة.

المذيـــــــع: ومنه الحديث المرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم:" إنّ الله يحبّ البصر الناقد عند ورود الشّبهاتويحبّ العقل الكامل عند حلول الشّهوات"

الشيخ صالح: أي نعم الله يحبّ البصير الناقد عند حلول الشبهات، فينقد الحق، والباطل ويأخذ بالحق، ويترك الباطل ويحبّ العقل الكامل عند ورود الشهوات، فالعاقل لا يقدم على الشهوات إذا كانت تفضي إلى عاقبةٍ سيئة. بل ينظر إلى العواقب ولا ينظر



إلى الحاضر، ينظر إلى العاقبة والمآل. فإذا كان تناول الشهوات يعقب حسرة تركه. ترك هذه الشهوات. وإن كان فيها لذةٌ عاجلةفهو يتركها خوفًا من العقوبة العاجلة. هذا هو العاقل البصير.

وأحزم الناس من لو مات من ظمأٍ == لم يَقرب الوِرد حتى يَعرف الصدَرا

هذا العاقل الحازم.

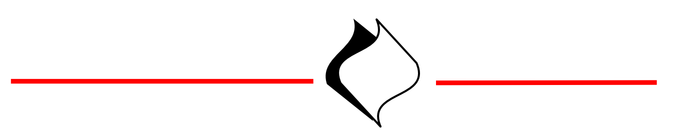
143) أصحاب الشهوات وأصحاب الشبهات

المذيـــــــع: فقوله سبحانه:(فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ [التوبة:69] إشارةٌ إلى اتباع الشهواتوهو داء العصاة.

الشيخ صالح: أي نعم فاستمتعتم يعني: بنصيبكم من الدنيا، ونسيتم العمل للأخرة. هل استغرقتم في الدنيا وملذّاتها؟ وهذا طريق العصاة الذين هم كالبهائمإنّما همهم ما يضعونه في بطونهم ويلبسونه على أبدانهم وظهورهم. نعم.

المذيـــــــع: وقوله: (وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا [التوبة:69] إشارةٌ إلى اتّباع الشّبهات وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات.

الشيخ صالح: فالعصاة اشتغلوا بالشهوات، ونسوا العمل للأخرة، وأهل الأهواء اشتغلوا بالشبهات، وأفسدوا عقيدتهم. وكان أمر العقيدة مبنيّ على التسليم والانقياد. والعقائد توقيفية لا مدخل فيها للأراء والاجتهادات، بل هي توقيفية. فأولئك لم يقفوا عند الأوامر والعقيدة، بل إنّهم أدخلوا عقولهم فيها؛ فلذلك نفوا أسماء الله وصفاته -هذا من جهة المعطّلة-، والمشبّهة، قاسوها على صفات المخلوقين، لأنّهم لا يعقلون منها إلّا هذا، لا يعقلون من صفات الخالق إلّا ما هو من صفات المخلوقين. فلذلك شبّهوا الله بخلقه -والعياذ بالله- إنّهم لا يفرّقون بين صفة الخالق وصفة المخلوق هذا هو الخوض في العقيدة والشّبهاتوكذلك المشركون وعُبّاد القبور فإنّهم إنّما وقعوا فيما وقعوا فيه؛ لأنّهم خاضوا في الشبهات. قيل لهم: أنّ هؤلاء ينفعون ويضرون وأنّهم يجيبون من دعاهم وأنّهم يضرّون من لم يخضع لهم؛ فاستجابوا لذلك وصاروا يدعون الأموات ويستغيثون بهم، فهم خابوا في أهوائهم بدون سلطانٍ ودليلٍ من الله -سبحانه وتعالى-، وإنّما اعتمدوا على:



القصص والحكايات، والأحاديث المكذوبة، والوعود الكاذبة، أنّه سيحصل لك كذا وتعطى كذا... إلى آخره. فهؤلاء إنّما في عقيدتهم مبنيّة على الهوىوأهل الحق عقيدتهم مبنيّة على الدليل والقرآن. نعم.

144) الغالب اجتماع الشهوات والشبهات

المذيـــــــع: قال: وكثيرًا ما يجتمعان- يقصد أنّ الخلاق بالنسبة للشهوات وداء العصاةوالخوض نصيب أهل الشبهات والأهواء- قال: كثيرًا ما يجتمعانفقلّ من تجد في اعتقاده فسادًا إلّا وهو يظهر في عمله.

الشيخ صالح: نعم. مجتمع الخلاق في الشهوات والخوض في الشبهات يجتمعان بالشخص الواحد. فكثيرًا ممّن يقعون في الشبهات يظهر هذا على أعمالهم وأنّهم يدخلون في الشهوات وهو كذلك كثيرًا من يستعملون الشهوات أنّهم يقعون في الشبهات أيضًا. فهما متلازمان؛ فتنة الشهوات وفتنة الشبهات متلازمتان- والعياذ بالله- والسلامة من سلّمه الله منهما.

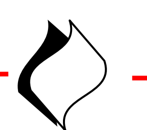
المذيـــــــع: وقد دلت الآية على أنّ الذين كانوا من قبل استمتعوا وخاضوا، وهؤلاء فعلوا مثل أولئك.

الشيخ صالح: هذا هو التّشبّه لأنّ موضوع الكتاب في مخالفة أصحاب الجحيمفأصحاب الجحيم خاضوا في عقيدتهم، وخاضوا في شهواتهم الدنيوية؛ فكان في هذه الأمّة من يفعل ذلك ويتشبّه بهم: (وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا[التوبة:69]؛ الكاف للتشبيه؛ فيكون من خاض في العقيدة فيه شبهٌ من هؤلاءومن خاض في الشهوات فيه شبهٌ من هؤلاء.

145) استمرار الفعل الماضي في كل من اتصف به إلى يوم القيامة

المذيـــــــع: قال: ثمّ قوله:(فَاسْتَمْتَعْتُمْ) وقوله: (وَخُضْتُمْ) خبرٌ عن وقوع ذلك في الماضي، وهو ذمٌ لمن يفعله إلى يوم القيامة، كسائر ما أخبر الله به عن أعمال وصفات الكفّار والمنافقين.

الشيخ صالح: استمّتعوا وخاضوا أفعال ماضية، لكنّها ليست للماضي المنقطع، وإنّما هي مستمرة إلى أن تقوم الساعة،



مستمرة. ما يقال أنّ هذه أفعال الأوّلين وانتهتبل كل من فعل مثل فعلهم فإنّه قد خاض كالذي خاضوا كالذي استمتعوا. فليست الآية في قومٍ مضوا وانقضوا وإنّما هي في كل من سار على هذا المنهج الذّميم إلى أن تقوم الساعة، وإلّا لم يكن للقرآن فائدة- حدّثنا عن شيءٍ مضى وانقضى ولا يمكن أن يعود- إنّما ذكر هذا لنا لأنّه سيقع، وسيتكرّر فنكون على حذرٍ منه، وعلى بصيرةٍ منه.

المذيـــــــع: : قال: فإنّه ذمٌ لمن يكون حاله كحالهم إلى يوم القيامة.

الشيخ صالح: أي نعم.

المذيـــــــع: كما أنّ جميع الموجودين في وقت النبي صلى الله عليه وسلم وبعده إلى يوم القيامة مخاطبون بهذا الكلاملأنّه كلام اللهوإنّما الرسول مبّغٌ عن الله وهذا مذهب عامّة المسلمين.

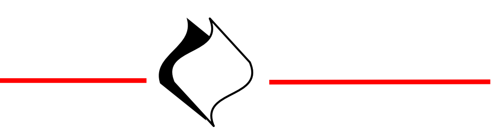
الشيخ صالح: (فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ...) [التوبة:69] هذا خطاب للذين كانوا معاصرين لنزول القرآن الكريم خطابٌ لهم. وهو يشمل كل من جاء بعدهم إلى يوم القيامة.

المذيـــــــع: قال: وهذا مذهب عامّة المسلمين.

الشيخ صالح: أي نعم، إنّ الفعل الماضي يستمر في كل من اتّصف به إلى يوم القيامة، وليس هو في قومٍ مضوا وانقضوا وانتهت أيامهم. نعم.

المذيـــــــع: وقد توعّد الله- سبحانه- هؤلاء المستمتعين الخائضين بقوله: (أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [التوبة:69] وهذا هو المقصود هنا من هذه الآية .

الشيخ صالح: هذا هو النتيجة ممّا ذكره الله في هذه الآية العظيمة: أنّ هؤلاء الذين استمتعوا بخلاقهم وخاضوا في عقيدتهم؛ أنّهم حبطت أعمالهم يعني: بطلت، أنّها بطلت فلم يكن لهم رصيدٌ من الأعمال في الأخرة لأنّهم أبطلوها بهذا الخوض وهذا الاستمتاع. فعلى المسلم أن يحذر من هاتين الخصلتين: الخوض



في العقيدة واتّباع الشّبهاتوالخوض في الشهوات واتّباع وفعل المحرّمات والمعاصي عليه أن يحذر لئلا يحبط عمله في الآخرة. الذي يستمتع بخلاقه في الدنيا ويخوض في العقيدة هذا لا يكون له في الآخرة نصيب. ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾[هود:15] ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[هود:16]

ثمّ إنّ قوله تعالى: (نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) هذا مقيّد بالمشيئة. ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾[الإسراء:18]

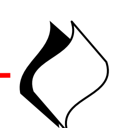
فهو يمكن ما يعطى لا من الدنيا ولا من الأخرة فيخسر الدنيا والآخرة. فهذا مقيّد بقوله: (مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ).

المذيـــــــع: قال: وهذا هو المقصود من هذه الآيةوهو أنّ الله قد أخبر أنّ في هذه الأمة من استمتع بخلاقه، كما استمتعت الأمم قبلهموخاض كالذي خاضوا وذمّهم على ذلكوتوعّدهم عليه.

الشيخ صالح: نعم هذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم: " لتتبعنّ سَنن من كان قبلكم حذو القُذّة بالقُذّة حتّى لو دخلوا جحر ضَبٍ لدخلتموه" فلمّا كان في الأمم من قبلنا من استمتعوا بخلاقهم أي بنصيبهم من الدنياوخاضوا في عقيدتهم واتّبعوا أهواءهم. فإنّه سيكون في هذه الأمّة لأنّه خاطب هذه الأمّة. قال: (فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾[التوبة:69] فدلّ على أن يكون في هذه الأمة من يفعل مثل أفعال الأمم السابقة في فتنة الشهوات وفتنة الشبهات. وهذا خبرٌ معناه التحذير؛ لأنّ الله قال: (أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[التوبة:69] فهذا تحذيرٌ من هذا المسلك الخطر.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.

وصلّى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس العشرون

المذيــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمـد لله ربّ العـالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آلـه وصـحبه أجمعين. أيّهـا المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقــةٍ جديــدة في برنــامج/ اقتضــاء الصــراط المســتقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية- رحمه الله.

ضيف اللقاء فضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان .

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقائنا نرحّب بشيخنا الكريم فحيّاكم الله شيخ/ صالح.

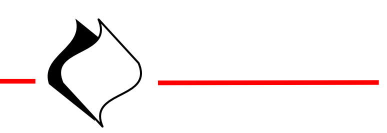
الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

(146 الأدلة من السنة على استمتاع هذه الأمة بخلاقها، وخوف النبي على أمته من التنافس في الدنيا

المذيــــــع: تحـدّث المؤلّـف- رحمـه الله- فيمـا مضـى عن ذكـر القرآن لمشابهة هذه الأمّة لمن تقدّم للدين والـدنياوذَمّ ذلكثمّ قـال رحمه الله: وأمّا السّنّة فجـاءت بالإخبـار بمشـابهتهم في الـدنياوذَمّ ذلكوالنهي عنه وكذلك في الدين ثمّ ساق أدلّةً.

الشيخ صالح: أي نعم. بسـم اللـه الـرحمن الـرحيم والحمـد للـه والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. أمّـا بعد,,

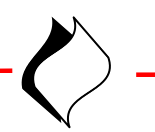
فإنّ الأدلة- ولله الحمد-تكون من الكتاب الكريم ومن السّنّة النبويّة المنزّلة على النبي صلى الله عليه وسلم. فإذا اجتمع دليـل الكتـاب ودليل السّـنّة كـان هـذا أقـوى,وهـذا مـا حصـل في تحـريم التّشـبّه بالكفّار أنّه دلّ عليه القرآن ودلّت عليه السّنّة النبويّة. نعم.



المذيـــــــع: قال : فأمّا الأوّل- يعـني من أدلّـة السّـنّة على ذلـك- الذي هو الاستمتاع بالخلاق: ففي الصحيحين: عن عمـرو بن عـوف- رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبـا عُبيـدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهاوكـان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـــه وســـلم هـــو صـــالَح أهـــل البحرينـــوأمَّر عليهم العلاء بن الحضرميّفقدم أبو عبيدة بمالٍ من البحرينفسـمعت الأنصـار بقـدوم أبي عبيدةفوافوا صلاة الفجر مـع رسـول اللـه صـلى عليـه وسـلم. فلمّا صلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم انصـرف فتعرّضـوا لهفتبسّم رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم حين رآهمثمّ قـال: " أظنّكم سمعتم أنّ أبا عبيدة قدم بشيءٍ من البحرين؟" فقـالوا: أجـل يـا رسـول اللـه. فقـال:" أبشـرواوأمِّلوا مـا يسرُّكم. فوالله ما الفقر أخشى عليكمولكن أخشـى عليكم أن تُبسـط الـدنيا عليكم كمـــا بُســـطت على من كـــان قبلكمفتنافســـوها كمـــا تنافسوهافتهلككم كما أهلكتهم"

قال الشيخ رحمه الله: فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنّه لا يخـاف على أمّتـه فتنـة الفقروإنّمـا يخـاف بسـط الـدنيا وتنافسـها وإهلاكهاوهذا هو الاستمتاع بالخلاق المذكور في الآية.

الشيخ صالح: نعم هذا من الأدلة من السّنّة على أنّه سيحصل في هذه الأمّة من يستمتع بخلاقه منهـا، يعـني نصـيبه من الـدنيا. وهـذا في حديث أبي عبيدة بن الجرّاح- رضـي اللـه عنـه- لمّـا بعثـه النـبي صلى الله عليه وسلم إلى البحـرين، والبحـرين المـراد بهـا هي بلاد الأحساء في ذلك الوقت. وكـان النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـد صـالحهم على أن يـدفعوا من المـال مـا شـرطه عليهمفأرسـل أبـا عبيدة يأتي بهذا المال الذي تمّ الاتّفاق بين أهـل البحـرين ورسـول الله- صلى اللـه عليـه وسـلم- عليـه,ولمّـا علم الأنصـار بقـدوم أبي عبيدة جاءوا مسرعين في آخر الليـل، صـلّوا مـع النـبي- صـلى اللـه عليـه وسـلم-الفجـر؛ وليس من عـادتهم أنّهم يـأتون بهـذه الكثّـرة- رضي الله عنهم. هذا يـدلّ على حبّ الإنسـان للـدنيا حتّى ولـو كـان من أقـوى النـاس إيمانـاًفإنّـه يحبّ الـدنياولا يُلام على ذلـك - لا يُلام على محبّة الـدنيا.. ولكن إذا أسـرف في محبّـة الـدنيا وقـدّمها على الآخرة. هذا هو الذي يُذَم. أمّا كونه يحبّ الدنيا. الله جـلّ وعلا قـال:



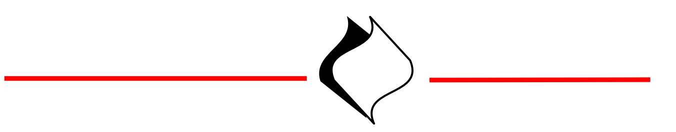
﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[الفجر:20]،﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[العاديات:8]

لحبّ المال يعني. هذ ه غريزة جعلها الله في الإنسانولذلك النبي صلى الله عليه وسلم لمّا رآهم تبسّم - عليه الصلاة والسلام- تعَجُّباً من- يعني- حبّ الإنسان للدنيا -حتّى ولو كان من أهل الإيمان القوي ومن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم-. عند ذلك عجب صلى الله عليه وسلم وتبسّم يعني: ضحك ضحكاً خفيفاً، وهذه عادته صلى الله عليه وسلم أنّه كان ضحكه تبسّموإذا بالغ في ذلك بدت نواجذه- عليه الصلاة والسلام- ما كان يقهقه في الضحكوإنّما كان يبتسم وإذا بالغ بدت نواجذه- عليه الصلاة والسلام- تعجباً من حبّهم للدنيا مع قوة إيمانهمثمّ أنّه بشّرهم وقال: أبشروا فلن أبخل عليكم بشيءٍ فيه خيرٌ لكم، ولا أخشى عليكم الفقر لأنّ الفقير يتواضع ويسكن وينشغل بطلب قوته؛ فلا يُخشى عليه من الطغيان. الفقر فيه مصلحة من ناحية أنّه يُكسب الإنسان التواضعويكسبه أيضاً القناعة بما آتاه الله. لكنّ الخشية من كثرة المال؛ لأنّ المال يُطغي كما قال جلّ وعلا: ﴿كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾[العلق:6]﴿أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[العلق:7]

فالغنى فيه خطورة شديدة. "ولكن أخشى عليكم أن تُبسط الدنيا عليكم" يعني وفرة المال. فإنّ ذلك فيه خطر لأنّه يحمل الإنسان على الطغيان، ويحمله على اتّباع الشهوات. وهو الاستمتاع بالخلاق الذي حذّر الله منه.

المذيع: قال: "ولكن أخشى عليكم أن تُبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوهافتهلككم كما أهلكتهم"

الشيخ صالح: تنافسوها يعني تتسابقون إليها. وإذا تسابقوا إليها حصلت الشحناءوحصلت الخصومات والمنازعات بسبب التنافُس على الدنيا. التنافس على الدنيا يسبب محاذير بين المسلمين؛ فهذا الذي خشيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهذا فيه دليل على خطر المالخطر الغنى والثروة. وإنّ المسلم يحذروإذا آتاه الله مالاً فليكن على حذر من ذلك؛ لئلّا يُطغيَه هذا



المــالأو يحملــه على الإنشــغال بشــهوات وملــذّاتهوالإعراض عن الآخرة. نعم.

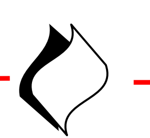
المذيــــــــع: قلّ من يفهم- يـا شـيخ- التّوسـط بين التحـذير من الطغيـان عنـد الغـنى وفوائـد الفقـر يفهم أنّـه لا نطلب معاشـاً ولا رزقاً نقعد وندع العمل. قلتم لنا ذلك وأخـذوا الكفـار الـدنيا وقعـدنا نحن في المؤخرة؟

الشيخ صالح: ما قلنا يقعدون لكن نقول أنّ الفقير لا يكون فيــه مثـل مـا في الغـني من الطغيـان. ولم نقـل أنّـه لا يطلب الرزقبـل يطلب الرزق. الله أمر بطلب الرزقـولكن هـذا من بـاب مقارنـة بين الغنى والفقر؛ لا من باب أن نحثّ على ترك طلب الرزقوعلى تـرك العمل للدنيا؛ لأنّ العمل لدنيانا بأن نعمل مـا يغنينـا عن الـدول هـذا أمرٌ مطلوب. هذا المقصود. نعم.

المذيــــــــع: أحسن الله إليكم. قال رحمه الله: وفي الصحيحين: عن عقبة ابن عامرٍ- رضي الله عنه- أنّ النبي صلى الله عليه وسلم خرج يومـاً فصـلى على أهـل أُحُـدٍ صـلاته على الميِّتثمّ انصـرف إلى المنبر فقال:" إنّي فرطٌ لكموأنا شهيدٌ عليكموإنّي والله لأنظـر إلى حوضي الآنوإنّي أُعطيت مفـاتيح خـزائن الأرض- أو مفـاتيح الأرض- وإنّي والله ما أخـاف عليكم أن تشـركوا بعـديولكن أخـاف عليكم أن تتنافســوا فيها"- وفي روايــة" ولكنّي أخشــى عليكم الــدنيا أن تنافسوا فيهاوتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم" قال عقبة: فكان آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر.

الشيخ صالح: نعم، هذا في آخر حياتـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، ودّع الأحياء وودّع الأموات خرج إلى أهل أُحُد يعني الشهداء- شهداء معركــه أحُـد- خــرج إليهم ليســلّم عليهمويــودّعهم. وصــلّى عليهم يُحتمل أنّه صلاة الجنازة- مع أنّهم شهداء، والشهيد لا يُصـلّى عليــه- أو يُحتمل أنّ المراد به الدعاء والسلام- الدعاء يُسـمّى صـلاةً- ،خـرج إليهم عليه الصلاة والسـلام. صـلّى عليهمثمّ إنّـه أقبـل إلى المنـبر. يعني صعد المنبر صلى الله عليه وسلم. وهذا توديعٌ للأحيـاء. فقـال ما ذكره في الحديث. نعم.

المذيــــــــع: قال:" إنّي فَرَطٌ لكم ".



الشيخ صالح: "إنّي فـرَطٌ لكم" والفـرط في اللغـة: السـابق هـو السابق إلى المـاء الـذي يسـبق قومـه ليسـقي لهم الماءوالرسـول فرَطنا أي سابقنا إلى الحوض يوم القيامة. وهذا فيه إثبات الحـوض للنبي صـلى اللـه عليـه وسـلم. فـإنّ اللـه أعطـاه الحـوض وأعطـاه الكوثر. وترد هذه الأمّة على هـذا الحـوض. - كمـا جـاء في الحـديث- ويشربون منهومن شرب منه شربةً فإنّه لا يظمأ بعدها أبـدا. ولكن يُردّ عنه أُناس يعـرفهم الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم.. يُـزادون ويُـردّون؛ لأنّهم أحـدثوا بعـده مـا أحـدثوا من الـردّةأو من البدعـة. فيُمنعـون من الحـوض عليـه- صـلى اللـه عليـه وسـلم- هـذا معـنى قولــه:" إنّي فــرطٌ لكم" فــرطكم على الحــوض أي تلقــوني على الحوض. نعم.

المذيـــــــع: قال: "إنّي فرطٌ لكموأنا شهيدٌ عليكم"

الشيخ صالح: "وأنا شهيدٌ عليكم" بالبلاغكما قال جلّ وعلا:

﴿وَكَـذَلِكَ جَعَلْنَـاكُمْ أُمَّةً وَسَـطًا لِتَكُونُـوا شُـهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُـونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة:143]

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾[النساء:41]

فالرسل يشهدون على أممهم بالبلاغوأنّهم بلّغوهم الحجّـةولم يبـق لهم معذرة. وهـذا الرسـول صـلى اللـه وسـلم، وهـذه الأمّـة تشـهد للرسل في السابقين بالبلاغ. (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)

والرسـول يشـهد لهـذه الأمّـة بالخيريـة والعدالـةويزكيها في هـذه الشهادة.

المذيـــــــع: قال:" وإنّي والله لأنظر إلى حوضي الأن"

الشيخ صالح: نعم هذا من معجزاتـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أنّـه ينظــر؛ هــو في الــدنيا وينظــر إلى حوضــه في الآخــرة فهــذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم. نعم.

المذيـــــــع: "وإنّي أُعطيت مفـاتيح خـزائن الأرض- أو مفـاتيح الأرض-"

الشيخ صالح: هـذا هـو محـلّ الشّـاهد. "أُعطيت مفـاتيح خـزائن الأرض- أو مفـاتيح الأرض" يعـني أبـاح اللـه لـه المعـادن الـتي في

الأرضوما فيها من من الـذهب والفضـة وغيرهـا من المعـادن، فـإنّ الله أباح لعباده هذه المعـادن وهـذه الأرزاق الـتي أودعهـا اللـه في الأرض. نعم.

المذيـــــــع: " **وإنّي والله ما أخـاف عليكم أن تشـركوا بعـديولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها"- وفي رواية" ولكنّي أخشـى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا".**

الشيخ صالح: ليس معنى هذا أنّه لا يقع في هـذه الأمّـة شـرك؛ بل إنّه سيقع كما يأتي في الأحاديث. ولكن معنـاه أنّـه خـاف عليهم الـدنيا أشـدّ ممّـا يخـاف عليهم من الشـرك. لأنّهم فهمـوا الإسـلام وعرفـوه. دخـل الإيمـان في قلـوبهم وتمّكن من قلـوبهم. ووقـوع الشـرك فيهم قـد يكـون قليلاً؛ ولكن ليس معنـاه أنّـه لا يقـع.. فلا يُفهم من هذا الحديث ما يفهمـه المُخرّفـون. أنّ هـذه الأمّة لا يقـع فيها شرك أبدا. وأين عُبّاد القبور الآن وعُبّـاد الأضـرحة وغـير ذلـك؛ حتّى عُبّاد الأوثان. أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنّه- كما يـأتي- سيكون في هذه الأمّة من يعبد الأوثانومن يعود إلى عبـادة الأوثـان في آخر الزمان. فالنبي صـلى اللـه عليـه وسـلم إنّمـا خـاف عليهم الدنيا أشدّ من خوف الشرك عليهم. نعم.

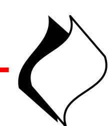
المذيـــــــع: قال: "وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم"

الشيخ صالح: هذا وجه الخوف عليهم من الدنيا. أنّهم يتنافسـون فيهـاثمّ يحصـل بينهم نـزاع وخصـومات في أمـور الـدنيا؛ ثم يـؤول الأمر إلى حمل السلاح. بعضـهم على بعض، وهـذا يقـع كثـيراً. أنّهم يتقاتلون على الدنيا. يقتل بعضهم بعضاً على الدنيا. نعم.

المذيـــــــع: قال عقبة: فكان آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر.

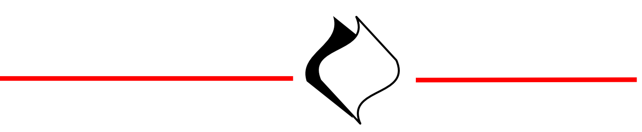
الشيخ صالح: نعم. وعقبة بن عامر- رضي اللـه عنـه – يقـول: أنّ هذه آخـر خُطبـة خطبهـا صـلى اللـه عليـه وسـلم. فهي وداعٌ للأمّـة ووصية للأمّة عند وفاته صلى الله عليه وسلم. تحذير لهذه الأمّـة أن يستمتعوا كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم. نعم.

147) الإخبار بالفتح على المسلمين من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم



المذيـــــع: وفي صحيح مسلمٍ: عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إذا فُتحت عليكم خزائن فارس والروم أيَّ قومٍ أنتم؟" قال عبدالرحمن بن عوف: نكون كما أمرنا الله عزّ وجلّفقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" تتنافسونثُمّ تتحاسدونثُمّ تتدابرون أو تتباغضونأو غير ذلك ثُمّ تنطلقون إلى مساكين المهاجرينفتحملوا بعضهم على رقاب بعض"

الشيخ صالح: نعم.هذا نفس الكلام الذي سبق؛ فيه أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر في هذا الحديث أنّ الله سيفتح لهذه الأمّة بلاد فارسوبلاد الروم وهما أمّتان عظيمتان في ذاك الوقت- دولتان كبيرتان- أخبر صلى الله عليه وسلم أنّه ستسقط دولة الفرسودولة الروم تحت المسلمينوأنّ المسلمين سيملكون ما عندهم من الثرواتولكنّه سأل أصحابه ماذا تكونون حينذاك؟ إذا فُتحت عليكم الدنيا واستوليتم على ممالك الفرس والروم ماذا تكونون؟ أيّ قومٍ أنتم؟ فعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قولاً حسناً: نكون كما أمرنا الله ورسوله؛ فهذا دليل على قوة إيمانه- رضي الله عنه- وعلى أنّه لا يتغيّر موقفه من الإيمان بسبب الثروة أو بسبب الدنيا، فهذا من باب حُسن الظّنّ بالله عزّ وجلّ ولمّا يجد في قلبه من قوة اليقينوهو معروفٌ أنّه ثريّ الصحابة وأنّه كان عنده ثروة عظيمةومع هذا لم تطغهولم تنقص من فضله وعبادته؛ لأنّه عرف قدر الدنيا. أخذهاولكنّه أخذها ولم يغترّ بهاوإنّما أخذها لمقاصد حسنة : للإنفاق في سبيل الله عزّ وجلّوالإحسان إلى المحتاجين. فهو أخبر عن ما في نفسه وما يجده -رضي الله عنه-. إلّا أنّ النبي صلى وعليه وسلم توقّع من الأمّة أنّهم عندما يحصلون على هذه الثروات أنّهم يتنافسون فيها. كلٌ يريد أن يحوزها دون الآخرثمّ ينشأ عن ذلك النزاع بينهم والتباغضوالتحاسد على أمر الدنياثمّ يؤول الأمرإلى ما هو أشد وهو الاقتتال على تحصيل هذه الدنياوالمغالبة بالسيف على أمر الدنيا. فدلّ على أنّ انفتاح الدنيا على الناس أنّه فتنة- قلّ من ينجو منه- ولهذا قال تعالى:



﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾[الأنعام:44]

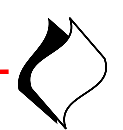
المذيع: قال:" ثُمّ تنطلقون إلى مساكين المهاجرينفتحملوا بعضهم على رقاب بعض"

الشيخ صالح: هذا هو نهاية التنافس على الدنيا أنّه يؤول إلى القتال؛ ليتغلّب الأقوياء على الضعفاءويحوزوا المال دونهم. نعم.

148) أنواع طُلَّاب الدنيا

المذيع: قال رحمه الله: وفي الصحيحين: عن أبي سعيدٍ الخدري- رضي الله عنه- قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبروجلسنا حولهفقال:" إنّ ممّا أخاف عليكم بعدي: ما يُفتح من زهرة الدنيا وزينتها" فقال رجلٌ: أويأتي الخير بالشر يا رسول الله؟ قال: فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلمفقيل: ما شأنك تكلّم رسول ولا يكلّمك؟ قال: ورأينا أنّه يُنزَّل عليهفأفاق يمسح عنه الرُّحضاء وقال:" أين هذا السائل؟" وكأنّه حَمِدَه. فقال:" إنّه لا يأتي الخير بالشر"- وفي روايةٍ- فقال:" أين السائل أنفا؟ أوَخيرٌ هو؟"- ثلاثاً- " إنّ الخير لا يأتي إلّا بالخيروإنّ ممّا يُنبت الربيع ما يَقتل حبطاً أو يُلمُّ إلا آكلة الخَضرفإنّها أكلت حتّى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمسفثلطت وبالتثُمّ رتعتوإنّ هذا المال خَضرٌ حُلوٌونِعم صاحبُ المسلم هولمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل- أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- وإنّه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبعويكون عليه شاهداً يوم القيامة"

الشيخ صالح: نعم وهذا الحديث حديثٌ عظيم. أنّه جلس -صلى الله عليه وسلم- على المنبروجلس حوله أصحابه على عادتهم في تلقي الحديث عنه والتوجيه منه -صلى الله عليه وسلم- عند ذلك أخبر صلى الله عليه وسلم أنّه خشي على أمّته من زهرة الدنيا وما يُفتح عليهم من زهرة الدنيا. فهذا فيه عَلَمٌ من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم حيث أخبر أنّها ستفتح على هذه الأمّة الدنيا وقد وقع ما توّقعه صلى الله عليه وسلم، وأنّها فُتحت الدنيا على المسلمين بعد ذلك. فالرسول خشي على أمّته من هذه الزهرةأنّها تفتنهموهذا من كمال شفقته صلى الله عليه وسلموتحذيره



للمستقبل. إذا وقع هذا الشيء أن يكون المسلمون على حذرأن يأخذوا الدنيا لكن يحذرون من شرّهاويضعونها في مواضعها- وقلّ من يفعل ذلك- قلّ من إذا أخذ المال وضعه مواضعه الشّرعية- وإلّا فإن وضعه في مواضعه الشّرعية سلم وغنم- لكنّ المصيبة من لم يضعه في مواضعه الشّرعية فهذا يكون المال شراً عليهولهذا لمّا سأل السائل فقال: أويأتي الخير بالشر يا رسول الله؟ فزهرة الدنيا كأنّها خير نعمة فهل تأتي بشر؟ يعني: هذا من باب التّعجب والسؤالفأعرض عنه النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فظنّ الصحابة أنّه أعرض عنه؛ لأنّه لم يرض سؤالهفي حين أنّ الرسول أعرض عنه لأجل أنّه انشغل بنزول الوحي.

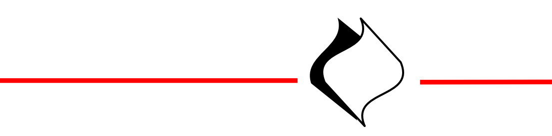
كان صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي كان يتصبّب عرقاً من شدّة ما يلقى من ثُقل الوحي. فلمّا سُرّي عنه -صلى الله عليه وسلم- ومسح العرق قال: أين السائل؟ حينئذٍ الرسول لم يهمله، ولم يتركهعدم اهتمامٍ بسؤاله وإنّما تركه لأنّه انشغل بالوحيفلمّا ذهب عنه ما حصل من آثار الوحي عند ذلك ما نسي السائلقال: أين السائل؟ نعم.

المذيــــــع: قال: وكأنّه حَمدَه. فقال:" إنّه لا يأتي الخير بالشر"

الشيخ صالح: يعني: كأنّه حمد هذا السؤال. أي نعم.

المذيــــــع: فقال:" إنّه لا يأتي الخير بالشر"

الشيخ صالح: الخير لا يأتي بالشرولكنّ المال خير ولكنّه قد يأتي بالشر حين يستعمله الإنسان في غير موضعهأمّا إذا استعمله في موضعه فإنّه لا يكون شراً. فالمال ليس شراً مطلقاوليس خيرًا مطلقاوإنّما على حسب استعمال صاحبه له. وضرب مثلا للدّوابّ التي ترتع في الربيع والزهر والعشبفمنها من يُحسن الرعي وتصريف ما يأكل، وهي التي تأكل من الخضر ومن النبات ثم تترك الرعي وتبرك وتستقبل عين الشمس من أجل الحرارة؛ حتى يتهضم ما في بطنها وتبول وتثلط يعني تتروّث فيخفّ ما في بطنها، ثم تقوم وترعى. فهذا مثال لمن يستعمل الدنيا بحكمةويأخذها برفق. مثل هذه الدابة التي لمّا شبعت بركتواستقبلت عين الشمس حتى تصيبها حرارة الشمسثم تهضم ما في بطنها.



وزهرة الدنيا إنّما يكون الخطر فيها؛ لأنّ مثل الربيع منه ما يهلك حبطاً.. يعني انتفاخاً. تأكل الدابة من أوّل الرّبيع وتنتفخ بطنها ثم تموت. كذلك طالب الدنيا إذا أسرف في طلبها؛ فإنّه حينئذ تقتله هذه الدنياأو يُلمّ يعني: يقارب من الحبط. وضرب لذلك مَثَل الدّابتينوالدّابة الثّانية التي استغرقت في الأكل والرعي حتّى تخِمت ومرِضت؛ فهذا مثل الذي يطلب الدنيا بنهم. نعم.

المذيـــــــع: إذاً طلبة الدنيا مثل الدّوابّ ترعى: منها دابةٌ تأكل حتّى تموت، ومنها من تأكل قصداً.

الشيخ صالح: أي نعم، كذلك بنو آدم. منهم من يأخذ الدنيا بقدر ويستعملها بحكمة هذه تكون خيراً له لا يأتي هذا الخير بالشر. نعم. وإنّما يأتي بالخيرلكنّ الثّاني هو الذي يأتي بالشر. خيرٌ أتى بشر وهو سوء الاستعمال. نعم.

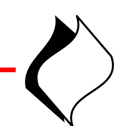
المذيـــــــع: ولذا في الرواية الآخرى قال:" أين السائل أنفا؟ أوخيرٌ هو؟"- ثلاثاً- " إنّ الخير لا يأتي إلّا بالخير "

المذيـــــــع: "وإنّ ممّا يُنبت الربيع ما يَقتل حبطاً أو يُلمُّ "

الشيخ صالح: حبطاً يعني انتفاخاً. لأنّ الدّابة إذا رعت من أوّل الربيع تنتفخ.

المذيـــــــع: نعم. أحسن الله إليكم شيخنا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الحادي والعشرون

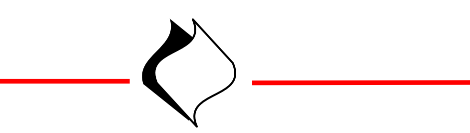
المذيـــــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلًا وسهلًا بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامجكم اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يشرح الكتاب في هذه الحلقات فضيلة الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء. في مطلع لقائنا نرحب بفضيلة الشيخ فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

149) أنواع طلب المال وأنواع التصرف فيه

المذيـــــــــع: في سياق حديث المؤلف ـ رحمه الله ـ عن استمتاع الأمة بخلاقها، كما استمتع الذين من قبلها، ذكر حديث أبي سعيد في الصحيحين، المثال الذي ذكره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمن أخذ الدنيا بحقها أو بغير حقها، قال ـ رحمه الله ـ وفي الصحيحين عن أبي سعيدٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: جلس رسول ـ الله



صلى الله عليه وسلم ـ على المنبر، وجلسنا حوله؛ فقال: إن مما أخاف عليكم بعدي ما يفتح من زهرة الدنيا وزينتها، فقال رجلٌ: أو يأتي الخير بالشر يا رسول الله؟ قال: فسكت عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ؛ فقيل: ما شأنك تكلم رسول الله ولا يكلمك؟ قال: ورأينا أنّه يُنَزَّل عليه، فأفاق يمسح عنه الرحضاء، وقال: أين هذا السائل؟ وكأنه حمده، فقال: إنه لا يأتي الخير بالشر، وفي روايةٍ فقال: أين السائل آنفًا؟ أو خيرٌ هو؟ ثلاثًا، إنه لا يأتي الخير إلا بالخير، وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبطًا أو يُلِمّ إلا آكلة الخضر، فإنها أكلت حتى إذا امتدت خاصرتها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت، وإن هذا المال خضرٌ حلو، ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل أو كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإنه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيدًا يوم القيامة.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ما زال المؤلف ـ رحمه الله ـ في سياق الأدلة التي تدل على تشبه بعض هذه الأمة أو كثيرٍ من هذه الأمة بمن قبلها، ومن ذلك تشبه بعض هذه الأمة أو كثيرٍ منها بمن قبلهم في الاستمتاع بالدنيا.

المذيـــــع: نعم.

الشيخ صالح: وهو الاستمتاع بالخلاق، ومن ذلك هذا الحديث فإن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جلس على المنبر وجلس حوله أصحابه كعادتهم حينما يتلقون منه التوجيهات، النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذا الحديث سألهم: كيف يكونون؟ فالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذا الحديث أخبرهم أنه إنما يخاف عليهم زهرة الدنيا إذا فتحت عليهم، وأنه لا يخشى عليهم الفقر؛ لأن الله سبحانه وتعالى تكفل بالأرزاق، ﴿وما من دابةٍ في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود:6]، وكلٌ مقدرٌ له رزقه لا يموت حتى يستوفيه كأجله، كما في الحديث، فهو لا يخاف عليهم الفقر؛ لأن الله تكفل بأرزاقهم، وأيضا الفقر لا يحمل على البطر والكبر والإفساد في الأرض، الفقر يسكن الإنسان، ولا يحمله على الصفات الذميمة

بخلاف الغنى، فإنه يحمل الإنسان على العتر والبطر والشهوات المحرمة، هذا هو الذي خافه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ــ في أن الغنى فيه شر، وفيه خوفٌ على صاحبه، فسأل رجلٌ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ــ بهذه المناسبة؛ فقال: يا رسول الله، أويأتي الخير بالشر؟ يعني أن الغنى فيه خير، فكيف يأتي بالشر؟

النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يجبه في الأول؛ لأنه كان مشغولًا بما ينزل عليه من الوحي، لكن الصحابة كأنهم فهموا أن الرسول أعرض عنه، وأنه لم يعجبه سؤاله، ثم إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما ذهب عنه ما يعتريه عند الوحي لم يهمل هذا السائل، وهذا من تواضعه ـ صلى الله عليه وسلم ــ ففي هذا أن المسؤول لا ينبغي له أن يعرض عن السائل، بل يوجهه. كما قال ــ تعالى ـ (وأما السائل فلا تنهر) [الضحى:10] فالنبي ــ صلى الله عليه وسلم ـ قال: أين السائل؟ وكأنه أعجبه سؤاله، فقال: إن الخير لا يأتي إلا بالخير، لا يأتي بالشر، ولكن إنما يأتي الشر من الاستعمال، استعمال الإنسان، فالإنسان هو الذي يحول الخير شرًا بتصرفاته، وذلك أن الإنسان إذا استقبل هذا المال برفق وباكتسابٍ طيب وقناعية؛ ثم إنه إذا حصل على شيءٍ منه تصرف فيه تصرفًا مفيدًا لنفسه ولغيره؛ فإنه يكون خيرًا له، ونعم المال الصالح للرجل الصالح، أما إذا أخذه بشره ونهم وغامر في تحصيله، ولم يفرق بين الكسب الحلال والكسب الحرام؛ ثم إنه إذا حصل له المال لم يتصرف فيه تصرفًا حسنًا فإن هذا يأتى بالشر، هذا خيرٌ سبب له شرًا، لا لذات الخير وإنما لتصرفه هو، ثم ضرب ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثلًا للمال، ومثلًا للإنسان مع المال، ضرب مثلًا للمال بالخضر من النبات والعشب الحلو الطيب.

المذيـــــــع: نعم.

الشيخ صالح: هذا مثل المال، وتصرف الناس فيه ينقسم إلى قسمين: أحدٌ يأخذه برفق وبهدوء وبكسبٍ حلال ثم إنه ينفقه فيما ينفعه وينفع غيره، فهذا مثل الناقة التي رعت من هذا العشب الخضر، رعت منه قدر حاجتها ثم إنها بركت واستقبلت الشمس

حرارة الشمس؛ حتى يتهضم ما في بطنها، ثم إذا تهضم وجاعت؛ قامت وأكلت مرةً ثانية.

المذيـــــع: نعم.

الشيخ صالح: **هذا هو التصرف الحسن، وهذا يكون خيرًا، لكن الصنف الثاني مثل البهيمة التي وجدت المرعى الطيب الخصب، وهو غض طري فأكلت منه بدون تقدير؛ حتى انتفخت حبطت، والحبط هو الانتفاخ، انتفاخ البطن، ثم إنها تضررت بذلك وربما تهلك؛ بسبب ذلك، فهذا مثل الإنسان الذي يأخذ المال بنهمٍ، ولا يفرق بين طريق الكسب الحلال وطريق الكسب الحرام، إنما نهمته جمع المال، ثم إنه إذا حاز عليه لا يتصرف فيه تصرفًا حكيمًا، وينفقه في وجوهه، وإنما ينفقه في سبيل الشهوات وسبيل الإفساد، أو هو في نفسه يتكبر ويبطر على الناس، فهذا مثل هذه الدابة التي أساءت الرعي ورعت ما يضرها، ثم كان عاقبة ذلك عليها الضرر العظيم، والانتفاخ والتعرض للموت، نعم.**

المذيـــــع: قال: وإن هذا المال خضرٌ حلو، ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل.

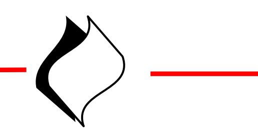
الشيخ صالح: **هذا التصرف الحسن.**

المذيـــــع: أو كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع.

الشيخ صالح: **بغير حقه يأخذه من كسبٍ حرام، فإن هذا يبتلى بالجشع إذا كان يأخذ المال من كسبٍ حرام؛ فإنه يصاب بالجشع وطلب المال بنهم، ولا يستريح أبدًا، نعم.**

المذيـــــع: ويكون عليه شهيدًا يوم القيامة.

الشيخ صالح: **ويكون هذا المال شهيدًا عليه، كما في الحديث (يسأل عن أربع) وذكر منها أنه يسأل عن ماله (من أين اكتسبه، وفيم أنفقه).**



(150 دنيا الناس، وفتنة النساء، وعِظَم دوْرِهِن

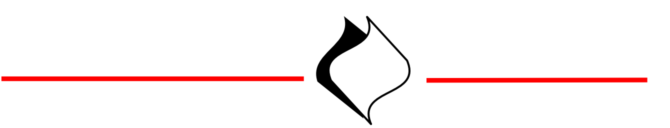
المذيـــــــع: وروى مسلمٌ في صحيحه عن أبي سعيدٍ ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ــ قال: (إن الدنيا حلوةٌ خضرة، وإن الله ـ سبحانه ـ مستخلفكم فيها؛ فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)

الشيخ صالح: وهذا مثالٌ ضربه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للدنيا، وتصرف الناس فيها، قد قال الله ــ جل وعلا ـ (إنما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح وكان الله على كل شيءٍ مقتدرًا)[الكهف:45]، وقال (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلًا أو نهارًا فجعلناها حصيدًا كأن لم تغن بالأمس) [يونس:24]

فالدنيا زائلة وزهرتها زائلة، فالإنسان لا يغتر بها، والله ـ جل وعلا ـ مستخلفٌ الناس في هذه الدنيا، بمعنى أنه جعلهم يخلف بعضهم بعضا، كما قال في حق أبيهم آدم (إني جاعلٌ في الأرض خليفة) [البقرة:30] يعني يخلف من قبله، لا كما يفهم بعض الناس أنه خليفة الله، فان الله ـ جل وعلا ـ ليس له خليفة.

المذيـــــــع: سبحانه.

الشيخ صالح: فليس بحاجةٍ إلى الخليفة، وإنما الله هو الخليفة ـ سبحانه وتعالى ـ كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (فالله خليفتي على كل مسلم)، فالله هو الخليفة ــ سبحانه وتعالى ــ لا أنه يتخذ خليفةً من الناس، وإنما الناس هم الذين بحاجة لمن يخلفهم، فالله مستخلفٌ الناس في هذه الدنيا، كما قال ـ جل وعلا ـ (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) [الحديد:7]، (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعضٍ درجات) [الأنعام:165] فالله



يستخلف العباد في هذه الدنيا، يذهب جيل ويأتي جيل، يموت شخصٌ ويرثه شخص، وهكذا ...

(فينظر كيف تعملون) الله ـ جل وعلا ـ ليس بغافل عن تصرفاتنا؛ فهو يحصيها علينا ويحيط بها ـ سبحانه وتعالى ـ وينظر كيف نعمل؟ يبتلينا بهذا الاستخلاف، ماذا نعمل؟ هل نحسن أو نسيء؟

(فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا) أي اتقوا فتنتها.

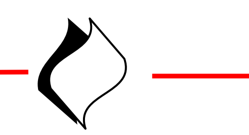
المذيـــــع: نعم.

الشيخ صالح: الدنيا لا تذم لذاتها؛ فإنها مطية الآخرة، فلا تذم لذاتها، وهي مخلوقات وطيبات وأرزاق ومنافع، فهي لا تذم لذاتها، وإنما الذي يذم تصرف الإنسان فيها، فاتقوا الدنيا أي اتقوا فتنتها، (لا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) [لقمان:33] اتقوا الدنيا اتقوا فتنتها وشرها وخذوا من خيرها، واستعملوها في طاعة الله، واستعينوا بها على طاعة الله وعلى مصالحكم ومنافعكم.

(واتقوا النساء) نص على النساء، النساء لا شك أنها من فتنة الدنيا، وهي أشد فتنة من فتنة المال، المرأة أشد فتنة من فتنة المال.

المذيـــــع: نعم.

الشيخ صالح: لأنها تجر إلى الفاحشة، من افتتن بها تجره إلى الفاحشة، والوقوع في فساد الأخلاق وفساد الأعراض، وضياع الأسر واختلاط الأنساب، فالمرأة في الحقيقة هي القاعدة للمجتمع، إذا صلحت صلح المجتمع، وإذا فسدت المرأة فسد المجتمع؛ ولذلك أعداء الإسلام الآن يركزون على المرأة، ويريدون المرأة تتمرد على الأحكام الشرعية، ويقولون: هذا من حقها ومن حريتها وهي مظلومة، يريدون بذلك أن يدمروا بها المجتمع، فإن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبر أن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ (ما تركت بعدي فتنةً أضر على الرجال من النساء)، فالمرأة لا شك أنها هي قاعدة



المجتمع وهي أساس الأسرة، فإذا صلحت صلحت الأسرة، وإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع.

المذيـــــع: نعم.

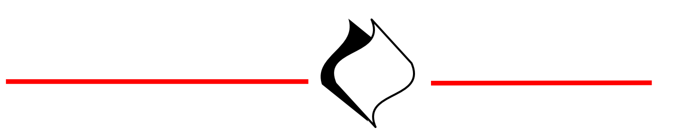
الشيخ صالح: فهي الأساس، وأما إذا فسدت المرأة؛ فسد المجتمع كله، فينبغي العناية بها وحفظها والمحافظة عليها، وإعطاؤها ما تستحق من الكرامة اللائقة بها، أما أن تُعطى ما لا يليق بها، فهذا من تضييعها، ومن الإساءة إليها، فالواجب على المسلمين أن يتنبهوا لدسائس الأعداء، وأن يحذروا من فتنة المرأة، كما قال الشاعر:

والأم مدرسةٌ إذا أعددتها   أعددت شعبًا طيب الأعراق

فالمرأة عليها دور كبير في المجتمع، فعليها هي في نفسها أن تتقي الله ـ عز وجل ـ وأن تحذر من الفتنة والخروج عن دورها اللائق بها، وعلى أوليائها أيضًا أن يصونوها، كما قال ـ جل وعلا ـ (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) [النساء:34]، ففي نص النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على المرأة في هذا الحديث دليلٌ على خطورتها، وأنها إذا أهملت دمرت المجتمع، وإذا حوفظ عليها فإنها تنفع المجتمع، نعم.

المذيـــــع: أحسن الله اليكم، قال المؤلف ـ رحمه الله ـ فحذر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من فتنة النساء معللًا بأن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء.

الشيخ صالح: نعم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حذر من فتنة الدنيا عمومًا، ثم حذر من فتنة النساء خصوصًا وبيّن المثال لذلك؛ لما وقع لبني إسرائيل من الفساد ومن الدمار الذي حل بهم بسبب إهمال نسائهم، لما تجملت وتعطرت وخرجت وواقعت الفساد وتبعها الأشرار، فإن الله أنزل ببني إسرائيل الطواعين والأمراض والأسقام المُهلكة، كما يروي ذلك التاريخ، نعم.



المذيـــــع: قال: وهذا نظير ما سنذكره من حديث معاوية رضي الله عنه أنه قال: إنما هلك بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم، يعني وصل الشعر، والحديث في صحيح مسلم.

الشيخ صالح: نعم، معاوية ـ رضي الله عنه ـ لما قدم المدينة في خلافته، وخطب الناس قال: أين علماؤكم؟ ثم إنه أخرج كَبةً من شعر أو كُبة من شعر؛ فقال: أين علماؤكم؟ إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: إنما هلك بنو إسرائيل لما اتخذت نساؤهم هذه، بمعنى أنها تتزين وتتجمل وتظهر للناس، وأنها أيضا ما تكتفي بزينتها التي أعطاها الله بل إنها تحاول التزييف ووصل الشعر، وتجعل لها شعرًا ليس منها لتغر الناس وتجذب الناس.

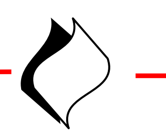
فالمرأة سلاحٌ فتَّاك، إذا لم تحافظ عليه؛ فإنه يقتل ويدمر، هذا الحديث فيه تحريم وصل الشعر بشعر آخر، وقد لعن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الواصلة والمستوصلة، الواصلة: التي تصل شعرها بشعر غيرها، والمستوصلة: التي تطلب ذلك ممن تعمله معها من النساء، نعم.

المذيـــــع: قال: وكثيرٌ من مشابهات أهل الكتاب في أعيادهم وغيرها إنما يدعو إليها النساء.

الشيخ صالح: نعم، ومن فتن النساء أنها هي التي تحرض على البدع، وعلى مشابهة أهل الكتاب في أعيادهم وفي غيرها من عاداتهم الضارة التي لا فائدة منها، نعم.

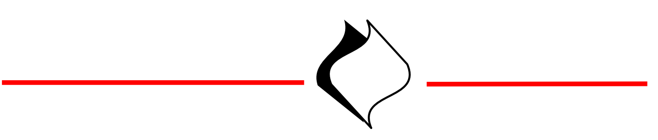
151) النهي عن التشبُّه بأهل الكتاب بالخوض في العقائد

المذيـــــع: قال: وأما الخوض كالذي خاضوا فروينا من حديث الثوري عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إذا كان منهم من أتى أُمَّه علانيةً كان في أُمَّتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين



وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملةً واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي).

الشيخ صالح: نعم، لمّا انتهى الشيخ رحمه الله من الكلام على النقطة الأولى من التشبه بالذين من قبلنا، وهو التشبه بهم في الخلاق والشهوات وطلب الدنيا والتكاثر فيها، وهذا لا شك أنه خطير جدًّا، انتقل إلى ما هو شرٌ منه، وهو التشبه بهم في الخوض في عقائدهم، الخوض في العقائد (خضتم كالذي خاضوا) [التوبة:69] في عقائدهم فإن بني إسرائيل أو الأمم قبلنا عمومًا إنما هلكوا لما تفرقوا في عقائدهم، الله ـ جل وعلا ـ جعل العقيدة عقيدةً واحدة، عقيدة التوحيد واتباع الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هذا طريق النجاة، طريق الحق اتباع الكتاب والسنة، هذا هو طريق الحق وطريق النجاة (وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) [الأنعام:153] فالعقيدة مجالها التلقي والتوقيف، فلا يُحدَث فيها شيء ولا يضاف إليها شيء، إلا ما ورد في كتاب الله وفي سنة رسول الله، وهي عقيدةٌ واحدة (وإن هذه أمتكم أمةٌ واحدة وأنا ربكم فاتقون) [المؤمنون:52]، والله أمر بني إسرائيل بذلك، لكنهم تفرقوا واختلفوا في عقائدهم، وقد نهانا الله ــ جل وعلا ــ عن ذلك؛ فقال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) [آل عمران:105]ـ فمن التشبه بهم أن نتفرق في عقيدتنا كما تفرقوا، ولكن قدر الله نافذ والابتلاء واقع، فقد أخبر ـ صلى الله عليه وسلم ــ أن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، وأن النصارى افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة، وأن هذه الامة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي من كان على ما عليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه. فهذه الأمم الثلاث تفرقت: اليهود والنصارى والمسلمون، وما كان لهم أن يتفرقوا لو أنهم تمسكوا بالكتاب والسنة واتباع الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ـ ما كان لهم أن يتفرقوا في عقائدهم ولكن الله يُجري الابتلاء والامتحان؛ فحصل التفرق وتشبهت هذه الأمة بمن قبلها في التفرق والاختلاف، ولكن بقيت منها ـ ولله الحمد ــ بقيةٌ ثبتت



على الحق ولم تنحرف عنه، وهم أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية، الفرقة الناجية التي سميت ناجية؛ لأنه قال ــ صلى الله عليه وسلم ـ (كل هذه الفرق في النار إلا واحدة) يعني هذه نجت من النار؛ بسبب ثباتها على الحق وعلى التوحيد وعلى العقيدة الصحيحة، وعلى ما كان عليه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه، (هم من كان على ما أنا عليه وأصحابي)، الله ـ جل وعلا ـ يقول (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) [التوبة:100].

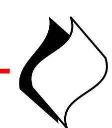
فهذا هو الطريق الصحيح أن لا نتفرق وأن نتلقى عقيدتنا من الكتاب والسنة، ولا نتلقاها من عادات الناس أو تقاليد الناس أو استحسان فلان، أو عمل فلان، فإن هذا يشتت الناس ويضيعهم، وكلٌ يتبع شيخه ورئيسه ويحصل بذلك التفرق، نحن ليس لنا قدوة إلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ــ هو إمامنا ــ عليه الصلاة والسلام ـ (لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة) [الأحزاب:21] فهو إمامنا وهو القدوة، وأما العلماء فمن اقتدى به نتبعه ومن خالفه فإننا نرفضه، ولا ننظر إليه.

هذا هو الطريق الصحيح، طريق النجاة، ولكن لما حصل في الأمم السابقة اختلاف، وكان في هذه الأمة من يتشبه بهم اختلفت هذه الأمة، كما هو الواقع الآن.

تاريخ الفرق إذا قرأت في تاريخ الفرق تعجبت، مثل الملل والنحل للشهرستاني، والفَرْق بين الفِرَق للبغدادي، والفصل في الملل والنحل لابن حزم، والمقالات لأبي الحسن الأشعري؛ تتعجب من هذا الاختلاف وهذا التفرق، وما كان ذلك ليقع لو أنهم تمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله.

المذيــــــع: أحسن الله إليكم شيخنا، وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الثاني والعشرون

المذيـــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلًا وسهلًا بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامجكم "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام/ احمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله.

يشرح الكتاب في هذه الحلقات فضيلة الشيخ/ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع هذا اللقاء نرحب بضيفنا الكريم حياكم الله شيخ صالح.

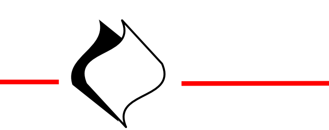
الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

152) الافتراق تشبه بأهل الكتاب وحدوثه بيننا من نبوءات نبينا

المذيـــــع: أنهينا الحلقة الماضية في حديث المؤلف رحمه الله عن مشابهة هذه الامة للأمم السابقة في الاختلاف في العقائد، وما ذكره الله في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة:69]، وحديث افتراق الامة على ثلاثٍ وسبعين فرقة كما اختلف من قَبلَهم على إحدى وسبعين واثنتين وسبعين، وذكرتم بعض ما حدث للأمم السابقة وأن من اطلع عليها عرف ذلك، وأنه لم يكن لهؤلاء أن يختلفوا لو تمسكوا بما جاء من الله -سبحانه وتعالى-.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وهذا الافتراق مشهورٌ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من حديث أبي هريرة وسعد ومعاوية، وعمرو بن عوف، وغيرهم، وإنما ذكرت حديث ابن عمرو؛ لما فيه من ذكر المشابهة].

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



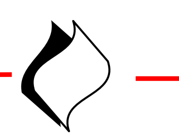
يقول الشيخ -رحمه الله-: إن أحاديث الافتراق مشهورة ومتعددة الروايات فهي ثابتة، وفي هذا ردٌ على الذين يشككون الآن في حديث: >افترقت اليهود على -إلى قوله- وستفترق هذه الامة على ثلاثٍ وسبعين فرقة<، فيه من ينكر هذا الحديث، ويقول هذا لم يرد عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويطعن فيه عن جهل، الشيخ -رحمه الله- يرد على هذا ويقول الحديث هذا مشهورٌ بطرقه ورواياته، فهو ثابتٌ عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولابد من حصول الافتراق، ولو فرضنا أن هذا الحديث لم يرد، الواقع يشهد لذلك، الواقع هل المسلمين الآن هل هم على طريقٍ واحد؟ أو على طرقٍ متعددة متنوعة، وفيها ضلال.

النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: >ثلاث سبعين كلها في النار إلا واحدة<، يعني اثنتين وسبعين في النار؛ لأنها مخالفة للطريق الصحيح، ليس على الصحيح إلا واحدة فقط، وهي التي في الجنة، وهذه الفرق في النار كلٌ بحسب مفارقته، منهم من يكون في النار لأنه كافر، إذا كان افتراقه الردة، ومنهم من يكون في النار لأنه فاسق، إذا كان افتراقه لا يقتضي الردة وإنما يقتضي الفسق، فيكون في النار على حسب جريمته، مثل أصحاب الكبائر، ومنهم من يكون في النار لمعصيته، إذا كان الاختلاف لا يصل إلى حد الضلال فإنه يكون في النار بحسب جريمته، لكنه لا ليس بكافر ولا يخلَّد في النار.

المذيع: أحسن الله اليكم، قال -رحمه الله-: [فعن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: >تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة<. رواه أبو داود].

الشيخ صالح: هذا كالحديث الذي قبله، وكما أشار الشيخ -رحمه الله- في أن هذا الحديث متعدد الروايات، وهو حديثٌ ثابت برواياته عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

المذيع: قال: [رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال: "هذا حديث حسن صحيح ".



وعن معاوية قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: >إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة -يعني الأهواء- كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة<].

الشيخ صالح: نعم، وهذا كالحديث كالأحاديث التي قبلها وفيه بيانٌ لما أشار إليه الشيخ من تعدد روايات، هذا الحديث مما يثبته عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ثبوتًا لا شك، والواقع يشهد لذلك فإن الأمة الآن متفرقة إلى شيعٍ وأحزاب، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:53]. إلا الذين ثبتوا على الحق وهم أهل السنة والجماعة، ولو كانوا قليلين، أهل السنة والجماعة يكثرون أحيانًا ويقلون أحيانًا حتى ربما لا يبقى منهم إلا واحد، فهو أهل السنة والجماعة، ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم-: >بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء<.

الإسلام أول ما بدأ، بدأ من واحد وهو الرسول -صلى الله عليه وسلم- ثم تبعه الأفراد، ثم تكاثروا حتى صارت الامة، وسيعود الإسلام غريبًا في آخر الزمان لكثرة من يخالفه وقلة من يثبت عليه، حتى ربما لا يثبت عليه إلا الأفراد، ويكونون غرباء في الناس، يكونون غرباء بين الناس، والغريب هو الذي يعيش بين ظهراني غير أهله وغير بلده، هذا هو الغريب، فالمتمسك بالسنة يكون غريبًا في آخر الزمان؛ لأن أكثر الناس على خلافه، وإن كانوا أنهم يَّدعون الإسلام وأنهم على الإسلام، فتشتد الغربة في اخر الزمان.

هذا فيه أن المسلم يثبت على الحق، مهما كلفه الأمر، حتى ولو لم يكن على الحق غيره، فإن الله -جل وعلا- يقول إنه رفيقٌ للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء:69].

يعني وإن خالفك أكثر الناس فلا تستوحش لأنك مع من؟ مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لا تستوحش، بل اثبت على الحق، نعم.

153) اتباع الهوى هو سبب افتراق هذه الأمة وغيرها من الأمم

المذيـــــــع: أحسن الله اليكم، قـال: [وقـال: >إنـه سـيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مِفصل إلا دخله، والله يـا معشـر العـرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد لغَيرُكم من الناس أحرى أن يقوم به].

الشيخ صالح: نعم، بيَّن -صلى الله عليه وسلم- في هـذا الحـديث السبب الذي من أجلـه تفـرَق النـاس في الأمم السـابقة وفي هـذه الأمة، هل السبب خفاء الحق؟ لا والله، الحـق واضـح، ولكن السـبب اتباع الهوى، فإن كثيرًا من الناس لا يريد الحـق، وإنمـا يريـد هـواه، فلذلك تفرقوا بسبب اتبـاع أهـوائهم، ولهـذا قـال -جـل وعلا-: ﴿وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:18]، وقال ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص:50].

فـالحق واضـح، ولم يكن تـركهم لـهُ عن جهـل، فإنمـا تركـوه؛ لأنـه يخالف أهواءهم، وهم يريدون أهـواءهم، والأهـواء لا تنتهي كـلٌ لـه هوى، فلذلك لا يجتمعون، كلٌ يختلف هواه عن هوى غيره، كلٌ يريـد أن يحقق رغبته، فلذلك تفرقوا، ولا يرجعون أيضًا والعياذُ بالله؛ لأن صاحب الهوى لا يرجـع، مهمـا فعلت معـه من بيـان الأدلـة لا يرجـع؛ لأنه لا يريد الأدلة، وإنما يريد هواه، هذا هو السبب في التفـرق هـو إتباع الأهواء.

أما من ترك الحق عن جهل، ثم بُين له وعاد فهذا لا يُذم بل يمـــدح، نعم، أو تركه عن اجتهاد ظن أنه على حق، واجتهـد في طلب الحـق ولم يُوفق لهُ، لكن لو تبين لهُ الحق لرجع إليه، هذا أيضًا لا يُذم.

قال -صلى الله عليه وسلم-:"إذا اجتهد الحاكم فأصاب، فله أجران، وإذا اجتهد فأخر فله أجرٌ واحد"، فإذا كان الاختلاف ليس عن هـوى، وإنما هـو عن جهـل أو عن اجتهـاد طلب الحـق، ولم يصـبه فهـذا لا يُذم، لكن الذي يُذم هـو الاختلاف من أجـل اتبـاع الهـوى، ثم أخـبر -صلى الله عليه وسلم- أن هذا الهوى مـرض كمـرض الكلب، والكلب هو الذي المرض الذي ينشأ عن عضة الكلب؛ لأن فيه من الكلاب من يصاب بداء، فإذا عض أحدًا أصابهُ هذا الداء وانتقل إليـه ثم فتـك بـه

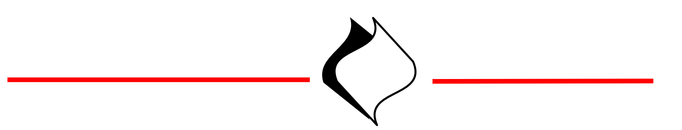
إلى أن يموت، يسميه العوام المغلوف، نعم، الغلاث المغلوث، أو يسمونه السعار، فالهوى والعياذُ بالله يشبه داء الكلب، الذي يصيب الكلاب وتعض الناس، تقتلهم أو تُمرضهم مرضًا شديدًا.

وهذا فيه التحذير من الهوى، ويتجارى ما يترك عرق من الجسم إلا دخلهُ، فكذلك الهوى والعياذُ بالله يتخلل في الانسان، كما يتخلل داء الكلب وهذا شيءٌ مُشاهد، فأصحاب الاهواء تجدهم دائمًا في صراع، وفي عراك فيما بينهم، وإذا بين لهم الحق أبغض ما يسمعون كلمة قال الله وقال رسوله، وقال الصحابة، فإن أبغض ما يسمعون هذا، نعم؛ لأنه يخالف فهواءهم، والله -جل وعلا- يقول في عُبَّاد الأصنام ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر:45].

إذا وافق ذلك أهواءهم استبشروا وفرحوا، وإذا خالف أهواءهم اشمأزت، اشمأزت قلوب الذين نعم، لا يؤمنون بالآخرة، وهذا مثال لأهل الضلال الآن، فإنهم لا يريدون سماع قال الله وقال رسولهُ، وإنما يرغبون في قال فلان وفلان من أئمتهم أو قادتهم، نعم.

المذيع: أحسن الله اليكم، [قال الراوي معاوية-رضي الله عنه-، والله يا معشر العرب؛ لأن لم تقوموا بما جاء به محمد لغيركم من الناس أحرى ألا يقوم به].

الشيخ صالح: هذه كلمةٌ عظيمة من أمير المؤمنين معاوية -رضي الله عنه-، يقول إن أحق الناس أن يقوم بهذا الدين هم العرب، لماذا؟ لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- منهم؛ ولأن القرآن نزل بلغتهم، فهم المكلفون به أولًا قبل غيرهم، وهم الشهداء على الأمم يوم القيامة،-جل وعلا- يقول في هذا القرآن، ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:44]، ذكرٌ يعني شرف، تُذكرون به ولقومك يعني العرب، الذين نزل بلغتهم، أما الأعاجم فإنهم تبعٌ للعرب الأعاجم تبعٌ للعرب، فإذا ضل العرب وفسد العرب فسدت بقية الأمم؛ لأن الناس يقلدون هذه الأمة، يقلدون العرب الذين منهم الرسول ونزل القرآن بلغتهم فهم يقلدونهم، دائما وأبدًا، فالمسؤولية على العرب لا شك أنها أغلظ من المسؤولية على



بقيـة الأمـة؛ لأن اللـه خصـهم بـأن جعـل الرسـول منهم والقـرآن بلغتهم.

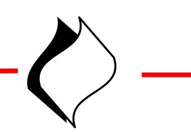
المذيـــــــع: أحسن الله اليكم، ثم مضى المؤلف-رحمه الله- كمـا أشرتم يؤكد صحة، يقول: [إنه محفوظٌ من حديث صفوان بن عمـرو عن معاوية، ورواه عنه غير واحد منهم أبـو اليمـان وبقيـة رواه أبـو داوود وابن ماجـه، وغـيرهم قـال ثم هـذا الاختلاف الـذي أخـبر بـه النبي].

الشيخ صالح: نعم، المؤلـف-رحمـه اللـه- لكونـه متمكنًـا في علم الحديث، وهو متمكن في كل العلوم، تقريبًا ما من علمٍ إلا وهـو لـه باعٌ فيه، فمن ذلك علم الحديث، فهو مـبرزٌ في علم الحـديث، فهـو يقول إن هذا الحديث افتراق الأمة الى ثلاثٍ وسبعين، حـديثٌ ثـابت متعدد الروايات، رواه الجماعـة من الصـحابة وخرجـه جماعـة كثـيرة من الحفاظ، فلا مجال للطعن فيـه، وهـذا صـفعةٌ في وجـوه هـؤلاء الذين يطعنون في هذا الحديث الآن، يريدون أن يبقـوا على مـا هم عليه؛ لأن هذا الحديث يفضحهم.

وهم يريدون أن يبقوا على ما هم عليه، وأن كل من قال أنا مسلم فإنه من المسلمين، ولو فعل ما فعل من الشرك والكفـر والإلحـاد، يكفي أن يقول إنه مسلم، بل يقولون من قـال لا إلـه إلا اللـه، نعم من قال: لا إله إلا الله صار مسلمًا، ولكن إذا صدر منه مـا يخـالف لا إله إلا الله ارتد عن هذه الكلمة، فلا إله إلا اللـه ليسـت مجـرد لفـظ يُقال باللسان، وإنما هي لفـظٌ ومعـنىً ومقتضـى فلا بـد من ذلـك، ﴿إِلَّا مَنْ شَـهِدَ بِـالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُـونَ﴾ [الزخـرف:86]، فلابـد أن يقولهـا عالمًا بمعنى عاملا بمقتضاها ظاهرًا وباطنًـا، فلا يكفي أن الإنسـان يقول أنا مسلم، والمسلمون ولو خالف من خالف ولو هذا كما قـال الشاعر:

إذا ما الجرحُ رُمَّ على فسادٍ	**تَبَيَّن فيه إهمالُ الطبيبِ**

وكون الأمة تبقى على جراحها وعلى الفـرق وعلى النحـل الباطلـة هذا يخرج الأمة عن دينها، إن لم يقم أهـل الحـق وأهـل الاختصـاص بدعوة الناس إلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإلى ما كان عليـه سـلف الأمـة، فـإن هـذا سـيؤول بهم إلى التفـرق والتشـتت؛



ولذلك أعداء الإسلام يشجعون الفرق الآن المنحرفة، ويمدونهم بالمال والخبرات والتخطيط، ليقضوا بهم على الإسلام الصحيح، ويبقى الإسلام المزيف الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

المذيع: أحسن الله اليكم، قال المؤلف -رحمه الله-: [فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة، واثنتان وسبعون؛ لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم].

الشيخ صالح: نعم اثنتان وسبعين فرقة من هذه الأمة في النار، بسبب ماذا؟ لأنهم خاضوا كخوض الذين من قبلهم خاضوا في دينهم وعقيدتهم، فتجد الآن وكثير من الناس يخوضون في مسائل العقيدة، ويشككون فيها ويريدون أن تحل الأهواء محل هذا من الخوف الباطل والعياذُ بالله، وهذا تشبه بمن كان قبلنا، نعم.

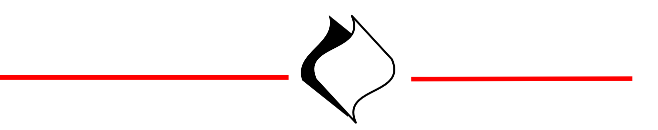
154) أنواع الاختلاف وأضراره

المذيع: أحسن الله اليكم، قال: [ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم إما في الدين فقط، وإما في الدين والدنيا ثم قد يؤول إلى الدماء وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط، وهذا الاختلاف الذي دلت عليه هذه الأحاديث، هو مما نهي عنه في قوله -سبحانه-: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران: 105]،

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 159]،

وقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام: 153].

الشيخ صالح: نعم، الافتراق والاختلاف مذمومٌ على سبيل العموم، لكنه يتفاوت بعضه أشد من بعض، فإذا كان الاختلاف في الدين وفي العقائد فهو أشد؛ لأنه يؤول إلى الضلال وإلى الكفر، وإلى النار في النهاية، أما إذا كان الاختلاف في الدنيا للنزاع في الخصومات والمشاجرات فهذا أيضًا مذموم والمطلوب الإصلاح، وإذا



استدعى الأمر فلابد من البت في القضية على يد القاضي من كتاب الله وسنة رسوله، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء:59]،

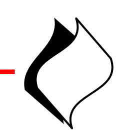
فالاختلاف يشمل الاختلاف في الأموال، ويشمل الاختلاف في العقائد، ويشمل الاختلاف في العبادات، وكله مذموم لا شك، لا شك أنه أسلم وأحوط، وأسلم للقلوب واجتماع الكلمة، ولهذا قال -جل وعلا-: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران:105].

ثم أيضًا أشار المؤلف-رحمه الله- إلى أن هذا الاختلاف يؤدي أيضًا إلى سفك الدماء، ما يكفي أنه يحدث العداوات والحزازات والتفرق بل يؤول إلى سفك الدماء، واعتداء بعض الفرق على بعض، مع إنهم كلهم يدعون أنهم على الإسلام، والله -جل وعلا- ورسوله نهي عن سفك الدماء وعن قتل المؤمن بغير حق، ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:93].

فمن مضار الاختلاف إنه قد يؤول إلى سفك الدماء التي حرم الله -جل وعلا-، فقال: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء:33]، يعني وليه سينصره الله -عز وجل-، وسيمكنه من هذا الظالم فيقتص منه، ولو على المدى البعيد.

155) بيان أن هذه الأمة لا تهلك بآفة؛ إلا أن يكون بأسها بينها

المذيع: أحسن الله اليكم، قال: [وهو موافق لما رواه مسلم في صحيحه، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه أقبل مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في طائفة من أصحابه، من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا، ثم انصرف إلينا فقال: [سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنَة فأعطانيها وسألت ربي ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها].



الشيخ صالح: نعم، هذا الحديث فيه أن النبي-صلى الله عليه وسلم- كان في نفرٍ من أصحابه، فأراد أن يصلي، فمر على مسجدٍ في طريقه، صلى فيه صلاة في المسجد أفضل بلا شك؛ لأن هذا المسجد له خاصية كما يظن الخرافيون، نعم، وإنما لأنه كان في طريقه، وقريبًا منه-صلى الله عليه وسلم-، فصلى فيه ودعا ربه، فهذا فيه أنه يستحب أن يكون الدعاء بعد صلاة، صلى فيه يعني نافلة ثم دعا ربه-عز وجل- بثلاث.

المذيـــــــع: [قال: سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنَة فأعطانيها].

الشيخ صالح: يعني بالجدب، وانحباس المطر، المطر، فأعطاه الله-عز وجل-؛ لان الأمة لا ينحبس عنها المطر كلها، وإنما قد ينحبس عن جهةٍ دون جهة.

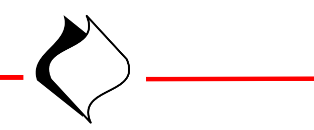
المذيـــــــع: [وسألت ربي ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها].

الشيخ صالح: ألا يهلك أمته بالغرق العام، كغرق السيول وغرق الأنهار الماء الجارف نعم، فما أهلك كما أهلك فرعون، وأهلك قوم نوح، الغرق العام الذي يستأصل الناس، لكن قد يحصل الغرق لبعضهم، وقد يحصل لبعضهم أو لبعض القرى، أو لبعض البلاد، لكنه لا يعم الناس كلهم.

المذيـــــــع: [وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها].

الشيخ صالح: أما هذه فلم يجبه الله-عز وجل-، وهي ألا يجعل بأس الأمة بينهم، بل أنه سيقع بينهم كما قال-جل وعلا-: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:65].

هذه أشد من أن يُنزل عليهم عذاب من السماء، أو من تحت أرجلهم، نعم، فالله منعه من هذا؛ لأن الله جعل لأن الله من حكمته أنه يجري الاختلاف بين الناس للامتحان والابتلاء، نعم.

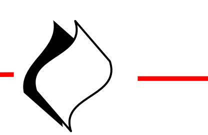


وأيضًا العقوبات، فإن من العقوبات أن الله يُوقع الخلاف بين الناس ثم يتشاجرون ويتقاتلون عقوبةً لهم، في مخالفتهم للكتاب، وأما لو تمسكوا بالكتاب والسنة لم يحصل اختلاف ولا قتال، لكن إذا خالفوا الكتاب والسنة عاقبهم الله، فجعل بأسهم بينهم، وفي الحديث: >ما لم تحكم ائمتهم بكتاب الله الا جعل الله بأسهم بينهم<، هذه سنة الله-سبحانه وتعالى- وهذه عقوبة، والله لا يظلم أحدًا.

المذيع: أحسن الله اليكم، قال-رحمه الله-: [وروى أيضًا في صحيحه يعني مسلمًا-رحمه الله-، روى في صحيحه عن ثوبان قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: >إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي: أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال: من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضًا<].

الشيخ صالح: نعم وهذا حديثٌ عظيم، فيه معجزات للنبي-صلى الله عليه وسلم- وأخبارٌ عظيمة، وهو حديثٌ إخباري، لكنه نهي في الحقيقة، نهي وتحذير، قال-صلى الله عليه وسلم- >أن الله زوى لي الأرض< يعني قبضها وقارب بين أقطارها، حتى إن رآها النبي-صلى الله عليه وسلم -كاملة في مرآه-صلى الله عليه وسلم-، وهذا من معجزاته-عليه الصلاة والسلام-، رأى من بمشارقها ومن؟ بمغاربها، هذي واحدة.

>وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها<، وهذه هي الحكمة في كون الله-جل وعلا- زوى له فرأى مشارقها ومغاربها؛ لأن أمته سيبلغ ملكها مشارق الأرض ومغاربها، وقد حصل هذا في جهاد الصحابة-رضي الله عنهم- لما جاهدوا في عهد الخلفاء الراشدين، والذين جاؤوا من بعدهم في الدولة الأموية، والدولة العباسية، بلغ سلطان هذه الأمة وملكها المشارق والمغارب ودخل تحتها الدولتان

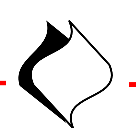


العظيمتان، دولة الفرس ودولة الروم، وسيطر المسلمون على جميع أقطار الارض، وهذا الذي رآه النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذه القضية التي زوى له الله الأرض وأراه مشارقها ومغاربها.

<وأُعطيتُ الكنزيْن الأحمر والأبيض>: الكنزين يعني المراد بالكنزين الأبيض الفضة، وهذا كناية عن مُلْك الفرس؛ لأن نقودهم من الفضة غالًبا، والأحمر الذهب، وهذا للروم؛ لأن كنوزهم من الذهب في الغالب، فهذا إشارة أو كناية، إلى أن الله سيعطي كنوز هؤلاء وممتلكات، هاتين الأمتين للمسلمين حصل هذا، استولى المسلمون على بلادهم، وصرفوا هذه الكنوز وهذه الثروات في سبيل الله -عز وجل-، وأنفقوها في سبيل الله، لم يأخذوها لهم، نعم.

المذيــــــع: أحسن الله إليك.

وصلّى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الثالث والعشرون

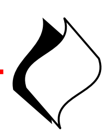
المذيـــــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أيّها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامجكم/ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم
لشيخ الإسلام/ ابن تيمية - رحمه الله- يشرحه عبر هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان.
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للافتاء.
في مطلع لقائنا نرحّب بضيفنا الكريم فحيّاكم الله شيخ/ صالح.

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

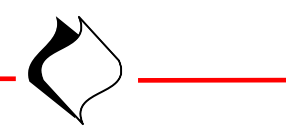
156) بيان أن بلاء هذه الأمة من نفسها

المذيـــــــــع: وقفنا عند قول المؤلف- رحمه الله تعالى- في ذكر خطر الاختلاف وما يسبّبه. وروى مسلمٌ أيضاً في صحيحه عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنّ الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ، ومغاربها ، وإنّ أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها ، وأُعطيت الكنزين الأحمر، والأبيض ، وإنّي سألت ربّي لأمتي أن لا يُهلكها بسنةٍ بعامة ، وأن لا يُسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بَيضتهم"
بلغنا في الشرح- فضيلة الشيخ- إلى هذا.
نبدأ اليوم من قوله: " وإنّ ربّي قال : يا محمد ، إذا قضيتُ قضاءً فإنّه لا يُردّ ، وإنّي أعطيتك لأمتك : أن لا أهلكهم بسنةٍ بعامة ، وأن لا أسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال: من بين أقطارها- حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، ويسبي بعضهم بعضا"

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين. صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.
تقدّم الكلام على أوّل هذا الحديث ، وهو حديثٌ عجيب وفيه معجزات من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه أنّه دعا



لأمته، وهذا من نصحه وشفقته ورحمته بأمته عليه الصلاة والسلام.
دعا لهم بثلاث دعوات:
أن لا يهلكهم الله بسنةٍ بعامة يعني جدبٍ عام ، يعني ينحبس المطر عن جميع المسلمين ، ودعا بأن لا يسلّط عليهم عدواً خارجياً يستبيح بيضتهم. يعني أرضهم ، ويستولي على جميع بلاد المسلمين ، ودعا بأنّ الله لا يوقع الخلاف بينهم، فاستجاب له في دعوتين: أن لا يهلكهم بسنة عامة ، وأن لا يُسلّط عليهم عدواً خارجياً يستأصلهم ، وهذا من فضل هذه الأمّة أنّ الله يُبقي فيها بقية تستمر وإن كان قد يجري على بعضها أو كثيرٍ منها من الابتلاء والامتحان والقتل والتشريد.
وكانت الأمم السابقة يهلكهم الله عن أخرهم، كما في قوم نوح، وقوم هودٍ وصالح والأمم السابقة. إلّا أنّ هذه الأمّة - ولله الحمد - الله لا يهلكها هلاكاً عاماً ، وإن كان يهلك بعضاً منها بذنوبهم ، وأمّا الثّالثة فلم يجبه الله وهو أن يرفع الخلاف بينهم ، بل إنّ هذا واقع ، وأنّه يمكن أن يهلك بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً. وهذا هو المحذور العظيم.
فقد قال الله جلّ وعلا: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾[الأنعام:65]
فهذه الأخيرة هي الخطر العظيم. أنّ الأمّة تختلف فيما بينها وتتقاتل ، ويسفك بعضهم دم بعض ، وهذا هو المذموم ، وهذا هو المنهيّ عنه ، وهذا هو المحرّم. فإنّ الله- جلّ وعلا- أمر المسلمين بأن يكونوا أمةً واحدة، وجماعةً واحدة . وهذا فيه التحذير من الاختلاف ، والتّفرّق فإنّه يؤدي إلى هذا- التّفرّق يؤدي إلى القتال وإلى سفك الدماء- وأمّا اجتماع الكلمة فإنّه يؤدي إلى حقن الدماء ، ويؤدي إلى حفظ الأنفس والأموال والأعراض ، وغير ذلك من مصالح الجماعة. ولهذا حثّ الله على الجماعة ونهى عن الفرّقة.
قال الله تعالى :
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[الأنفال:46]
﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران:105]



إلى غير ذلك. فالله نهى هذه الأمّة أن تقع فيما وقعت فيه الأمم السابقة ، ولكن سيكون في هذه الأمّة من يتشبّه بالأمم السّابقة؛ وهذا هو الخوض في العقيدة . قال الله تعالى :

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[التوبة:69]

هذا هو الذي وقع في هذه الأمّة أنّها تشبّهت بالأمم السابقة في الأمرين: في الخوض في العقائد مما أدّى إلى الاختلاف والتناحر. والاستمتاع بملاذ الدنيا وشهواتها والانشغال بها عن الأعمال الصالحة.

فهذا الأخير.. الله- جلّ وعلا- لم يجب نبيه صلى الله عليه وسلم إلى منعه؛ بل إنّه واقعٌ في هذه الأمّة ، وذلك من باب الابتلاء والامتحان.

بيان من يصبر على الحقّ ومن يتزحزح عن الحقّ. نعم.

157) معنى الأئمة المضلين وأقسامهم وبعض إفسادهم

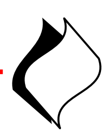
المذيـــــــع: أحسن الله إليكم. قال رحمه الله:

ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: " وإنّما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة "

الشيخ صالح: النبي صلى الله عليه وسلم خاف في هذه الرواية على أمته من شيئين: الشيء الأوّل الأئمة يعني القادة من العلماء المضلين ، أو من السلاطين- الأئمة يكونون من السلاطين ويكونون من العلماء- لأنّ الناس يقتدون بهم ، ويأتمون بهم.

فإذا كانوا مضلين فإنّهم يضلون أتباعهم. وهذا خطرٌ عظيم، وما وقعت الفتن في هذه الأمّة ، والشّرور إلّا بسبب هذا. بسبب اتّباع الأئمة المضلّين في كلا النوعين: في الأمراء ، وفي العلماء - والعلماء أخطر- العلماء الضالّون أخطر على الأمّة ، لأنّهم يُزيّنون للناس المخالفات .

والناس يثقون بهم لأنّهم علماء فيضلّون من اتّبعهم، واقتدى بهم - فهذا فيه التحذير.



كون النبي صلى الله عليه وسلم خاف على أمته. هو لا يخاف إلّا على شيءٍ متوقع ، وفيه التّحذير من اتّباع الأئمة المضلّين ، فلا يجوز أن تتّبع إلّا من تثق بعلمه ، وبدينه- أمّا من لم يكن عنده علم فلا تتّبعه كالمتصوّفة والمُتعبّدة على جهل ، أو العلماء الذين لا يعملون بعلمهم ، وهم من المغضوب عليهم كما سبق.

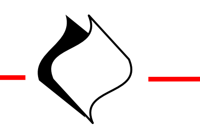
فيجب أن نحذر من هاتين الفئتين: العابد الجاهل ، والعالم الذي لا يعمل بعلمه- العالم المغضوب عليه- فنحذر من هاتين الطائفتين.

والأمر الثّاني الذي خافه الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته: أنّه إذا وقع فيهم السيف فإنّه لا يُرفع ، فإذا تقاتلوا فيما بينهم استمرّ القتال فيهم إلى أن تقوم الساعة. وهذا حصل بمقتل عثمان- رضي الله عنه- فإنّه لمّا قُتل مظلوماً شهيداً بغير حقّ وقع القتل في المسلمين ، فكانت الحروب التي أعقبت مقتل عثمان- رضي الله عنه- ، واستمرّت وتستمرّ إلى أن تقوم الساعة ، وهذا ممّا خافه النبي صلى الله عليه وسلم على أُمّته.

وقد وقع ما تخوّفه صلى الله عليه وسلم. وعلى كُلٍ فالحديث فيه التحذير من هاتين الفتنتين: فتنة العالم الضال ، وفتنة الاقتتال بغير حقّ. نعم.

المذيـــــــع: قال: " ولا تقوم الساعة حتّى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين ، وحتّى يَعبُد فئامٌ من أمتي الأوثان"

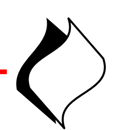
الشيخ صالح: وهذا في رواية البرقاني أنّ مسألة ثالثة: وهي أنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- أخبر أنّه سيرتدّ من هذه الأمّة فئات كانوا على الإسلام ثمّ ارتدّوا ولحقوا بالمشركين وليسوا أفراداً بل فئام يعني أعداد ًا، وجماعاتٍ كثيرة ترتدّ عن دين الإسلام. لماذا ؟ لأنّها ترتكب ناقضاً ، أوعدّة نواقض من نواقض الإسلام ، فيصيرون مرتدّين عن الإسلام ، ويلحقون بالمشركين؛ لأنّ من خرج عن الإسلام لحق بأهل الشّرك ، وأهل الكفر. فهذا إخبارٌ معناه التّحذير من أن يقع الإنسان فيما يُفسد دينه وهو لا يشعر. فعلى المسلم أن يعرف أمور دينه ، وأمور عقيدته ويعرف التّوحيد والشّرك والإسلام والكفر والنّفاق؛ حتّى يتجنّب هذه الأشياء وعليه أن يحذر أيضاً من القادة والأئمة المضلّين الذين يدعون إلى الخروج من الإسلام باسم الإسلام. لا يدعون إلى



الخروج إلى الكفر صراحة، وإنّما يدعون إلى خروج من الإسلام باسم الإسلام ، ويسمّون الإسلام الصّحيح بالتّشدّد ، والغلو، والتطرّف، ويسمّون الخروج من الإسلام بالتّقدم والرّقي ، والحضارة إلى غير ذلك.
فهذا ممّا تخوّفه الرسول -صلى الله عليه سلم- ؛ بل إنّه أخبر أنّه سَيعبد فئامٌ من أمته الأصنام- يعبدون الاصنام- وقال:" لا تقوم السّاعة حتّى تضطرب أليات دوس عند ذي الخَلَصة " وهو صنمٌ معروف حول الطّائف.
فأخبر صلى الله عليه وسلم أنّه في آخر الزمان يحصل في المسلمين من يرتدّ عن دين الإسلام ويرجع إلى عبادة الأصنام، أو يلحق بالمشركين وينعزل عن المسلمين ، وهذا خبرٌ معناه التّحذير، وهوراجع إلى الاختلاف الذي نُهينا عنه.
فالاختلاف يسبّب سفك الدّماء ، يسبّب الخروج من الدّين ، يسبّب الرّدّة عن الإسلام. كلُ هذا يترتّب على الفرّقة والاختلاف ، والله أمرنا أن نكون أمّةً واحدةً ، وجماعة واحدة، مصدرنا كتاب الله وسُنّة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ، والرجوع إلى الكتاب والسُّنّة فيما اختلفنا فيه ، والصدور عنهما.

158) نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته هي الخاتمة

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم. قال صلى الله عليه وسلم :
" وإنّه سيكون في أمتي كذّابون ثلاثون ، كلّهم يزعم أنّه نبيّ ، وأنا خاتَم النّبيين ، لا نبيّ بعدي"
الشيخ صالح: نعم، وهذه مسألة رابعة في رواية البرقاني- رحمه الله- أنّه سيظهر في هذه الأمّة من يدّعي النّبوة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم-. الرسول هو خاتَم النّبيين، قال الله جلّ وعلا :
﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[الأحزاب:40]
والخاتَم: هو الذي لا يأتي بعده شيء ؛ لأنّ الناس ليسوا بحاجة إلى نبيٍ يأتي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ الله أكمل به الدين ، وأتمّ به النّعمة ، ودينه- صلى الله عليه وسلم- صالحٌ لكل زمانٍ ومكان إلى أن تقوم السّاعة ، فلسنا بحاجةٍ إلى نبيٍ بعد



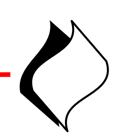
الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولسنا بحاجةٍ إلى شريعة بعد شريعة الإسلام ، لأنّها صالحة لكل زمانٍ ومكان.فلا مجال لبعثة نبيٍ جديد .
إنّما كان الأنبياء يبعثون في الأمم السابقة إذا اندرست الشرائع، أو انتهى أجلها فإنّه يبعث نبيٌ آخر، ولمّا بعث الله هذا النّبي الكريم-محمداً صلى الله عليه وسلم- أرسله إلى الناس كافة ، وكان النبي قبله يُبعث إلى أمته خاصّة.
بعثه الله إلى الناس كافة ، وليس إلى الناس كافة الذين في زمانه؛ بل الناس كافة في وقته والذين يأتون من بعده إلى أن تقوم الساعة.
فرسالته صلى الله عليه وسلم عامّةٌ لمن كان في وقته، ولمن يأتي بعده إلى أن تقوم السّاعة. قال الله تعالى :
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾
[الأعراف:158]
فرسالته عامّة لكل من في زمانه ومن يأتي بعده إلى أن تقوم الساعة. فلسنا بحاجة إلى بعثة نبيٍ جديد ، أو إلى رسالةٍ، أو إلى شريعةٍ جديدة؛ لأنّ عندنا ما يكفي للعالم كله لا للعرب أو لأمةٍ أو بلدةٍ أو قبيلة فقط ، وإنّما هو صالحٌ للناس كلهم وصالحٌ للأزمنة كلها إلى أن تقوم الساعة.
فلذلك خَتم الله الرسالات برسالة محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وختم الشرائع بشريعة الإسلام ، فمن جاء يدّعي النّبوّة فهو كذّاب؛ لأنّه لا نبي بعد محمدٍ- صلى الله عليه وسلم- خَاتم النّبيين.
وهذا في القرآن، وفي السُّنّة " وأنا خاتم النّبيين لا نبي بعدي " قوله:"أنا خاتم النبيين" معناه أنّه لا يأتي بعده نبي لكنّه أكّد ذلك مرةً ثانية فقال:" لا نبي بعدي ". فالذين يأتون من بعده، يدّعون لا شك أنّهم كفرة ومن صدّقهم فهو كافر- من صدّق المتنبئين فإنّه كافر- لأنّه مكذّبٌ لعموم رسالة النّبي -صلى الله عليه وسلم- ، ومكذّبٌ لله ورسوله في أنّ النّبوة خُتمت بمحمد -صلى الله عليه وسلم-.

ومع هذا ظهر- حتّى في آخر عهد النّبي صلّى الله عليه وسلم - من يدّعي النّبوّة وهم: مُسيلمة الكذّاب ، والأسود العنسيّ.
مسيلمة الكذّاب في اليمامة ، والأسود العنسيّ في اليمن ، فقُتل الأسود العنسيّ في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمّا مُسيلمة فإنّه بَقي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن قاتله أبو بكرٍ الصّديق- رضي الله عنه- ومن معه من الصّحابة- رضي الله عنهم- حتّى قضوا على فتنته. وأراح الله المسلمين منهم ومن شرّهم ، ثم جاء متنبّئون ، والنّبي صلى الله عليه وسلم قال: إنّهم ثلاثون، وكلهم يدّعي أنّه نبيّ ولا نبيّ بعده.- عليه الصلاة والسلام- وقد جاء هذا العدد أو أكثر حتّى الأن، ولكنّ الرسول أعطانا خبر بحيث لا ينطلي علينا تصديقهم ، أو ترويج باطلهم.
فنحن نكفر بهم ، ولا نتوقّف في ذلك أبداً ، لأنّهم كَذبه- والكذّاب لا يُصدّق. من آخر من عُرف الآن وله أتباع القادياني- غلام أحمد القادياني - الذي ظهر في الباكستان، وله أتباع يُسمّون بالقاديانية والأحمدية.
ولذلك حكم المسلمون بالإجماع بكفر هذه الطّائفة، ومنعوها من دخول بلاد المسلمين؛ لأنّ الله- جلّ وعلا- أخبر أنّه لا نبي بعد محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، والنبي كذلك أخبر أنّه لا نبي بعده ، وأنّ كُل من جاء يدّعي النّبوة؛ فإنّه كذّاب يجب قتاله ، واعتقاد كفره ، وكفر من أمن به. نعم.

159) بيان أن الحق باقٍ في هذه الأمة إلى قيام الساعة

المذيـــــــــع: أحسن الله إليكم. قال صلى الله عليه وسلم: " ولا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق منصورة ، لا يضرّهم من خَذَلَهم حتّى يأتي أمر الله تبارك وتعالى" انتهى. ورواه أيضاً أبو داوود والترمذي وابن ماجة.

الشيخ صالح: وهذه أيضاً ممّا جاء في زيادة رواية البرقاني- رحمه الله. وهي المسألة الخامسة . وهي بشرى بعد هذه الطّوام والمخاطر والمهالك فإنّ الرسول صلى الله عليه وسلم بشّر أمته. أنّ الدّين سيبقى، وسيبقى له حملة وأتباع - مع هذه المصائب ومع هذه الفتن - لأنّ الله تكفّل بحفظه.
قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:9]



فلا يزال هذا الدين باقياً، كما أُنزل على محمدٍ صلى الله عليه وسلم، ولا يزال له أتباع وحَمَلة يَصدقون في حَملهم ، وإيمانهم ، لا يضرّهم من خَذلهم ، ولا من خَالفهم. وهذا لأنّ الله- جلّ وعلا- تكفّل بحفظهم وحمايتهم ، وأنّه مهما تطاول عليهم المتطاولون ، وتكلّموا فيهم وهدّدوهم فإنّهم لا يتزحزحون عن هذا الدين ، بل يثبتون عليه إلى أن تقوم الساعة، وذلك من أجل أن تَبقى حُجّة الله على خلقه لا أحد يدّعي يوم القيامة أنّه ما جاءه من نبي ولا جاءه من رسول ولا كتاب ، فإنّ الله جلّ وعلا يقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[المائدة:19]

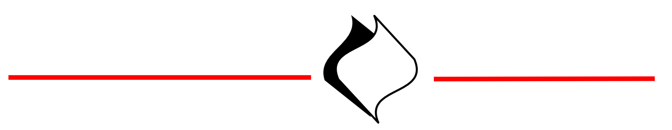
فالله جلّ وعلا أبقى هذا الدين مهما اعترضه من المشاكل والمشاقّ ، ومهما حاول المحاولون صدّه والقضاء عليه؛ فإنّ الله يردّ كيدهم في نحورهم ، ولا يضرّون إلّا أنفسهم.

قال تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[التوبة:32]

160) الحث على التمسك بهذا الدين، مع وقوع الاختلاف قضاءً وقدرًا

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم. قال رحمه الله: وهذا المعنى محفوظٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه، يشير إلى أنّ التّفرّقة والاختلاف لا بدّ من وقوعهما في الأمّة ، وكان يُحذّر أمته لينجو منه من شاء الله له السلامة.

الشيخ صالح: نعم. فمضمون هذا الحديث الطويل بروايتيه عند البرقاني وغيره مضمونه : أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم يُحذّر من الاختلاف. لا لأجل أن يمتنع الاختلاف نهائياً - الاختلاف واقع قضاءً وقدراً وابتلاءً وامتحاناً - ولكن من أجل أن يَحُثّ من يريد الله له النّجاة يحثّه على الصبر، والتّمسّك بهذا الدين ، وإن حصل اختلافٌ ، وحصل مُشادّة فهؤلاء يثبتون على دينهم ، ولا يتزحزحون عنه ويصبرون على ما أصابهم في سبيله. الرسول صلى الله عليه وسلم حينما حَذّر من الاختلاف. ليس معناه طلب منع وقوع الاختلاف نهائياً ، وأصلاً ، وإنّما معناه التّحذير من الانزلاق مع



المختلفين ، والصّبر والثبات على الحقّ ، وترك ما تنازعوا فيه واختلفوا فيه.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الرابع والعشرون

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

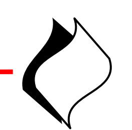
أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلًا وسهلًا بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامجكم "اقتضاء الصراط المستقيم، اصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-، يشرحه في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح ابن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع لقائنا نرحب بضيفنا الكريم حياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: وحياكم الله وبارك فيكم.

161) بعض أدلة النهي عن الاختلاف، وكراهيته

المذيـــــــع: بعد ما ذكر المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- تحذير النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- من الخلاف وذكره أنه سيقع.

قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [وهذا المعنى محفوظ عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- من غير وجه، يشير إلى أن التفرقة والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة، وكان يحذر أمته؛ لينجو منه من شاء الله له السلامة، كما روى النزال بن سبرة عن عبد الله بن مسعود قال: "سمعت رجلا قرأ آية سمعت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: <كلاكما محسن، ولا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا>.



قال شيخ الاسلام رَحِمَهُ اللهُ رواه مسلم، قال المحقق -حفظه الله- لم أجده في مسلم وانما وجدته في البخاري ومسند أحمد].

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين، كما سبق في الحلقة في آخر الحلقة الماضية أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، حينما حذر من الاختلاف لم يكن معنى ذلك أنه يحذر من شيءٍ لا يقع، فهو إنما حذر من شيءٍ متوقع، وغرضه -عليه الصلاة والسلام- من ذلك لينجو من أراد الله نجاته، هذا هو الغرض من إخباره -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- عن وقوع الاختلاف، ومما يدل على كراهية النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- للاختلاف، ما وقع في هذا الحديث من ابن مسعود مع الرجل الذي قرأ آيةً من القرآن على وجهٍ يخالف ما يعرفه ابن مسعود، أمسك به وذهب به إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فسمع قراءة ابن مسعود وسمع قراءة الرجل وقال كلاكما محسن، وكره -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- ما حصل بينهما من الاختلاف، فالاختلاف إذا كان بسبب جهل المخالف ما مع الطرف الآخر من الحق، فإنه ينبغي أن يتثبت، ذلك المنكر يتثبت ولا يتسرع إلى الإنكار؛ لأنه ربما يكون مع الطرف الآخر حجة ومعه حق، فلا شك أن القرآن الكريم كما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أُنزل على سبعة أحرف.

وذلك من تيسير الله لهذا القرآن ليقرأه كلٌ على لغته ولهجته، وهذا من باب التيسير؛ لأنهم لو أُلزموا بحرفٍ واحد، بالقراءة على حرفٍ واحد حقّ ذلك عليهم، والقراءات كما هو معلوم بينها اختلافٌ في الاداء، وفي بعض الحروف لكن المعنى لا يختلف، المعنى لا يختلف، كلٌ تلقى عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قراءة القرآن، كلٌ تلقى عنه، فهذه القراءات ليس من ابتكار الناس وإنما هو مروي عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ولهذا قال كلاكما محسن، لكن لما كان ابن مسعود -رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لم يعلم مع الطرف الآخر من القراءة صحيحة، أنكر عليه، الرسول منع أن ينكر الإنسان بدون أن يتثبت من الأمر، ولأن هذا يؤدي إلى النزاع وإلى الشقاق وسوء التفاهم، فإذا كان الاختلاف له مسار فلا أن يحمل ذلك على التقاطع والتهاجر والتدابر.

162) أنواع الاختلاف وحكم كل نوع

المذيـــــــع: قـال: >ولا تختلفـوا فـان من كـان قبلكم اختلفـوا فهلكوا<.

الشيخ صالح: نعم، لا تختلفوا، هذا نهيٌ من الرسول -صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّم-، والمـراد بـذلك الاختلاف الـذي ليس لـه وجـه، وأمـا الاختلاف الذي له وجه وله مستند فهذا سيأتي بيانه -إن شاء اللــه-؛ لأنه سيقسم الاختلاف الى قسمين:

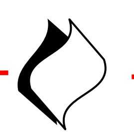
- **اختلاف تنوع.**
- **واختلاف تضاد.**

فهـذا الـذي وقـع مـع ابن مسـعود -رَّضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ-؛ إنمـا هـو من اختلاف التنوع، وليس من اختلاف التضاد.

المذيـــــــع: قـال -رَحِمَـهُ اللـهُ-: [نهى النـبي -صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّم- عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين مـا مـع الآخر من الحق].

الشيخ صالح: هذا الاختلاف المذموم، الذي فيه أن أحد الطـرفين يجحد ما مع الطرف الاخر من الحق، ويحكم عليه بالبطلان، مـع أنـه قد يكون له وجهٌ من الصواب، فالواجب قبـول الحـق، ولـو كـان مع المخالف، يقبل الحق ولو كـان مـع من؟ خالفـك لأن قصـدك الحـق، وليس قصدك الانتصار للنفس، قصدك الحق، واللـه ذم اليهـود لمـا: ﴿قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَـا وَيَكْفُـرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة:91]، فهم أنكروا ما مع غـيرهم من الحـق، تكـبرٌ وعنـادٍ وقصـروا الحـق على أنفسـهم ومـا معهم، فهذا هو المذموم من الاختلاف، أن تجحد ما مع مخالفـك من الحق، لا شك أن مخالفك قد يكون معه حقٌ ومعه باطل، فأنت تقبل ما معه من الحق وترد ما معه من الباطل، أما أن ترفض كل ما معـه فهذا لا يجوز، نعم.

المذيـــــــع: أثابكم الله، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [لأن كلا القارئين كان محسنا فيما قرأه].



الشيخ صالح: كلا القارئين كان محسنًا فيما قرأه، كلا القارئين ابن مسعود والرجل الآخر كان محسنًا فيما قرأه لأنه قرأه كما سمع من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، نعم.

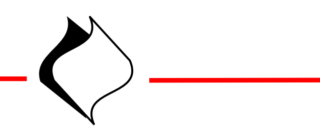
المذيـــــع: [وعلل ذلك: بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا].

الشيخ صالح: والمحسن معناه المتبع، المحسن معناه المتبع، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة:100]، الله -جَلَّ وَعَلَا- يقول: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة:112]، وهو محسن يعني متبع للرسول -صلى وعليه وسلم-، فكلا القارئين محسنٌ لأنه قرأ بما سمع من الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، نعم.

المذيـــــع: [ولهذا قال حذيفة لعثمان: "أدرك هذه الأمة، لا تختلف في الكتاب كما اختلف فيه الأمم قبلهم"، لما رأى أهل الشام والعراق يختلفون في حروف القرآن، الاختلاف الذي نهى عنه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-].

الشيخ صالح: هذا الاختلاف الذي حصل بين ابن مسعود -رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- والرجل الآخر، هذا ليس من الاختلاف المذموم، لأن كلًا منهما قرأ بما سمع من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، لكن حصل بعد وفاة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، لمّا تفرَق المسلمون في الأقطار وانتشر الإسلام، فصاروا يختلفون في قراءات، يختلفون في القراءات اختلافًا يُ خشى منه وقوع الفتنة فيما بينهم، وإن كان هذه القراءات مسموعة من الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، لكن قد يكون بعضها لم يثبت عن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وحتى لو ثبت فإذا كان الاختلاف عليها سيؤدي الى الفتنة، فإن الأولى جمعهم على قراءةٍ واحدة، درءً للفتنة.

فلما خشي حذي ابن اليمان -رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وكان حذيفة ممن يحذر من الفتن -رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وكان يسأل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- عن الشر مخافة أن يقع فيه، من شدة حذره من الفتن، لما رأى اختلاف الناس في الأنصار في تلاوة القرآن اختلافًا إلى التصارع فيما بينهم وجحد ما مع الآخر من الحق، وربما يؤدي إلى قتال أو إلى تكذيب، فجاء إلى أمير المؤمنين عثمان -رَّضِيَ اللَّهُ



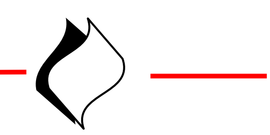
عَنْهُ- فطلب منه المبادرة في حسم هذا النزاع وأن يجمع المسلمين على مصحفٍ واحد.

وكان المسلمون لهم مصاحف متعددة فيها مخالفات، قراءات، واختلافٍ في الترتيب -ترتيب السور-، فحذيفة خشي من هذا الاختلاف أن يؤول إلى فتنة وإلى شر، فأمر عثمان -رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أو أشار على عثمان -رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن يجمع الناس على مصحفٍ واحد، فجمع المصاحف التي في الأمصار وشكل لها لجنة من العلماء -من علماء الصحابة- وقراء الصحابة، وأمرهم أن يكتبوا مصحفًا واحدًا محتملًا للقراءات السبع أو العشر، يعني الرسم واحد، لكنه يحتمل قراءات، يحتمل القراءات، فأمرهم فاجتمعوا بعد ترددٍ وبعد تثاقلٍ؛ لأن الأمر هذا ما هو سهل، هذه قضية ليست سهلة، ولكن عثمان -رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لقوة إيمانه وقوة حرصه على جمع الأمة أقدم عليها بمشورة حذيفة بن اليمان، فكتبوا مصحفًا واحدًا على رسمٍ واحد يسمى الرسم العثماني.

ثم أمر ببقية المصاحف فأحرقت، ونسخ من هذا المصحف نسخ بعدد الأقاليم، ووزعها على الأقاليم فبقي هذا المصحف، وكان هذا من حفظ الله لهذا القرآن، كما قال -تَعَالَى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9]، فبقي هذا المصحف بأيدي الأمة ولله الحمد، ويسمى بالمصحف العثماني والرسم العثماني.

المذيـــــع: شيخي طبعًا مع الاختلاف بين القرآن والسنة، هل لأحد أن يتمنى أن الصحابة -رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُم- أيضًا كتبوا السنة؟ نعم، هل لأحد أن يتمنى ذلك؟ كيف؟ أنه ليت عمر -رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أو عثمان قام عمر شهرًا يستخير الله أن يكتب السنة.

الشيخ صالح: الرسول منع من كتب الأحاديث في عهده -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-؛ لئلا يختلط القرآن بالسنة، فلما توفي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أمن هذا المحذور؛ لأن الوحي انقطع وانتهى، انتهى الوحي وانتهى نزول القرآن للمحظور فلذلك بدأوا يدونون السنة ويكتبونها، وكان في عهد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- من يكتب لكنه يكتب لنفسه خاصة، أما الكتابة العامة فإنما حدثت بعد وفاة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-؛ لأن المحذور انتهى، لأن الوحي انتهى، والقرآن ولله الحمد تكامل، والدين



تكامل، فحين إذٍ زال المحذور، ولما خشوا على السنة من الضياع قاموا بجمعها وتدوينها وترتيبها.

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [فأفاد ذلك بشيئين:

أحدهما: تحريم الاختلاف في مثل هذا.

والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا، والحذر من مشابهتهم].

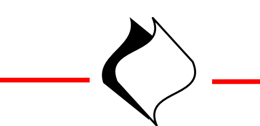
الشيخ صالح: أي نعم، تضمن أمرين:

- **الأمر الأول: الاختلاف في الاشياء التي لا تحتمل الاختلاف، مثل هذه المسألة بين ابن مسعود والرجل الآخر ما تحتمل الاختلاف؛ لأن كلًا منهما على حق، فلا مجال لأن ينكر أحدهما على الآخر.**
- **والامر الثاني: الحذر من أن نقع فيما وقع فيه المختلفون، من كان قبلنا من الذين ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران: 105]، وهذا من التشبه، والكتاب هذا كله بتحريم التشبه بالكفار، ومن ذلك تشبه بهم في الاختلاف، نعم.**

163) غالب ما يقع من الخلاف في هذه الأمة هو من إنكار ما مع الآخر من الحق

المذيع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [واعلم أن أكثر الاختلاف بين الأمة الذي يورث الأهواء؛ تجده من هذا الضرب، وهو: أن يكون كل واحد من المختلفين مصيبا فيما يثبته، أو في بعضه مخطئا في نفي ما عليه الآخر، كما أن القارئين كل منهما كان مصيبا في القراءة بالحرف الذي علمه، مخطئا في نفي حرف غيره].

الشيخ صالح: فإن الذي وقع في الامة غالبه من هذا النوع، وهو إنكار ما مع الآخر من الحق، ولو أن كل طرفٍ اعترف بما مع الأخر من الحق ما حصل اختلاف، إنما الاختلاف حصل لما ظهر للطرف أن الآخر مخطئ، وأنه ليس على صواب، فلذلك حصل الاختلاف المذموم، فالاختلاف إذا كان من اختلاف التنوع، فإنه لا يجوز



الوقوع فيه؛ لأن كلا الطرفين محق، وقد يكون طرفٌ محق من وجه ومخطئ من وجه، والطرف الثاني كذلك محقٌ من وجه ومخطي من وجهٍ آخر؛ فنقبل ما هو صواب، ولو كان مع المخالف، نقبل الصواب ونرد الخطأ، هذا هو الطريق الصحيح، نرد ما معه من الخطأ ونقبل ما معه من الصواب، وبهذه الطريقة لا يحصل نزاع يؤدي إلى المحذور، نعم.

المذيع: قال: [فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب].

الشيخ صالح: الذي وقع من ابن مسعود والرجل الآخر هو من هذا أن كلًا منهما مُصِرٌ على ما معه من الحق، ومنكرٌ لما مع غيره من الحق، وهذا هو الآفة.

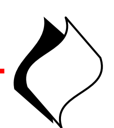
المذيع: قال: [فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب، لا في الإثبات، لأن إحاطة الإنسان بما يثبته أيسر من إحاطته بما ينفيه].

الشيخ صالح: نعم، فالإنسان مما يجب عليه أنه يتوقف عما لا يعلم؛ لأنه لا يعلم كل شيء، فإذا خفي عليه شيء فإذا لا ينكر، لكن يتثبت أولًا، لا يتسرع يعني في الإنكار حتى يتثبت؛ لأنه ربما يكون مع المخالف وجهٌ من الصواب، فإذا أنكرت ما معه أنكرت الحق، فالواجب في هذه الأمور التؤدة والتثبّت، والتروّي، قبل أن تنكر ما مع الآخر، نعم.

164) الأمر باتباع المُحكم، والنهي عن اتباع المُتشابه

المذيع: قال: [ولهذا نُهِيَت هذه الأمة أن تضرب آيات الله بعضها ببعض؛ لأن مضمون الضرب: الإيمان بإحدى الآيتين والكفر بالأخرى - إذا اعتقد أن بينهما تضادا - إذ الضدان لا يجتمعان].

الشيخ صالح: نعم الله -جَلَّ وَعَلَا- يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 7]،

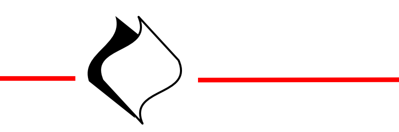


فالله قسَّم القرآن الى محكم ومتشابه، وأمر برد المتشابه الى المحكم، ولكن بعض الناس يأخذ طرف ويترك الطرف الآخر، وهذا هو الزيغ -أعوذ بالله-، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران:7]، فأهل الزيغ لا يردون المتشابه إلى المحكم، بل يأخذون المتشابه لأجل الفتنة، ولجهلهم أيضًا بالشرع، فهذا هو الذي أوقع كثيرًا من الناس في هذه المصائب، أنهم يأخذون بطرفٍ من النصوص ويتركون الطرف الآخر والقرآن يفسر بعضه بعضًا ويوضح بعضه بعضًا؛ لأنه من عند الله، والذي من عند الله لا يختلف أبدًا.

ولهذا الراسخون في العلم يردون المتشابه إلى المحكم،﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ * رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران:7، 8]، يعني كما زاغ أولئك فأخذوا بالمتشابه، أخذوا بطرف وتركوا الطرف الآخر، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- لما خرج على أصحابه في هذه القصة التي ذكرها المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ-، وهم يتنازعون في القرآن كل واحد يحتج بآية، قال: >لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعضه إنما أهلك من كان قبلكم... كذا وكذا<.

الواجب أن المسلمين يعتقدون أن كلام الله كله حق، وأنه لا يتعارض، ولا يتناقض وأن كلام الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كذلك كله حق لا يتعارض ولا يتناقض.

فإذا أشكل عليك شيءٌ من النصوص أو من الأدلة فإنك لا بد أن تراجع النصوص الأخرى، ربما يكون هذا الذي معك منسوخًا، ربما يكون مطلقًا وهناك ما يقيده، ربما يكون هذا عام والذي معك عام، وهناك ما يخصصه، فهذه الأمور لا يتفطن لها إلا الراسخون في العلم، وأما الجهلة وأما المتعالمون فهم يأخذون ببعض النصوص ويتركون البعض الآخر، ويقولون نحن نحتذي بكتاب الله أو بسنة رسول الله وقد كذبوا، لم يستدلوا بكتاب الله، إذا أخذت طرفًا وتركت الطرف الآخر، فأنت لم تستدل بكتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وإنما أخذت المتشابه، فالذي يستدل بكتاب الله يجمع بين النصوص، ويفسر بعضها ببعض، ويقيد مطلقها، ويبين مجملها ومشكلها، هذا هو الراسخ في العلم، نعم.

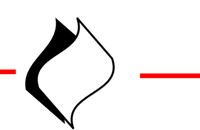


المذيع: أحسن الله اليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [ومثل ذلك: ما رواه مسلم -أيضا- عن عبد الله بن رباح الأنصاري أن عبد الله بن عمرو قال: "هجرت إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوما، فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعرف في وجهه الغضب، فقال: >إنما هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب<".

قال -رَحِمَهُ اللهُ-: فعلل غضبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن الاختلاف في الكتاب سبب هلاك من كان قبلنا، وذلك يوجب مجانبة طريقهم في هذا عينًا، وفي غيره نوعًا].

الشيخ صالح: الله -جَلَّ وَعَلَا- يقول: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة:176]، فلا يجوز الاختلاف في القرآن بأن نقول هذه الآية تدل على كذا والآية الأخرى تدل على نقيض ما دلّت عليه هذه الآية وتخالفها، هذا لا يجوز في كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ لأن كلام الله لا يتناقض فإذا أشكل عليك شيء فلا تقدم على تسرع بالبت بالحكم، فإن كنت تحسن الرجوع إلى الآيات الأخرى والنصوص الأخرى، فإنك يجب عليك الرجوع إليها، ليزول ما عندك من الإشكال، وإن كنت لا تحسن الرجوع فتوقّف واسأل الراسخين في العلم، وأما أن كل واحد يأخذ بآية يقول هذه تدل على تحريم كذا، ويقول الآخر الآية الأخرى تدل على حِل هذا الشيء، ما يمكن شيء يكون حلال في آية وحرام في آيةٍ أخرى أبدًا.

لابد هناك ما يزيل هذا الإشكال، وذلك بالجمع بين النصوص، ربما تكون هذه الآية التي أخذت بها منسوخة، والآية الأخرى ناسخة لها، ولا يجوز البقاء على المنسوخ، بل يجب الأخذ بالناسخ ربما تكون هذه الآية مطلقة وهناك آية مقيدة لها، ولا يجوز الأخذ بالمطلق دون نظرٍ إلى المقيد، بل يجب حمل المطلق على المقيد، تكون هذه الآية مثلًا عامة، وهناك آيةٌ خاصة، فيُحمل العام على الخاص، وهذه طريقة لا يحسنها إلا أهل الرسوخ في العلم، ولذلك دون الفقهاء العلماء والمفسرون -رحمهم الله- دوّنوا أصول التفسير، يعني التفسير ما هو باعتباطي وعفوي تفسير له قواعد وله ضوابط لابد أن يتقنها المفسر قبل أن يدخل في التفسير.



ولذلك قعدوا قواعد سموها: (أصول التفسير) يقرأها طالب العلم، طالب التفسير حتى يتمشى عليها، فهي تزول عنه هذه الإشكالات، ولشيخنا الشيخ محمد الامين الشنقيطي -رَحِمَهُ اللهُ- رسالة اسمها "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"، وهي مطبوعة ومتداولة فيها إعانة لطالب العلم تعطيه طريقة صحيحة يمشي عليها وتزيل عنه الإشكالات التي ترد على الجهال والمتعالمين في كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- نعم.

المذيـــــع: إذًا المراد "بالاختلاف المنهي عنه" أن يأخذ كلٌ من المختلفين آية يزعم أنها ضد الأخرى؟

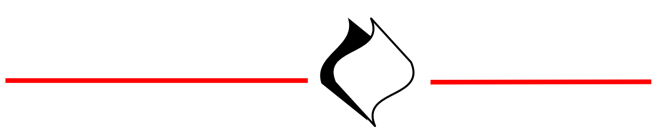
الشيخ صالح: أي نعم، أن يأخذ طرف ويترك الطرف الآخر، لأنه ما أخذ بالقرآن إذا أخذ طرف وترك الطرف بالقرآن، نعم.

165) بيان أن اختلاف أهل الكتاب في الكتاب سبب لهلاكهم، وهذا يوجب مجانبة طريقهم

المذيـــــع: [ثم عقد المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ- على هذه العبارة لبيان سير الكتاب بأن الصراط المستقيم يقتضي مخالفة أصحاب الجحيم.

قال: فعلل غضبه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بأن الاختلاف في الكتاب سبب هلاك من كان قبلنا، وذلك يوجب مجانبة طريقهم في هذا عينا، وفي غيره نوعا].

الشيخ صالح: نعم، هو هذا، الله -جَلَّ وَعَلَا- يقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة:176]، نعم، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة:176]، ويقول: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:105]، فالله حذرنا، والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- حذرنا أن نقع فيما وقع فيه من كان قبلَنا من الاختلاف في كتاب الله، مع أن كتاب حق كله، لا يعارض بعضه بعضا، ولا يناقض بعضا، بل يحتاج إلى من عنده بصيرة وعنده علم وعنده معرفة

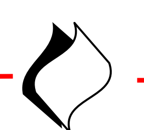


لأسـرار القـرآن، وأسـلوب القـرآن، حـتى يُرجِـع بعض الآيـات إلى ويظهر المقصود منها جميعًا.

أما إذا قطعت آية وتركت الآية الأخرى ما ظهرت بنتيجة، بل ظهرت بخطأ، ظهرت بضلال وإن كنت تـزعم أنـك تسـتدل بالآيـة، والآيـة لا تدل على ما أردت؛ لأنهـا مـا يصـلح الاسـتدلال وحـدها إلا مـع الآيـة الأخرى التي تبينها وتوضحها، واللـه -جَـلَّ وَعَلَا- أحكم هـذا القـرآن: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:1]، لا يمكن أن يتعارض كلامه -سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَى- إلا على من لم يُعـط العلم، أو أنه صاحب هوى، يريد تضليل الناس ويجيب آية من المتشابه ويقول هذا القرآن يدل على كـذا، فنقـول لـه كـذبت، القـرآن لا يـدل على كذا، القرآن يفسر بعضه بعضا، نحن نرجـع إلى الآيـة الأخـرى، فهي تفسر هذه الآية، ونفسر كلام اللـه بكلام اللـه -عَـزَّ وَجَـلَّ-، أو بكلام رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- الذي وكَلَ الله له بيان القرآن، نعم.

المذيـــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الخامس والعشرون

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمـد لله رب العـالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

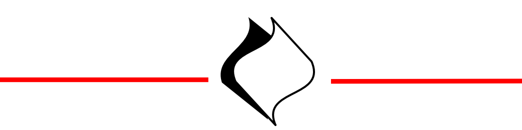
أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه، وأهلًا وسـهلًا بكم في حلقــةٍ جديــدة في برنــامجكم اقتضــاء الصــراط المستقيم، اصحاب الجحيم لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبـد الحليم ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-، يشرحه عبر هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح ابن فوزان الفوزان عضو هيئـة كبـار العلمـاء وعضـو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع لقائنا نرحب بشيخنا الكريم حياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

166) بداية الاختلاف في الكتاب، واستمرار الخلاف عقوبة لعدم الرجوع للكتاب

المذيـــــــع: تحدث المؤلف -رحمه الله تعالى- عن الاختلاف في الكتاب، وسبق الحديث عن ذلك في حلقتنا السابقة، وقفنا عند قوله: [والاختلاف على ما ذكره الله في القرآن قسمان:

أحدهما: يذم الطائفتين جميعًا، كما في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: 118 - 119]، ولذلك خلقهم، فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف، وكذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: 176]، وكذلك قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: 19]، وذكر آيات لذلك في الصلب الأول من هذا الاختلاف المذموم.



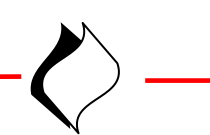
الشيخ صالح: **بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:**

فإن الله -سبحانه وتعالى- خلق الخلق لعبادته، كما قال -تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان التوحيد، وإفراد الله بالعبادة، وكانوا على التوحيد من بعد آدم وعلى شريعة آدم إلى مُضِيِّ عشرة قرون، وهم على التوحيد، ثم حدث الشرك في قوم نوح، لما غلَوْا في الصالحين، ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا.

فعبدوهم من دون الله -عز وجل-، فكان هذا أول اختلاف في كتاب الله -عز وجل- يعني مخالفة للكتاب، ليس اختلافًا في الكتاب وإنما هو مخالفة للكتاب.

قال -تعالى-: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:213]، فهؤلاء بقوا على الكتاب والعمل به، وأولئك خالفوا الكتاب، وعبدوا الأولياء والصالحين، واختلفوا فيما بينهم، ونشأ الخلاف، ففرّقت المعبودات؛ لأنهم لما تركوا التوحيد ففرّقوا في معبوداتهم، فكلٌ يعبد ما راق له، واستهواه مما يستحسنه بعقله، والعقول لا شك أنها تختلف، والاستحسانات تضطرب، فلما تركوا الكتاب بُلُوا بالاختلاف.

ولهذا قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود:118]، لما حدث فيهم الاختلاف في الأول، واستمر عقوبةً لهم، لمّا لم يرجعوا إلى الكتاب، ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:118، 119]، وهم الذين بقوا على الحق، فهؤلاء رحمهم الله -سبحانه وتعالى- فبقوا على الحق، وهذا كما في الحديث: "وستفترقُ هذه الأمةُ على ثلاثٍ وسبعينَ فِرقةً كلُّها في النارِ إلا واحدةً"، قالوا: من هي يا رسولَ اللهِ؟ فقال -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-: "مَن كان على



مِثلِ ما أنا عليه وأصحابِي"، فالذين تمسكوا بالكتاب وبقوا عليه وثبتوا عليه هؤلاء هم أهل الرحمة، وأما الذين اختلفوا في الكتاب فهم أهل العذاب والشقاق البعيد، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: 176]، يعني ليس قريبًا، وهذا دأب كل من خالف الكتاب والسنة، في كل زمانٍ ومكانٍ، فإنه يُبتلى بالاختلافات الكثيرة والمشادات والمنازعات والخصومات، ولا ينتهي أمرهم إلى شيء؛ لأنهم لم يبنوا على أصل، لما تركوا الحق ابتلوا بالباطل، والله -جل وعلا- يقول: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:32].

فالذي يُريد الوفاق والاتفاق يتمسّك بكتاب الله، ولذلك أهل السنة والجماعة لم يختلفوا بينهم -ولله الحمد- في أمور العقيدة وأمور الإيمان، وأما الاختلاف في الاجتهادات الفقهية؛ فهذا أمر مطلوب إن الإنسان يبذل وسعه لتحرّي الحق، واستنباط الفقه من الأدلّة، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجرٌ واحدٌ، والخطأ مغفور.

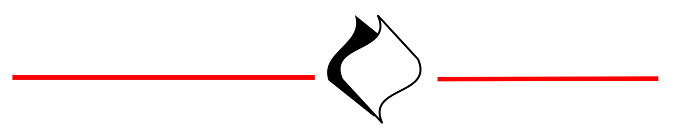
لكن إذا تبيّن له الخطأ أو لغيره فعليه الرجوع إلى الصواب.

167) النهي عن الاختلاف كله والتشديد في الاختلاف المبني على التعمّد والعناد

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قال: [وقوله: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾

[آل عمران: 105]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 159].

الشيخ صالح: الله -جل وعلا- ينهانا عن التشبه بهم، ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:105]، هذا نهيٌ من الله -سبحانه وتعالى- أن نتفرق في أمور الدين والعبادة والعقيدة، كما اختلف الذين من قبلنا ولم يختلفوا عن جهلٍ أو عن اجتهادٍ، وإنما اختلفوا عن تعمد وعناد من بعد.



ولهذا قال: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ يعني ليسوا على جهل، وإنما قد بين الله لهم طريق الصواب كلنهم لم يقبلوه، وإنما اتبعوا أهواءهم، فالله نهانا أن نتشبه بهم في ذلك، ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، هذه الآية بعد قوله -تعالى-: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:103].

المذيـــــــع: وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الأنعام: 159].

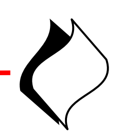
الشيخ صالح: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الأنعام:159]، يعني فرقًا متناحرة، لست منهم أيها الرسول في شيء يعني إنك بريءٌ منهم، وهم ليسوا على طريقتك ولا على سنتك، فهذا فيه النهي عن التفرق والاختلاف الذي سببه الهوى واتباع الظنون الكاذبة.

﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾، يعني فرقًا؛ لأن المطلوب أن نكون أمةً واحدةً، وأن نكون جماعةً واحدةً، لا نكون متفرقين؛ لأن الفُرقة عذاب والخلاف عذاب، إذا كان في أمور الدين وأمور العبادة والعقيدة فهو عذاب، وأما الاجتماع اجتماع الكلمة واتحاد الصف، فإنه رحمة يحصل به التعاون على البر والتقوى، يحصل به التراحم والتواصل، تزول بهِ الشحناء وهكذا فيه من المصالح ما لا يعمله إلا الله -عز وجل-، فالاجتماع رحمة والافتراق عذاب، نعم.

168) صفة اختلاف اليهود والنصارى فيما بينهم

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قال في ذم القسمين المختلفين أيضًا وكذلك وصف اختلاف النصارى بقوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: 14]، ووصف اختلاف اليهود بقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: 64]، وقال: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: 53].

الشيخ صالح: نعم، الله -جل وعلا- وصف اختلاف اليهود، الله وصف اختلاف النصارى فيما بينهم، فقال -سبحانه وتعالى-:



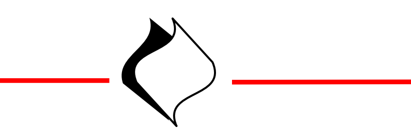
﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

[المائدة: 64]، فالله -جل وعلا- توعدهم لأن المفروض ألا يختلفوا وأن لا يتفرقوا، وأن يتبعوا الأنبياء ويتركوا الخلاف والفُرقة فيما بينهم؛ لأن فعل لهذا الافتراق ليس هو البحث عن الحق، وإنما هو اتباع الأهواء والرغبات، فالله ذم على هذا وتوعد عليه، ومن أقرب العقوبات وأشدها أن الله أغرى بعضهم ببعض بالعداوة: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة:14].

لا ينتهي هذا ليس في يومٍ أو في شهرٍ أو في سنةٍ، وإنما يستمر ما استمر هذا الاختلاف وهذا التنازع الذي ليس لهُ أساسٌ إلا الهوى واتباع الرغبات، فهذا لا ينتهي إلا بالتوبة إلى الله، لكن صاحب الهوى قَل أن يتوب، وقَل أن يرجع إلى الصواب؛ لأنه لم يترك الحق عن جهل حتى يرجع إليه، إذا تبين له، وإنما الحق متاح لهُ من الأول، ولكنه لا يُريده وإنما يُريد اتباع هواه، فلذلك لا يرجع إلى الصواب، ولذلك يستمر الخلاف بين النصارى إلى يوم القيامة، ولا يزال الآن الواقع يشهد لهذا.

النصارى الآن مختلفون الأرثوذكس وكاثوليك والبروستانت، مختلفون ومتناحرون فيما بينهم، من أن المفروض ألا يختلفوا، أن يجتمعوا على كتابهم، وفي النهاية أن يتبعوا محمدًا -صلى الله عليه وسلم- الذي هو خاتم الرُسُل والذي أُمروا باتباعه، والدخول في دينه لكنهم اتبعوا أهواءهم، فالله -جل وعلا- ذمَّ النصارى على هذا، وذم اليهود، فقال: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾، ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة:64]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:64]، وصفوا الله بالبخل، قال -جل وعلا-: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾.

فالله ألقى عليهم هذه الصفة وهي البخل؛ فلا يكون من اليهود إلا من هو من أبخل الناس، وما يكون من اليهود إلا وهو من أطمع الناس، وأجشع الناس، فهم يأخذون ولا يعطون، والآن هذا مُشاهد في اقتصادياتهم وفي تجاراتهم، أنهم يأخذون ويمتصون أموال الناس، ولكن لا ينفقون في وجوه الخير، أو وجوه البر أو الإحسان.

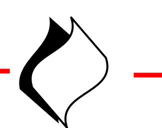


النصارى أكثر منهم تسامحًا، وأجود منهم في الإنفاق على ما فيهم من الضلال والكفر، لكن اليهود هم أبخل الناس؛ لأنهم لما وصفوا الله بالبخل الله ألقى هذا عليهم، وعاقبهم به، ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:64]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة:64]، هذا الشاهد: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة:64] هذا الشاهد وهذا نتيجة اختلافهم .

وهـذا نتيجـة الاختلاف، هـذا نتيجـة اختلافهم في دينهم واختلافهم على الأنبياء، يعني مخالفتهم هذه نتيجـة فعلهم، ولـذلك نهانـا الله عن التشبه بهم في الاختلاف، وقـال في الآيـة الثالثـة: ﴿فَتَقَطَّعُـوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ [المؤمنون:53]، كل أمـرهم بينهم زبـرًا، اللـه -جل وعلا- يقول: ﴿وَإِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِـدَةً وَأَنَـا رَبُّكُمْ فَـاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ [المؤمنون:52، 53]، يعـني اختلفـوا، ما أخذوا بوصية الله -سبحانه وتعالى-، وكانوا أمةً واحدةً يعبدون ربًا واحدًا.

خالفوا ذلك فتقطعوا أمرهم بينهم يعـني اختلفـوا. زبـرًا كـلٌ عنـده مؤلفات وكتابات يذُم الآخـر ويمـدح نفسـه، وإنـه على الحـق ويـرى الباطـل، وهـذا من تمـام الفتنـة، أن أهـل الاختلاف يبتلـون بجـدال عقيم، حتى يُخيل إلى كلٍ منهم أنهُ هو الذي على الحق والآخر على الباطل، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:53]،

وهذا من تمام الابتلاء والامتحان؛ لأن الإنسان لمّا لم يكن على ثقـة مما هو عليه قد يرجع إلى الصواب، لكن إذا كان على ثقـة ممـا هـو عليه إلى حد الفرح به أنه هو على الحق وغيره على الباطل مع أنـه أصلًا ليس على حق، وإنما هـو شـيء هـو الـذي يحـدث، ﴿فَتَقَطَّعُـوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾، هم الذين أحدثوا هذا، يعني بدل القـرآن وبـدل الكتب المنزلة، جعلوا كُتُبًا من عندهم يتمسكون بها، فلـذلك فرحـوا ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَـا عِنْـدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَـاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾ [غافر:83].

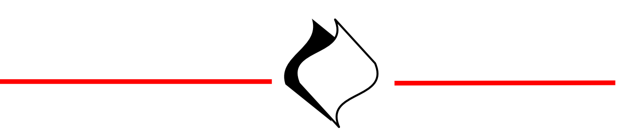


169) النهي عن مسلك الأمم السابقة، وعن مخالفة الكتاب والسنة

المذيــــــع: أحسن الله إليكم، قال: [وكذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- لما وصف أن الأمة تفترق على ثلاث وسبعين فرقة؛ قال: >كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة<، وفي الرواية الأخرى: >من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي<، فبين: أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين، إلا فرقة واحدة، وهم أهل السنة والجماعة].

الشيخ صالح: نعم، النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر خبرًا معناه النهي والتحذير، فقال -عليه الصلاة والسلام-: >افترقتِ اليهودُ على إحدَى وسبعينَ فرقةً، وافترقتِ النصارَى على اثنتَينِ وسبعينَ فرقةً، وستفترقُ هذه الأمةُ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً كلُّها في النارِ إلا واحدةً<، ووقع ما أخبر به -صلى الله عليه وسلم- فحصل الاختلاف في هذه الأمة، تشعبت بهم الأهواء، وانحازوا عن الحق، وكلٌ ذهب إلى طريق، كلٌ ذهب إلى مذهب، وكلٌ ذهب إلى رأي، ويرى أنهُ مُحِق وإنما وأن غيرهُ على الباطل ولا الحق أن كل أنهم كلهم على الباطل، ولهذا قال كلها في النار؛ لأنهم لما ترك الحق في النار إلا واحدة، ما هي الواحدة؟ بينها النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: >من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي<، فدل على أنه لا نجاة من النار إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة، ولهذا بالفرقة الناجية من النار.

لأن الله وصف الفرق كلها بالنار إلا هذه الفرقة الناجية، فهي ناجية من النار، وهم أهل السنة والجماعة، وهم أهل الحق في كل زمان ومكان، فلا إلا بهذا، فهذه الأمة مثل الأمم السابقة، من بقي منها على الحق فإنه ينجو، ومن خالف الحق فإنه يهلك، والهلاك يختلف، >كلها في النار إلا واحدة<، كلها في النار إما لضلالها وإما لفسقها وإما لكفرها، فكونهم في النار لا يدل على كفر الجميع، بل يدل على أنهم كلهم في النار لكن منهم من يكون في النار؛ لأنه كافر مخلّد فيها، ومنهم من يكون في النار؛ لأنه مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، ومنهم من يكون في النار؛ لأنه عاصٍ معصية



دون الكبيرة، وكلهم في النار بحسب مخالفاتهم، وبحسب ضلالهم، المهم أن الفُرقة عذاب، وهذا معني ما قاله ابن مسعود -رضي الله عنه- يقول: يا ابن أخي الفُرقة شر"، لا شك أنها شر، وأنها عذاب؛ فلهذا النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث أخبر خبرًا معناه التحذير.

ثم أن الفرق التي تنتسب إلى الإسلام أكثر من ثلاث وسبعين، كما هو موجود الآن في كتب الفرق والملل والنحل أكثر من ثلاث وسبعين، لكن هذه فروع، وأما الأصول فهي لا تخرج عن ثلاث وسبعين كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-.

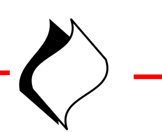
الحاصل من هذا كله: أن الله نهانا أن نسلك مسلك الأمم قبلنا من الاختلاف. وثانيًا، أن من ترك الكتاب والسنة فإنه هالك إلا أن يتوب، ويرجع إلى الكتاب والسنة.

170) أسباب الاختلاف المذموم

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رحمه الله-: [وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه تارةً: فساد النية؛ لما في النفوس من البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض ونحو ذلك، فيحب لذلك ذم قول غيرها، أو فعله، أو غلبته ليتميز عليه، أو يحب قول من يوافقه في نسب أو مذهب أو بلد أو صداقة، ونحو ذلك، لما في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة وما أكثر هذا من بني آدم، وهذا ظلم]، ثم ذكر سببًا آخر غير فساد النية، وهو الجهل.

الشيخ صالح: نعم، هذا الاختلاف المذموم أهله كلهم الذين خالفوا الحق ورفضوه اختلفوا؛ لأنهم لما تركوا الحق تاهوا في الباطل، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: 176]، والله -جل وعلا- يقول: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة:137].

هذا الاختلاف المذموم أهله كلهم لا طرف دون طرف له أسباب:



أولها وأخطرها اتباع الهوى واتباع رغبات النفس، فهذا هو أخطر أنواع الخلاف الذي يكون الدافع إليه الهوى، اتباع الهوى والدافع إليه، طلب الرئاسة وطلب الاستعلاء على الناس، والكبرياء على الناس، هذا هو أخطر أنواع الاختلاف، وهؤلاء هم الذين يريدون علوًا في الأرض فسادًا -نسأل الله العافية-، نعم.

المذيع: قال: [وهذا ظلمٌ].

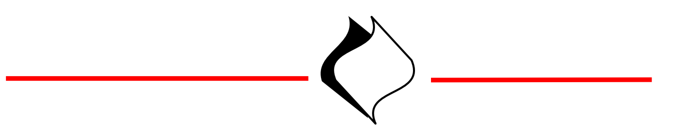
الشيخ صالح: وهذا ظلمٌ؛ لأنه مخالفة للحق، وضلال، وظلمٌ؛ لأنه على التظالم بين المختلفين، وكل طائفة تبغي وتطغى على الأخرى وتريد أن تستبد بالأمر من دونها، فهذا يحمل على البغي والعدوان، نعم.

المذيع: [ويكون سببه -تارةً- جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر].

الشيخ صالح: وهذا سببٌ من أنواع الاختلاف المذموم، وهو الجهل وأخف من الأول، لكنه مذموم أيضًا؛ لأن المفروض في الجاهل أن يسأل أهل العلم، ولا يعتمد على رأيه، ينحاز إلى طريق غير صحيح، يظنه هو الصحيح، فإن الله -جل وعلا- يقول: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء:7]، فالواجب على الجاهل أن يسأل العالم، وأن يأخذ بما يرشد إليه، فلما لم يسألوا أهل العلم وركبوا رؤوسهم وجهلهم وظنوا أنهم علماء، وهذا هو واقع كثير من الناس اليوم؛ خصوصًا المتعالمين الذين نشأوا على الورق وعلى الكتب، دون أن يأخذوا عن العلماء، وعن المقررات الدراسية المنضبطة، لما أخذوا بهذا اختلفوا واستغنوا عن العلماء اختلفوا بينهم وتناحروا، حتى آل الأمر بهم إلى التقاتل، والظلم والعدوان -نسأل الله العافية-.

فالواجب على الجاهل أن يتوقف، وألا يمضي في طريقه؛ حتى يسأل أهل العلم، الواجب عليه أولًا أن يتعلم، الواجب عليه أولًا أن يتعلم حتى يعرف الحق، والتعلم ميسور ولله الحمد.

ثانيًا: إذا لم يمكنه التعلم أن يسأل أهل العلم.



ثالثًا: إذا لم يمكنه التعلم ولا سؤال أهل العلم يتوقف، يعترف بجهله ويتوقف إلى أن ييسر الله له البيان، نعم.

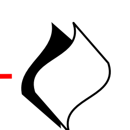
المذيـــــع: قال: [يكون بجهل حقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه لا يعرفان الحقيقة، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر].

الشيخ صالح: أي نعم، وهذا له سبب أن الجهل له سببان:

السبب أنه يجهل القول الذي يقول به هل هو صواب ولا خطأ؟ مما يعني يكون عنده شك في قوله هذا أنه صواب، وأنه، فهذا هو الذي حمله على المضيّ في الضلال، وإلا لو كان عنده شك لما تسرع في هذا الأمر،أو الجهل بالدليل الذي يبني عليه، لأن الرأي وحده لا يكفي، لابد أن يكون مربوطًا بالواجب، ومن ارتبط بالدليل؛ فإنه لا يضل، قال -تعالى-: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:38]، ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فلا يضل ولا يشقى﴾.

المذيـــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس السادس والعشرون

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العـالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه، وأهلًا وسـهلًا بكم في حلقـةٍ جديـدة في برنـامجكم "اقتضـاء الصـراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-، يشرحه عبر هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح ابن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع لقائنا نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

171) الجهل والظلم أساسا كل شر

المذيـــــــع: ذكر المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أن الاختلاف يكون سببه أحيانًا الاختلاف في الكتاب، سببه أحيانًا فساد النية، قال: [وهذا ظلم]، وأحيانًا يكون سببه الجهل، قال: [والجهل والظلم: هما أصل كل شر، كما قال -سبحانه-: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72].

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، قال الله -تَعَالَى-: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:72].

يخبر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أنه عرض الأمانة، وهي التكاليف الشرعية، عرض تخيير لا عرض إلزام على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملن، اخترن العافية والسلامة، وأشفقن منها، يعني الذي

حمل الأرض والسموات والجبال على عدم تحمل الأمانة الإشفاق منها، يعني الخوف من تبعاتها.

172) تحذير الله من الظلم. ويجب التروّي في الحكم

فهم آثروا السلامة على الغنيمة، فلذلك أبينَ أن يحملنها، وحملها الإنسان -آدم وذريته- طمعًا في الأجر والثواب، فآثروا الغنم والرجاء على الخوف.

ثم انقسموا إلى أقسام، منهم من رفض القيام بالأمانة ظاهرًا وباطنًا وهم المشركون والمشركات، ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب:73]، انقسموا بعد تحمُّ لهم للأمانة إلى ثلاثة أقسام:

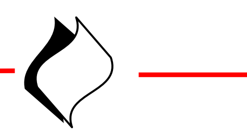
- **قسم رفضوها ظاهرًا وباطنًا وهم المشركون.**
- **وقسم تحملوها ظاهرًا دون البغي وهم المنافقون والمنافقات وأظهرن الإسلام وأبطنوا الكفر.**
- **وقسم تحملوها ظاهرًا وباطنًا وهم المؤمنون.**

ولهذا قال: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:73]، الشاهد من هذه الآية ما ذكره الشيخ: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، فهذا الذي سبب له أنه يتحملها، وأنه يخاطر طلبًا للأجر، فهذا الذي أوقعه الظلم والجهل، فهما داءان خطيران في الإنسانية، فلا يكون الشر إلا من هذين الوصفين، إما الظلم وإما الجهل.

فهذا فيه التحذير من الظلم، وهو الاعتداء على الناس، التعدي عليهم.

والظلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- **ظلم الشرك: وهو ما بين العبد وبين ربه بالشرك.**
- **وظلم الناس: وهو التعدي عليهم.**



- وظلم النفس: وذلك بالمعاصي والذنوب التي لا تتعلق بالناس، وإنما تتعلق بالنفس.

فالإنسان فيه أنواع الظلم الثلاثة: إما ظلم الشرك، وإما ظلم الناس، وإما ظلم النفس.

والجهل أيضًا، والمراد بالجهل هنا ليس عدم العلم، وإنما الجهل عدم الحلم.

ألا لا يجهلن أحد علينا == فنجهل فوق جهل الجاهلين

فالجهل يُطلق ويُراد به عدم الحلم، وعدم التأنّي التروّي في الأمر، والنظر في العواقب؛ هذا هو الجهل، ولهذا قال:

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء:17]، ليس الجهالة معناها المعرفة الحكم الشرعي، لا، الجهالة معناها المراد بها عدم التأني والحلم والتروي في الأمر.

173) أقسام الاختلاف

المذيــــــع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [أنواع الاختلاف

أما أنواعه: فهو في الأصل قسمان: اختلاف تنوع واختلاف تضاد]، ثم ذكر منها.

الشيخ صالح: نعم، الاختلاف ينقسم إلى قسمين:

- اختلاف تنوع: وهو أن يختلف العلماء في مسألةٍ من المسائل؛ نظرًا لأن الدليل يحتمل أكثر من وجه، فكلٌ يأخذ بوجه من وجوه الآية أو الحديث، فهذا اختلاف تنوع، وهذا لا يُذم فيه، إلا إذا تبين الدليل فإنه يجب الرجوع إلى الدليل.
- الثاني: اختلاف تضاد: وهو أن يكون كلٌ من المختلفين ليس معهُ وجهٌ من الدليل، كلٌ منهم خارج الدليل، هذا اختلاف تضاد، وهو المذموم.

المذيــــــع: قال: [واختلاف التنوع على وجوه: منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقًّا مشروعا، كما في القراءات التي

اختلف فيها الصحابة، حتى زجرهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وقال: >كلاكما محسن<].

الشيخ صالح: نعم، سبق في حديث ابن مسعود أنه سمع قارئًا يقرأ بعض الآيات على غير ما يعلمه ابن مسعود، فأخذه إلى الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فسمع قراءة ابن مسعود، وقراءة الرجل لهذه الآية، قال: >كلاكما محسن<، يعني متبع؛ لأن القرآن جاء على سبعة أحرف، وجاءت القراءات السبع والعشر كما هو معلوم، وهذا من تيسير الله لهذا القرآن، وكلهم تلقَّوْا عن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وكل قراءةٍ من هذه القراءات حق، ولها سندٌ إلى الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وهي لا تختلف فيما بينها، المعني واحد، وإن اختلفت بعض الحروف، وإن اختلف بعض الحروف، فهذا لا يغير المعنى.

هذه القراءات السبع أو العشر، وهي إن اختلفت بعض الحروف فإن المعني واحد، مثل (يعلمون وتعلمون)، ونحو ذلك يعني بالياء أو بالتاء، المعني واحد، لكن وإن اختلفت الحرف بالياء أو بالتاء.

174) الاختلاف المبني على روايات لا يُذم

المذيع: قال: [ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، والتشهدات، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنازة إلى غير ذلك مما قد شرع جميعه، وإن كان قد يقال إن بعض أنواعه أفضل من بعض].

الشيخ صالح: نعم، ومن ذلك اختلاف الروايات في المسألة الواحدة، فبعض العبادات جاءت على صفات: مثل الأذان، مثل الإقامة، مثل تكبيرات العيد، التي في الخطبة أو في صلاة فيها، ومثل مسائل كثيرة وردت فيها روايات وأحاديث، فدل على أن كل من أخذ بصفة من هذه الصفات فهو على حق؛ لأن معه دليلًا من الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فلا وجه للإنكار في ذلك، نظرًا لتعدد الأدلة، وكلٌ أخذ بدليل.

فالاختلاف المبني على الروايات، هذا لا يُذم؛ بل هو عملٌ بجميع هذه الروايات، نعم.

المذيـــــــع: قال: [ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف؛ ما أوجب اقتتال طوائـف منهم على شـفع الإقامـة وإيثارهـا، ونحـو ذلك، وهذا عين المحرم].

الشيخ صالح: نعم، وهذا كما ذكرنـاه أو كمـا ذكـر الشـيخ -رَحِمَـهُ اللهُ-، هذا لا يُذم عليه؛ لأن من أخذ بدليل لا يعترض على الآخر الذي معه دليل آخـر، وهـذا يـدل على سـعة التشـريع، الحمـد للـه، المهم الدليل، وكثرة الروايات تـدل على التخيـير بين هـذه الصـفات، فمن فعل صفةً منها فإنه على حق، وليس للطرف الآخـر أن يُنكِـر عليـه، أنت معك دليل وهو معه دليل.

175) لا إنكار في مسائل الاجتهاد

مثلًا أنـــواع الاســـتفتاح في الصـــلاة، ورد في روايـــة: "فمن أخـــذ باستفتاح لا ينكر عليه من أخذ باستفتاح آخـر ممـا ورد"، مثلًا وضـع اليدين في القيام في الصلاة: "من وضع يديه على صدره، من وضع يديه على سرته، من أرسل يديه، كلٌ منهم لـه احتمـال ولـه دليـل"، والمسألة سنة ما هي واجب ولا ركن، فيها سعة الحمد لله، فلا وجه للإنكـار على... مثلًا: الـذي يـدخل المسـجد وقت النهي، إن جلس لا يُنكَـر عليـه؛ لأن الرسـول نهى عن الصـلاة في هـذا الـوقت -صـلاة النافلة-، ومن صلى لا يُنكـر عليـه؛ لأن معـه دليـل وهـو: >إذا دخـل أحدُكم المسجدَ، فلا يجلس حتى يصـلِّيَ ركعـتين<، فلا يُنكـر الواحـد على الآخر.

ولهذا قالوا: لا إنكار في مسائل الاجتهاد.

المذيـــــــع: قال: [ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف؛ ما أوجب اقتتال طوائـف منهم على شـفع الإقامـة وإيثارهـا، ونحـو ذلك].

الشيخ صالح: على شفع الإقامة: يعني يكرر مرتين الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، بينما المشـهور الإيثار، إيثار الإقامة وشفع الأذان، فمن أخذ بالشفع لا يُنكـر عليـه؛

لأنه ورد في بعض الأدلة، ومن أخذ بالإيثار لا يُنكر عليه، فكلٌ منهم أخذ بدليل، فدل على أن الأمر واسع، نعم.

المذيــــــع: قال: [ومن لم يبلغ هذا المبلغ؛ فتجد كثيرا منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع والإعراض عن الآخر أو النهي عنه، ما دخل به فيما نهى عنه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-].

وإن لم يبلغ حد الاقتتال.

الشيخ صالح: وشاهدوا هذا الواقع الآن فكثير من المتعالمين يتصارعون الآن على المسائل التي من هذا النوع، التي يسوغ فيها الاختلاف المبني على أدلة وعلى روايات كلٌ أخذ برواية، كلٌ أخذ بحديث، والأمر واسع في هذا، وهم يقتتلون على هذا، ويتعادون ويتقاطعون.

أنت ما تقبض في الصلاة، أنت ترسل في الصلاة، أنت كذا، أنت مُخالِف، أنت مبتدع إلى غير ذلك، وهذا لجهلهم، وضيق أفقهم العلمي؛ والواجب على الإنسان ألا يُنكر حتى يتحقق من الأمر، ويتثبّت من الأمر، ويعرف ما مع المخالف من الدليل أو عدم الدليل.

176) أقسام اختلاف التنوُّع

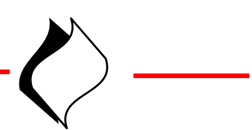
المذيــــــع: أحسن الله اليكم قال: [ومنه: -أي اختلاف التنوع- ما يكون كل من القولين هو في معنى قول الآخر؛ لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود وصيغ الأدلة، والتعبير عن المسميات، وتقسيم الأحكام، وغير ذلك].

الشيخ صالح: النوع الأول: ما يكون الاختلاف فيه بحسب الأدلة والروايات، هذا فرغنا منه،

المذيــــــع: يكون كل من القولين حقاً مشروعاً.

الشيخ صالح: إي نعم، النوع الثاني: أن يكون المعنى واحد، والألفاظ مختلفة، فكل يأخذ بلفظ وينكر على الآخر، مع أن المؤدّى واحد، نعم.

177) الجهل بالأدلة يؤدي للتعَصُّب



المذيـــــــع: قـال: [ثم الجهـل أو الظلم يحمـل على حمـد إحـدى المقالتين وذم الأخرى].

الشيخ صالح: أي نعم، الجهل أو الظلم، أما الجهـل بالأدلـة الـتي مـع الآخـر أو الظلم وهـو التعصـب؛ لأن التعصـب نـوع من الظلم، فبعضهم يقول: "ولو كـان معـه دليـل، أنـا لا أعـترف بمـا معـه؛ لأن إمامي أعرف بالأدلة"، ولذلك "يروى أن بعض الحنفية يصلي بجانبـه واحد يشير بسبابته في التشهد، كسر إصبعه"، الحنفي كسـر إصـبع الذي بجانبه؛ لأنه من الجهل والظلم في هذا، نعم.

المذيـــــــع: قـال: [ومنـه مـا يكـون المعنيـان غـيريْن، لكن لا يتنافيان؛ فهذا قول صـحيح، وهـذا قـول صـحيح وإن لم يكن معـنى أحدهما هو معنى الآخر، وهذا كثير في المنازعات جدًا].

الشيخ صالح: نعم، هـذا كمـا سـبق في الوجـه الأول تقريبًـا، أن يكون المعنيان متغايرين لكن مع كل معنىً دليل، مما يدل على أنـك فعلت هذا أو فعلت هذا كله مشروع.

178) الاجتهاد أمره واسع

المذيـــــــع: [ومنه ما يكون طريقتان مشروعتان، ورجل أو قـوم قد سلكوا هذه الطريق، وآخرون قد سلكوا الأخرى، وكلاهمـا حسـن في الدين].

الشيخ صالح: أي نعم، ومنـه مـا يكـون كلا الأمـرين مشـروع من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وكلٌ أخذ بطريـقٍ مشـروع، فلا ينكـر أحـدهما على الآخـر ويحصـر الحـق فيمـا معـه؛ لأن الأمـر في هـذا واسع، والمدار على الدليل، سواءً أكان الدليل محتملًا لعـدة معـاني أو هناك أدلة لكل قولٍ مما يدل على أن الأمر واسع، نعم.

المذيـــــــع: قال: [ثم الجهـل أو الظلم: يحمـل على ذم إحـداهما أو تفضيلها بلا قصد صالح، أو بلا علم، أو بلا نية وبلا علم].

الشيخ صـالح: أي نعم الـذي يحمـل على هـذا هـو فقـدان هـذه الصفات، عدم العلم، عـدم التـأني والنظـر والعجلـة، أو التعصـب أو

يحمله التعصب على أن يبطش للمخالف أو يبغضه، لا يبطش به لكن يُبغضه ويهجره، نعم.

179) اختلاف التضاد قولان متضادّان

المذيـــــــع: [وأما اختلاف التضاد فهو: القولان المتنافيان].

الشيخ صالح: انتهى خلاف التنوع، مثلاً خلاف التنوع، ذكروا له قول الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وأظنه سيأتي: >لا يصلين أحدٌ منكم العصر إلا في بني قريظة<، لما انتهت غزوة الأحزاب ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ [الأحزاب:25]،

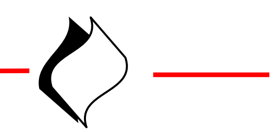
وكانت اليهود قد خانت وانضمت إلى الأحزاب، ولما ذهب الأحزاب وانقمعوا، بقي العدو الثاني وهم اليهود، فأمر الله نبيه ألا يضع أحدٌ سلاحه بعد الكفار إلا في بني قريظة حتى يغزو بني قريظة، فخرجوا بسلاحهم، وقال لهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: >لا يصلين أحدٌ منكم العصر الا في بني قريظة<، فحانت صلاة العصر وهم في الطريق، فبعضهم قال: مراد الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- المبادرة؛ وليس المراد أن نؤخر صلاة العصر إلى أن نصل إلى بني قريظة فصلى في الطريق، البعض الآخر أخذ بالعكس، قال: مراد الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- ألا نصليَ إلا إذا وصلنا؛ فلم يصلوا في الطريق، فبلغ ذلك النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فأقر الطائفتين؛ لأن كلاً منهما معه احتمال والدليل يحتمل القولين.

180) المتضادان لا يجتمعان ولا يرتفعان

المذيـــــــع: [وأما اختلاف التضاد فهو: القولان المتنافيان: إما في الأصول، وإما في الفروع].

الشيخ صالح: نعم، التضاد هو المخالفة، كلٌّ من القولين خلاف الأخر. لا يجتمع معه بوجهٍ من الوجوه هذا التضاد والضدان -كما يقولون- لا يجتمعان ولا يرتفعان، هذا هو التضاد، نعم.

المذيـــــــع: قال: [عند الجمهور].



الشيخ صالح: أما في الافق. وهو يكون في الأصول وفي العقائد، ويكون في وهو مسائل الفقه، نعم.

181) كل مجتهد مصيب في اختلاف التنوع فقط

المذيع: [عند الجمهور الذين يقولون: " المصيب واحد "، وإلا فمن قال: " كل مجتهد مصيب " فعنده: هو من باب اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد].

الشيخ صالح: اختلف الأصوليون هل كل مجتهدٍ مصيب؟ عند بعض المعتزلة: أن كل مجتهدٍ مصيب؛ لأنه فعل ما بوسعه، وعند الجمهور لا، المصيب واحد من الطرفين لكن المخطئ مغفورٌ خطأ مغفورٌ له خطأه، هذه مسألة أصولية، نعم.

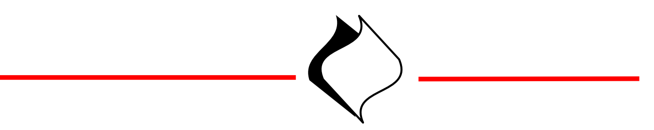
المذيع: قال: [فهذا الخطب فيه أشد؛ لأن القولين يتنافيان].

الشيخ صالح: وهذا اختلاف التضاد الخطب يعني المصيبة فيه أشد من المصيبة التي تحصل في اختلاف التنوع؛ لأن القولين يتنافيان، لا يجتمعان.

182) لا يجوز للمخالف أن يجحد كل من معه

المذيع: لكن نجد كثيرا من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق ما، أو معه دليل يقتضي حقا ما، فيرد الحق في الأصل هذا كله، حتى يبقى هذا مبطلا في البعض كما كان الأول مبطلا في الأصل، كما رأيته لكثير من أهل السنة في مسائل القدر والصفات والصحابة، وغيرهم].

الشيخ صالح: نعم، هذا كما سبق أنه قد يكون مع المختلفين -مع كل واحدٍ منهما شيءٌ من الحق-، فلا يجوز للمخالف أن يجحد كل ما معه بل يقبل ما معه من الحق ويرد من الخطأ، هذا هو الواجب والإنصاف، فلا أحد من الطرفين يدّعي أنه هو المحق وحده، وإن مخالفه ليس معه حقٌ أصلًا، هذا من الظلم، بل الواجب أن ينظر في قول مخالفه، فإن كان ليس معه حق؛ فإنه ينكره كله، وإن كان



معه شيءٌ من الحق؛ فإنه يقسمه؛ يقول هذا خطأ، وهذا فهو صواب، هذا هو الأصل العدل، نعم.

183) وجوب تغطية وجه المرأة عن الرجال

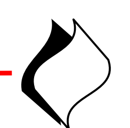
المذيع: شيخ في الحديث في التضاد والتنوع، الخلاف في حجاب المرأة غطاء وجه المرأة، تصنف من اختلاف التنوع أو التضاد؟

الشيخ صالح: حجاب المرأة مبني على أدلة للطرفين، وهذه الأدلة إما أدلة الذين يقولون بالسفور وعدم ستر الوجه لهم أدلة، لكن هي إما منسوخة بالحجاب؛ لأنه كان في أول الأمر كانت النساء تكشف وجوهها، مرخص لهن بكشف الوجوه، ثم أمرنا بالحجاب، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ﴾ [الأحزاب:59].

وفي قصة عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا- لما حصل ما حصل من تأخرها عن بسبب ما ذكر أنها ذهبت تقضي حاجتها، فجاءت وجدت القوم قد سافروا يظنون أنها في الهودج وبقيت في المكان، وأخذها النوم، حتى جاء صفوان بن المعطل -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وقف عليها، قال وكان يعرفني قبل ان يُفرض الحجاب قالت: "استيقظت باسترجاعه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وكان يعرفني قبل أن يفرض الحجاب"، عرف أنها عائشة، لماذا عرف أنها عائشة؟ لأنه كان يعرفها قبل أن يفرض الحجاب -يعرف وجهها-، فعرف أنها أم المؤمنين، فلذلك استرجع.

الشاهد من هذا أنه دل على أن الحجاب إنما فُرض أخيرًا وأن الذين أخذوا بكشف الوجه أخذوا أدلة منسوخة، أخذوا بأدلةٍ صحيحة لكنها منسوخة، هذا قسم.

القسم الثاني: بنوا على أدلةٍ غير صحيحة، على أحاديث غير صحيحة، أو صحيحة لكنها غير صريحة محتملة، فهم هذه وجهة نظر، إمّا أنّهم بنوا على أدلةٍ صحيحةٍ منسوخة، وإما أنّهم بنوا على أدلةٍ صحيحة غير صريحة يعني بل محتملة، وإما أنّهم بنوا على أدلةٍ ضعيفة لا تصلح للاحتجاج، هذا وجه الخلاف بينهم في الحجاب، أما الذين يرون ستر الوجه فإنما أخذوا بالأدلة الصحيحة المتأخرة



الصريحة التي ليس فيها لبس، مثل ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾، أيش معنى يدنين؟ عليها الجلباب من الأصل، أيش معنى تدني؟ يعني تغطي وجهها كما بينه عبيدة السلماني لما سُئل عن الآية، أخذ بطرف ثوبه واضفاه على وجهه، وقال هكذا، هذا تفسير تلقاه عن ابن عباس -رَّضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-، فبين أن الآية صريحة في تغطية الوجه، وبتفسير عبيدة السلماني عن أمامه ومعلمه عبد الله بن عباس -رَّضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-، وقوله -تَعَالَى-: ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:53]، أيش معنى الحجاب؟ يعني حجاب لبعضها ولا حجاب لجميع الحجاب لجميع حجاب لجميعه، اللي يقول إنه لبعضها يأتي بدليل، فالأصل أنه للجميع، ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، إما ثوب وإما حائط وإما باب، ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.

وحديث عائشة صريح: "كنا مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- مُحرِمات، فكان إذا مر بنا الرجال سدلت إحدانا خمارها من على رأسها، فإذا جاوزونا كشفناه"، هذا صريح، ما هو بمحتمل، صريح في تغطية الوجه عن الرجال، نعم.

184) اختلاف التضاد يقع كثيرًا عند المُبتدعة

المذيع: أحسن الله لكم وجزاكم خيرًا، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [وأما أهل البدعة: فالأمر فيهم ظاهر وكما رأيته لكثير من الفقهاء، أو لأكثر المتأخرين في مسائل الفقه، وكذلك رأيت الاختلاف كثيرًا بين بعض المتفقهة].

الشيخ صالح: نعم؛ اختلاف التضاد واقع، ويكون أكثر ما يقع عند المبتدعة الذين كلهم ليسوا على دليل، كلهم مبتدعة والبدعة معناه ما ليس له دليل من كتاب الله ومن سنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فهم أصلًا كلهم ليس لهم دليل؛ وإنما هم مبتدعة، أو بين الفقهاء الذين اجتهدوا في المسائل الفقهية، وأحد قال بالتحريم، وأحد قال بالإباحة، مع أن التحريم والإباحة متضادّان، فلا يمكن أن يكون كل واحد معه دليل صحيح؛ لأن هذا تضاد ولا يمكن أن يكون كلٌ معه دليلٌ صحيح، فإن كان مع أحدهم دليلٌ صحيح فهو: إما منسوخ، وإما مُجمل، وإما له احتمال، نعم.

المذيــــــع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع والعشرون

المذيــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم

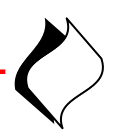
الحمدُ لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّم عَلى نَبينا مُحمد، وعلى آلة وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامج [اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، رَحِمَهُ اللهُ.

يشرحه في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقائي نُرحب بشيخنا الكريم، فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.



185) لا يدرك الإنسان أنواع الاختلاف إلا بتتبُّع نصوص الكتاب والسُنَّة

المذيع: لما ذكر المؤلف --رَحِمَهُ اللهُ-- شيئاً من اختلاف التنوع والتضاد، وأتينا عليه في الحلقة السالفة قال -عظم الله أجره-: (ومن جعل الله له هدايةً ونوراً، رأى من هذا ما يتبيَّن له به منفعة ما جاء في الكتاب والسُنَّة من النهي عن هذا واشباهها)؛ أي: اختلاف التضاد، (وإن كانت القلوب الصحيحة تنكر هذا ابتداءً لكن نورٌ على نور).

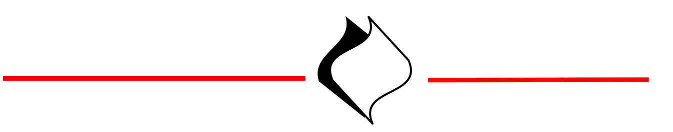
الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آلة وأصحابه أجمعين، وبعد؛

فمراد الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- من هذا الكلام، أنَّ الانسان لا يعرف هذه المباحث العظيمة وهي الوقوف على أنواع الاختلاف السائغ والاختلاف الممنوع، لا يدرك هذا الا من تتبع نصوص الكتاب والسنة بتدبر وتفقه، فهذا فيه الحث على تدبر كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم، ولا سيما في مثل هذه المواقف الصعبة التي هي مضلة أفهام ومذلة أقدام، فإنَّ غالب المختلفين إنما وقع أكثرهم في الضلال بسبب الجهل بأنواع الاختلاف، وما يسوغ منه وما لا يسوغ، وما هي الآداب التي يتحلى بها المختلفون فيما بينهم؟.

وهذا لا شك أنه أمرٌ يحتاج إلى اهتمام وإلى تأمل وطول نظر، قال -رَحِمَهُ اللهُ- وإن كان هذا واضحاً لكن هذا يزيده وضوحاً عند من يفهم كلام الله وكلام رسوله، إنما يزيده هذا وضوحاً، وإن كان واضحاً له من الأول، ولا شك إنَّ زيادة العلم تفيد الإنسان وكل ما زاد علم الانسان زادت استفادته.

ولهذا قال الله جَلَّ وَعَلَا لنبيه محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم: ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]،

فالإنسان بحاجة إلى الزيادة من العلم، وإذا كان هذا في العلماء وأنهم بحاجة إلى الزيادة من العلم، فكيف بالجُهَّال؟ وكيف بالمبتدئين في طلب العلم؟ وكيف بالمتعالمين؟ فإنهم أشد حاجةً



في أن يتوقفوا عن هذه الأمور، ولا يدخلوا فيها إلا برويّـةٍ وبصـيرةٍ وفقهٍ في دين الله، لئلا يضلوا ويضلوا.

186) الذنب في اختلاف التنوع واقعٌ على من بغى على الآخر فيه

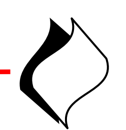
المذيـــــــع: نعم، أحسـن اللـه اليكم، قـال -رَحِمَـهُ اللـهُ: (وهـذا القسـم الـذي سـمَّيناه اختلاف التنـوع، كـل واحـدٍ من المختلفين مصـيبٌ فيـه بلا تـردد، لكن الـذنب واقـعٌ على من بغى على الآخـر فيه).

الشيخ صـالح: اختلاف التنـوع هـو كمـا سـبق؛ أن يكـون الـدليل محتملاً لعدة وجوه، أو يكون في المسألة عدة أدلة، وكلٌ أخذ بدليل، أو كلٌ أخذ بوجهٍ من وجوه الدلالة، فكـلٌ منهمـا مُحـق، لا الـذي أخـذ بوجه من وجوه الدلالة، ولا الذي أخذ بدليل من الأدلة المتنوعـة في المسألة الواحدة، كلٌ منهما محـق، حـتى يتـبيَّن لـه أنـه على خطـأ، فليس لخصـمه أن يظلمـه، وأن يحكم عليـه بالضـلال أو بالبدعـة أو أشد من ذلك بالتكفير كما يقع من كثـيرٍ من جُهّـال المنتسـبين إلى طلب العلم.

187) كل من أخذ بوجه من وجوه الدلالة في الدليل الواحد فهو على حق

المذيـــــــع: قـال: (وقـد دل القـرآن على حمـد كـل واحـدةٍ من الطائفتين في مثل ذلك) في اختلاف التنوع (اذا لم يحصل بغي كما في قولـه: ﴿مَـا قَطَعْتُم مِّن لِّينَـةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَـا قَائِمَـةً عَلَى أُصُـولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: 5]- وقد كانوا اختلفوا في قطع الاشـجار فقطـع قوم وترك آخرون).

الشيخ صـالح: نعم، فكـل من أخـذ بوجـهٍ من وجـوه الدلالـة في الدّليل الواحد كلّ منهما على حق وكل منهما محمود ومـأجور، كمـا قال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «إذا اجتهد الحاكم فأصـاب فلـه أجـران، وإذا اجتهد واخطأ فله أجـر واحـد»، وضـرب الشـيخ لـذلك مثـالاً في القرآن الكريم، وهو أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيـهِ وَسَـلَّم لمـا غـزا بـني النظير، من اليهود لما خانوا العهد، وكانوا قريـبين من المدينـة، لم يحتاجوا إلى خيلٍ وركاب، بل مشـوا إليهم بأقـدامهم، فلمـا وصـلوا



اليهم بعضهم قطع الأشجار والنخيل نِكايةً باليهود، وبعضهم لم يقطع، فاختلفوا في هذا فكلٌ منهما مُحق، وقد صوَّب الله الطائفتين، قال: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ واللينة: هي النخلة، ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: 5]؛ أي: بشرعه، بإذن الله الشرعي، لأن الإذن على قسمين:

- إذنٌ كوني: كما في قوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 102]، أي: بإذنه الكوني القدري.

- والإذن الشرعي: الذي يأمر الله به وينهى؛ هذا هو الإذن الشرعي.

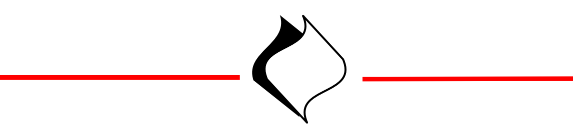
فكلٌ من الطائفتين محقٌ، الذين قطعوا نِكايةً بالعدو، والذين لم يقطعوا لأجل الابقاء على الاشجار النافعة المفيدة، ولهذا قال ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: 5]. فصوَّب الطائفتين وإن كانتا مختلفتين؛ لكن لما كان لكلٍّ من الطائفتين وجهُ حقٍ ودلالة فإنَّ الله صوَّب الطائفتين، فهذا دليلٌ على أنَّ اختلاف التنوع لا يضلل فيه.

188) الاجتهاد في المواطن التي يسوء فيها الاجتهاد لا يُلام فيها أحد الطرفين

المذيـــــــع: قال وكما في قوله: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِين (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: 78].

فخصَّ سليمان بالفهم، واثنى عليهما بالعلم والحكم).

الشيخ صالح: وكذلك قصة داوود وسليمان، عليهما السلام، في قصة الغنم، التي رعت التي أكلت زرع القوم، ﴿نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾؛ يعني: رعته في الليل، والنفس هو الرعي في الليل، فلما تخاصموا إلى داوود عليه السلام، حكم بأن الغنم تكون لأصحاب الحرث عِوضاً عن حرثهم، فلما جاءوا إلى سليمان عليه السلام، حكم بأن تُدفع الغنم لأهل الحرث يشربون من ألبانها ويستفيدون منها، وحكم على أهل الغنم أن يسقوا الزرع حتى يتكامل كما كان، ثم تُردّ الغنم إلى أصحابها والزرع إلى أصحابه، فالله -جَلَّ وَعَلَا- صوَّب سليمان، ولهذا قال: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾، وأثنى على كلٍّ من داوود وسليمان.



فدل على أن الاجتهاد في المواطن التي يسوء فيها الاجتهاد ألا يُلام أحد الطرفين وكلٌ يأتي بما أدى إليه فهمه واجتهاده.

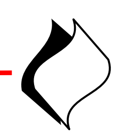
189) دليل ثالث على اختلاف التنوع

المذيــــع: (وكما في إقرار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم، يوم بني قريظة، لمن صَلَّى العصر في وقتها ولمن آخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة).

الشيخ صالح: وهذا مثال ثالث ساقه الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- في اختلاف التنوع وأن كلاً من الطائفتين على حق وأن له الثناء من الله -سبحانه وتعالى-، وذلك أنَّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم-، لما جاءت الأحزاب من الكفار بقيادة أبي سفيان وتحزَّبوا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم، يريدون القضاء عليه، وعلى دعوته، ونزلوا على مشارف المدينة، ومعهم القوات والجنود، وكان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم-، قد حفر خندقاً حول المدينة، فلم يستطيعوا الدخول إليها بخيلهم، وانتهت القصة بأن الله ردَّ الكافرين بغيظهم لم ينالوا خيرًا؛ فأرسل عليهم الريح التي اقتلعت خيامهم وحصدتهم، وأنزل الملائكة فأفزعتهم في قلوبهم، فما استطاعوا البقاء ورحلوا؛ رحلوا خائبين، وسلَّم الله المسلمين من شرهم.

ولكن بعد الابتلاء والامتحان الشديد والكرب العظيم الذي نزل بالمسلمين، لكن فرَّج الله عنهم، عند ذلك أمر الله رسوله ألا يضعوا اسلحتهم حتى يغزوا بني قريظة؛ لأنهم خانوا الله ورسوله ونقضوا العهد وانضموا إلى الكفار، في حين أنهم عاهدوا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم- على أن يدافعوا عن المدينة، من أرادها بسوء، فلما جاء من يريد المدينة بسوء خانوا العهد وانضموا إلى العدو.

فالله جَلَّ وَعَلَا أمر رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم- وأصحابه في أن يغزوا بني قريظة بعد غزوة الأحزاب مباشرة، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم -وهذا هو محل الشاهد- قال لأصحابه: «لا يُصَلِّيَنَّ أحدٌ منكم العصر إلا في بني قريظة»؛ حي من أحياء المدينة، فحانت صلاة العصر وهم في الطريق، فبعضهم نظر إلى أن القصد هو الحث على المُبادرة، وليس المعنى ظاهر اللفظ، ألا يصلين أحد إلا في بني قريش هذا ظاهر اللفظ، ولكن معناه المبادرة الحث على المبادرة، وليس القصد إيقاع الصلاة في مكانٍ معين، هذا رآه بعضهم ولم يُصلِّ إلا في بني قريظة، عملاً بظاهر النص.



بينما البعض الآخر قال: إن غرض الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم هو الحث على المبادرة وليس معناه أنَّه لا توقع الصلاة إلا في بني قريظة وتؤخَّر عن وقتها، لأن الله قال: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: 103] فإذا حان وقتها تؤدَى، فصلُّوا في الطريق، فلما بلغ ذلك رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم- صوَّب كلاً من الطائفتين، لأنها أخذت بوجهٍ من وجوه الدليل، هؤلاء أخذوا بالظاهر، وأولئك أخذوا بالمعنى، بمعنى الدليل، فصوَّب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم-، فدل على أنَّ الاختلاف في التنوع لا يضر وأنَّه لا لوم على أحدٍ من الطرفين، ما لم يتبيَّن أنَّ الطرف الآخر مخطئ فيرد إلى الصواب ويكون مأجوراً على اجتهاده.

190) إذا اجتهد الحاكمان واختلفا اختلاف تنوع، فلا لوم على أحدهما

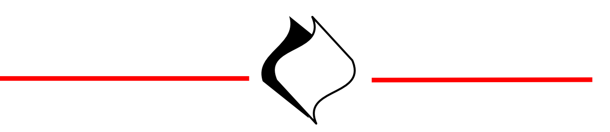
المذيـــــــع: نعم، أحسن الله اليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (وكما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»، ونظائره كثيرة).

الشيخ صالح: وكذلك في هذا الحديث، هذا مثالٌ آخر إلى أن اجتهاد التنوع، الاختلاف في التنوع أنه لا يضر، قوله صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم: «إذا اجتهد الحاكم» يعني القاضي «فأصاب» فأصاب في اجتهاده، أصاب الحكم الشرعي «فله أجران»؛ أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة، «وإذا اجتهد فأخطأ فله أجرٌ واحد» أجر الاجتهاد، ويعفو الله عن الخطأ؛ لأنه لم يقصد الخط وانما قصده الحق، فهذا أيضاً يدل على أن إذا اجتهد الحاكمان واختلفا اختلاف تنوع أنَّه لا لوم على واحدٍ منهما.

191) الاختلاف ثلاثة أنواع

المذيـــــــع: قال: (وإذا جعلت هذا قسماً آخر)؛ أي: ما يُحمد به الطائفتان (صار الاختلاف ثلاثة أقسام).

الشيخ صالح: إي نعم، اختلافٌ يُذم أصحابه وهو اختلاف التضاد، واختلافٌ يُحمد أصحابه وهو اختلاف التنوع، واختلافٌ يُصوَّب فيه أحد الطرفين دون الآخر لكن يعذر الآخر وهو الاختلاف المذكور في هذا الحديث إذا اجتهد الحاكم.



192) الاختلاف الثاني في آية [البقرة 253]، حمد فيه المؤمنين وذم الفئة الأخرى

المذيـــــــــع: (وأما القسم الثاني من الاختلاف المذكور في كتاب الله؛ فهو ما حمد فيه إحدى الطائفتين وهم المؤمنون وذم فيه الأخرى، كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ﴾ [البقرة: 253]، فقوله: ﴿وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾؛ حمدٌ لإحدى الطائفتين وهم المؤمنون وذم الأخرى).

الشيخ صالح: نعم، النوع الثاني من الاختلاف وهو اختلاف التضاد وهو الذي يذم فيه أحد الطرفين ويُحمد الآخر، يُحمد الذي على الحق ويُذم الذي على الباطل، منه قوله تعالى في هذه الآية: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ هذا فيه دليل على أنَّ الرسل يتفاضلون، وأن بعضهم أفضل من بعض بلا شك، وأفضلهم الخليلان إبراهيم ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، وأفضل الخليلين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم فهو أفضل الرسل، الرسل بعضهم أفضل من بعض، منهم من كلم الله؛ وهو موسى عليه الصلاة والسلام، ميزه الله بأن الله كلمه مباشرة بدون واسطة.

وأما بقية الرسل فإنه يوحي إليهم بواسطة الملك، فهذه خصّيصة لموسى -عليه السلام-، أنَّ الله كلَّمه بدون واسطة وسمع موسى كلامه، سمع موسى عليه السلام، كلام ربه -عَزَّ وَجَّل-؛ هذه مرتبة لم ينلها إلا موسى عليه السلام، فهذا دليل على أنَّ الرسل يتفاضلون فيما بينهم، ولكن ليس معنى هذا أننا نتنقَّص المفضول، وإنما نذكر التفضيل من باب التحدُّث بنعمة الله -عَزَّ وَجَّل-، دون أن نتنقَّص المفضول، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «لا تُفاضِلوا بَينَ الأنبيَاء»؛ بمعنى: لا تفاضلوا بينهم مفاضلةً تحمل على تنقُّص المفضول، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «لا تُفضِّلوني عَلَى يُونِس بن مَتَّى»، فلا شك أنَّ محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، هو أفضل الرسل، ومع هذا قال: «لا تُفضِّلوني عَلَى يُونِس»، لأن إذا كان هذا من باب تنقيص المفضول فهو لا يجوز، أما إن كان من باب التحدُّث بنعمة الله وبيان الواقع، وأنَّ الرسل يتفاضلون وأنَّ المؤمنين

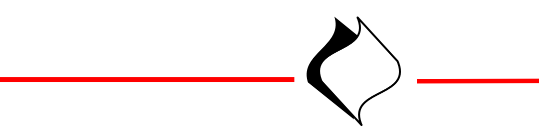
يتفاضلون، وأن الصحابة يتفاضلون فيما بينهم؛ فهذا شيءٌ واقع، لكن لا يحمل هذا على تنقُّص المفضول، والمفاخرة بالفاضل، فإن هذا شيءٌ، لا يجوز.

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ هذا مما فضل الله به عيسى بن مريم عليه السلام، إنَّه روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وأنَّ الله أيده بجبريل بروح القدس، وأنَّه يُحيي الموتى بإذن الله، وأنَّه يُبرئ الأكمة والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، هذه من خصائص عيسى عليه الصلاة والسلام، ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، ثم قال سبحانه وتعالى -وهذا محل الشاهد-: ﴿وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، لو شاء الله جَلَّ وَعَلَا ما حصل بين الذين جاءوا من بعد الرسل قتال فيما بينهم، فوقوع القتال هذا بإذن الله، وإرادته الكونية ومشيئته الكونية؛ لأنَّ المشيئة لا تكون إلا كونية، بخلاف الإرادة؛ فإنها تكون كونيةً وتكون شرعية، فالمشيئة لا تكون إلا كونية.

﴿وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ﴾ [البقرة: 253]، فدل على أن اقتتالهم انما هو بقضاء وقدر من الله، وأن الله قدَّر ذلك عليهم عقوبةً لهم، ليه؟ لأنهم اختلفوا، اختلفوا، فلما اختلفوا سلَّط الله بعضهم على بعض، فهذا فيه ذم الاختلاف، الذي هو من نوع الثاني الذي هو اختلاف التضاد، أن هذا ذمٌ؛ لأن الله لما اختلفوا اختلافاً غير مأذونٍ به شرعاً، لأنهم جاءتهم البينات فما كان لهم أن يختلفوا لو أنهم اخذوا بالبينات، ما كان لهم ان يختلفوا؛ لكنهم تركوا الشرع واخذوا بآرائهم وعقولهم فاختلفوا ثم أدى هذا إلى القتال فيما بينهم، وأن يقتل بعضهم بعضا، فهذا دليل على أن اختلاف التضاد يؤدي إلى القتال وسفك الدماء.

ولهذا نهى النبي -صَلَّى اللهُ عَليِهِ وَسَلَّم- عن التفرق والاختلاف وأمر بالجماعة والسمع والطاعة؛ لأجل حقن الدماء واجتماع الكلمة، ﴿وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾؛ هذه مصيبة عظيمة دل على أن اختلاف التضاد يؤدي إلى الكفر، يؤدي إلى الكفر، وأن من ثبت على الحق فهو مؤمن، ومن ترك الحق وذهب معه فهو كافر.

﴿وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا



اقْتَتَلُواْ﴾؛ كرر الله سبحانه وتعالى ليؤكد أن ما يقع في هذا الكون من خيرٍ أو شر أنَّه بإرادة الله ومشيئته، وأنَّه بقضائه وقدره، وأنَّه لا يُقدِّر إلَّا ما فيه الحكمة، وأنه هو الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها.

فلو إنهم اتبعوا البينات واتبعوا ما شرع الله؛ ما حصل بينهم اختلاف، اللهم إلا خلاف التنوع وهذا لا يضر، أما اختلاف التضاد فلا يقع مع التمسك بالكتاب والسنة أبداً.

المذيـــــع: أحسن الله اليكم، يا شيخ قبل أن نغادر الآية، في حديث الإسراء هل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم محمد سمعها من كلام الله؟

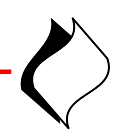
الشيخ صالح: نعم لكن هذه واقعة واحدة، وأما موسى عليه السلام فقد سمع كلام الله في كل فترة رسالته.

193) قصة مبارزة رؤساء قريش للصحابة

المذيـــــع: نعم، أحسن الله اليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (وكذلك قوله: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: 19] إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ﴾ [الحج: 23]، مع ما ثبت في الصحيحين عن أبي ذرٍ، رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، أنها نزلت في المقتتلين يوم بدر: عليٍ وحمزة وعبيدة رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهم، والذين بارزوهم من قريش وهم: عتبة وشيبة والوليد.

الشيخ صالح: نعم، هذا أيضاً دليلٌ على أن اختلاف التضاد أنه مذموم، قال سبحانه وتعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: 19]، يعني اختلفوا بالكفر والإيمان، لما بعث الله محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم من الناس من آمن به واتبع الحق، ومنهم من كفر به واتبع الباطل، وهم كفار قريش.

ولما جاءت غزوة بدر جاء نفرٌ من رؤساء قريش يطلبون المبارزة؛ والمبارزة أن يبرز المقاتلان الشجاعان بسيفيهما، يتبارزان ويتضاربان بالسيوف أيهما يغلب الآخر لتظهر قوة الغالب وقوة جماعته، فجاءوا من عُجبهم وكبريائهم يطلبون المبارزة من الصحابة، فقام الأنصار، ليبارزوهم، قالوا: "إنا لا نقبل إلا من إخواننا"، يعني من قريش، فبرز لهم عليٌ وحمزة وعبيدة -رَضِيَ



اَللَّهُ عَنْهم- من قـريش؛ فبـارزوهم فقتـل عليٌ وحمـزة خصـميهما وتبادل عبيدة مع خصمه ضربةً ورجع سيفه عليـه -رَضِـيَ اَللَّهُ عَنْـه-، فاستشـهد -رَضِـيَ اَللَّهُ عَنْـه-، ثم إن حمـزة وعليًّا لمـا فرغـا من خصـميهما جـاءا وقتلا خصـم عبُيـدة؛ فقضـوا على الكفـار، فبـذلك ظهرت قوة المسـلمين على الكفـار، وأذلهم اللـه -عَـزَّ وَجَّل-؛ هـذا أول نكبة حصلت على الكفار.

ثم ذكر الله ذلك في هذه الآيـة: ﴿هَـذَانِ خَصْـمَانِ﴾ هم المتبـارزون، خصـمان من المؤمـنين ومن الكفـار ﴿اخْتَصَـمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَـرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَـابٌ مِّن نَّارٍ يُصَـبُّ مِن فَـوْقِ رُؤُوسِـهِمُ الْحَمِيم يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُود (19) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيـد (20) كُلَّمَـا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُـوا مِنْهَـا مِنْ غَمٍّ أُعِيـدُوا فِيهَـا وَذُوقُـوا عَـذَابَ الْحَرِيق (21)﴾ [الحج: 19-21]،

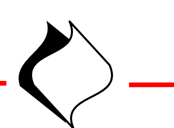
هذا فيه صنف الكفار، وأنَّ هذا مآلهم -والعياذ بالله- بعد موتهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا الطرف الثاني، المؤمنون، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِن تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِير﴾ [الحديد: 23]،

فهذا من اختلاف التضاد وهو اختلاف الكفر والإيمان.

المذيـــــــع: أحسن الله اليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الثامن والعشرون

المذيــــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله إلى حلقةٍ جديدة في برنامجكم "**اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**" لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ- يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان بن الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء في مطلع لقاء بشيخنا نحييه، فحياكم الله الشيخ صالح وبياكم.

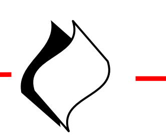
الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

194) وقوع الاختلاف بين الأمة

المذيــــــــع: بعد ما ذكر المؤلف-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- اختلاف التضاد، قال: [وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة من القسم الأول، وكذلك آل إلى وسفك الدماء، واستباحة الأموال والعداوة والبغضاء؛ لأن أحد الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق ولا توصفها.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

لما قرر الشيخ-رَحِمَهُ اللهُ- فيما سبق أنواع الاختلاف المذموم والاختلاف المحمود، وذكر أمثلة للخلاف المذموم من الآيات والأحاديث، ذكر ما وقع في هذه الأمة، أن هذه الأمة ستتشبه كثيرٌ منها بمن قبلها، فالذين قبل هذه الأمة وقع فيهم اختلاف التضاد والتفرق، والاقتتال فيما بينهم، فلابد أن يقع في هذه الأمة، وقد وقع ما أخبر به -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في قولهِ: > وستفترق هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا:من هي يا رسول الله! قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم



وأصحابي>، فوقع ما أخبر به -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- من التفرق الذي هو نتيجة الاختلاف المذموم وهو اختلاف التضاد، ما وقع هذا إلا بسبب الاختلاف، اختلاف التضاد فلو أن هؤلاء بقوا على الكتاب والسنة ما حصل اختلاف؛ لأن الله -جَلَّ وَعَلَا- يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران:103]، وحبل الله هو القرآن، فهو يعصم من الاختلاف؛ وكذلك في قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: <من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي>.

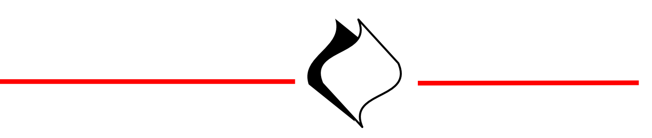
195) التمسك بالكتاب والسنة يقي من اختلاف التضاد

فهذا دليلٌ أيضًا على أن الاعتصام بسنة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وسنة خلفائه يقيان من اختلاف التضاد، أما اختلاف التنوع فهذا يقع وهو غير مذموم كما سبق، لكن اختلاف التضاد فما حصل في هذه الأمة من الافتراق والتباغض والاقتتال، وسفك الدماء، إنما هو نتيجة اختلاف التضاد، الذي هو خلاف الكتاب والسنة، فأما من بقي على الكتاب والسنة؛ فإنه لا يحصل فيه هذا المحذور، وهو التباغض والاقتتال، وإنما هذا في باختلاف التضاد، الذي هو الأخذ بالأهواء هو الأخذ بالآراء الخاطئة، والتعصب للفرق، والتعصب للمذاهب، التعصب للرؤساء، هذا هو الذي يوقع في الاختلاف في التضاد، ويقوع بالتالي بسفك الدماء.

196) اختلاف التنوع كل طائفة تعترف بالأخرى

المذيــــــع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [لأن أحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق ولا تنصفها].

الشيخ صالح: بخلاف اختلاف التنوع، فإن إحدى الطائفتين تعترف للأخرى، ولهذا ولله الحمد مثلًا أهل السنة عندهم المذاهب الأربعة، ومع هذا لم يحصل بينهم اقتتال ولم يحصل بينهم سفك دماء؛ لأن كل واحدة تقر للأخرى بما هي عندها من الصواب، وتعذرها بما يقع من الخطأ؛ لأنه عن اجتهاد؛ لأن اختلاف المذاهب السنية؛ إنما اختلف تنوع وليس اختلاف تضاد، أما اختلاف الفرق



المخالفة للسنة؛ فإنه اختلاف تضاد، ولهذا يقع بينها ما يقع من التكفير والتبديع والتفسيق فيما بينها، وأخذ السلاح أحيانًا، فيما بين الفرق المختلفة، فهذا نتيجة اختلاف التضاد وهو مذموم؛ لأنه لم يكن عن اجتهادٍ مطلوب، وإنما هو عن اتباع هوى وتعصب، وغير ذلك من المحاذير.

197) اختلاف التضاد ينتج عنه إنكار كل طائفة للأخرى

المذيـــــــع: أثابكم الله، قال: [لا تعترفوا للأخرى بما معها من الحق بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زياداتٍ من الباطل والأخرى كذلك].

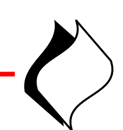
الشيخ صالح: هذا نتيجة اختلاف التضاد، أن كل واحدة لا تعترف بما مع الأخرى من الحق، بل تضلّلها وتكفّرها، وتبدّعها وتفسّقها، وأخيرًا تحمل السلاح عليها، هذا نتيجة اختلاف التضاد ، وأنه يؤول إلى هذا المصير المؤلم، وهو شاهد هذا واقع في الأمة، فالواجب على المسلمين أن يرجعوا إلى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله، ولزوم جماعة المسلمين حتى يسلموا من هذا البلاء الذي لا ينتهي أمده.

198) وقع البلاء بنا بسبب ترك حرية التفكير وعدم ضبطها بالشرع

المذيـــــــع: الحل يكون ببيان الحق وجوب السنة، أو بصرف ذلك كله، وإشغال الناس بالشهوات، أو إقبال حملهم على الكتاب والسنة لمعرفة الواجب].

الشيخ صالح: أحسنت هذا تنبيه طيب، وهو بعض الناس اليوم يقول نتيجة ما يحصل من هذه الصراعات، وهذه الأهواء وهذا الاقتتال، إنما هو نتيجة التحجير على الناس في أفكارهم، وفي تصوراتهم، فأعطوا الناس الحرية والسعة كلٌ يذهب إلى ما يريد، وكلٌ يفكر فيما يريد، حتى إن الناس يأتلفون ولا يحصل بينهم شقاق ولا نزاع.

المذيـــــــع: [بزعم أن ما حصل إلا لدراستهم الدينية].

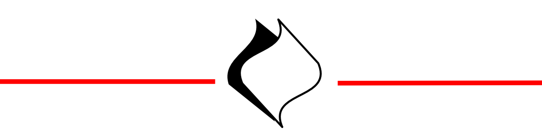


الشيخ صالح: إي نعم، فهم يحملون أهل الحق وأهل الخير أنهم هم السبب؛ لأنهم يحجرون على الناس في أفكارهم، ويقولون: هؤلاء كأنهم أوصية على الناس وهكذا، فهؤلاء المخذولون يفكرون هذا التفكير، ولكن بالعكس إنما أوقع الناس في البلاء هو إطلاق الحرية لهم، في تصوراتهم وأفكارهم وعقائدهم، فهم حينئذٍ كلٌ ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:53]، كما قال الله تعالى، والأهواء لا تنتهي، والرغبات لا حد لها، والتعصّب لا ينتهي أبدًا، فليست ضمانة الاجتماع والتألف ليس ضمانته إعطاء الناس الحرية؛ بل بالعكس إعطاء الناس الحرية هو الذي يوقعهم؛ لأن الناس محكومون بالكتاب والسنة.

199) العاصم من الاختلاف التمسك بالكتاب والسنة

لو أن الأفكار والعقول تكفي حاجتنا إلى إرسال الرسل وإنزال الكتب، ولكن الله برحمته -سُبْحَانَهُ- ما وكلنا إلى أفكارنا وعقولنا وآرائنا، فليس الذي ينهي النزاعات والصراعات هو إعطاء الحرية لكل من هب ودب، في أن يقول ويفعل ما يريد، وإنما الضمان هو اتباع الكتاب والسنة؛ لأنهما العاصمان من الاختلاف، والتفرق، والنزاع، فعلى العكس مما يطالب به هؤلاء، فنحن ليس أوصياء على الناس، إلا بوصاية الله -جَلَّ وَعَلَا- هو الذي أوصانا، وقال -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:153]، فهل يقولون: إن الله أيضًا وصي على الناس؟ وأن الناس ليس عليهم وصاية، إذا قالوا هذا انتهى كفرهم ولم يبقى بعد هذا كفر، فالله -جَلَّ وَعَلَا- أوصانا والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم0 أوصانا، والعلماء يوصونا، فهو أوصى على الناس؛ لأنهم ورثة الأنبياء، فهذا هو الحق وهذا هو الواجب.

المذيـــــــــع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [وكذلك جعل الله مصدره البغي في قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة:213]؛ لأن البغي مجاوزة الحد، وذكر هذا في غير موضع ليكون عبرةً، لهذه الأمة



الشيخ صالح: قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة:213]، فالله أنزل الكتاب لأجل هداية الناس للحق فيما اختلفوا فيه].

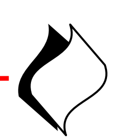
200) المختلفون أكثرهم على باطل

لأن المختلفين ليسوا كلهم على حق، وإنما يكون على الحق بعضهم والكثير على الباطل، من هو الذي على الحق؟

هو الذي وافق الكتاب، الذي أنزل الله ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة:213]، فإذا أردنا أن ننهي النزاعات والخصامات؛ فإننا نرجع إلى الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾[الشورى:10]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:59]، فهدى الله الذين آمنوا، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، يعني ليس لهم عذر؛ لأنهم ما تركوا الحق عن خفاءٍ في الدليل، بل الدليل واضح وإنما تركوه لاتباع أهوائهم، وإعراضهم عن الدليل ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾.

201) لماذا أهل الإيمان يحدث بينهم اختلاف تنوع؟

ما هو السبب؟ بغيًا بين بغى بعضهم على بعض، والبغي هو التعدي، فما كان لهم أن يبغي بعضهم على بعض لو أنهم رجعوا إلى ما أنزل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ ولهذا قال: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:213]، فالله -جَلَّ وَعَلَا- وفّق أهل الإيمان بأن بقوا على الكتاب؛ فلذلك لم يحصل بينهم اختلاف تضاد، نعم، يحصل بينهم اختلاف تنوع واجتهاد، وهذا لا يفرق بينهم، كما هو معلوم ومشاهد، فإن المسلمين ما زال بينهم الاختلاف في المسائل والفقهية، والاجتهادية، ما زال الاختلاف موجود؛ ومع هذا لم يوقع بينهم شقاقًا وقتالًا ونزاعًا، وإنما الذي يوقع في ذلك هو اختلاف التضاد، وهو أن يأخذ طرفٌ بغير الحق، ويريد أن الناس



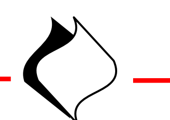
يوافقونه على مذهبه، يترك الكتاب والسنة ويذهب معه إلى الباطل؛ فلذلك يحصل الاختلاف والاقتتال.

202) أهل النزاعات يريدون اتباع الشهوات لا الوصول للحق

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [هذا في غير موضعٍ من القرآن ليكون عبرة لهذه الأمة.

الشيخ صالح: ذكر الله هذا أن الناس إنما اختلفوا عن أهواء، ولم يختلفوا عن خفاءٍ في الحق؛ لأن الله بيّنه بإرسال رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وإنزال كتابه. فالحق موجود في كتاب الله وفي سنة رسول الله، ولو أن المختلفين رجعوا إلى الكتاب والسنة لانتهى النزاع وانتهى الخلاف، الصحابة-رضي الله عنهم- كان يحصل بينهم خلاف، فيرجعون إلى كتاب الله فينتهي النزاع، اختلفوا في ولاية الأمر بعد وفاة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-؛ وسرعان ما رجعوا إلى الحق لما أخذوا بالأدلة وبايعوا أبا بكر الصديق؛ لأنه أفضلهم؛ ولأنه خليفة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في الصلاة، في مرضه، رجعوا إلى الحق وانتهى النزاع، فالصحابة يختلفون ولكن يرجعون إلى الكتاب والسنة، فينتهي النزاع.

وكذلك المسلمون في مختلف عصورهم يحصل بينهم اختلاف، لكن يرجعون إلى الكتاب والسنة فينتهي الأمر، أما أهل الأهواء وأهل النزاعات والنزاغات؛ فهؤلاء لا يرجعون إلى الحق؛ لأنهم لا يريدونه، وإنما يريدون تحقيق رغباتهم، وإتباع شهواتهم وأهوائهم، والأهواء والرغبات لا تنتهي أبدًا، ولا تنضبط بضابط، وكلٌ له رغبة تخالف رغبة، وكلٌ له هوى يخالف هوى الآخر، ولهذا جاء في الحديث، -وإن كان فيه مقال وصححه بعضهم-، قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: >لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به<، وهذا يصدّقه قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:50]



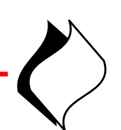
203) كثرة السؤال تهلك صاحبها

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قال-رَحِمَهُ اللهُ-: [وقريبٌ من هذا الباب ما خرجاه الصحيحين أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: <ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم>].

الشيخ صالح: هذا الحديث جاء في الحج أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خطب الناس وقال: <أيها الناس أن الله كتب عليكم الحج فحجوا> فقال رجلٌ جاء في الرواية أنه الأقرع بن حابس -رضي الله عنه- قال: يا رسول الله! أكُلَّ عام، فسكت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: <أن أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا>. فأعاد الرجل السؤال، فتركه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم أعاد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فعاد الرجل يسأل، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- <ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم، الحج مرة واحدة، فمن زاد فهو تطوع، ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم >، فهذا فيه دليلٌ على أن الواجب أن نتبع الكتاب والسنة، ولا نفترض المسائل والافتراضات التي ما بينها الله لنا، ولهذا قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- <إن الحلال بين وإن الحلام بين وبينهما أمورٌ مشتبهات لا يعلمهن كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى>، فالواجب أن نأخذ الحلال البين نترك الحرام البين، وأن نتوقف عن المشتبه حتى يتبين أمره.

204) الأخذ بالشيء الواضح وترك المشتبه

ولا نتساهل في المشتبهات، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: <دع ما يريبك إلى ما لا يريبك>؛ فإذا أشكل عليك أمر فخذ بالشيء الواضح، واترك الشيء المشتبه، حتى يتبين لك، وأيضًا الجاهل ليس له أن يدخل، ولهذا قال: <لا يعلمهن كثيرٌ من الناس>، فالجاهل



ينبغي ألا يدخل في الأمور المشتبهة، ويقول: هذا حلال ولا حرام، ما يدخل فيه؛ لأنه ليس مؤهلًا لذلك، وإنما هذا شأن العلماء؛ فيرجع إلى العلماء.

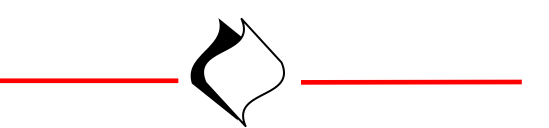
قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: > وما نهيتكم عنه فاجتنبوه، ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم<، شوف كيف فرق النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بين الأمر والنهي، فقد يكون في صعوبة يعني امتثاله كله، قد يشق على الإنسان ويمرض ويسافر، ويأتي عليه أعذار فلا يستطيع القيام بكل الأوامر، فيأتي منها ما قصر ما يستطيع، أما النهي فإنه ترك، والترك سهل ما هو بمثل الأمر، الأمر يحتاج فعل، يحتاج حركة، يحتاج كلفة، خلاف النهي فإنه ترك الشيء فقط، ولهذا قال: >ما نهيتكم عنه فاجتنبوه<؛ لأنه أيضًا لا ينهي إلا عن ما فيه مضرة، مضرة راجحة، أو مضرة مساوية، فما كان ضرره مساويًا أو أكثر من نفعه؛ فإنه يجتنب، وما كان نفعهِ راجحًا، فإنه يفعل.

205) النهي عن سؤال التكَلُّف

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [فأمرهم بالإمساك عما لم يؤمروا به، معللًا بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة سؤالهم، كثرة السؤال ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية].

الشيخ صالح: هذا فيه النهي عن سؤال التنطُّع وسؤال التكلف، والسؤال عن شيء لا يحتاجه الإنسان أي نعم، يحتاج عما يسأل عما يحتاج إليه، أما الشيء الذي لا يحتاج إليه، فإنه يكف عنه؛ لأنه ربما لو بين له لتركه، ولهذا قال: >فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم<، فهم سألوا ولما سألوا وأجيبوا، لم يفعلوا ما أمروا به، فدل على أن الإنسان لا يتكلف في السؤال، ولا في الأشياء، وإنما ما بُيِّن له أخذ به، وما لم يُبيّن له تركه.

ولهذا جاء في الحديث: >أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودًا فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمةً بكم غير نسيان وهو فلا تسألوا عنها<.



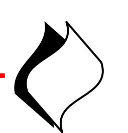
206) بنو إسرائيل من سمتهم التكلف وكثرة السؤال، وشدد الله عليهم لذلك

المذيـــــــع: قال: [كما أخبرنا الله عن بني إسرائيل من مخالفتهم أمر موسى في الجهاد وغيره، وفي كثرة سؤالهم عن صفات البقرة].

الشيخ صالح: بنو إسرائيل من شأنهم التكلف، كثرة مسائلهم واختلافهم على ما أمرهم الله في قصة القتيل في بني إسرائيل، قُتِل قتيل فجهل أقاتله، جهل قاتله من هو؟

ويقال إنه كان الرجل ثريًا، فأراد ابن عمه أن يستعجل موته فقتله من أجل يأخذ ماله وأن يرثه، لكنه قتله خفية ما يعلم من هو قاتله، فاختصم فيه بنو إسرائيل عند موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فأوحى الله إلى موسى أن يأمرهم أن يذبحوا بقرة، وأن يضربوه بجزءٍ منها، يضربوا القتيل بجزءٍ منها، وسيُنطقه الله ويُبيّن من هو الذي قتله، فلو أنهم بادروا بذبح بقرة -أي بقرة-؛ لحصل المقصود، لكنهم تعتنوا وأكثروا الأسئلة فشدَّدَ الله عليهم، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة:67]، فأول موقف لهم أنهم سخروا من نبيهم -عليه الصلاة والسلام-، وظنوا أنه يسخر منهم، فهل الأنبياء يسخرون من الناس؟!

هذا دليل نعم هذا دليل على سوء أدبهم مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، [أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا]، يعني كأنهم ما وثقوا به، كان الواجب أن يمتثلوا ويبادروا؛ لأنه رسول الله هذا هو الواجب، هذا أول موقف لهم، [قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ]؛ لأن السخرية بالناس والسخرية بالمؤمنين إنما هي فعل الجُهّال، وهذا لا يليق بالرسل -عَلَيْهِمِ السَّلَامُ-، لا يليق فضلًا عن المؤمن، فضلًا عن الكليم -عليه الصلاة والسلام-، [أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ]، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة:68]، شوف هذه أول مشقة.



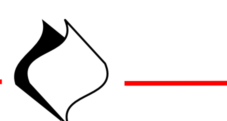
متى يجدون هذه؟ لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك، بين الفارض والبكر، والبكر يعني الصغيرة المسنة، ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [البقرة: 68]، نصحهم بأن يبادروا يتركوا الأسئلة، لكنهم لم يمتثلوا، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة:69]، شوف ضيق عن الأول، بسبب السؤال، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:70]، يقول العلماء لولا أنهم قالوا: إنا إن شاء الله، لما اهتدوا أبدًا، إنا إن شاء الله لمهتدون.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة:71]، متى يجدون هذه؟ ليس فيها لون آخر غير السواد، ليس لاشية فيها، يعني ليس فيها عيب الله أعلم، أو أنه ليس فيها لون غير لونها، غير لون معين، ﴿لا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة:71]، يعني الأول ما جاء بالحق، شوف يعني تهكمهم بالأنبياء، وهذه طبيعة بني إسرائيل إلى الآن، نسأل الله العافية، مع البشر كلهم، فكيف مع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، ﴿قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة:71]، تشدد الأمر عليهم بسبب أسئلتهم، فلو أنهم بادروا من أول الأمر وأخذوا أي بقرة؛ لأنه قال: [أن تذبحوا بقرةً] ولم يحدد لا سنًا ولا لونًا ولا صفة، أي بقرة لو أنهم ذبحوها من الأول وسهلوا على أنفسهم لسهل الله عليهم، لكنهم شددوا فشدد الله عليهم، ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة:71].

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ [البقرة:73]، لمّا ذبحوها ضربوه بجزء منها، فقال: قتلني فلان، وهذا من المعجزات، من معجزات الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم شيخنا، وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



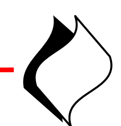
الدرس التاسع والعشرون

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمـد للـه رب العـالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصـحبه اجمعين، أيهـا المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله إلى حلقةٍ جديدة في برنامجكم "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية -رَحِمَـهُ اللـهُ- يشـرح الكتـاب في هـذه الحلقـات صـاحب الفضـيلة الشـيخ الدكتور صالح بن فوزان بن الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الداعمة للإفتاء في مطلع لقاء بشـيخنا نحييـه، فحيـاكم اللـه الشيخ صالح وبياكم.

الشيخ صالح: حيَّاكم الله وبارك فيكم.

207) النهي عن كثرة السؤال

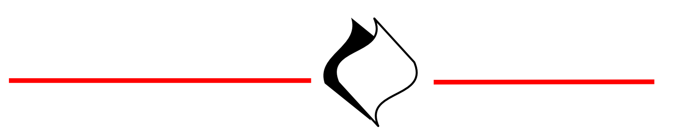
المذيـــــــع: كنا مع المؤلف -رَحِمَهُ اللـهُ- في الحلقـة الثالثـة في حديث: >إنما أهلـك من كـان قبلكم كـثرة سـؤالهم واختلافهم على أنبيائهم<، وقفنا عند قولـه -رَحِمَـهُ اللـهُ-: [لكن هـذا الاختلاف على



الأنبياء هو -والله أعلم- مخالفة الأنبياء، كما يقول أختلف الناس على الأمير إذا خالفوه، وقد يكون مخالفة بعضهم بعضًا، وإن كان الأمران متلازمين، أو أن الاختلاف عليه هو الاختلاف فيما بينهم، فإن الله يحتمله].

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، هذا تتميمٌ لما ذكره الشيخ-رَحِمَهُ اللهُ- فيما سبق من نهي الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، عن كثرة السؤال، وأنه يسبب المخالفة، فإن المسلم في سعة، فيعمل ما أمر به، ويترك ما نهى عنه، ولا يسأل عما لم يرد فيه أمرٌ ولا نهي، فإن السؤال عما لم يرد في الكتاب والسنة فيه شيء، إنما يوقع الحرج على الناس، وفي الحديث "أن الله سكت عن أشياء رحمةً بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها"، وفي القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة:101، 102]، فهو مثل قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-في الحديث "إنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم".

يعني أنهم إذا بُيّن لهم الحكم لا يمتثلونه، ويتثاقلون عنه فيهلِكون بسبب مخالفتهم، فهم سألوا ولما أجيبوا لم يُنفّذوا، وهم الذين سبّبوا على أنفسهم هذا الحرج، لو أنهم سكتوا من الأول واقتصروا على ما أُمروا به ففعلوه، وما نُهُوا عنه فاجتنبوه؛ كان ذلك خيرًا لهم، فدل هذا على ذم كثرة الأسئلة التي لا حاجة إليها وأنها قد تفضي إلى الحرج، وتفضي إلى عدم التنفيذ والتثاقل عن تنفيذها، وهذا الدين -ولله الحمد- دين اليسر والسماحة، والله -جل وعلا- رحيم بعباده، يشرع لهم ما يُناسبهم، يأمرهم بما يستطيعون، وينهاهم عما يضرهم، فهو لم يترك شيئًا -سبحانه وتَعَالَى- فيه نفع إلا أمرهم به، ما ترك شيئًا فيه مضرة نهاهم عنه، فما الداعي للسؤال عما لم يرد الأمر به ولا النهي عنه؟

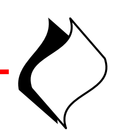


وكما قال الشيخ أن اختلافهم على أنبيائهم يحتمل اختلافهم على أنبيائهم أي مخالفة أنبيائهم، فلما خالفوا أنبيائهم هلكوا، ويحتمل اختلاف اختلافهم فيما بينهم من اختلاف التضاد كما سبق اختلافهم فيما بينهم وكلا الأمرين والدة مهلك، لا مخالفة الأنبياء، ولا الاختلاف بين أصبح بين اتباع الأنبياء، الاختلاف الذي هو من اختلاف التضاد.

208) اختلاف أحرف القرآن ولا تعارُض بين الكتاب والسنة، و لا يُفَسِّر كلامَ الله إلا المختصين به

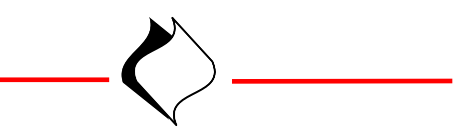
المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [ثم الاختلاف كله قد يكون في التنزيل والحروف كما في حديث ابن مسعود، وقد يكون في التأويل كما يحتمله حديث عبد الله بن عمر، فإن حديث عمرو بن شعيب يدل على ذلك أن كانت هذه القصة، وذكر حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن نفرًا كان جلوسا بباب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ فسمع ذلك رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فخرج فكأنما فُقئ في وجهه حب الرمان، فقال: <أبهذا أمرتم أو بهذا بعثتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ إنما ظلت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم مما هاهنا في شيء، انظروا الذي أُمرتم به فاعملوا به، والذي نُهيتم عنه فانتهوا عنه>].

الشيخ صالح: هذا عودٌ ما سبق في أن الاختلاف قد يكون في الحروف كما في قصة ابن مسعود مع الرجل الذي سمعه يقرأ قراءةً مخالفةً لقراءته، فذهب به إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فاستمع -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- إلى قراءتهما، وقال: <كلاكما محق>، فاختلاف الحروف يعني في القراءات مثل يعملون وتعملون، والصراط والزراط، والسيراط بالسين، هذا اختلاف بالحروف لا يضر، وكله جاء به عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، جاء به أن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قرأ به وعلّمه لغيره، وهذا من باب التيسير على الناس في القراءة.



ويحتمل أنه اختلافٌ في التأويل، يعني يتفقون على القراءة وعلى الحروف، لكن يختلفون في تأويل الآية، والاختلاف في التأويل -كما سبق- إذا كان له وجه من الآية كل واحد له وُجهة من الآية، واحتمال من الآية فهذا اختلاف تنوع لا يضر، وإن كان الاختلاف في ضرب كتاب الله بعضه ببعض؛ كما في حديث عمرو بن شعيب الذي ساقه الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ-، وهو أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سمع قومًا من أصحابه يقول بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا، ويقول الآخر: ألم يقل الله كذا وكذا؟ مما يظهر أن فيه تعارضًا بين الآيات، وكلٌ أخذ بآية، فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غضب عند ذلك، وقال: >لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض<، وذلك كما سبق أن الله -جل وعلا- أنزل القرآن: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[آل عمران:7]، فالراسخون في العلم يردُّون المتشابه إلى المحكم، ويُفسّرون القرآن ببعض؛ لأن القرآن يفسر بعضه بعضًا، ويبين بعضه بعضًا، ولا يتعارض أبدًا، لكن هذا يحتاج إلى رسوخ في العلم وفقه، فقه في العلم، وأما غير الراسخين في العلم، فإنهم يأخذون، كل منهم يأخذ بطرف من الأدلة ويترك الطرف الثاني الذي يبينه ويوضحه، وهذا هو الظلال وهو هو الزيغ.

كما قال تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران:7]، فإذا ظهر لنا بين آيتين أو بين حديثين، أو بين حديث وآية شيئًا من التعارض، فإننا لا نتسرع في الحكم بل نتريث ونرد كتاب الله [بعضه إلى بعض]، وأحاديث رسول الله [بعضها إلى بعض]، فسنجد حينئذٍ أنه لا تعارض بين الآيات والأحاديث، فإن كلام الله يفسر بعضه بعضًا، كلام الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يفسر بعضه بعضًا، وإنما يأتي الغلط من التسرع، وإن كل واحدٍ يأخذ بدليل ويترك الدليل الآخر، الذي يفسر ويوضح، فقد يكون هذا الدليل منسوخًا بدليلٍ آخر، والعمل بالدليل الآخر. قد يكون هذا الدليل عامًا، والآخر مخصص له، قد يكون هذا الدليل مطلق، والدليل الآخر مقيّد له؛ فلابد من اعتبار هذه الأمور، وهذا لا يقدر عليه إلا الراسخون في العلم، الذين يعرفون مدارك الأحكام، ويعرفون كتاب الله وسنة رسوله، والفقه فيها.

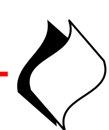


وأما أهل الزيغ وأهل الضلال؛ فإنهم يعمدون إلى قطع القرآن بعضه عن بعض، ويأخذون ما يوافق أهواءهم، ويتركون ما يخالف أهواءهم، أو الجهال الذين ليس عندهم زيغ، لكن عندهم جهل وعدم فقه، ويدعون أنهم علماء، فيأخذون طرف من النصوص، ويستدلون به ولا يدرون أن هناك طرف آخر يبين هذا ويوضحه، فهم لجهلهم قصر علمهم عن هذا، فهذا دليل على أنه لا يجوز الدخول في تفسير كلام الله أو كلام رسوله، لأهل العلم المختصين.

209) اختلاف الصحابة في القدر، وكلٌّ مُيَسَّر لما خُلِق له، ومن الناس من عطل العمل بالقضاء والقدر

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ -: [وقال حدثنا يونس حدثنا حماد بن سلمة عن حميد ومطر الوراق وداوود ابن أبي هند، أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، فذكر الحديث].

الشيخ صالح: خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، فيقولون: ما دام الله قدر علينا هذه الأشياء، وأنه لابد من وقوعها فما الفائدة من العمل؟ فهذا فيه المعارضة القدر وبين الشرع، فالرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- غضب عند ذلك، وقال: >اعملوا فكل ميسرٌ لما خلق<، وغضب -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-؛ لأن هذا فيه تظليل للناس؛ لأنهم يزعمون أن هناك تعارضًا بين أن الله أمر بالطاعة ونهى عن المعصية، أمر بالإيمان ونهى عن الكفر، فيقولون ما دامت هذه الأشياء مقدرة وأنه لا بد من وقوعها، فما الفائدة من العمل؟ نتكل على كتابنا إن كان الله كتب لنا السعادة فسنكون سعداء، وإن كان الله كتب لنا الشقاء فسنكون أشقياء، فالرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- غضب عند ذلك؛ لأن هذا جهلٌ بكتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فلا تعارض بين القدر والشرع، والله قدر نهي عن الكفر، وحرم الكفر ولكنه قدره -سبحانه وتَعَالَى- وأنه سيقع، وأمر بالطاعة مع أن الإنسان قد لا يفعل الطاعة، قد يكون مقدرًا له أنه لا يفعلها.

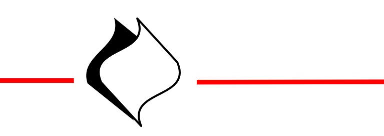


فنحن لا نخاصم الله -عَزَّ وَجَلَّ- سبحان الله! في قضائه وقدره، وإنما نخاصم أنفسنا فنحن نقدر على العمل وعلى الترك، فالواجب أن نقوم بما يختص بنا، نحن أمرنا نمتثل الأمر نهينا نمتثل النهي، وعندنا القدرة على ذلك، نحن نقدر إننا نفعل نصلي نصوم، نحج نتصدق، نجاهد نقدر على أن نترك شرب الخمر، الكفر، الزنا، عندنا قدرة على ذلك، فلماذا نجحد ما بجانبنا؟ ونعتمد على قضاء الله وقدره؛ ولهذا قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: >اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خلق لما خلق<، ثم أنزل الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل4:10].

فالسبب من قبل العبد، والقدر من قبل الله -جل وعلا-، فنحن لا نتعلق بالقدرِ وما يختص بالله -عَزَّ وَجَلَّ-، وإنما نتعلق بما يختص بنا، فنحن قد مُكِّنا من العمل وبُيِّن لنا طريق العمل، فلماذا نترك العمل ونعتمد على القضاء والقدر، كما يقوله من قاله من الجهال.

وزعم المعارضة بين القضاء والقدر، لا يطردون هذا في أعمالهم، فلذلك لو دني على أحدهم لو ضرب، لو قتل ابنه لو طالب بالقصاص، طالب بالعدل فلماذا لا يقول أن هذا مقدر؟ لماذا لا يقول إن هذا أمرٌ مقدر ولا لوم على الفاعل؟ هذا مقدر عليه، وأيضًا لماذا يتزوج؟ يطلب الذرية ولا يتكل على القدر، يقول: إن كان الله قاسمٍ لي ذرية سيأتي، ولماذا يخرج يطلب الرزق يبيع ويشتري ويسافر يطلب الرزق؟ لماذا لا يقول إن كان الله قدر لي الرزق يبي يدخل على يطق الباب ويدخل، ولماذا يأكل ويشرب؟ أليس هذا من فعل الأسباب؟ بلى، لماذا لا يقول إن كان الله قادرٍ لي أن مقدرٍ لي أني أحيى سأحيى، ولو ما أكلت وشربت، فلماذا؟ هو يأخذ ما يصلح له ما يخالف هواه، يأخذ ما يصلح له ويوافق هواه ويترك فهو لا يطبق هذه القاعدة عنده في جميع تصرفاته.

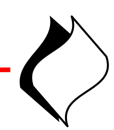
210) لا يجوز الجدال في القرآن، والقرآن لا يتعارض مع بعضه البعض ولا يفسره إلا المختص



المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قـال -رَحِمَـهُ اللـهُ-: [وقـال أحمـد حدثنا أنس بن عياض، حدثنا أبو حازم عن عدن ابن شـعيب عن أبيـه عن جده، قال: لقد جلست أنا وأخي مجلسًا ما أحب أن لي بـه حمـر النعم، أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخةٌ من صـحابة رسـول اللـه -صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّم- جلـوسٌ عنـد بـابٍ من أبوابـه، فكـر هنـا أن نفـرق بينهم فجلسنا حجرةً إذ ذكروا آية من القـرآن فتمـاروا فيهـا، حـتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- مغضبًا قـد أحمـرَّ وجهُـه، يـرميهم بـالتراب، ويقـول: >مهلًا يـا قـوم، بهـذا أهلكت الأمم من قبلكم بـاختلافهم على أنبيـائهم، وضـربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم يـنزل يكـذّب بعضـه بعضًـا، وإنمـا أنـزل يصدق بعضه بعضا، فمـا عـرفتم منـه فـاعملوا بـه، ومـا جهلتم منـه فردوه إلى عالمه<].

الشيخ صالح: نعم، وهـذا حـديثٌ عظيم، هـذا الحـديث أيضًـا فيـه منهج رسمه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّم-، فلمـا رأى من أصـحابه أنهم تجـادلوا في آيـة من القـرآن، وارتفعت أصـواتهم أنكـر عليهم وحثا عليهم التراب إنكاراً عليهم؛ لأنه لا يجوز الجـدال في القـرآن. والتخاصم في القرآن وإذا أشكل شيءٌ من القـرآن؛ فإنـه يـرد الى بعضه بعضاً ويفسر بعضه بعضاً، إذا كان عنـد الإنسـان مقـدرة، وإن لم يكن عنـده مقـدرة، فإنـه يسـأل أهـل العلم، وإذا لم يكن عنـده مقدرة ولا عنده أحد من أهل العلم يسأله، فإنـه يتوقـف، ولا يـدخل في شيء لا يُحسنه، فهذا هو سبيل السلامة، لأن الإنسان لا يجـادل في كتـاب اللـه، >فـإن الأمم السـابقة إنمـا هلكت بـاختلافهم على كتبهم<، إن الذين اختلفوا ذلك بأن اللـه نـزل الكتـاب بـالحق، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِـقَاقٍ بَعِيـدٍ﴾ [البقـرة:176]، فـالقرآن كله حق؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد.

لا يمكن أن يتعارض بعضه مع بعض، لابد أن بعضـه يفسـر بعضًـا، أو تفسره سنة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، الموكول إليه البيان -عَلَيْهِ الصَّلَاة السَّلَامُ-، السنة تفسر القرآن، فالقرآن يفسر بالقرآن، فإن لم يوجد تفسير في القرآن يفسـر بالسـنة، فـإن لم يوجـد في السنة يفسر بأقوال الصحابة، الذين تتلمذوا على النبي -صَـلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فإن لم يوجد يفسر بأقوال التابعين، الذين أخـذوا عن

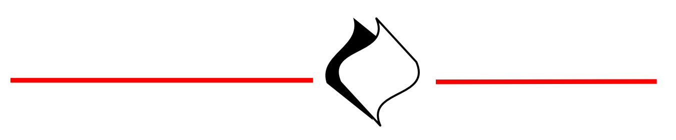


الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فإن لم يوجد يفسر بمقتضى اللغة التي نزل بها، هذه أوجه التفسير كما ذكرها الإمام ابن كثير -رَحِمَهُ اللهُ- في مقدمة تفسيره، فالقرآن لا يفسر بالبداهة، أو بالفكر كما يفعله كثيرٌ من الجهلة الآن، يفسرونه بأفكارهم بما يرونه، أو يفسرونه بما يسمونه بالإعجاز العلمي. القرآن لا يفسر إلا بهذه الأوجه الصحيحة الأربعة، لا يفسر بالرأي أو يفسر الحوادث التي تحدث ويُقال هذا تفسير للآية، لكن يمكن أن يُقال: هذا والله أعلم تحتمله الآية، وأما أن يجزم من هذا التفسير للآية هذا لا يجوز، أما أن يقال هذه الحادثة والله أعلم أنها يتناولها القرآن، أو دل عليها القرآن من باب التوقع؛ لا من باب الجزم، أما الجزم لا يجوز أن يفسر القرآن إلا بالمصادر الصحيحة للتسيير، وألا يكون قولًا على الله بغير علم.

فهذا هو المنهج الأسلم في تفسير القرآن الكريم، ولا يدخل في تفسيره إلا هو متخصص في التفسير، وعنده معرفة بوجوه التفسير الصحيحة، وما أشكال ليتوقف فيه، ولا يدخل فيه بفكره أو بعقله، بل يكله إلى عالمه وهو الله -سبحانه وتَعَالَى-، وهكذا منهج الأئمة -رحمهم الله-، بل كان الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يسأل عن المسألة، ليس لم ينزل عليه فيها وحي، فيتوقف إلى أن ينزل الوحي، الصحابة -رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُم- والأئمة كانوا يتوقف في الأمور التي لم يظهر لهم فيها حكمٌ شرعي وهم أئمة، سئل الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ- عن أربعين مسألة، فأجاب عن أربع مسائل، وقال في ست وثلاثين: "لا أدري"، فقال له السائل: جئتك من كذا أتعبت راحلتي وتقول: "لا أدري"، قال: "اركب راحلتك واذهب إلى البلد الذي جئت منه، وقل سألت مالكًا فقال: لا أدري".

211) النظريات الحديثة تجدد ويكذب بعضها بعضًا

المذيـــــع: أحسن الله إليكم، وجزاكم خيرًا، أصبح هناك مثل ما أشرتم يا شيخ مصدر خامس ليس له أصول في تفسير القرآن، هو ما يكشفه الكفار، زعم أحدهم أن الأرض كذا، والأفلاك كذا، قالوا هذا تفسيرٌ للقرآن، كما ذكرت وإن لم تقبل الأمة فهو تخلفٌ منها وجهل.



الشيخ صالح: هذا -كما ذكرنا- أنه لا يُفسر القرآن بالنظريات الحديثة؛ لأن النظريات تجدد ويكذب بعضها بعضًا هذا واقع، وكثير يعني نظريات الناس وأفكار الناس، ما تجعل تفسير لكلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- ولكن -كما ذكرنا- أن يقال ربما أن الآية دلت على أو أن هذا من مدلول الآية لا من باب الجزم، فهذا قد يكون له وجه، مع أن تركه أحسن.

212) كلٌ مختص بعلمه، ورد الفكر المخالف للكتاب والسنة

المذيـــــــع: قوله في الحديث: >فردوه إلى عالمه< قلتم هو الله -سبحانه وتَعَالَى-؟

الشيخ صالح: إي نعم، أو عالمه من الناس، يعني العالم يشمل الله -جل وعلا-، ويشمل العلماء الذين ورثوا العلم من الأنبياء.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ-: [وقال أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا داوود بن أبي هند عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: خرج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: فكأنما تفقأ في وجهه الرمان من الغضب، قال فقال له: >ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض لهذا هلك من كان قبلكم<، قال: فما غضبت نفسي بمجلس فيه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم أشهده ما غضبت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده].

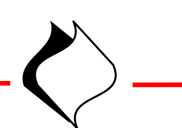
الشيخ صالح: هذا كما سبق أن أناسًا تكلموا في القدر، وهل يتعارض مع الشرع أو لا يتعارض؟ ولماذا نعمل وقد سبق القدر ونحوًا من هذا؟ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غضبه غضبًا شديدًا -عَلَيْهِ الصَّلَاة السَّلَامُ-، فهذا دليلٌ على الغضب عند إنكار المنكر، ولا سيما المنكر الذي يتناول كتاب الله -سبحانه-، فيجب الغضب عند ذلك والإنكار، وعلى من دخل فيما لا يحسنه؛ لأنه يقول على الله بغير علم.

وفي هذا ردٌ على الذين يقولون بحرية الرأي الآن، ينادون بحرية الرأي، وحرية الفكر، وأنه لا حجر على الناس، نقول: نعم للإنسان

أن يفكر، للإنسان أن يبدي رأيه ما في مانع، لكن ما خالف، إذا خالف الرأي أو الفكر خالف الكتاب والسنة، فإنه يجب رده، أما أن يقال أنهم كلهم مصيبون وكلٌ له رأيه، وكلٌ فهذا لا يجوز، هذا من الخروج على كتاب الله وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نقول: نعم أبدوا أفكاركم أبدوا آراءكم، ما في مانع، لكن نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله، الآراء الله -جل وعلا- يقول: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:59]، فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر خيرٌ وأحسن تأويلًا.

المذيـــــع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الثلاثون

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الـرحيم، الحمـد لله رب العـالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه اجمعين.

أيها المستمعون الكرام السـلام عليكم ورحمـة اللـه وبركاتـه، وأهلا وسـهلًا بكم إلى حلقـةٍ جديـدة في برنـامجكم "اقتضـاء الصـراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم" لشـيخ الإسـلام/ أحمـد ابن عبـد الحليم ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-.

ضيف اللقاء فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فـوزان الفـوزان عضـو هيئة كبار العلمـاء، وعضـو اللجنـة الدائمـة للإفتـاء، في مطلـع هـذا اللقاء نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

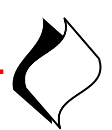
المذيـــــــع: وقفنا مع المؤلف -رَحِمَـهُ اللـهُ- في حديثـه عن نهي النـبي -صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّم- أصـحابه أن يضـربوا بعض القـرآن ببعض.

213) النهي عن اختلاف التضاد

قال -رَحِمَهُ اللـهُ-: [وقـد كتب أحمـد في رسـالته إلى المتوكـل هـذا الحديث، -قوله: >مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعضٍ، بهـذا هلـك من كان قبلكم<، وجعل يقول لهم في مناظرته يوم الـدار "إنـا قـد نهينا أن نضرب كتاب الله بعضـه ببعض"، وهـذا لعلمـه -رَحِمَـهُ اللـهُ- بما في خلاف هذا الحديث من الفساد العظيم].

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

ما زال الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- في سياق النهي عن الاختلاف، الذي هـو اختلاف التضـاد الـذي يـؤدي إلى الهلاك، واختلاف التضـاد ومخالفـة الأنبيـــاء -عليهم الصـــلاة والســـلام-؛ لأنهمـــا يؤديـــان إلى الهلاك، والغرض من سياق الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- هذه المسألة والإطالة فيهـا،



نهي هذه الأمة أن تسلك مسـلك الأمم السـابقة في اختلافهـا على كتاب الله وعلى أنبيائها، فهذه الأمة يجب أن تحذر من هذا المسلك الخطر، والمنعطف الصعب، وفي المثل: "خيركم من وُعظ بغـيره"، فهذا قصد الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ-.

يقول إن هذا الحديث كتب بـه الإمـام أحمـد إلى المتوكـل، الخليفـة المتوكل، الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ- جرى عليه من الامتحان في هــذا الأمر الشيء المعروف، لا سيما القول بخلق القرآن، فإن المـأمون أراد أن يجبر النـاس على القـول بـأن القـرآن مخلـوق غـير مـنزل، وذلك بتأثيرٍ من جلساء السوء من المعتزلة؛ لأنـه اسـتوزر المعتزلـة أملوا عليه هذا المذهب الخبيث، وأغروه بمعاقبة أهل السـنة الـذين يقولون القرآن منزلٌ من عند الله وأنه كلام الله حقيقة، والمعتزلة تبعًا للجهمية يقولون القرآن مخلوق كغيره من المخلوقات، والله لا يتكلم، وليس بيننـا كتـابٌ من اللـه نـزل من عنـد اللـه، وإنمـا بيننـا مخلوق كسائر المخلوقات -قبحهم الله-.

214) اختلاف التضاد يؤدي إلى الهلاك

فأملوا على الخليفة المأمون هذا الفكر الخبيث واقتنع بــه وأراد أن يجـبر النـاس عليـه، وقتـل من قتـل من الأئمـة وامتحن من امتحن وعلى رأسـهم الإمـام أحمـد -رَحِمَـهُ اللـهُ-، فقـد عذبـه بالضـرب والسـجن، ولمـا مـات خلفـه من بعـده المعتصـم -أخـوه المعتصـم-، فسلك نفس المسلك -مسلك المأمون- وعذب الإمام أحمد، ثم جــاء الواثق بن المأمون، فسلك هذا المسـلك وعـذب الإمـام أحمـد وهـو صابرٌ محتسب، يصـبر على الضـرب وعلى السـجن، ويقـول القـرآن مُنزّلٌ غير مخلوق، وإذا قالوا له: قل مخلـوق، قـال هـاتوا لي شـيئًا من كتاب الله أو من سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فثبت إلى أن جـاء المتوكـل بن هـارون الرشـيد -رَحِمَـهُ اللـهُ- فـأفرج عن الإمام أحمد وناصره، وناصـر أهـل السـنة وقمـع أهـل البـدع، فكتب إليه الإمام أحمد من جملة مناصحاته هذا الحديث، وخير ما يُنصح بــه كتاب الله وسنة -رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

215) القرآن مُنزَّل من عند الله وليس مخلوقًا

المذيـــــــــع: قال: [وقد كتب أحمد في رسالته إلى المتوكل هذا الحديث]، نعم، قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: >ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض، بهذا هلك من كان قبلكم<.

الشيخ صالح: كتب إلى المتوكل بهذا الحديث، وجعل يقول لهم بأن يمنع الاختلاف ضرب كتاب الله بعضه ببعض، ويمنع قول المعتزلة والجهمية، فالقرآن واضحٌ في أنه مُنزل من عند الله، وأن الله تكلم به حقيقةً، وليس في القرآن آية تدل على أن الله خلق القرآن -كما يقولون-، نعم.

المذيـــــــــع: قال: [وجعل يقول لهم في مناظرته يوم الدار "إنا قد نهينا أن نضرب كتاب الله بعضه ببعض"].

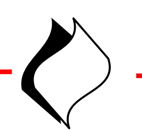
الشيخ صالح: نعم مناظرته للمخالفين يوم الدار يعني دار الوزير -وزير الدولة- إبراهيم بن فلان، ما أدري، لكن هو كانت جرت المناظرة في هذه الدار، فيقول الإمام أحمد إنّا نهينا أن نضرب كتاب الله بعضه ببعض، يشير إلى هذه الأحاديث التي نهى فيها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أن يُضرب كتاب الله بعضه ببعض، بل يجمع بين نصوصه وبين آياته، ويفسر بعضه ببعض، نعم.

216) لا يحصل الاجتماع إلا باتباع الكتاب والسنة

المذيـــــــــع: قال المؤلف شيخ الاسلام -رَحِمَهُ اللهُ-: [وهذا لعلمه - رَحِمَهُ اللهُ - بما في خلاف هذا الحديث من الفساد العظيم].

الشيخ صالح: أي نعم، هو كتب به إلى المتوكل لعلمه بما في الاختلاف من الفساد العظيم، وما في الاتفاق واجتماع الكلمة من الخير العظيم، ولا يحصل الاجتماع إلا باتباع الكتاب والسنة، أما إذا اختلفنا في الكتاب والسنة وكلٌ ركِب رأسه وأخذ رأيه؛ حصل التفرق، وبالتالي يحصل التناحر والتضارب بين الأمة وسفك الدماء، نعم.

المذيـــــــــع: قال: [وقد روى هذا المعنى الترمذي من حديث أبي هريرة رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: "حديث ٌحسنٌ غريبٌ" وقال: "وفي الباب عن عمر وعائشة وأنس"].

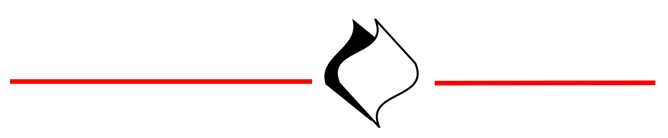


قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ-: [وهذا باب واسع لم نقصد له ههنا، وإنما الغرض التنبيه على ما يُخافُ على الأمة من موافقة الأمم قبلها].

الشيخ صالح: نعم، هذا الحديث وإن كان غريبًا والغريب هو ما تفرد بروايته واحد، ولكن له شواهد كما قال الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- تؤيده وتقويه، ثم أن الشيخ أبدى مناسبة أنه أطال في هذا الموضوع، وأورد فيه من النصوص لأهمية هذا الموضوع، لأهميته، وإن كان أصل الكتاب وهو "اقتضاء الصراط" ليس القصد منه هذه المسألة فقط حتى يطيل فيها، لكن لأهميتها أطال فيها؛ لأن سبب هلاك الأمم هو في اختلافهم، فلذلك نهيت هذه الأمة أن تتشبه بالأمم السابقة في الاختلاف، ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 105]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:253].

فالحاصل أن الشيخ أطال في هذا واستفدنا منه فائدة عظيمة فيما أورد من هذه الأدلة، وما أورد من التوضيح لهذه المسألة، وهي مسألة الاختلاف في القرآن، والاختلاف في السنة، وعدم الأخذ بطرفٍ وترك الطرف الآخر من الكتاب والسنة، وكثيرًا ما يحصل هذا الآن؛ فإن كثيرًا من المغرضين أو الجهلة، يأخذ من الأدلة ما يصلح لرأيه أو هواه، ويقول: أنا استدل بالقرآن والسنة، فنقول له: كذبت أنت لم تستدل بالقرآن والسنة، لأنك أخذت طرفًا وتركت طرفًا آخر، فأنت شبيهٌ بالذين قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة:85]، ولهذا غضب الرسول-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما رأى من أصحابه اختلافًا في بعض الآيات، ومشادة بينهم، فالنبي غضب من هذا، وقال لا ينبغي لكم هذا الاختلاف، نعم.

المذيع: أحسن الله اليكم، قال الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ-: [وإنما الغرض التنبيه على ما يخاف على الأمة من موافقة الأمم قبلها].



الشيخ صالح: هذا هو الغرض، الغرض من هذه الإطالة هو التنبيه، كما هو يعني منهج الكتاب "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم"، أي نعم التنبيه على ألا تتشبه هذه الأمة بالأمم السابقة، فتختلف في كتاب الله، تضرب بعضه ببعضه لبعض، وكلٌ يأخذ بطرف ويترك الطرف الآخر، نعم.

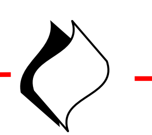
217) أتْباع النمرود اختلفوا بسبب فكرهم

المذيع: قال: [إذ الأمر في هذا الحديث - كما قاله رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أصل هلاك بني آدم: >إنما كان التنازع في القدر<، وعنه نشأ مذهب المجوس القائلين بالأصلين: النور والظلمة، ومذهب الصابئة وغيرهم، والقائلين بقدم العالم، ومذاهب كثير من مجوس هذه الأمة وغيرهم، وهذا مذهب كثير ممن عطل الشرائع].

الشيخ صالح: نعم، هذا الاختلاف المهلك هو مذهب، هو الذي أهلك الأمم السابقة، كاليهود والنصارى لما اختلفوا في كتابهم، ومثل المجوس، الذين يعبدون النار، المجوس هم أمةٌ يعبدون النار ويقولون بخالقين، خالقٍ للخير وخالقٍ للشر، فالنور عندهم يخلق الخير، والظلمة تخلق الشر، فهذا اختلافٌ في القضاء والقدر، ولم يقولوا أن القضاء والقدر إنما هو من شأن الله -عز وجل- ولا دخل للنور ولا للظلمة ولا لأي مخلوق في القضاء والقدر؛ وإنما هو سر الله -جَلَّ وَعَلَا- في خلقه.

وكذلك الصابئة وهم أتباع نمرود الذين يعبدون الكواكب وبعث الله إليهم خليله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- كما ذكر الله ذلك في القرآن.

إنما هلكوا بسبب هذا الأمر وهو أنهم اعتمدوا على فكرهم وآرائهم، وظنوا أن هذه الكواكب أنها هي التي تُدبِّر الأمر والكون، فبنوا لها هياكل على شكلها في الأرض، وصاروا يعبدونها، من دون الله، ولذلك أنكر عليهم خليل الله، ما هذه التماثيل؟ التي أنتم لها عاكفون، وش حجتهم؟ وجدنا آباءنا كذلك، كذلك يفعلون هذه حجة، فهذا ما جاءوا بحجة إلا التقليد الأعمى والعياذ بالله.



وكذلك مجوس هذه الأمة، مجوس هذه الأمة، وهم القدرية، الذين نفوا القدر، وقالوا: إن كل مخلوقٍ يخلق فعل نفسه، ولم يقدر الله الكفر ولا الإيمان، وإنما العبد هو الذي يخلق هذه الأشياء، فالعبد يخلق فعل نفسه، فزادوا على المجوس، المجوس قالوا بخالقين، وهؤلاء أثبتوا خالقين متعددين مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن كلًا يخلق فعل نفسه، ولذلك سُموا مجوس هذه الأمة؛ لأنهم يشبهون المجوس بل زادوا عليهم، نعم.

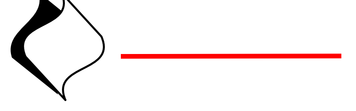
218) نحن منهيون عن الدخول في أفعال الله

المذيع: أحسن الله اليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [وهذا مذهب كثير ممن عطل الشرائع.

فإن القوم تنازعوا في علة فعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما فعله، فأرادوا أن يثبتوا شيئًا يستقيم لهم به تعليل فعله بمقتضى قياسه على المخلوقات، فوقعوا في غاية الضلال].

الشيخ صالح: نعم، هو الأصل الضلال أنهم قاسوا الخالق بالمخلوق، والله -جَلَّ وَعَلَا- لا يُقاس بخلقه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ لا قياس شبه ولا قياس شمول، وإنما يقاس بخلقه قياس الأوْلى، ولله المثل الأعلى، فأما قياس العلة، قياس الشمول، فلا يُقاسُ بخلقه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:74]، فالله -جَلَّ وَعَلَا- لا يُقاس بخلقه، وأفعاله في غاية الحكمة وغاية العلم والإتقان.

فنحن لا ندخل في أفعال الله، ونسأل لماذا قال الله كذا؟ لماذا فعل الله كذا؟ نحن منهيون عن الدخول في أفعال الله، وأننا ما نأخذ منها إلا ما عرفنا علته، وعرفنا حكمته، نحن نؤمن بأن الله حكيمٌ عليمٌ -سبحان الله- وأنه لا يشرع شيئًا إلا لحكمة، لكن قد نعلم هذه الحكمة إما بنص بأن نُص عليها، أو بدلالة الأثر على ذلك، أو الشواهد على ذلك، وقد لا نعلمها فنحن لا نتوقف على أن نعرف الحكمة، وإلا لا نعمل بشيء، فهذا مذهب الأمم الضالة التي هلكت بسبب ذلك، نعم.



219) مذهب الجبرية

المذيـــــــع: أحسن الله اليكم، قـال -رَحِمَـهُ اللـهُ-: [فوقعـوا في غاية الضلال؛ إما بأن فعله ما زال لازما له، وإما بأن الفاعل اثنـان؛ وإما بأنه يفعل البعض، والخلق يفعلون البعض، وإما بأن ما فعله لم يأمر بخلافه، وما أمـر بـه لم يقـدر خلافـه؛ وذلـك حين عارضـوا بين فعله وأمره].

الشيخ صالح: هذا الأخير هو مذهب الجبريـة، الـذين يقولـون: مـا قدره لا يأمر بخلافه، نعم، فينكرون الشرع؛ يثبتون القـدر وينكـرون الشرع، والمعتزلة على العكس فأثبتوا الشرع وانكروا القدر، نعم.

أما أهل السنة والجماعة جمعوا بينها، فاثبتوا القدر واثبتوا الشــرع، نعم.

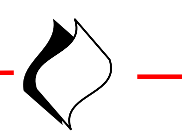
المذيـــــــع: قال: [حتى أقر فريق بالقدر بالأمر وكذبوا بالأمر، و أقر فريق بالأمر وكذبوا بالقدر، حين اعتقدوا جميعا أن اجتماعهمـا محال، وكلٌّ منهما مبطلٌ بالتكذيب بما صدق به الآخر].

الشيخ صالح: كمـا ذكرنـا، حين اعتقـدوا جميعًـا أن اجتماعهمـا محال وكلٌ منهما مبطلٌ بالتكذيب بما صدق به الآخر، لما زعمـوا أن هناك تعارضٌ بين الشرع والقدر بعضهم أثبت القـدر ونفى الشــرع، وبعضـهم على العكس أثبت الشــرع ونفى القـدر؛ دفعًـا للتعـارض -بزعمهم-، والواقع أنهما لا يتعارضان، وأن كلاهما حق، نعم.

220) احرص على ما ينفعك واستعن بالله

المذيـــــــع: شيخ هل لنـا أن نقـول في قولـه -صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّم- أن الله قد كتب الحسنات، وأننا نتكل؟ فقـال أنـه مـا علينـا بالقدر إلا من خبره -صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّم- فكمـا يجب التصـديق بخبره يجب التصديق الامتثال لأمره، أنه هو الذي أخـبر بالقـدر وقـد أمر بالعمل في قوله: (فاعملوا).

الشيخ صالح: هو ما أخبر بالقدر -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- من أجل أن نعطل الأعمال نتكل على ما أخبر بالقدر من أجـل ان نـؤمن بـه، ومن أجل ألا نجزع إذا فاتنا شيء بعد فعل السبب، إذا فعلنا السبب



ولم يحصل المقصود لا نجزع، ولهذا قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: >احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزنَّ، فإن أصابك شيءٌ فلا تقلّ: لو أني فعلتُ لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل<، فأنت عليك فعل السبب، فقط.

واما القدر فهذا من شأن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لا تدخل فيه، نعم.

221) التفريط لبقية العلم سبب الهلاك

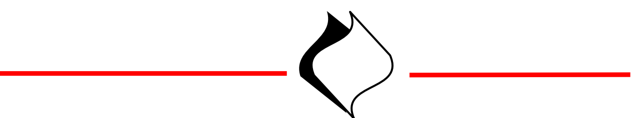
المذيـــــع: أحسن الله اليكم، قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ-: [وأكثر ما يكون ذلك لوقوع المنازعة في الشيء القليل قبل إحكامه وجمع حواشيه وأطرافه، ولهذا قال: >ما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه<].

الشيخ صالح: نعم، هذا هو سبب الضلال: أن بعض الباحثين أو بعض المتعالمين أو بعض المغرضين، إنما يتكلمون بدون أن يستقصوا الأدلة ويقارن بينها، وإنما ينتزعون طرفًا ويركّزون عليه، ويتركون البقية؛ فهذا هو سبب الهلاك.

فمثلًا الخوارج أخذوا نصوص الوعيد، وحكموا بها وكفَّروا أصحاب الكبائر، وتركوا نصوص الوعد والرحمة، المرجئة على العكس: أخذوا نصوص الوعد والرجاء وتركوا نصوص الوعيد، أهل السنة والجماعة: جمعوا بين الأمرين -نصوص الوعد ونصوص الوعيد-.

فهو السبب، سبب الهلاك هو التفريط لبقية العلم، وأن يأخذ قسطًا من العلم، ويزعم أنه عالم ويترك الطرف الآخر الكثير من العلم، الذي يوضح ما معه أو يكمل ما معه، هذا هو سبب الضلال، وهو الذي لا يزال في الناس اليوم، التعالم أو التغرض، بعض الناس عنده تعالم واعتداد بنفسه، وبعض الناس عنده تعرض وقصد للت، فنحن منهيون عن هذا الأمر.

وإننا لا نتكلم في مسألة من المسائل العلمية الشرعية، حتى نستقصي ما ورد فيها من النصوص من الكتاب والسنة، حتى نتكلم علم واستقصاء، ولا نأخذ بعض الأدلة ونترك البعض الآخر، هذه قاعدة عظيمة، نعم.



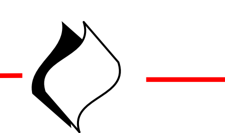
222) نصف المتكلم يفسد الأديان، ونصف النحوي يفسد اللسان

المذيـــــــع: يا شيخ مما نراه أن هذه الجرأة على كتاب الله وسنة رسوله عند من نال قليلًا من العلم ليس موجودًا في العلوم الأخرى، يعني يعطونه ليس من أدرك قليلًا من الطب زعم أنه طبيب ويفتي، ومن أدرك قليلًا من الهندسة أو الرياضيات أو الجغرافيا أو التاريخ سعى منا له حقًا يقول الكلمة الأخيرة والفصل، في المقابل في أحكام الشريعة لا يسلمون لأهلها المختصين، ويزعمون مثلما ذكر الشيخ أن المنازعة في شيءٍ قليل قبل إحكامه وجمع حواشيه وأطرافه.

الشيخ صالح: نعم، وهو كذلك يعني أن الذي عنده قليل من الطب لا يتوقف عند علمه ولا يدخل في طبٍ لا يعرفه؛ لأن هذا يترتب عليه هلاك الناس، وكذلك الصناعات والمهن والحرف ما يدخل فيها إلا من قنوات، أما مسائل الشرع فعندهم أنها حمىً مباح لكل أحد، يتكلم فيها من هب ودب، الجاهل والضال والمغرض يتكلم فيها كل من شاء، وأنها حرية وأن حرية الرأي عندهم من هذا النوع يردوها لآية قالوا تحجرون علينا، وقالوا ما أنتم بأوصياء، يقولون من ها الحين ينادون يقولون ما أنتم أوصي على الناس، طيب نحن نبلغكم رسالات الله، نبلغكم كتاب الله وسنة رسوله، ما نحن أوصية، بل الله وصانا بهذا، الله -جَلَّ وَعَلَا- يقول: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[الأحزاب:39]، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران:187]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة:159].

فنحن الله وصانا بهذا، وصانا بأن نبلغ وأن للناس، وهذا لأجل الإشفاق عليهم ومصلحتهم هم، ما هو من أجل الترأس عليهم أو احتقار أو احتقارهم أو نحوًا من ذلك.

المذيـــــــع: ولا يظل بحد ذاق الأطباء والمهندسين، إذا حذروا من المتعالمين أنهم يحجرون على الناس.



الشيخ صالح: هكذا هذا يقول في المثل يقولون "يفسد الدنيا أربعة نصف فقيه ونصف طبيب"، "ونصف نحوي ونصف فيلسوف"، هذا نصف الفقيه يفسد البلدان؛ لأنه يُفتي بغير علم، ونصف الطبيب يفسد الأبدان، ونصف المتكلم يفسد الأديان، ونصف النحوي يفسد اللسان، يفسد الدنيا أربعة: "نصف فقيه، نصف طبيب، نصف نحوي، ونصف متكلم" نعم.

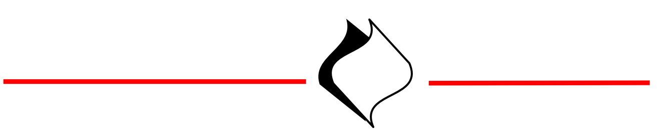
المذيـــــــع: أحسن الله اليكم، قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ-: [والغرض بذكر هذه الأحاديث: التنبيه من الحديث على مثل ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: 69]].

الشيخ صالح: رجع إلى الاول والشيخ يستطرد، ثم يرجع إلى أصل الكلام الذي قاله، كل هذا كل هذا تفسير لقوله -تعالى-: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: 69]، يعني الأمم التي قبلنا خاضت في عقائدها وفي كتبها المنزلة، فسيوجد في هذه الأمة من يشابهها وقد وقع كما ذكر الله -جَلَّ وَعَلَا-،.

223) أصل البلاء التقليد والتشبُّه

المذيـــــــع: [ومن ذلك: ما روى الزهري عن سنان بن أبي سنان الدؤلي عن أبي واقد الليثي أنه قال: "خرجنا مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينيطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: >الله أكبر! إنها السنن قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: 138]، لتركبن سنن من كان قبلكم<" رواه مالك والنسائي والترمذي وقال: (هذا حديث حسن صحيح) ولفظه >لتركبن سنة من كان قبلكم<].

الشيخ صالح: نعم وهذا الحديث يؤكد ما سبق أن هؤلاء الصحابة لما كانوا حدثاء عهدٍ بالإسلام أسلموا عام الفتح وخرجوا مع النبي -



صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- إلى حنين بعد الفتح مباشرة، رأوا المشركين يعكفون على سدرة يقال لها ذات أنواط ويعلقون بها أسلحتهم تبرّكًا بها؛ فلقلة علم هؤلاء وحداثة إسلامهم طلبوا من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أن يجعل لهم شجرةً يفعلون عندها مثل ما يفعل الكفار، النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- تعجب واستغرب وكَبَّر الله -عز وجل-، وقال: >إنها السنن< يعني الطرق، >قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾<، لما مروا على قومٍ يعكفون على أصنامٍ لهم، قالوا يا موسى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾<، فأصل البلاء هوالتقليد والتشبه.

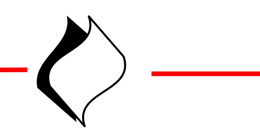
فالتقليد والتشبه هما أصل البلاء، التقليد والتشبه بالكفار، والتشبه بأهل الفسق وأهل الأهواء، هذا هو أصل البلاء في الأمم السابقة وفي هذه الأمة.

المذيـــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.

وصلّى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الحادي والثلاثون

المذيـــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاوسهلاً بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامجكم؛ اقتضاء الصراط مستقيم



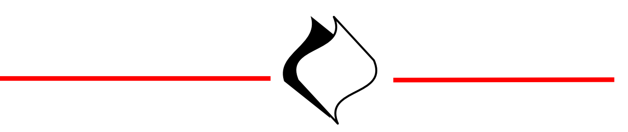
مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية -رحمه الله- يشرحه عبر هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ صالح الفوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للافتاء في مطلع هذا اللقاء نرحب بشيخنا الكريم حياكم الله شيخ صالح.

224) حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن ضرورة البعد عن التشبه بالأمم الكافرة.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم،

المذيـــــع: ما زال المؤلف -رحمه الله- يتحدث في النهي عن مشابهة الأمم. ولا سيما في التنازع والاختلاف، قال وقد قدمت ما خرجاه في الصحيحين.،عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقدة حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟ وما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتأخذن أمتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع. قالوا فارس والروم؟ قال فمن الناس إلا أولئك.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، يؤكد الشيخ -رحمه الله -في سياق هذا الكلام، أنه سيقع التشبه من هذه الأمة لمن سبقها من هذه الأمم الكافرة من اليهود والنصارى والأعاجم، وذلك للأحاديث الصحيحة المتوافرة في إثبات ذلك، ومن أدق هذه الأحاديث هذان الحديثين لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ظبٍ لدخلتموه. أي أنه سيكون في هذه الأمة من يتشبه بمن كان ويأخذ طريقها في كل شيء، حتى في الأمور التافهة.



ومعلومٌ أن أعسر الجحور وأضيقها جحر الضب، كما هو معلوم، لكن لو وجد في الأمم السابقة من يدخل في هذا الجهر لو وجد في هذه الأمم من يدخله تقليداً لها وتشبهاً بها.

وكذلك في الحديث الذي بعده أن هذه الأمة في هذا الحديث أن هذه الأمة تأخذ طريق اليهود والنصارى، نعم.

وفي الحديث الذي بعده أن هذه الأمة تأخذ طريق فارس، فارس والروم، وفارس هي الأمة المعروفة، التي تقع في الشرق والروم هي الأمة التي تقع في غرب الأرض وهما أعظم دولتين في وقتهما قبل الإسلام.

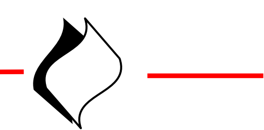
فيوجد من هذه الأمة بعد الإسلام الذي مَنّ الله به على البشرية ورفع المؤمنين فوق غيرهم من الأمم؛ يوجد في هذه الأمة من ينسى هذا الفضل، ويتراجع إلى أن يقلد الأمم السالفة، الفرس يعبدون النار، والروم أيضاً هم أمةٌ كافرة وأغلبهم نصارى يعبدون الصليب، فيوجد في هذه الأمة من يقلدهم، شبرا بشبر وذراعاً بذراع، منهم المقل ومنهم المستكثر فهذا كله خبرٌ معناه النهي، معناه النهي والتحذير.

فلا نقول إن هذا شيءٌ مقدر ولابد أن يقع ونستسلم بل علينا أن نبعد وأن نحذر من التشبه بهؤلاء وأن نحذر الناس من ذلك. نعم.

225) قصد الرسول صلى الله عليه وسلم إخبار الأمة بالابتعاد عن التشبه بهذه الأمم السابقة من الفرس والروم.

المذيـــع: أحسن الله إليكم، قال - رحمه الله - وهذا كله خرج منه مخرج الخبر عن وقوع ذلك والذم لمن يفعله، كما كان يُخبر عما يفعله الناس بين يديْ الساعة من الأشراط والأمور المُحرّمات.

الشيخ صالح: نعم الرسول صلى الله عليه وسلم ليس قصده من هذه الأخبار مجرد الإخبار فقط، وأنما قصده من ذلك التحذير. نعم. التحذير من التشبه، وألا ننخدع بمن يُقلِّد اليهود والنصارى وفارس



والروم، وينتسب إلى الإسلام ألا نقلد هؤلاء، علينا نعتز بديننا وبقيمنا، وما أعطانا الله من الكرامة

أن نعتز بذلك، ونتميَّز بشخصيتنا، الإسلامية، الله جل وعلا يقول ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:139].

المذيع: قال فعلم أن مشابهتها اليهود والنصارى وفارس والروم مما ذمَّه الله ورسوله، وهو المطلوب.

الشيخ صالح: نعم. كونه صلى الله عليه وسلم أخبر عن ذلك وحذَّر وكرَّر هذا يعطي أن التشبه بالكفار شديد التحريم ولا يجوز؛ لأن معناه أننا إذا تشبهنا بهم في الظاهر فأننا نشبههم في الباطن، ومشابهتهم في الظاهر...

المذيع: الله أكبر.

الشيخ صالح: تدل على محبتهم في الباطن، وإلا لو كان يبغضهم ما تشبه بهم، نعم.

226) النهي عن التشبه بمَن سبق مِن الأمم الكافرة

المذيع: قال ولا يقال فإذا كان الكتاب والسنة قد دل على وقوع ذلك فما فائدة النهي عنه؟

أن الكتاب والسنة أيضاً قد دل على أنه لا يزال في هذه الأمة طائفةٌ متمسكةٌ بالحق الذي بُعِث به محمد- صلى الله عليه وسلم - إلى قيام الساعة، وأنها لا تجتمع على ضلالة، ففي النهي عن ذلك تكفير هذه الطائفة المنصورة وتثبيتها، وزيادة إيمانها؛ فنسأل الله المجيب أن يجعلنا منها.

الشيخ صالح: هذا عودٌ على ما سبق في الذين زعموا أنه لا فائدة من الأمر والنهي، مع وجود القضاء والقدر.

وأنه إذا كان الشيء مقدّراً فلا فائـدة من النهي عنـه كـذا يقولـون. وهم (الجبرية). فهذا القـول باطـل؛ فـإن النـبي -صـلى اللـه عليـه وسلم- أخبر عن ذلك وأنه سيقع.

ولكن علينا أن حذرنا منه وألا نغتر بمن فعلـه، هـذا هـو الغـرض من الإخبار، الذي أخبر به -صلى الله عليه وسلم- ولا تعارض بين النهي عن التشبه بهم، والإخبار أنه سيكون من يتشبه بهم من هذه الأمة.

لا تعارض بين ذلك كما ظن الجبرية والقدرية؛ لأننا نقـدر على تـرك التشـــبه بهم، نقـــدر على التشـــبه بهم وعلى تـــرك التشـــبه بهم. فالتشـبه بهم هـو عملنـا، وأمـا وقوعـه وحصـوله فهـذا قـدر اللـه وقضاؤه.

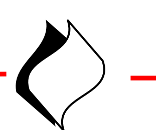
فنحن لا نحتـاج بالقضـاء والقـدر على فعـل المعاصـي، وعلى فعـل المعايب؛ لأنه بإمكاننا أن نبتعد عن ذلك ونحـذر منـه، وفائـدة النهي عن ذلك مع تحقُّق وقوعه هو التحذير منـه، ولأن النـبي- صـلى اللـه عليـه وسـلم - أخـبر أن سـيكون من هـذه الأمـة طائفـة منصـورة متمسكة، فإذا ذكرنا هذا وبلغناه للناس؛ فهذا عملٌ على تكثير هــذه الطائفة المنصورة وتقويتها. نعم.

(227) وجه آخر من أوجه ضرورة الإخبار عن عدم التشبه بالأمم السابقة:

المذيـــــــع: أحسن الله اليكم، قال - رحمه الله- أيضاً لـو فُـرض أن الناس لا يترك أحدٌ منهم هذه المشابهة المنكرة؛ لكان في العلم بها معرفة القبيح والإيمان بذلك

الشيخ صالح: **وهذا وجهٌ أخـر من الحكمـة في الإخبـار عن وقـوع التشبه مع التحذير منه، وأن الحكمة والإخبار عن وقوع التشـبه هـو للعلم، ولا شـك أن العلم بالشـيء مطلـوب، وأن الجهـل بـه مَذمَّة، فالعلم في حد ذاته فيه خير، وفيه نفع. نعم.**

المذيـــــــع: قال فإن نفس العلم والإيمان بما كرهه الله خـير، - وان لم يعمل به-.



الشيخ صالح: نعم، إذا علم الإنسان ما كرهه الله وفهم ذلك؛ فإن هذا خيرٌ -وإن لم يعمل به-، وإذا جمع بين العلم والعمل فهذا هو المطلوب، وإذا لم يعمل فإن وجود العلم -في حد ذاته- فيه خير؛ ولهذا ميز الله أهل العلم من اليهود والنصارى على غيرهم من الكفرة والأُميين، صار لهم ميزة في الذكر والأحكام على غيرهم، فالعلم له فضل، حتى ولو لم يعمل به، فله فضل، فالعالم خيرٌ من الجاهل، ولأن العالم حريٌ أن يرجع إلى الصواب و خلاف الجاهل فأنه يتمادى في جهله ولا يدري. نعم.

المذيـــــع: قال بل فائدة العلم والإيمان أعظم من فائدة مجرد العمل الذي لم يقترن به علم.

الشيخ صالح: نعم، ولهذا حكم الله على من يعمل بغير علم أنه من الضالين، وأن عمله ضلال، فوجود العلم وأن لم يعمل به الإنسان فهو فضيلة، أما الجهل فإنه ليس فيه فضل -بوجهٍ من الوجوه-. نعم.

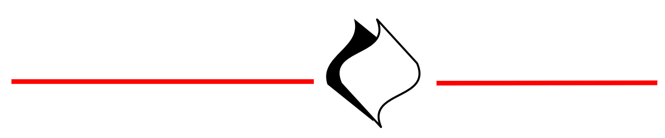
228) الكراهية سبب من أسباب وجه الإخبار عن عدم التشبه بالأمم السابقة:

المذيـــــع: قال فإن الإنسان إذا عرف المعروف وأنكر المنكر خيراً من أن يكون ميت القلب لا يعرف معروفاً وينكر مُنكرا.

الشيخ صالح: وهذا وجهٌ أخر وهو أن في العلم بذلك أن في العلم بذلك كراهية القلب لهذا الشيء، فإذا كان عند الإنسان علمٌ بالمنكرات، فهو وأن لم ينكرها بلسان وبيده، فنه ينكرها بقلبه -على الأقل-. فإذا كان عنده علم فإنه يكره هذه الأشياء ولو بقلبه.

وهذا أضعف الايمان كما في الحديث، فكونه عنده إيمان ولو ضعيف أحسن من الذي ليس عنده إيمانٌ أصلاً.

229) فضل العلم في معرفة ضرورة عدم التشبه بالأمم الكافرة:



المذيـــــــع: قال ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رأى منكم منكـراً فليغـيره بيـده فـان لم يسـتطع فبلسـانه فـإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضـعف الإيمـان رواه مسـلم وفي لفـظٍ ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.

الشيخ صالح: نعم، هذا يدل على فضل العلم -وأن لم يقـترن بـه عمل-، فإنه إذا كان عنده علم فسينكر هذا الشـيء ولـو بقلبـه؛ لأن قلبه ينكر هذا الشيء بما أعطاه الله من العلم والتمييز.

وان لم يبتعد عنه بفعله وبلسانه، فيكون عنده إيمانٌ ضعيف، بخلاف الذي ليس عنده علم، فإنه لا يكون عنده إنكارٌ ولا بالقلب، فلا يكون عنده إيمان. نعم.

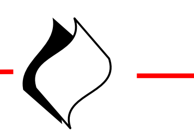
المذيـــــــع: قـال وإنكـار القلب هـو الإيمـان بـأن هـذا منكـر، وكراهته لـذلك. فـإذا حصـل هـذا كـان في القلب إيمـان، وإذا فقـد القلب معرفة هذا المعروف وإنكار هذا المنكر؛ ارتفـع هـذا الإيمـان من القلب.

الشيخ صالح: نعم هذا هو الحكمة من النهي عن التشبه بالكفار مع أنه سيقع في هذه الأمـة، كمـا أخـبر -صـلى الله عليـه وسـلم-؛ ليكون عند الإنسان علمٌ فيكره هذا الشيء ولو بقلبه، فيكون عنـده إيمانٌ ولو ضعيف، خيرٌ ممن ليس عنده إيمانٌ أصلاً. نعم.

230) في استغفار الرجل من الذنب:

المذيـــــــع: قـال وأيضـاً فقـد يسـتغفر الرجـل من الـذنب مـع إصراره عليه أو يأتي بحسناتٍ تمحوه او تمحو بعضه، وقد يقلل منـه وقد تضعف همته في طلبه إذا علم أنه منكر.

الشيخ صالح: وهذا أيضاً من فوائد العلم، في أن العالم وقع في شيءٍ من الأخطـاء فأنـه حـريٌّ أن يتـوب ويرجـع ويسـتغفر، لأن مـا عنده من العلم فيحجزه عن هذا الشـيء أويوقـع في قلبـه كراهيـة هذا الشيء، فيتذكر ويسـتغفر ويتـوب. فـالعلم فيـه خـير، ولـو في المستقبل، ولو خالفـه صـاحبه في وقتٍ من الأوقـات، فإنـه يرجـع إليه، فإنك تجد من عندهم علم، وإن وقعوا في كثيرٍ من الأخطاء.



إلا أنهم أقل الناس وقوعًا في الأخطاء، وإن وقعوا فيها فإنهم أقرب الناس إلى أن يتوبوا ويرجعوا، بخلاف من لا يعلم فإنه يظن أن ما هو عليه هو الحق؛ فيستمر على ما هو عليه وقد يزيد من ذلك. نعم

231) النهي عن التشبه بالأمم الكافرة:

المذيـــــع: قال أو يأتي بحسناتٍ تمحوه أو تمحو بعضه، ولإن لم يترك هذا الشيء

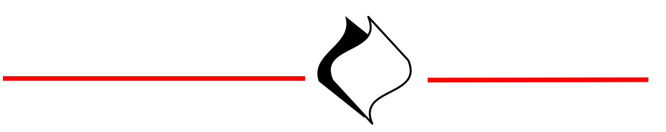
الشيخ صالح: وإن لم يترك هذا الشيء؛ فإنه يعمل بالصالحات يصلي ويصوم ويحج ويتصدق، وأن كان عنده شيءٌ من المخالفات والتشبه بالأعداء؛ فإن هذه الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان كفارةٌ لما بينهن. الحمد لله، فتكفر هذا التشبه الذي يحصل، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة فالأعمال الصالحات، يكفر الله بها الذنوب والصغائر. ومنها التشبه. نعم.

232) الفرق بين العالم والجاهل في حال حدوث التشبه والمخالفة:

المذيـــــع: قال وقد تضعف همته في طلبه إذا علم أنه منكر.

الشيخ صالح: وكذلك العالم لا يكون مقدماً على المخالفات، وإن كان يقع في بعضها أو في شيءٍ منها فإنه لا يكون إقدامه مثل إقدام الجاهل. نعم.

233) الوجة الأخر من بيان الحكمة من إخبار الرسول للمسلمين بضرورة عدم التشبه بالأمم الكافرة.



المذيع: قال ثم لو فرض إنا علمنا أن الناس لا يتركون المنكر ولا يعترفون بأنه منكر لم يكن ذلك مانعاً من إبلاغ الرسالة وبيان العلم، بل ذلك لا يسقط وجوب الإبلاغ.

الشيخ صالح: وهذا وجهٌ أخير في بيان الحكمة في كون الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أنه سيقع التشبه مع نهيه عنه، أن العلم بذلك يحمل العالم على أن يبلغ العلم ويدعو الى الله ويبين.

المذيع: قال بل ذلك يسقط وجوب الإبلاغ ولا وجوب الأمر والنهي،

الشيخ صالح: نعم فنحن مطلوبٌ منا أن نأمر وأن ننهى وننكر وإن كنا نعلم أو يترجح لدينا أن الناس لا يتركون هذا الشيء. لكن هذا من باب إقامة الحجة وإبراء الذمة. هذا لما قال جماعةٌ من بني اسرائيل من المؤمنين : ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[الأعراف:164]

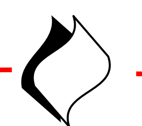
فلا يترك الإنكار والإبلاغ، وإن كانت النتيجة ميؤوساً منها أو ضعيفة؛ فان الإنكار لا يسقط وإبلاغ العلم، لا يسقط عن العالم. نعم.

المذيع: أحسن الله اليكم، قال -رحمه الله- على أن هذا ليس موضع استقصاء ذلك.

الشيخ صالح: نعم، يقول: إن هذا المكان أو هذا الموضع من هذا الكتاب لا يتسع لاستقصاء ما في بيان الحكمة. من كون الله أو الرسول ينهيان عن شيءٍ مع وقوعه. مع العلم بوقوعه. نعم.

234) هل يجب الإخبار عن المعاصي والمنكرات مع العلم أن الناس لن تنتصح؟

المذيع: مع أن الشيخ -أحسن الله- إليكم أشارإلى أصول مهمة في الدعوة ومواجهة المنكرات، حتى لا يكون من الداعين والمنكرين يأس. وأحياناً يكون بعض الناس يقول: أنت لن تقابل



هذا، وغلب المنكر وفشت المعاصي وإشارات قوية جداً حبذا تفيدني فيها يا شيخ.

بعض الناس قد ييأس يقول خلاص يعني نحن في زمن غربة وأخر الزمان وقل المطيع وكثر العاصي.

الشيخ صالح: هو كله في هذا الموضوع هو كله الكلام في هذا الموضوع في الذي. في رد فيه رد الذين يقولون هذه المقالة. أنه لا فائدة من ذكر الأدلة أو من ذكر الوعظ او التذكير، مع أن هذا شيءٌ واقع، والناس واقعون فيه، فلا تتعبوا أنفسكم، وهذا لا فائدة من ورائه إلى غير ذلك من التخذيل والإرجاف، فان العالم يمضي في طريقه، وكلما كثرت المنكرات تأكد عليه ان يبين ويبلغ للناس.

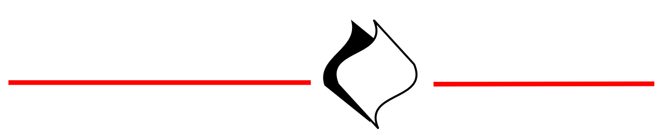
أما لو كان الناس صالحين ومستقيمين كلهم محتاج الأمر إلى لكن إنما يحتاج إلى العالم وإلى الإنكار إذا وقع في الناس خلل في الواجبات أو في فعل المحرمات.

حينئذٍ تشتد الحاجة للبيان والتذكير والموعظة حتى ولو كان الناس لا يقبلون هذا؛ فإنه سيأتي من يقبل -بإذن الله- ويبقى العلم؛ لأننا لو تركنا هذا لاندرس العلم ونسي العلم؛ فلابد من إحيائه وتوارثه وتبليغه للناس، لأنه قد يأتي من يعمل به،

قال الله جل وعلا ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[محمد:38]

فنحن لا نيأس، ولا نتوقف إذا كثر الشر والفساد في الأرض لا نتوقف عن الإبلاغ وعن البيان وعن التذكير والوعظ. نعم.

المذيع: أحسن الله إليكم. قال رحمه الله ولله الحمد على ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- من أنه لا تزال من أمته طائفةٌ ظاهرةٌ على الحق، حتى يأتي أمر الله.



الشيخ صالح: نعم، هذه إشارةٌ عظيمـة أنـه مـع كـثرة المنكـرات، كثرة المخالفين وغلبة الشـر؛ فـإن الحـق لا ينعـدم، بـل الحـق بـاقٍ وأهلـه بـاقون عليـه -وإن كـانوا قلـةً- هـذا يـرد على هـؤلاء الـذين يقولون إنه لا فائدة من الإنكار، ولا فائدة من البيـان ولا فائـدة من الوعـظ والتـذكير، والنـاس ماضـون في طـريقهم. هـذا مثـل قـول الطائفة من بني إسرائيل

(لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذابًا شَديدًا)

فلما جاء العقاب لم يذكر اللـه نجـاة هـذه الطائفـة الـتي سـكتت، ويُحتَمل أنها هلكت مع الهالكين؛لأنهم لم ينكروا. فدل هذا على أنه لا يترك الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكـر والبلاغ والبيـان مهمـا كثر الفساد في الأرض. بل تشتد الحاجـة إلى هـذا في هـذا الـوقت أكثر من غيرها. نعم.

المذيـــــــع: قـال وليس هـذا الكلام من خصـائص هـذه المسـألة. التشبه بل هو واردٌ في كل منكرٍ قد أخبر الصادق بوقوعه،

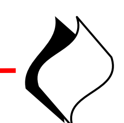
الشيخ صالح: نعم ليس هذا الكلام الذي ذكرنـاه من أنـه لابـد من البيان ولابد من الإبلاغ خاصاً بمسـألة التشـبه؛ ولكنـه عـامٌ في كـل المناهي والمنكـرات، حـتى ولـو كـثرت ولـو وقعت فلا يحملنا ذلـك على اليأس، والقنوط وعدم البيان؛ بل نمضـي في طريقنـا ونـبين ونبلغ ولا يأخذنا القنوط واليأس كما ذكرنا أنه:

أولاً هذا فيه إبراءٌ وإبلاغٌ للعلم، والله أخـذ على العلمـاء أن يبلغـوا ولا يكتموا العلم.

وثانيا لعل هؤلاء يتذكرون أو يتذكر منهم من يتـذكر فلا نقنـط ولا نيأس من رحمة الله، وأيضا ربما يـأتي بعـدهم، بعـد هـذا الجيـل مَن يأخذ هذا العلم ويستفيد منه. نعم.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



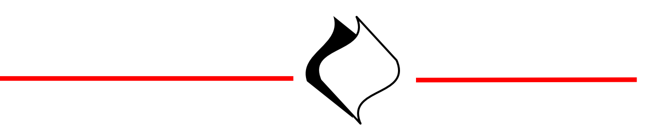
الدرس الثاني والثلاثون

المذيـــــع: بسم الله الـرحمن الـرحيم الحمـد للـه ربّ العـالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أيّها المستمعون الكـرام السـلام عليكم ورحمـة اللـه وبركاتـه وأهلا وسهلا بكم إلى هذه الحلقة الجديـدة في برنـامج/ **اقتضـاء الصـراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**
لشيخ الإسـلام/ أحمـد بن عبـد الحليم بن تيمية- رحمـه اللـه- يشـرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشـيخ/ صـالح بن فـوزان الفوزان .
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.
في مطلع لقائنا نرحّب بشيخنا الكريم فحيّاكم الله شيخ/ صالح.

235) النهي عن مشابهة الكفار بمجرد اللفظ ومعنى قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

المذيـــــع: قال المؤلّف- رحمـه اللـه تعـالى- في الحـديث عن مشابهة الكفّار والنهي عن ذلك قـال: وممّـا يـدلّ من القـرآن على النّهي عن مشابهة الكفّار قولـه سـبحانه: ﴿يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقـرة: 104]
قال قتادة وغيره: كانت اليهود تقوله استهزاء، فكره الله للمؤمنين أن يقولوا مثل قولهم .



وقال أيضا: كانت اليهود تقول للنبي صلى الله عليه وسلم رَاعِنَا سمعك، يستهزئون بذلك، وكانت في اليهود قبيحة.
وروى أحمد عن عطية قال: كان يأتي ناس من اليهود فيقولون: راعنا سمعك، حتّى قالها ناس من المسلمين، فكره الله لهم ما قالت اليهود.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

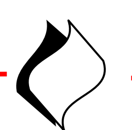
قال الله تعالى:" ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة:104]

راعنا في الأصل من الرعاية أو من الإرعاء أي: أرعنا سمعك ، أقبل علينا حتّى تسمع منّا وحتّى نفهم ما تقول لنا فهو من المراعاة أو من الرعاية أو من الانتظار أو الإنظار والمطلوب من هذه الكلمة أنّه يطلب من المخاطب أن يراعي المتكلم في سماع كلامه وفي إجابته وفي إمهاله هذا أصل الكلمة وهو لا بأس به في الأصل ولا بأس باستعمالها ، لكن عرض أنّ اليهود استغلّوا هذه الكلمة بمعنى سيء وذلك أنّهم حوّلوا المعنى إلى الرعونة حوّلوها عن ظاهرها إلى الرعونة فيقصدون أنّ النبي صلى الله عليه وسلم راعٍ يعني فيه رعونة فهم يقولونها فيما يظهر أنّها طلب من الرسول أن يراعيهم كما يطلب منه المؤمنون ولكنّهم يحوّلون معناها فيما بينهم وفي عرفهم إلى معنى سيء وهو الطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم وأنّ فيه رعونة أي خفّة وعدم اتّزان .

فالرعونة معروفة أنّها كلمة ذميمة بخلاف (انظرنا) فإنّها كلمة لا بأس بها لكن لمّا كانوا يقصدون منها معنا سيئا نهي المسلمون أن يقولوها سدا للطريق على اليهود هذا من ناحية.

النّاحية الثانية أنّ المسلمين إذا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا تشبّهوا باليهود - وهذا هو المطلوب في هذا الباب- تشبّهوا باليهود في هذه الكلمة فربّما يُفهم أنّ المسلمين يقصدون بها ما يقصده اليهود فلذلك مُنعوا من ذلك.

فهذا فيه مسألتان: المسألة الأولى ــ تحريم التّشبّه بالكفّار ولو بالألفاظ، المسألة الثانية ــ فيه سدّ الذرائع وهي قاعدة عظيمة فلمّا كان اليهود يقصدون من هذه الكلمة معنى سيئا وكان أصلها



مُباحا مُنع منها ففيه أنّ المُباح إذا كان يُفضي إلى محرّم أنّه يُحرّم سدًّا للذّرائع، وهذه قاعدة معروفة عند أهل العلم. نعم

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم وقال عطاء: كانت لغة في الأنصار في الجاهلية.

الشيخ صالح: أنّهم يقولون راعنا بمعنى أرعنا سمعك نعم

المذيـــــــع: وقال أبو العالية: إنّ مشركي العرب كانوا إذا حدّث بعضهم بعضا يقول أحدُهم لصاحبه: أرعني سمعك فنُهوا عن ذلك، وكذلك قال الضّحاك

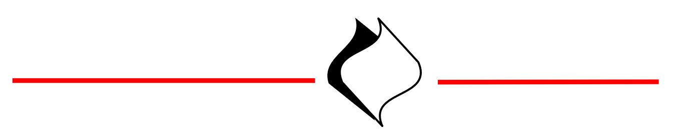
الشيخ صالح: نهي المسلمون عن ذلك لأن اليهود استغلوا هذه الكلمة الى معنى سيء وان كان أصلها مباحا نعم

المذيـــــــع: فهذا كله يبيّن أنّ هذه الكلمة نُهي المسلمون عن قولها ، لأنّ اليهود كانوا يقولونها، وإن كانت من اليهود قبيحة، ومن المسلمين لم تكن قبيحة.

الشيخ صالح: كما ذكرنا أنّ هذا فيه سدّ الذرائع وأنّ الحلال إذا كان يُفضي إلى الحرام فإنّ الحلال يُترك سدّا للذريعة.
والله جلّ وعلا أعطى البديل عنها وقال:" وَقُولُوا انظُرْنَا "
فهذا فيه أنّ من نُهى عن شيء وكان له بديل صالح فإنّه يأتي بالبديل ويُوجّه إليه هذه الكلمة (انظرنا) ليس فيها احتمال، وأمّا (راعنا) فهي احتمال لليهود. نعم

المذيـــــــع: قال : لأنّ اليهود كانوا يقولونها ، وإن كانت من اليهود قبيحة ، ومن المسلمين لم تكن قبيحة لمّا كانت في مشابهتهم فيها من مشابهة الكفار، وتطريقهم إلى بلوغ غرضهم .

الشيخ صالح: هذا ما ذكرنا؛ أنّها مُنع منها لأمرين:
الأمر الأول: التّشبّه بالكفار -ولو في اللفظ- .
والثاني: سدّ الذّريعة التي تُفضي إلى الحرام.
وفيه ما ذكرنا أنّه إذا كان هناك بديل ليس فيه احتمال للسوء فإنّه يُؤخذ بالبديل ويُترك ما هو محتمل لأنّ كلمة (انظرنا) ليس فيها احتمال خلاف (راعنا) ففيها فلذلك مُنع منها. نعم



المذيـــــــــع: إذا يـا شـيخ هـذا النهي الواضـح بنص القـرآن عن المشابهة في مجرد ألفاظ بيّن المسلمين والكافرين أصلٌ مهمّ في النّهي عن الاستجابة في غير ذلك .

الشيخ صالح: ما في شكّ وإنّ التّشبّه ممنوع لوجه عامّ، والتّشـبّه بهم في الكلام، وسيأتي كلام الشّـيخ في تعلّم رطانـة الأعـاجم من غير حاجة والتّشبّه بهم في اللبـاس الخـاصّ بهم، والتّشـبّه بهم في المشية، والتّشبّه بهم في الأكل والشـرب - يعـني في صـفة الأكـل والشرب؛ لا في أصل الأكل والشرب لكن في صفة الأكل والشرب. نعم .

236) من أنواع التّشبّه المنهي عنه التّشبّه بالكفّار التّفرّق في الدين

المذيـــــــــع: قـال: وقـال اللـه سـبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُـوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَـيْءٍ إِنَّمَـا أَمْـرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[الأنعام:159]

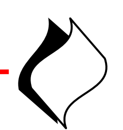
ومعلوم أنّ الكفّار فرّقوا دينهم وكانوا شيعا، كما قال تعالى:

﴿وَلا تَكُونُـوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُـوا وَاخْتَلَفُـوا مِنْ بَعْـدِ مَـا جَـاءَهُمُ الْبَيِّنَـاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران:105]

وقال : ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:4]

وقال: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُـوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ وَسَـوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[المائدة:14]

الشيخ صالح: نعم ومن أنواع التّشبّه بالكفّارالتّشبّه المنهي عنه. التّشبّه بهم في التّفرّق في الدين لأنّ الله جلّ وعلا أرسـل الرسـل وأنـزل الكتب ليكـون النـاس على عقيـدة واحـدة، وإن اختلفت من شرائع الأنبياء فإنّ مُؤداها واحد وهو عبادة الله وحـده لا شـريك لـه لكنّه يُشرّع لكل أمّة مـا يُناسـبها في وقتهـا ثمّ ينسـخ ذلـك بالبـديل الذي يصلح للوقت الذي هو فيه إلى أن جـاء الإسـلام فصـار صـالحا لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة.



فلذلك شريعة الإسلام لا تُنسخ فهي الشريعة الباقية إلى أن تقوم الساعة فالله جلّ وعلا يريد من عباده أن يجتمعوا على عبادته وعلى توحيده وأن يعملوا بكتابه.

أي كتاب أنزله في وقته، التّوراة في وقتها، الإنجيل في وقته، القرآن في وقته؛ وهو ما تبّقى من الدنيا إلى أن تقوم الساعة، ومن عمل بكتاب الله فإنّه لا يتفرّق؛ لأنّ الكتاب يجمع ولا يُفرّق، وإنّما التّفرّق يحصل باتّباع الأهواء والتّعصّب للآراء واتّباع الشّهوات والرّغبات فإذا النّاس اعتمدوا على الكتاب والسّنّة حصل الاجتماع.

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران:103]

وقال جلّ وعلا: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
[آل عمران:105]

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[الأنعام:159]

فالله برّأ رسوله صلى الله عليه وسلم من المتفرّقين في دينهم لأنّ الدين ليس محلًّا للتّفرّق ، وإنّما هو دين واحد .

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[الشورى:13]

فالدين ليس محل تفرّق، وإنّما التّفرّق في الأهواء والرغبات والانقسامات والجماعات إلى غير ذلك .

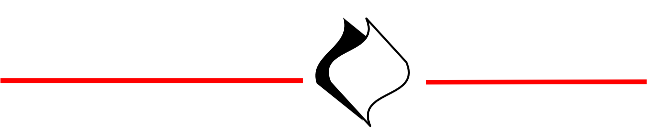
فالمسلمون أمّة واحدة كما قال تعالى: ﴿وإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:92]

وقال عليه الصلاة والسلام:" المؤمن للمؤمن كالبنيان ".

قال صلى الله عليه وسلم:" مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاضدهم كمثل الجسد الواحد".

المسلمون جسد واحد وبنيان واحد وأمّة واحدة، فالتّفرّق يُحدث العداوة ويُحدث سفك الدماء ويُحدث ضعف في الأمّة، خلاف الاجتماع؛ فإنّه رحمة وقوة وعزة.

هذا هو المقصود كما أنّنا لا نتشبّه بهم في الكلام ولا في اللباس ولا في دينهم، وكذلك لا نتشبّه بهم في التّفرّق في الدين،



فالواجب على المسلمين أن ينبذوا الخلافات؛ لا نقول إنّه لا يحصل اختلاف في مسائل الفقه، والاجتهاد. فهذا أمر مطلوب.
الاجتهاد والبحث عن الحق ولو اختلفت أنا وأنت في مسألة من المسائل الفقهية؛ فهذا لا عيب فيه، ولكن علينا جميعا إذا اختلفنا أن نرجع إلى الكتاب والسّنّة فنأخذ ما ترجّح بالدليل، ونترك المرجوح؛ هذا هو المفروض والواجب على الجميع، أمّا الاختلاف في العقيدة، والاختلاف في الدين والعبادة فهذا لا يجوز بحال من الأحوال ولا اجتهاد فيه لأنّه توقيفي. نعم

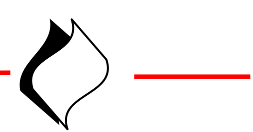
237) القدوة الوحيدة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المذيع: أحسن الله إليكم قال رحمه الله: قد قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: (لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) وذلك يقتضي تبرؤه منهم في جميع الأشياء .

الشيخ صالح: الله جلّ وعلا برّأ رسوله من المختلفين في الدين.
(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا) هذا يعبد الله على طريقة فلان: على طريقة عبد القادر الجيلاني- وهذا على طريقة النقشبندي، وهذا على طريقة...

المذيع: ميرزا أحمد القادياني-

الشيخ صالح: هذا غير الصوفية- هذا يدّعي النبوة. هؤلاء مخالفون للرسول صلى الله عليه وسلم أصلا ويدّعون أنّ لهم نبيا مصطنعا- والعياذ بالله- هؤلاء أشدّ، لكنّ الكلام في الذين ينتسبون إلى اتّباع الرسول صلى الله عليه وسلم ومع هذا يتفرّقون عليه ويكون قدوتهم فلان ، وعلان .
الواجب أنّ القدوة هو الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القدوة الوحيدة (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) ونقلّد ونقتدي من العلماء بمن اقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم واتّبع الرسول ، أمّا من خالف الرسول وابتكر طريقة أوعبادة من عنده فإنّنا نرفضه ونبتعد عنه فالله جلّ وعلا إنّما يُعبد بالشرع وما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يُعبد بالأهواء والتعصبات ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله في موضع أو في الرسالة السّنية يقول: " من زعم أنّه يجب الاقتداء بمعيّن غير



رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنّه يُستتاب فإن تاب؛ وإلّا قُتل " لأنّه لا أحد يجب اتّباعه بعينه إلّا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّا غيره فإنه يتّبع فيما وافق فيه النبي صلى الله عليه وسلم. نعم

المذيـــــــع: قال: وقد قال تعالى: (لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) وذلك يقتضي تبرؤه منهم في جميع الأشياء.

الشيخ صالح: كلمة شيء في سياق النفي تعمّ كل شيء، فالرسول بريء منهم في جميع أمورهم وجميع أحوالهم ما داموا متفرقين في دينهم فليتفطّن لهذا أصحاب النحل الباطلة والفرق الضّالّة التي تزعم أنّها على الإسلام وهي تتّبع فرقًا منحرفة ومتفرّقة.

والإسلام ليس فيه تفرّق وليس فيه اختلاف في العبادة والعقيدة والأمّة وإنّما هو دين واحد وأمّة واحدة. نعم

238) بيان مذهب وحدة الوجود الكافرة:

المذيـــــــع: قال: ومن تابع غيره في بعض أموره فهو منه في ذلك الأمر.

الشيخ صالح: من تابع غير الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولو في بعض أموره فإنّه منه- من ذلك المتبوع- وليس من الرسول صلى الله عليه وسلم في شيء. نعم

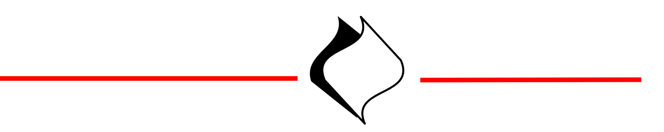
المذيـــــــع: لأنّ قول القائل: أنا من هذا، وهذا منّي، أي: أنا من نوعه، وهو من نوعي، لأنّ الشخصين لا يتحدان إلا بالنوع، كما في قوله تعالى:

﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[آل عمران:195]

وقوله صلى الله عليه وسلم لعليّ:" أنت منّي وأنا منك "

الشيخ صالح: نعم، الإنسان من الإنسان، بمعنى أنّه من نوعه لا من عينه؛ فلا يمكن أن يكون عينا واحدة، وإنّما إنسان هو الإنسان في النوع في نوع الإنسانية فقوله صلى الله عليه وسلم لعليّ:" أنت منّي وأنا منك "

أي أنت تشبهني وأنا أشبهك؛ لا أنّ عين عليّ هو عين الرسول صلى الله عليه وسلم هذا مذهب وحدة الوجود الكافرة. نعم



المذيــــــــع: فقـول القائـل: لسـت من هـذا بشـيء، أي: لسـت مشاركا له في شيء، بل أنا مُتبرّىء من جميع أموره.

الشيخ صالح: يختلفـون في شـيء من جميـع الأشـياء الـتي هي خارج الذات لا الذات وحدها. نعم

المذيــــــــع: وإذا كان قد برّأ الله رسوله صـلى اللـه عليـه وسـلم من جميع أمورهم فمن كان متّبعا للرسول صـلى اللـه عليـه وسـلم حقيقـة كـان مُتبرئًا كتبرئـه، ومن كـان موافقًـا لهم كـان مُخالفـا للرسول بقدر موافقته لهم.

الشيخ صالح: نعم، من كان مُتّبعا للرسول صلى الله عليه وسـلم مقتديًا به؛ فإنّه بريء من هـذه الفـرق كلهـا، كمـا بـرّأ اللـه رسـوله منها، ومن كان متبعًا لأحد من هذه الفرق فهـو بـريء من الرسـول صلى الله عليه وسلم والرسول بريء منه فلا يجتمع أنّك تكـون مـع الرسول وتكون مع غيره، مع من خالفه. نعم.

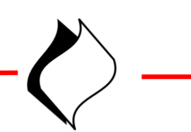
(239) من معاني الاختلاف والاتفاق في الدين، والمسلم يتلقى أوامر الله ورسوله بالتسليم وسرعة الاستجابة.

المذيــــــــع: قـال: فـإنّ الشخصـين المختلفين من كـل وجـه في دينهما، كلما شابهت أحدهما خالفت الأخر.

الشيخ صالح: فإنّ الشخصين المختلفين من كل وجه في دينهمـا ما يجتمع أنّك تكـون من هـذا ومن هـذا؛ فـإذا كنت مـع واحـد فـأنت بريء من الأخر ومخالف له مخالفة تضاد، أمّا إذا كـان الاختلاف في وجه دون وجه فقد يكـون فيـه نـوع من الاجتمـاع فيمـا اتّفـق عليـه وافتراق فيما اختلفوا عليه فيه.

المذيــــــــع: وقال الله سبحانه تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَـا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَـا فِي أَنفُسِـكُمْ أَوْ تُخْفُـوهُ يُحَاسِـبْكُمْ بِـهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: 284] إلى آخر السورة .

وقد روى مسلم في صـحيحه: عن العلاء بن عبـد الـرحمن عن أبيـه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قـال : لما نـزلت على رسـول اللـه



صلى الله عليه وسلم ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:284] اشتدّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثمّ بَركوا على الرّكب فقالوا : أي رسول الله كُلفنا ما نطيق : الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد نزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا؟

بل قولوا : سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربّنا، وإليك المصير" فلما اقترأها القوم وذَلّت بها ألسنتهم ، أنزل الله في إثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة:285]

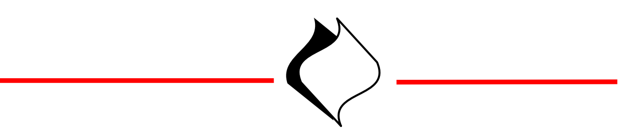
فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله : ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال : نعم : ﴿ رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾

قال : نعم : ﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال : نعم : ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال : نعم .

قال المؤلف رحمه الله: فحذّرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يتلّقوا أمر الله بما تلّقاه أهل الكتابين.

الشيخ صالح: نعم وهذا نوع أخر من التّشبّه الذي نُهينا عنه وهو أنّ اليهود والنصارى كانوا يتلّقون أوامر الله وأوامر رسله بالتثاقل والبطء والاعتراضات الباردة كما حصل من اليهود في ما ذكره الله عنهم في سورة البقرة وغيرها من أنّهم إذا أُمروا بالأوامر يتثاقلون ويتسائلون و يتكاسلون فالله جلّ وعلا أراد أن يمتحن هذه الأمّة هل تكون مثل الأمم السابقة أو لا فأنزل الله هذه الآية :

﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ



تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِـهِ اللَّهُ فَيَغْفِـرُ لِمَنْ يَشَـاءُ وَيُعَـذِّبُ مَنْ يَشَـاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:284]

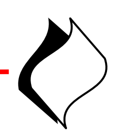
ذكر أنّه يحاسب العبد حتى على نيته وما في قلبه -ولـو لم يعمـل-؛ فشـقّ ذلـك على صحابة رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لأنّ الصحابة يُبادرون إلى العمل بالقرآن والسّنّة فإذا نزل عليهم شـيء بادروا بالامتثال، لكن لما نزلت عليهم هـذه الآيـة شـقت عليهم لأن أحدا لا يسلم من التفكير والهواجس الـتي في القلـوب هـذا شـيء يعرض لكل أحد فإذا كان الله سيحاسـبهم عليـه؛ فإنّـه لا يبقى لهم شيء فلذلك شـقّ ذلـك عليهم فـذهبوا إلى النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم مشفقين وجثوا على الرُّكب وقالوا كُلفنا مـا نطيـق فصـبرنا وإنّه نزلت عليك آية لا نُطيقها.

فالنبي صلى الله عليه وسلم لامهم وقال: أتريدون أن تقولـوا كمـا قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا ؟

بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربّنا، وإليك المصير"؛ فعند ذلـك الصـحابة رضـي اللـه عنهم استسـلموا لهـذا وآمنـوا بـه وتركـوا الاعتراض فلما امتثل الصحابة ذلك واستسلموا لهذا الامر وخضـعوا له عند ذلك أنزل الله قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنـزِلَ إِلَيْـهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِـهِ وَكُتُبِـهِ وَرُسُـلِهِ لا نُفَـرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَـكَ رَبَّنَـا وَإِلَيْـكَ الْمَصِـيرُ﴾ [البقرة:285]

امتثلـوا قـول الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم لهم قولـوا سـمعنا وأطعنـا يعـني ولا تعترضـوا وإن كـان في هـذا مشـقة عليكم وأنّـه شـــيء غـــير مـــألوف لكم ولا تطيقونـــه فلا يسـعكم إلّا الامتثـــال والاستسلام لأمر الله سبحانه وتعالى، وهذه تربية من الله عزّ وجلّ لهذه الأمّة في أنّهم لا يقابلون أوامـر اللـه بـالاعتراض أو بالتثاقـل وإن كانت شاقة ومكلفة فعليهم الامتثال والصبر. فلما حصل منهم الإيمان والاستسلام وعند ذلك نسخ الله هذه الآية قولـه تعـالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَـبَتْ رَبَّنَـا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وفي الأول فيه أنّـه يؤاخـذهم بالخطـأ والنسيان .

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَـا فِي أَنفُسِـكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِـهِ اللَّهُ فَيَغْفِـرُ لِمَنْ يَشَـاءُ وَيُعَـذِّبُ مَنْ يَشَـاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:284]



لا تؤاخذنا دعوا ربهم فبدل أن تعترض تدعو الله عزّ وجلّ: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)[البقرة:286]

إصرا يعني ثقلا وحملا ثقيلا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به فبدل من الاعتراض الدعاء فهم استسلموا أولا ثم دعوا ربهم ثانيا فاستجاب الله لهم ونسخ الآية التي قبلها في أنّ الإنسان لا يؤاخذ بما أخطأ فيه أو نسيه أو حدّثت به نفسه من غير أن يتكلم أو يعمل كما قال صلى الله عليه وسلم:" عفي لأمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " "عفي لأمتي الخطأ والنسيان وما حدّثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل " وهذا لطف من الله عزّ وجلّ وتيسير من الله لكن هذا ما حصل إلا بعد أمرين

الأمر الأول : الاستسلام والانقياد لأمر الله وعدم الاعتراض .

الأمر الثاني : الدعاء؛ لأنّ الله لا يكلّفنا ما لاطاقة به وأن يعفو عنّا ما حصل منّا من الخطأ والنسيان : (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)[البقرة:286]

قال الله -جل وعلا- قد فعلت لأنّ هذا دعاء والله جلّ وعلا أجابهم بأنّه قد فعل ذلك .

المذيع: قال: فحذّرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يتلقوا أمر الله بما تلّقاه الكتابيين وأمرهم بالسمع والطاعة فشكر الله لهم ذلك حتّى رفع عنهم الأصار والأغلال التي كانت على من كان قبلنا.

الشيخ صالح: الحمد لله . نعم

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثالث والثلاثون

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّم عَلى نبينا محمد وعلى آلِه وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامج [اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، رَحِمَهُ اللهُ.

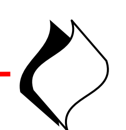
يشرح الكتاب عبر هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقائنا نُرحب بشيخنا الكريم، فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

240) تحذير النبي للمسلمين أن يتلقَّوْا أمر الله بما تلقَّاه أهل الكتاب

المذيـــــــع: ذكر المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تعالى- ما جاء في صحيح مسلم ما أخبر به النبي صلي الله عليه وسلم من قول الله تعالي: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البقرة:284].



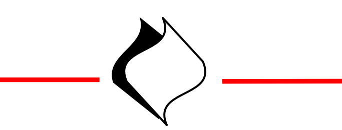
وسبق بعض الحديث الشرح عن هذه، وقفنا مع المؤلف عند قوله بعد ذلك: (فحذرهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم أن يتلقوا أمر الله بما تلقاهُ أهل الكتابين، وأمرهم بالسمع والطاعة، فشكر الله لهم ذلك حتى رفع عنهم الآصار والأغلال التي كانت على من كان قبلنا).

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

من جُملة التشبه الذي نهانا الله ورسوله عنه بإهل الكتاب، التشّبُّه بهم في تلقيهم لأوامر الله ورسله، أنهم كانوا يتلكّأون عند التلقِّي، ويتكاسلون، فالله سبحانه وتعالى عاقبهم وشدَّد عليهم، وكما سبق أنهم أيضاً كانوا يُكثرون الأسئلة بدل أن يبادروا بالإمتثال، يكثرون الأسئلة والإشكالات، فالله جَلَّ وَعَلَا عاقبهم، حمَّلهم آصارا وأغلالا.

وقد أراد الله سبحانه أن يمتحن هذه الأمة، ليظهر الفرق بينها وبين الأمم السابقة في هذا المضمار وغيره، فالله جَلَّ وَعَلَا، أنزل عليهم هذه الآية: ﴿لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ﴾ [البقرة: 284]_ فعند ذلك خاف الصحابة من هذه الآية، لأن الله أخبر أنه يحاسبهم بما في صدورهم وما في قلوبهم، فشقَّ ذلك عليهم شقةً شديدة، وجاءوا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم وجثُّوا على الركب، لأنهم أمةٌ يريدون العمل، فهم لو عملوا بهذه الآية لشقت عليهم. لأنه قلَ من يسلم من الهواجس، وقلَ من يسلم من الخطأ والنسيان، والله أخبر أنه سيحاسبهم على ذلك، فشق ذلك عليهم.

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم أنكر عليهم هذا، وقال: «عَليكُم بِالسَمِع وَالطَاعَة وَلَا تَكونوا كَالذينَ مِن قَبلِكُم» فيما يقابلون به أمر الله سبحانه وتعالى. عليكم بالسمع والطاعة، والإمتثال، والصبر، فعند ذلك اقتنعوا، وقالوا: سمعنا وأطعنا. فأنزل الله تعالى قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا



وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]، فعند ذلك نسَّخ الله هـذه الآيـة وخفـف عن عبـاده لمـا ظهـرت طـاعتهم وامتثـالهم وانقيادهم، خلاف الأمم الذين من قبلهم فالله جَلَّ وَعَلَا نسخ الآيـة بقوله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَـا كَسَـبَتْ وَعَلَيْهَـا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَـا وَلاَ تَحْمِـلْ عَلَيْنَـا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَـا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَـا وَارْحَمْنَـآ أَنتَ مَوْلاَنَـا فَانصُـرْنَا عَلَى الْقَـوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 286].

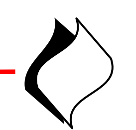
قال الله سُبْحَانهُ وَتَعَالَى عند كـل دعـاء: «نَعَم، نَعَم» ثم قـال: «قَـد أجَبت»، عند ذلـك خفـف اللـه عن هـذه الأمـة، ونسـخ عنهـا الآصـار والأغلال واستجاب هذا الدعاء وهذا إنما هو ببركة الإمتثال والسـمع والطاعة وعدم مشابهة أهل الكتاب في تلكؤهم عند أوامر الله.

والحاصل من هذا أننا نُهينـا أن نتشّـبَّه بأهـل الكتـاب بـالتوقف عنـد أوامـر اللـه، وكـثرة الأسـئلة والاستشـكالات، وأن الـواجب علينـا المبادرة والسمع والطاعة، وأنَّ ذلك يُفضي إلى يسرٍ بإذن اللـه عَـزَّ وَجَّل.

241) وصف الله للرسول بأنه يضع عن المسلمين الأغلال والآصار

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (وقال اللـه في صفته صَلَّى اللهُ عَليِهِ وَسَـلَّم: ﴿وَيَضَـعُ عَنْهُمْ إِصْـرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَـانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعـراف: 157]، فـأخبر اللـه سـبحانه أنَّ رسـوله عليـه الصلاة والسلام يضع الآصار والأغلال التي كانت على أهـل الكتـاب، ولما دعا المؤمنون بذلك أخبر الرسول صَلَّى اللهُ عَليِهِ وَسَلَّم أنه قد استجاب الله دعاءهم).

الشيخ صالح: نعم، الله سُـبْحَانهُ وَتَعَـالَى، وصـف رسـوله محمـداً صَلَّى اللهُ عَليِهِ وَسَلَّم، بأنه يضع الآصار والأغلال عن أتباعه، فلو أنَّ أهل الكتاب امتثلوا وأطاعوا هـذا الرسـول صَـلَّى اللـهُ عَليِـهِ وَسَـلَّم ودخلـوا في دينـه، لوضَـع اللـه عنهم الآصـار والأغلال الـتي كـانت عليهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُـولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ



الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: 157]، يعني: على أهل الكتاب، لو أنهم آمنوا بهذا الرسول واتبعوه لوضع الله عنهم هذه الآصار والأغلال، لكنهم لمَّا لم يتبعوه بقيت عليهم إلى يوم القيامة، لم تُنسخ في حقِّهم، وإنما نُسخت في حق من آمن بهذا الرسول صَلَّى اللهُ عَليِهِ وَسَلَّم منهم.

فهم فاتهم هذا الثواب العظيم في اتباع هذا الرسول صَلَّى اللهُ عَليِهِ وَسَلَّم، ومن صفة هذا الرسول أن شريعته يسرٌ وسهولة، ليس فيها آصارٌ ولا أغلال، وأن الله جَلَّ وَعَلَا استجاب دعاء عباده لما طلبوا منه أن يضعوا عنهم الآصار، ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: 286] قال الله: «وَقَد فَعَلت».

242) إن الله يُحب أن تُؤخذ رخصه

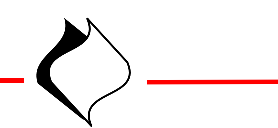
المذيـــــع: قال: (وهذا وإن كان رفعاً للإيجاب والتحريم فإنَّ الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تؤتى معصيته»، وقد صح ذلك عن النبي صَلَّى اللهُ عَليِهِ وَسَلَّم).

الشيخ صالح: نعم، فالله جَلَّ وَعَلَا يُحب اليُسر، وهو رفيقٌ يحب الرفق، فالله جَلَّ وَعَلَا يحب من عباده أن يأتوا رخصه، كما يكره منهم أن يأتوا معصيته كما في الحديث.

هذا دليلٌ على أن الله يحب لعباده اليسر والسهولة، كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]

243) زجر النبي أصحابه عن التَّبَتُّل

المذيـــــع: قال: (كما كان النبي صَلَّى اللهُ عَليِهِ وَسَلَّم، يكره مشابهة أهل الكتابين في هذه الآصار والأغلال، وزجر أصحابه عن التبتُّل وقال: «لَا رَهبَانيَة في الإسلاَم»، وأمر بالسحور ونهى عن المواصلة، وقال فيما يعيب أهل الكتابين ويحذر موافقتهم: «فَتِلكَ بَقايَاهُم الصوامع» وهذا بابٌ واسعٌ جداً).

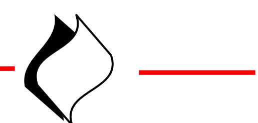


الشيخ صالح: نعم، الرسـول صَـلَّى اللـهُ عَليِـهِ وَسَـلَّم، أنكـر على بعض أصحابه، أن يحملوا على أنفسهم في العبادة ويتشدَّدوا فيهـا، وحذَّرهم مما وقع لمن كان قبلهم من هذا الشيء وما أفضـى إليـه، الله سُبْحَانهُ وَتَعَالَى، أخبر عن النصارى وقـال تعـالى: ﴿وَجَعَلْنَـا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً﴾ [الحديـد: 27]؛ يعـني: المسـيح عليـه السـلام ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: 27]،ـ الرأفة والرحمـة هـذه ثابتـة، وهـذه من شـرع ومن شـرع المسـيح عليـه السـلام، ولكن الرهبانية وهي التشـدد في العبـادة، هـذه ليسـت من دين المسـيح، عليـه السـلام، وإنمـا أحـدثوها، ولهـذا قـال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَـدَعُوهَا﴾ والإبتـداع: هـو إحـداث شـيء في الـدين ليس منـه، فهُم ابتـدعوا الرهبانية وهي الانقطاع عن الدنيا والتفـرغ للعبـادة، ولم يسـتمروا على هذا لأنهم انقطعوا، ولهذا قال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني أن اللـه لم يفرضـها عليهم ﴿إِلاَّ ابْتِغَـاء رِضْـوَانِ اللَّهِ﴾، يعني: لكن هم إبتدعوها لقصدٍ حسن وهو ابتغاء رضوان الله.

هذا دليلٌ على أن العبرة ليست بالنية والقصد وإنما العبرة بالشرع، فالإنسان يتبـع مـا شـرعه اللـه ورسـوله ويـترك مـا نهى اللـه عنـه ورسوله، ولا يحدث البدعة ولو كانت نيته فيها حسنة، فإنها سيئة.

ولهذا قال: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: 27]، مع أنهم ابتـدعوها لابتغاء رضوان الله، ما رعوها حق رعايتها، عجزوا، ولهذا نهى النبي صَلَّى اللهُ عَليِهِ وَسَلَّم، عن التشدد في العبـادة. وقـال: «إنَّ المنبَّتْ لا أرضاً قَطَعَ وَلَا ظَهراً أبقَى»، فالمتشدد في العبادة ينقطـع، لأنـه عبـدٌ ضـعيف فلا يسـتطيع الاسـتمرار مـع التشـدد، وإنمـا يسـتطيع الاستمرار مع اليسر والسـهولة كمـا في هـذا الـدين الحـنيف الـذي اختاره الله لهذه الأمة وهو دين اليسر، من غير إفراط ولا تفريط.

فالنبي صَلَّى اللهُ عَليِهِ وَسَـلَّم لمـا هَّم طائفـة من أصـحابه، بأشـياء يريدون بها التقرب الى الله، وفيها مشـقة على النفـوس وحرمـان للنفوس، نهاهم صَلَّى اللهُ عَليِهِ وَسَلَّم، فنهى عن الخِصـاء، من أراد أن يختصي خوفاً من الزنا نهاه عن ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَليِـهِ وَسَلَّم، ولهذا قال: «نُهينا عن التبتل»؛ وهو الانقطاع للعبادة وتـرك النسـاء، «ولـو أُمرنَـا بِـه لاختصَـينا» -أو كمـا جـاء-، فاللـه جَـلَّ وَعَلَا نهاهم عن ذلك رفقاً بهم.



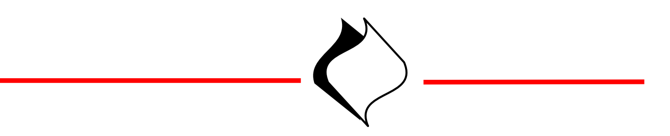
وأراد جماعةٌ من أصحابه أن يسألوا عن أعمال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم، ليقتدوا به فيها، فلما أُخبروا من قبل زوجاته -رَضِيَ اللهُ عَنْهُن-، كأنَّهم تَقالُّوا عبادة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم، لكن قالوا: «أين نحن من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم، قد غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال من قال: وأنا لا آكل اللحم، فلما علم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم بذلك، غضب غضباً شديدًا، وقال: والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، وإني أصلِّي وأنام وأصوم وأفطر، وأتزوّج النساء وآكل اللحم، ومن رغب عن سُنَّتي فليس مني» فنهاهم صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم عن ذلك، واعتبره رغبةً عن سنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم.

وتبرّأ ممّن فعله مع أنه يريد الخير، ويريد الزيادة في الخير، لكن الله لم يشرع لنا ذلك، لم يشرع لنا أن نشقَّ على أنفسنا، وأن نحمِّلَها ما لا تطيق، فهذا لا يرضاه الله جَلَّ وَعَلَا، وليس فيه أجرٌ ولا ثواب؛ لأنه غير مشروع، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيِهِ وَسَلَّم، أنكر على أصحابه الذين هَّموا بأشياء من جنس ما كان يعمله أهل الكتاب، وقال: «تلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانيةً ابتدعوها ما كتبها الله عليهم».

244) نهي النبي أصحابه عن مواصلة الصيام

المذيـــــع: قال: (فنهى عن التبتل وأمر بالسحور ونهى عن المواصلة وقال فيما يعيب أهل الكتابين: «فتلك بقاياهم في الصوامع»).

الشيخ صالح: نعم، ومن ذلك أنَّه نهى عن الوصال في الصيام، وهو أن الإنسان يصوم الأيام ولا يفطر بينها، يريد التقرب إلى الله بذلك، هذا يشق على النفوس، ويحمِّلها ما لا تستطيع، فلهذا شرع الله الإفطار عند غروب الشمس، والسحور عند الفجر، قال سُبْحَانهُ وَتَعَالَى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: 187]، إلى قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ



﴿الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّيْلِ﴾ [البقرة: 187]، فلما أراد جماعةٌ من أصحابه الوصال نهاهم صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، عن ذلك؛ رفقاً بهم، وسداً لهذا الباب لئلا يتطور فيما بعد، فتُترك الشريعة بهذه الطريقة، الناس ما يستطيعون هذا الشيء، فيؤول هذا إلي ترك الشريعة، فهذا من باب سد الذرائع.

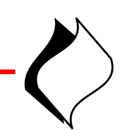
ولما قالوا له: «إنَّك يا رسول الله تواصل، قال: إني لستُ كهيئتكم، إنَّني أبيتُ عند ربي يُطعمني ويسقيني»، هذا من خواص الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، أما نحن فلا نستطيع ما يقوم به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم من العبادات، فالرسول له خواص.

245) معاداة الله للمنافقين الذين تَولَّوْا اليهود

المذيع: أحسن الله اليكم. قال: (وقال سُبحَانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 51]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ﴾ [المجادلة: 14]، يعيب بذلك المنافقين الذين تولوا اليهود، إلى قوله: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: 22]، إلى قوله: ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ [المجادلة: 22])

الشيخ صالح: نعم، هذا باب الموالاة؛ باب الولا والبراء من اليهود والنصارى وسائر الكفرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء﴾، و(الوَلاية) بفتح الواو معناها: المحبة والمناصرة والمعاونة لهم والمعاونة للكفار، فإنَّه لا يجوز، ولهذا قطع الله الموالاة بين المسلمين والكفار في المواريث، وفي المناصرة، وفي المحبة في القلوب لأنَّ محبتهم في القلوب تجر إلى التشّبُّه بهم في الأعمال، فلذلك الله حرم موالاة اليهود والنصارى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء﴾.

ثم قال: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾، هم يتولى بعضهم بعضاً في التوارث وفي المناصرة وفي محبة بعضهم لبعض؛ أما أنتم فأنتم منهيون عن موالاتهم، ثم قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ من



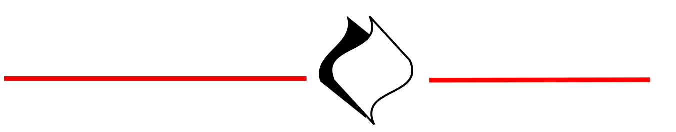
يتولهم يعني: بالمحبة والمناصرة والمتابعه فإنه منهم؛ أي: على دينهم، هذا يدل على أنَّ موالاة الكفار أنها كفر، فإنه منهم بمعنى: أنه مثلهم في الكفر -والعياذ بالله-، وهذا خطرٌ عظيم على المسلم.

والموالاة تختلف: منها ما يكون كفراً، ومنها ما يكون فسقاً، ومنها ما يكون معصية، تختلف باختلاف مواردها، ولكن هي على العموم مُحرَّمة من جميع نواحيها.

وفي هذا ردٌ على المنافقين، الذين يُوالون اليهود من دون المؤمنين، قال: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [المائدة: 52]، يعني: أهل النفاق، ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾، يعني: في اليهود، ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾، نخشى أنهم ينتصرون ويتقوون، ويكون لنا يد عندهم، إذا انتصروا يكون لنا يد عندهم ما يضروننا، فهم يسيئون الظن بالله، ويحسنون الظن بأعداء الله -والعياذ بالله-، وإلا لو أحسنوا الظن بالله وتوكلوا على الله لم يتخذوهم أولياء ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء﴾ [المائدة: 81].

﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾؛ أي: النصر ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِين﴾ [المائدة: 52] يصبح المنافقون نادمين على ما حصل منهم، لأنهم اعتمدوا على ضعيف وانهار وانكشف أمرهم، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِين﴾ [المائدة: 53]، انكشف أمرهم -والعياذ بالله- وافتضحوا، لأنهم كانوا يحسنون الظن باليهود ولا يحسنون الظن بالله، ولا يتوكلون على الله.

وفي سورة المجادلة، قال تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: 22]، وفي سورة الممتحنة، قال في آخرها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُور﴾ [الممتحنة: 13]، كل سورة الممتحنة في الولاء والبراء -من أولها إلى آخرها-، ختمها



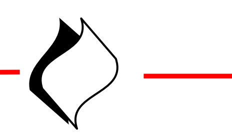
بهـذه: ﴿يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْمًـا غَضِـبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنـة: 13]، وقد سـبق لنـا أن المغضـوب عليهم هم اليهـود، وأن الضالين هم النصارى.

246) عقد الله الموالاة بين المهاجرين والأنصار وبين من آمن معهم إلى يوم القيامة

المذيـــــع: أحسـن اللـه اليكم، (وقـال تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُـواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِـهِمْ فِي سَـبِيلِ اللّـهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ [الأنفال: 72]، إلى قوله: ﴿وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَـاء بَعْضٍ﴾ [الأنفـال: 73]، إلى قولـه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُـواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَــئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفـال: 75]، فعقـد سُـبحَانَه المـوالاة بين المهـاجرين والأنصـار، وبين من آمن بعـدهم وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة).

الشيخ صالح: نعم، هذه كآية المائدة، بـدأ بقولـه: ﴿يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُـودَ وَالنَّصَـارَى أَوْلِيَـاء بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 52]،ــ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَـا وَلِيُّكُمُ اللّـهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُـواْ الَّذِينَ يُقِيمُـونَ الصَّـلاَةَ وَيُؤْتُـونَ الزَّكَـاةَ وَهُمْ رَاكِعُون (55) وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَـإِنَّ حِـزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُون﴾ [المائدة: 55-56].

ثم قال تعالى: ﴿يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـواْ لاَ تَتَّخِـذُواْ الَّذِينَ اتَّخَـذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُـواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين﴾ [المائـدة: 57]، فالآيات في هـذا واضـحة وضـوح الشمس في رابعة النهار أنَّه لا يجوز للمؤمنين أن يحبوا الكفــار، أو أن يناصـروهم على كفـرهم، وعلى شـرهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُـواْ مِن بَعْـدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُـهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾ [الأنفال: 75]، يعني في المواريث. فالله قطع التوارث بين المسـلمين والكـافرين إلى يـوم القيامة، ليس هـذا خاصًّـا بالمهـاجرين والأنصـار، وليس هـذا خاصـاً بالكفار في وقت الرسول صَلَّى اللهُ عَليِهِ وَسَلَّم، بل هو مستمر مــا بقي الكفر والإيمان على وجه الأرض.



المذيـــــــع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً.

وصلّى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الرابع والثلاثون

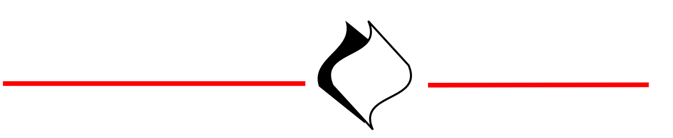
المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلًا وسهلًا بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

وفي مطلع لقائنا نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

247) عند الموت: المسلم يتولاه المسلم والكافر يتولاه الكافر



المذيــــــــع: ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعـالى ــ الآيـة الأخـيرة في سورة الأنفال، وهي قوله ـ تعالى ـ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَـاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنْكُمْ﴾[الأنفال:75] . ثم قال: فعقد ـ سبحانه ـ المــوالاة بين المهــاجرين والأنصــار، وبين من آمن بعــدهم وهـاجر وجاهد إلى يوم القيامة.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قـدم الكلام على هـذه الآيـات من آخـر سـورة الأنفـال من قولـه ـ تعالى ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِـأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِـهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْضٍ﴾[الأنفـال: 72]

قـال الشـيخ ــ رحمـه اللـه ــ إن هـذه في المهـاجرين والأنصـار أن بعضهم أولياء بعض في النصرة وفي المحبة وفي المواريث، وحتى في تــولي الجنــائز، المســلمون يتولــون جنــازة أخيهم المســلم، فيغسلونه ويكفنونه ويصلون عليه ويدفنونه في مقـابر المسـلمين، ويدعون له ويترحّمون عليه ويستغفرون له.

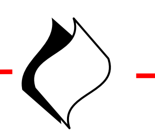
والكافر يتولاه الكفار، ولا يتولاه المسلمون إذا مات.

فيستلمه الكفار ويدفنونه في غير مقـابر المسـلمين، فاللـه ــ جـل وعلا ــ فـرق بين المسـلمين والكفـار في الـدنيا وفي الآخـرة، في الدنيا بـالموالاة والمناصـرة، وفي المـوت والجنـائز جنـازة المسـلم يتولاها المسلمون وجنازة الكافر يتولاها الكفار.

وفي المقابر البرزخ، حـتى في الـبرزخ فصـل اللـه بين المسـلمين والكفار؛ فالمسلمون يدفنون في مقـابر المسـلمين مـع إخـوانهم، والكفار يدفنون مع الكفار مع إخوانهم من الكفار.

وفي الآخرة المؤمنون في الجنة والكفار في النار.

248) أخوة الإنسانية لا اعتبار لها مع الكفر، وإنما الاعتبار بأخوة الإيمان.



فإذًا الله مـايز بين المسـلمين والكفـار -في الـدنيا والآخـرة-، وأمـا كونهم كلهم من بني آدم أو إخوة في الإنسانية أو نحو ذلك، هـذه لا قيمة لهـا مـع الكفـر، فـالأخوّة إنمـا هي في الإيمـان، وليس هنـاك أخـوّة بين مسـلمٍ وكـافر أبـداً -لا في الـدنيا ولا في الآخـرة-، وختم هذه الآيات بقوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَـاجَرُوا)[الأنفـال:75] يعـني من بعد المهاجرين والأنصار، (وجاهـدوا معكم فأولئـك منكم) يعـني هـــذا يـــأتي بعـــدهم إلى يـــوم القيامـــة، فهم كلهم حكمهم حكم المهاجرين والأنصار في أن بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة.

والكفار بعضـهم أوليـاء بعض في الـدنيا والآخـرة، ثم قـال (وأولـوا الأرحـام بعضـهم أولى ببعض في كتـاب الله) يعـني في المـواريث، فالمسـلمون يرثـون المسـلم، والكفـار يرثـون الكـافر، ولا تـوارث بينهم، وكانت هذه الآية ناسخة للإرث بالموالاة والمجاورة كما كـان في الأول، نعم.

249) الجهاد والهجرة أصلان عظيمان من أصول الإيمان.

المذيـــــــع: أحسـن اللـه إليكم، قـال المؤلـف ــ رحمـه اللـه ـ والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه، والجهاد باقٍ إلى يـوم القيامـة، فكل شخصٍ يمكن أن يقوم به هذان الوصفان، إذ كثيرٌ من النفـوس اللينة تميل إلى هجـر السـيئات دون الجهـاد، والنفـوس القويـة قـد تميل إلى الجهاد دون هجر السيئات؛ وإنما عقد المـوالاة لمن جمـع الوصفين وهم أمة محمدٍ حقيقةً.

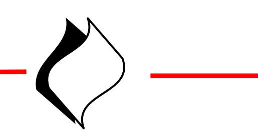
الشـيخ صـالح: نعم. فهـذان الوصـفان الـذين آمنـوا وهـاجروا وجاهدوا في سـبيل اللـه، الإيمـان والجهـاد والهجـرة، والأصـل هـو الإيمان، هو أصل الأعمال. الجهاد والهجرة تابعان من الإيمـان همـا من الإيمـــان؛ لأن الأعمـــال تـــدخل في حقيقـــة الإيمـــان، فهـــذان الوصفان باقيان إلى أن تقوم الساعة، من جمع بينهما حقيقة فإنه هو المسلم حقًا، فإن كان قـد أكمـل هـذين الوصـفين فهـو مـؤمنٌ إيمانـا كـاملا، وإن كـان نقص من هـذين شـيئًا فإنـه مـؤمنٌ نـاقص الإيمان، وإن كان فقدهما نهائيًّا، فليس من أهل الإيمان، نعم.

(250) في بيان حقيقة الموالاة والمُوادّة التي تجب على ال مسلم

المذيــــــع: وقال الله ـ تعالى ـ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة:55] ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة:56]

ونظائر هذا في غير موضعٍ من القرآن، يأمر سبحانه بموالاة المؤمنين حقًّا الذين هم حزبه وجنده، ويخبر أن هؤلاء لا يوالون الكافرين ولا يوادونهم.

الشيخ صالح: نعم، هذه من سورة المائدة مع الآيات السابقة، قال سبحانه (إنما وليكم الله) لما نهى المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى بين من يوالون؛ فقال: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) فالمؤمنون يتولون الله بالمحبة والعبادة والطاعة، ومحبة ما يحبه الله وبغض ما يبغضه الله، ويتولَّون الرسول بالمحبة والطاعة والاتباع والاقتداء، ويتولَّون المؤمنين بالمحبة والمناصرة والمعاضدة والتعاون؛ هؤلاء هم الذين يتولَّى بعضهم بعضًا وحتى ـ كما ذكرنا ــ في الجنائز: المؤمنون يتولون جنازة المؤمن، وما أحسن ما شرع الإسلام في حق الميت المسلم، كما ذكر ابن القيم: أنه شرع في حق المؤمن الميت أحسن الشرائع؛ لأنه يغسل ويكفَّن ويُصلَّى عليه، ويجتمع المسلمون ويصلون عليه ويدعون له ويترحَّمون عليه، ثم يدفنونه مع إخوانه -أموات المسلمين- ثم يزورونه بعد ذلك، ما تنقطع موالاتهم له؛ بل يزورونه في قبره ويدعون له، أو يدعون له حتى وإن كانوا بعيدين عن قبره. فالحاصل أن ولاية المؤمنين للمؤمنين مرتبطة لا تنفك أبدًا في الدنيا والآخرة، وهذا من كمال هذا الدين الذي جاء به هذا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ــ ثم بيَّن الذين آمنوا، من هم؟ (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) ذكر ركنين من أركان الإسلام؛ لأنهما أهم أركان الإسلام العملية؛ فالصلاة عمل بدني، والزكاة عمل مالي، فهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، يعني يكثرون من الركوع، عبَّر عن الصلاة بالركوع؛ لأن



الركوع هو أعظم أركانها، أعظم أركان الصلاة هو الركوع والسجود، عبر عن الصلاة بالركوع: (وهم راكعون)، ثم بيَّن -سبحانه وتعالى- جزاء من يتولَّى الله ورسوله؛ فقال (ومن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله الغالبون) سماهم حزبه كما قال في آخر سورة المجادلة (أولئك حزب الله إلا إن حزب الله هم المفلحون) [المجادلة:20]فالناس على حزبين: إما حزب الله وإما حزب الشيطان، ولهذا قال قبل هذا: (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)[المجادلة:19] فحزب الشيطان هم الكفار والمنافقون، وحزب الله هم المؤمنون الذين يطيعون الله ورسوله، فالإنسان لا يعدو إما أن يكون من حزب الله، وإما أن يكون من حزب الشيطان، فلينظر الإنسان لنفسه مع أي الحزبين.

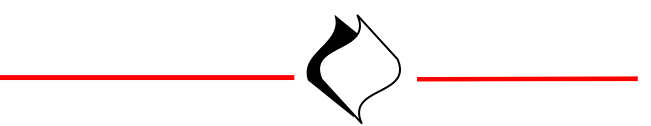
المذيع: أحسن الله إليكم، قال ـ رحمه الله ـ والموالاة والموادَّة وإن كانت متعلقة بالقلب، لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومبايَنَتهم.

الشيخ صالح: نعم الموالاة والموادَّة وإن كانتا في القلب، يعني الأصل أنها بالقلب ـ الموالاة والموادة ـ لكن الموالاة بالعمل أشد؛ بأن يناصرهم أو أن يكون معهم أو أن ينحاز معهم ضد المسلمين أو يعينهم على المسلمين هذه أشد، نعم.

المذيع: قال: لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومشاركتهم في الظاهر إن لم تكن ذريعة أو سببًا قريبًا أو بعيدًا إلى نوع من الموالاة فليس من مصلحة المقاطعة والمباينة.

الشيخ صالح: نعم هذا عود على ما ألَّف الكتاب من أجله وهو اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، عود على التشبه بهم.

المذيع: موضوع الكتاب.

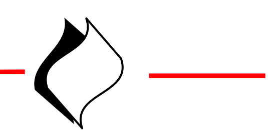


251) من تولَّى الكفار في الظاهر دون الباطن فهو على خطر عظيم.

الشيخ صالح: إي نعم، فإن التشبه بهم في الظاهر يدل على موافقتهم في الباطن ومحبتهم في الباطن؛ لأن بعض الناس قد يتساهل، ويقول: أنا أوافقهم في الظاهر فقط، وأنا في قلبي لا أحبهم ولا أتولاهم، وهذا ـ الله أعلم بحقيقته ـ إن كان يتولاهم في الظاهر مع بغضهم في الباطن؛ فهو عاصٍ لله ـ عز وجل ـ وإن كان كذابًا في قوله أنه يتولاهم في الظاهر دون الباطن، وإنما يتولاهم في الباطن أيضًا، فهذا قد يكون كافرًا، نعم.

المذيع: نسأل الله العافية، قال مع أنها ـ أي المشاركة في الظاهر ـ تدعو إلى نوع ما من المواصلة كما توجبه الطبيعة، وتدل عليه العادة، ولهذا كان السلف ـ رضي الله عنهم ـ يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم في الولايات.

الشيخ صالح: نعم، ولهذا يعني تقرير أن التشبه بهم في الظاهر يدل على موافقتهم ومحبتهم في القلب هذا أمر مؤكد؛ ولهذا الله ـ جل وعلا ـ نهى عن التشبه بهم، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن التشبه بهم، لأجل ألا تتعلق القلوب بأعداء الله، ويكون فيها ميلٌ إليهم هذا من باب سد الذرائع، والإنسان إذا تشبه بناس فإنه يميل إليهم؛ إما أن يكون ميلًا كثيرًا، وإما أن يكون ميلًا قليلًا، وإذا لم يتشبه بهم؛ فإنه لا يميل إليهم، فالتشبه هو علامة الميل وعلامة الركون إليهم، الله ـ جل وعلا ـ يقول ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾[هود:113]. والميل هو الركون والركون هو الميل -وإن قل-، فالمؤمن يعتز بدينه ويفتخر بقيمته، ولا يتنازل عن كرامته؛ لأن الله رفعه ﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:139] فلا يهين نفسه، ويتنازل إلى أعداء الله، بل عليه أن يتميز بشخصيته الدينية الإسلامية، ولسنا بهذا نقول: إنه تجب مقاطعة الكفار من كل النواحي، وإنما هو من النواحي الدينية ونواحي العبادة، وأما نواحي التعامل المباح بالبيع والشراء والمعاهدات وعقد الذمة وقبول الرسائل والرسل منهم والتفاوض معهم، فهذا ليس



ممنوعًا، هذا فعله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفعله الصحابة، هذا شيء، والموالاة شيء آخر؛ لأن بعض الناس يخلط بين هذا وهذا، فالمتشدّدون يخلطون بين المحبة في القلوب والموالاة وبين التعامل المباح، يقولون: كله حرام، ولا يجوز. والمتساهلون يقولون: كل واحد ما دام تعامل معهم في الدنيا يتعامل معهم في أمور العبادات والأشياء هذه. هذا تساهل وتفريط، والأول إفراط وغلو، والواجب التفريق بين المسألتين: مسألة الموالاة؛ هذه محرمة، ومسألة التعامل؛ هذه مباحة، نعم.

(252) هل يستعان بالكفار في الولايات والتوظيف على المسلمين:

المذيــــع: أحسن الله إليكم، قال: كانوا يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم في الولايات، فروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت لعمر ـ رضي الله عنه ـ: إن لي كاتبًا نصرانيًا. قال: مالك، قاتلك الله! أما سمعت الله يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة:51] ألا اتخذت حنيفًا! قال: قلت: يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه. قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله.

الشيخ صالح: قلنا: إن التعامل معهم فيما أباح الله لا بأس به، وليس هذا من الموالاة، ولكن لا نمكنهم من أسرار المسلمين ونوليهم الوظائف، ويكونون رؤساء على المسلمين في الدوائر وأمور الدولة؛ بل نبعدهم عن أسرارنا وعن قياداتنا؛ لأن الله ـ جل وعلا ـ حذّرنا من ذلك، قال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾[آل عمران:118]

يعني من غيركم (لا يألونكم خبالا) أي إنهم لا يقصرون في الإضرار بكم مهما استطاعوا، ويغشونكم ويطّلعون على أسراركم؛ ويبنون عليها الكيد لكم، فهم وإن عملوا عند المسلمين إذا احتاجوا إليهم، لكن يكونون بعيدين عن القيادات وعن أسرار المسلمين، فيجب الفهم لهذه المسألة، وهذا هو الذي أنكره عمر ـ رضي الله عنه ـ

على هذا الصحابي الجليل الذي اتخذ كاتبًا نصرانيًّا؛ فإنه أنكر عليه توليته الكتابة؛ لأن كاتب الإنسان يطلع على أسراره، لا سيما إذا كان مسؤولا كبيرًا في الدولة؛ فإن هذا الكافر يطلع على أسرار المسلمين.

253) إنكار عمر رضي الله عنه على أبي موسى في اتخاذه كاتباً نصرانياً

المذيع: قال: روى الإمام أحمد باسناد صحيح عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت لعمر ـ رضي الله عنه ــ إن لي كاتبًا نصرانيًا، قال: مالك، قاتلك الله!

الشيخ صالح: أبو موسى الأشعري ــ رضي الله عنه ــ صحابي جليل أنكر عليه عمر أمير المؤمنين، نعم.

المذيع: قال: أما سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء).

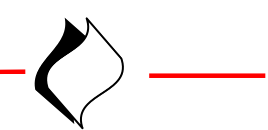
الشيخ صالح: اعتبر عمر ـ رضي الله عنه ــ توظيفه من الولاية الداخلة في قوله (لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء)، وفي الآية التي تلوناها (لا تتخذوا بطانة من دونكم) نعم.

المذيع: قال: ألا اتخذت حنيفًا!

الشيخ صالح: حنيفًا يعني مسلمًا، نعم.

المذيع: قال: قلت: يا أمير المؤمنين، لي كتابته وله دينه.

الشيخ صالح: لي كتابته، هذا تأويل أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ يقول: إن لي كتابته، لكن لم يفطن ـ رضي الله عنه ــ إلى اطلاعه على الأسرار وخيانته وعدم أمانته، وإنما نظر إلى جودة كتابته وجودة عمله، وهذا ما يدندن به كثير من الجهال، يقولون: إننا نشوفهم يتقنون الصناعة ويتقنون الأشياء، فنقول: ما دام في المسلمين من يُحسِن العمل هذا، فلا يجوز أنك تأتي بالكافر وتوليه مهام المسلمين، نعم.



المذيـــــــع: قال: لا أكرمهم إذ أهانهم اللـه، ولا أعـزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله.

الشيخ صالح: إي نعم، لأن جعله كاتبًا؛ هذا اتخاذ بطانة ورفعة له، لا سيما اذا كان عند مسؤول من المسؤولين، وقيادي من القياديين من المسلمين؛ لأن هذا فيه رفع للكافر وإعزاز له على المسـلمين، نعم.

المذيـــــــع: وحتى إن كان في العمالات الدونية يعني؟

الشيخ صـالح: العمـالات المنفصـلة عن الأسـرار والقيـادات إذا احتيج إليها لا بأس، نعم.

254) المسلم خير من الكافر حتى وإن كان المسلم فاسقاً

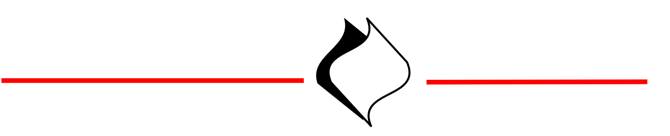
المذيـــــــع: يا شيخ، بعض الناس قد ينفلت في هذا تبعًـا لهـواه، ويكون استجلب عمالًا كفارًا، ربما يتفلت بكلام خطـير، هم أحسـن، أفضل، ..، فينسب أن فيه تفضيلًا مطلقـًا للكفـار على المسـلمين، أحسن مواعيد، أحسن عملا، أحسن ..، جئنا بمسلمين ما سَرُّوا.

الشيخ صـالح: الـذي يمـدحهم بهـذا الكلام، الـذي يمـدح الكفـار مطلقًا ويذم المسلمين مطلقًا هذا عليه خوف من الردة.

المذيـــــــع: نسأل الله العافية.

الشيخ صالح: عليه أن يتقي الله ـ سـبحانه ـ فالمسـلم خـير من الكافر مهما كان، ولو كان ضعيف الإيمان ولو كان فاسقًا، خـير من الكافر مهما كان، نعم.

255) مخالفة أهل الشرك أمر جاءت به سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين وأجمع عليه الفقهاء.



المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قال ـ رحمه الله ـ ولما دل عليه معنى الكتاب جاءت سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسنة خلفائه الراشدين التي أجمع الفقهاء عليها بمخالفتهم وترك التشبه بهم.

الشيخ صالح: إي نعم، لما نهى الله ـ جل وعلا ـ عن موالاة اليهود والنصارى -وموالاة الكفار عمومًا-؛ جاءت السنة أيضا بهذا وجاء عمل الخلفاء الراشدين بعد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما جاء به الكتاب من عدم موالاة الكفار، نعم.

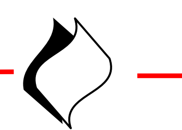
المذيـــــــع: قال: ففي الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم" أمر بمخالفتهم، وذلك يقتضي أن يكون جنس مخالفتهم أمرًا مقصودًا للشارع.

الشيخ صالح: نعم، فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر بمخالفتهم حتى في لون الشعر، فلما كان اليهود لا يصبغون، يعني لا يصبغون الشيب ولا يغيرون الشيب؛ أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمخالفتهم بتغيير الشيب، وذلك بصبغه بغير السواد، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ "غيروا هذا الشيب، وجنِّبوه السواد" وقال ـ صلى الله وسلم ـ "إن اليهود لا يصبغون فخالفوهم" وهذا الأمر فسَّرَه العلماء بأنه أمر استحباب وأن عدم صبغ الشيب مكروه وليس محرمًا؛ بدليل أن بعض الصحابة لم يصبغوا؛ فدل على أنهم فهموا أن هذا الأمر أمر استحباب، وأن النهي عن عدم صبغه إنما هو كراهة تنزيه، نعم.

المذيـــــــع: قال: وذلك يقتضي أن يكون جنس مخالفتهم أمرًا مقصودًا للشارع.

الشيخ صالح: ولذلك بقي بعض العلماء الربانيين لا يصبغون، ولحاهم تلمع بياضًا؛ لأنهم فهموا من الأمر أنه ليس للإلزام، نعم.

256) بيان معني المخالفة في قوله صلى الله عليه وسلم إن اليهود لا يصبغون فخالفوهم.



المذيـــــــع: قال: لأنه إن كان الأمر بجنس المخالفة حصل المقصود، وإن كان الأمر بالمخالفة في تغيير الشعر فقط؛ فهو لأجل ما فيه من المخالفة، فالمخالفة إما علة مفردة أو علة أخرى أو بعض علة، وعلى جميع التقديرات تكون مأمورًا بها مطلوبة من الشارع.

الشيخ صالح: يعني أن المخالفة لأهل الكتاب مطلوبة، سواء أكانت المخالفة في هذه المسألة الصبغ بالشيب: هل هي علة مفردة، أو أنها بعض علة، أو أنها علة أخرى؟ فالمطلوب حاصل على كل التقادير، نعم.

المذيـــــــع: قال: لأن الفعل المأمور به إذا عُبِّر عنه بلفظ مشتق من معنى أعم من ذلك الفعل؛ فلابد أن يكون ما منه الاشتقاق أمرًا مطلوبًا، لا سيما إن ظهر لنا أن المعنى المشتق منه معنى مناسب للحكمة، كما لو قيل للضيف أكرمه، بمعنى أطعمه، أو للشيخ الكبير وَقرْه، بمعنى اخفض صوتك له، ونحو ذلك.

الشيخ صالح: نعم، الأمر قد يكون أمرًا عامًّا مثل: وَقرِ الشيخَ أو وقرِ الكبيرَ، يعني: وقرْه بالكلام وبالفعل وبالاحترام، وأما إذا قال: أطعمه فهذا أمر خاص، وعلى كل فالمطلوب هو إجلال هذا الشخص، هذا في الأمر، وكذلك في النهي "إن اليهود لا يصبغون فخالفوهم"، خالفوهم لا يصبغون، فالصبغة التي هي المصدر، ومنه الاشتقاق لا يصبغون، الصبغ أمر مقصود، أمر المخالفة فيه مقصودة، فإذا كانوا لا يصبغون نخالفهم، ولو كانوا يصبغون خالفناهم؛ فلا نصبغ، المقصود مخالفتهم وعمل ما يخالف عملهم؛ لئلا يجرنا التشبه بهم إلى موالاتهم في الباطل،

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، وجزاكم خيرا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

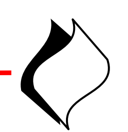
الدرس الخامس والثلاثون

المذيـــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلًا وسهلًا بكم في حلقةٍ جديدة في برنامجكم "اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-، يشرحه عبر هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح ابن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع لقائنا نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

257) إذا علق الحكم بصفة كانت علة له، وأمثلة على ذلك



المذيـــــــع: كنا مع المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ- فيما ذكر من أن المخالفة: إما أن تكون علة مفردة، أو على أخرى، أو بعض علة، وعلى جميع التقديرات تكون مأمورًا بها، قال: [لأن الفعل المأمور به إذا عبر عنه بلفظ مشتق من معنٍ أعم من ذلك الفعل، فلابد أن يكون ما منه الاشتقاق أمرًا مطلوبًا كما لو قيل للضيف، أكرمه بمعنى اطعمه، أو للشيخ الكبير وقره بمعنى اخفض صوتك له، قال وذلك لوجوه أحدها: أن الأمر إذا تعلق باسم مفعول مشتق من كان المعنى علة للحكم، كما في قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:5]، وقوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:10]، وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: >عودوا المريض، واطعموا الجائع، وفكوا العاني<، وهذا كثير معلوم.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، يشير الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- في هذا الكلام، إلى ما ذكره الأصوليون، من أن الحكم إذا علق بوصف، صار ذلك الوصف علة بذلك الحكم، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:5]، معناه أن الشرك علةٌ من قتلهم، وكما يقال: [اكرم الضيف]، معناه: أن الاستضافة، علة للإكرام، المجد معناه أن الجد في العمل أو الجد في أي شيء سبب لإكرام ذلك الشخص، أو فعل الفعل، هذا هو المقصود أنه إذا علق الحكم بصفة كانت تلك الصفة علةً بذلك الحكم، فإذا قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: >خالفوا اليهود والنصارى<، دل على أن كونهم يهودًا ونصارى، هو العلة من الأمر للأمر بمخالفتهم، خالفوا المشركين، خالفوا المجوس، إلى غير ذلك، نعم.

المذيـــــــع: قال: [فإذا كان نفس الفعل المأمور به مشتقًا من معنى أعم منه كان نفس الطلب والاقتضاء قد علق بذلك المعنى الأعم، فيكون مطلوبًا بطريق الأولى].

الشيخ صالح: هذا كما سبق نعم

258) جميع الأفعال مشتقة بالتبادل والمأمور به يكون مطلوبا من الآمر

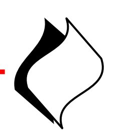
المذيـــــــع: قال:(الوجه الثاني أن جميع الأفعال مشتقة سواء كانت مشتقة من المصدر أو كان المصدر مشتقًا منها، أو كان كل منهما مشتقًا من الآخر بمعنى أن بينهما مناسبة في اللفظ والمعنى، لا بمعنى أن أحدهما أصل والآخر فرع بمنزلة المعاني المتضايقة كالأبوة والبنوة، أو كالإخوة من الجانبين ونحو ذلك، فعلى كل حال إذا أمر بفعل كان نفس مصدر الفعل أمرًا مطلوبًا للأمر، مقص كما في قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾، ﴿وَأَحْسِنُوا﴾، ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة:172]، ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ [يونس:84]، فإن نفس التقوى الإحسان والإيمان والعبادة، أمور مطلوبة مقصودة، بل هي نفس المأمور به.

الشيخ صالح: كذلك كل هذا يدور على المعنى الذي سبق ويزيد في هذا في هذا الكلام الأخير أن الله –جل وعلا- إذا أمر بأمر كالأمر بالتقوى، والأمر بالإحسان، والأمر بالإيمان؛ فإن المأمور به يكون مطلوبًا للأمر، الله -جَلَّ وَعَلَا- إذا قال: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، فهذا يدل على أن الإيمان مطلوب لله -سبحانه وتعالى- (أحسنوا) أن الإحسان مطلوب، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾، أن التقوى مطلوبة.

259) هناك شروط للإعتاق وإلا فلا

المذيـــــــع: قال: [ثم المأمور به أدناه لا يمكن أن تقع إلا معينًا وبالتعيين، يقترن بها أمور غير مقصودة للأمر، لكن لا يمكن العبد إيقاع الفعل المأمور به، إلا مع أمور مُعيِّنة له، فإنه إذا قال: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، فلابد إذا أعتق العبد رقبةً، أن يقترن بهذا المطلق تعيين من سواد أو بياض، أو طول، أو قصر، أو عربية، أو عجمية، أو غير ذلك من الصفات لكن المقصود هو المطلق بين هذه المعينات].

الشيخ صالح: إذا قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، المقصود هو إعتاق الرقيق، وإخراجه من الرق، إلى الحرية دون نظر إلى كونه أبيض هذا الرقيق أو أسود، أو أحمر، فهذه كما يقولون صفات



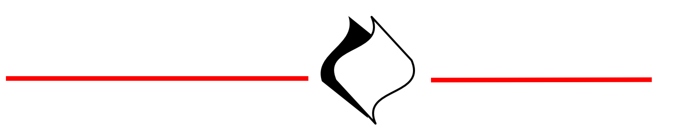
طردية فردية لا اعتبار لها، وإنما الاعتبار الرقبة السليمة من العيوب، المخلة بالعمل، أما كونه أبيض أو أحمر، أو أسود فهذا لا اعتبار لهـ وإنما هي صفاتٌ طردية، أما كونه مريضًا أو كبيرة، أو أعرج، لا يستطيع العمل هذا لا شك أنه أمر ملاحق؛ ولذلك قالوا: لا يجزئ في الرقبة إلا سليمة من العيوب المحلة في العمل؛ لأن المقصود من الإعتاق هو أن يستقل الرقيق لعبادة ربه، الكسب لنفسه ولمن يمون، إذا كان لا يستطيع الكسب، كان يعتاقه سببًا لضياعه، ويكون عالة على غيره، نعم.

260) معنى التقوى، وأنها تارة تكون بفعل واجب أو تركِ مُحرَّم

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قال: [وكذلك إذا قيل: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ وخالفوا اليهود؛ فإن التقوى تارة تكون بفعل واجب منه أو صيام، وتارةً تكون بترك محرم من كفر أو زنا، أو نحو ذلك، فخصوص ذلك الفعل إذا دخلت التقوى لم يمنع دخول غيره، فإذا رؤي رجل على زنا فقيل له: اتق الله، كان أمرًا له بعموم التقوى داخلًا فيه الخصوص ترك ذلك الزنا؛ لأن سبب اللفظ العام لابد أن يدخل فيه].

الشيخ صالح: إذا قيل اتق الله التقوى تكون معناها: أن تعمل بطاعة الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، تخشى من عقوبة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فإذا قيل: اتق الله؛ فهذا يشمل فعل الواجبات وترك المنيات، وإذا قيل لمن يترك الصلاة: اتق الله؛ فهذا أمر بعموم التقوى، لكن يدخل فيه من باب أولى سبب الأمر، وهو تركه للصلاة، يعني اتق الله ترك الصلاة، اتق الله فلا تترك الصلاة، اتق الله لأن تجتنب ترك الصلاة، وإذا رؤي من يزني فقيل له: اتق الله؛ فهذا أمر بعموم التقوى، لكن سبب الكلام هو وقوعه في المعصية يدخل دخولًا أوليًا تركه للزنا، ودخولًا أوليًا إقامته للصلاة، النهي عن تضييعها، إلى غير ذلك نعم.

261) مخالفة اليهود بتغيير الشيب مما أمر به نبينا، وهو مُستحب



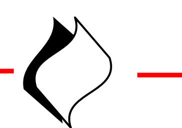
المذيــــــــع: قـال: [إذا قيـل إن اليهـود والنصـارى لا يصـبغون فخـالفوهم كـان أمـرًا بعمـوم المخـالف داخلًا في المخالفـة بصـبغ اللحية؛ لأنه سبب اللفظ العام].

الشيخ صالح: عاد الشيخ إلى ما كـان بصـدده في الأول، وهـو إن من جملة ما أمر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- مخالفـة اليهـود فيـه تغيير الشيب، فإن اليهود والنصارى لا يغيرون الشـيء بـل يتركونـه أبيض، فـأمر النـبي -صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّم- أمتـه أن يغـيروا هـذا الشيب وهذا أمر استحباب، لا أمر وجوب بدليل أن بعض الصحابة لم يكونوا يغـيروا الشـيب؛ لأنهم فهمـوا من الأمـر أنـه ليس أمـر حتم، وإنما أمر استحباب، وأمرٍ تكميلي وليس أمـر إيجابيًـا، فالحاصـل إذا قال: خالفوا اليهود غيروا هذا الشـيب، فهـذا أمـر بمخـالفتهم على سبيل العمـوم جميـع صـفاتهم، وأخلاقهم الخاصـة بهم، لكن يـدخل دخولًا أوليًا ما جاء في سياق الحديث، وهو مسألة صبغ الشعر، صبغ الشيب، نعم.

262) مخالفة اليهود والنصارى فيما كان من خصائصهم وليس لنا فيه منفعة

المذيــــــــع: قال: [وسببه أن الفعل فيـه عمـوم، وإطلاق لفظي ومعنوي، فيجب الوفاء به وخروجه على سبب يوجب أن يكـون داخلًا فيه، لا يمنع أن يكون غيره داخلًا فيه].

الشيخ صالح: إذا جاء الأمر أو النهي على سبب، فإن هذا السبب يدخل دخولًا أوليًا، ولا يمنـع الطلب يـدخل دخـولًا أوليًـا في الطلب، ولا يمنع دخول غيره من الأمور الأخرى، فـإذا قيـل خـالفوا اليهـود؛ فإنهم لا يصبغون هذا سببه؛ الصبر المخالفة لمسألة الصـبر، يـدخل دخولًا أوليًا مخالفتهم في ترك الشيب بدون تغيير؛ ولكن لا يمنع بل لا يمنــع أن نخــالفهم أيضًــا في الأمــور الأخــرى، الــتي هي من خصائصهم؛ لأنه جاء النهي عن التشـبه بـاليهود والنصـارى عمومًـا، وجاء النهي عن التشبه بهم في بعض الأمور كلها تجتمع، فمطلـوب منا أن نخالف اليهود والنصارى، بما كـان من خصائصـهم وليس لنـا فيه منفعة، وإنما هو مجرد تقليد محض ليس فيه فائدة، بل أنه يجر إلى محبتهم، أو إلى موالاتهم، أو إلى الانجذاب إليهم.



263) لا يدخل غير السبب مما هو مطلوب للشارع مراعاته

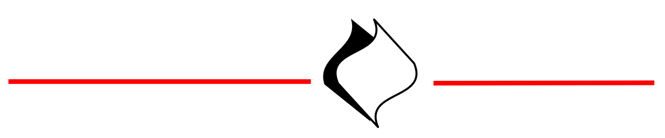
المذيــــــع: قال: [وإن قيل إن اللفظ العام يقصر على سـببه؛ لأن العموم هنا من جهة المعنى، فلا يقبل من التخصيص مـا يقبلـه العموم اللفظي].

الشـيخ صـالح: وأن قيـل ذلـك هـذا إشـارة إلى قـول آخـر في المسألة، وهو أن ما جاء على سبب، فإنـه يقتصـر على بـه، ولكن لا يمنع هذا كما سبق أن يدخل غـير سـبب ممـا هـو مطلـوبٌ، أمـا هـو مطلوب للشارع مراعاته، نعم.

264) كون الشيء واردا على سبب لا يمنع من دخول غير ذلك السبب في المطلوبية، أمرًا أو نهيًا

المذيــــــع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [فـإن قيـل الأمـر بالمخالفـة أمـر بالحقيقة المطلقة، وذلك لا عموم فيه، بل يكفي فيه المخالفة في أمر ما، وكذلك سائر مـا يذكرونـه فمن أين اقتضـى ذلـك المخالفـة في غــير ذلــك الفعــل المعين، قلت هــذا ســؤال قــد يــورده بعض المتكلمين في عامــة الأفعــال المــأمور بهــا، فيلبســون بــه على الفقهاء، وجوابه من وجهين].

الشيخ صالح: هذا جـواء عن اعـتراض وهـو أن بعضـهم يقـول إن الأمر بالمخالفة، أو أي أمر من الأمور العامة، يكفي تحقيقه بمجـرد تنفيذ شيءٍ من معانيه، الـتي يشـتمل عليهـا ولا يقتضـي أن عمـوم كل المعاني التي يحتملها، كما قال الشيخ فيما سـبق، يقـول: هـذا يقولـه بعض المتكلمين أي علمــاء الكلام، الــذين يقولــون بالجــدل وعلم المنطق، وهذا يغلب على الأصوليين المتـأخرين، فـإنهم غلب عليهم علم المنطــق وعلم الجــدل، فعــرفت هــذه المســألة عنهم، ولكن الصواب هو كما سبق، أن كون الشـيء المنطـق وعلم الجـدل، فعرفت هذه المسألة عنهم، ولكن الصواب هـو كمـا سـبق إن كـون الشيء واردًا على سبب لا يمنع من دخول غيره، غــير ذلــك الســبب في المقلوبية من الأمر، أو أن الشارع يراعي جميع المصالح، ودفع



المضار، والمفاسد، وإذا نهى عن شيء معين، فهذا يدل على تأكد تحقيق هذا الشيء دون أن يمنع من تحقيق غيره، مما فيه تحقيق مصلحة أو دفع مضرة، نعم.

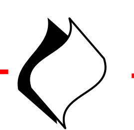
265) مسألة العام والجنس والنوع

المذيع: قال: [جوابه من وجهين: أحدهما، أن التقوى والمخالفة ونحو ذلك من الأسماء والأفعال المطلقة، قد يكون العموم فيها من جهة عموم الكل لأجزائه؛ لا من جهة عموم الجنس لأنواعه، فإن العموم ثلاثة أقسام: عموم الكل لأجزائه و هو ما لا يصدق فيه الاسم العام ولا أفراده على جزئه، وعموم الجميع لأفراده وهو ما يصدق فيه أفراد الاسم العام على آحاده، وعموم الجنس لأنواعه وأعيانه، وهو ما يصدق فيه نفس الاسم العام على أفراده].

الشيخ صالح: هذا دخول في واستطرادٍ في بحث المسألة من ناحية العموم والخصوص، وهو بحث معروف عند الأصوليين، والشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- كعادته يستقرض ويستقصي بالمسألة التي يعالجها، فهذه المسألة وهي مسألة العام مسألة الجنس، ومسألة النوع، ومسألة الفرض، هذه أمور معروفة الجنس ما يشمل أنواع الجنس، ما يشمل أنواعًا مثل: النخل يشمل جميع أنواع النخيل، والنوع ما يشمل أفرادًا مثل: إذا قلت البرحي مثلًا، أو الخضر فعرفنا نحن، فهذا يشمل أنواع هذا أفراد هذا النوع فقط، إذا قلت تصدق بثمرة البرحي، أو ثمرة الخضري لا يشمل هذا جميع الحائط والبستان الذي هو جنس النخل، وإنما يشمل أفراد هذا النوع فكل ما في هذا البستان من فأنت مأمور أن تتصدق بثمرته، فهذا فرق بين الجنس والنوع.

أما إذا قال لك: تصدق بثمرة هذا النخل، فهذا يشمل جميع أفراد النخل الموجود في البستان، وإن اختلفت أنواعه، وإذا قيل: تصدق بهذه النخلة، هذا لا يشمل جميع النوع، ولا يشمل جميع الجنس، من باب أولى وإنما يتعلق الأمر بهذه النخلة فقط، نعم.

المذيع: قال: [فالأول: عموم الكل لا جزائه في الأعيان والأفعال والصفات، كما في قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾



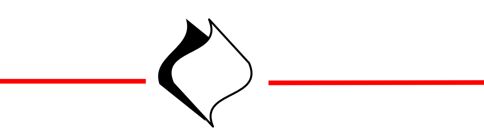
[المائدة:6]، فإن اسم الوجه يعم الخد والجبين والجبهة ونحو ذلك، وكل من هذه الأجزاء ليس هو الوجه، فإذا غسل بعض هذه الأجزاء، لم يكن غاسلًا للوجه، لانتفاء المسمى بانتفاء جزءه].

الشيخ صالح: إذًا هذا مثال لجنس، إذا الله -جَلَّ وَعَلَا- أمر بغسل الوجه: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة:6]، والوجه هو كل ما تحصل به المواجهة، فيشمل هذا يشمل الجبهة، والخدين، والذقن، والأنف، ويشمل داخل الفم، وداخل الأنف؛ لأنه في حكم الظاهر، فإذا قيل: اغسل وجهك، لا يكفي غسل الخد، وإذا قيل: اغسل لا يكفي غسل الخد أو غسل الجبهة، أو غسل الذقن فقط؛ لأن هذا جزء من الوجه، وأنت مأمور بغسل الوجه، فلابد من غسل جميع أجزائه، وكما في قوله: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ [الفتح:27]، هذا هو معناه حلق جميع الرأس، ولا يصدق على حلق بعضه، كما يقول بعض الفقهاء، فمن قصر أو حلق بعض رأسه في النسك، لم يكن أتيًا بالمأمور؛ لأن الله قال: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ [الفتح:27]، ومقصرين، فكما لا يكفي حلق بعض الرأس، لا يكفي تقصير بعض الناس، فكذلك غسل الوجه، لا يكفي غسل الخد منه، أو غسل الأنف منه؛ لأنه لا يقال: إنك غسلت وجهك، وإنما يقال: غسلت بعض وجهك، وهذا لا يتحقق به المأمور هذا تمثيل للجنس.

266) في الصفات والأفعال، هناك فارق بين الحقائق اللغوية والحقائق الشرعية

المذيـــع: [وكذلك في الصفات والأفعال، فإذا قيل: فصلى ركعة وخرج بغير سلام، أو قيل: صم فصام بعض يوم، لم يكن ممتثلًا لانتفاع معنى الصلاة المطلقة، والصوم المطلق].

الشيخ صالح: الصوم له حقيقة لغوية، وهو الإمساك عن المشي، الإمساك عن الكلام، كله يسمى الإمساك عن الأكل والشرب كله يسمى صومًا، لكن حقيقة شرعية وهي الإمساك عن المفطرات بنية من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، ليس كل إمساك، فلو صام بعض النهار ما صام، وإذا قيل: صلي فصلى ركعة ولم يسلم، لم يكن مصليًا؛ لأن هذه حقيقة لغوية وليست حقيقة



شرعية، الحقيقة الشرعية تعني: أن تـأتي المشـروع على أن تـأتي بالمأمور على الوجه المشروع، الصـلاة هي أقـوالٌ وأفعـالٌ مبتدئـة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، بخلاف الصلاة لغوية؛ فهي مجرد الدعاء، فلو قيل: ودعوت الله، قلنا هذه صلاة لغوية.

والمطلوب منك الصلاة الشرعية، وهي الصلاة المعروفة شـروطها، وأركانهـا، وواجباتهـا، فهـذا يختلـف بـاختلاف المقامـات، اختلاف الأحوال، وإذا قيل: صوم فصمت بعض اليوم، أو أمسكت عن الكلام، أو عن المشـي، ليس هـذا صـيامًا شـرعيًا، الصـيام الشـرعي، هـو الإمساك عن المفطرات وقت محدد، ولابد من نية، قول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: >إنما الأعمال بالنيـات، وإنمـا لكـل امـرئٍ مـا نـوى<، ففي فـرق بين الحقـائق اللغويـة والحقـائق الشـرعية، والحقـائق العرفية، نعم.

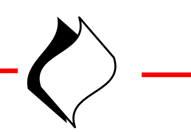
267) معنى الإكرام المطلق (جائزة الضيف)

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قال: [وكذلك إذا قيـل: اكـرم هـذا الرجـل فأطعمـه وضـربه، لم يكن ممتثلًا؛ لأن الإكـرام المطلـق يقتضي فعل ما يسره، وترك ما يسوؤه].

الشيخ صالح: إذا قيل: اكرم هذا الرجل، هذا مثال لما سبق أيضًا، فأكرمه وضربه، إذا ما فعـل المـأمور؛ لأن المـأمور هـو الإكـرام من جميـع الوجـوه، فـإذا ضـربه لم يكن مكرمًـا لـه، وإن كـان أطعمـه وسقاه، أو أحسن إليه، فإن هذا لم يحقق المأمور به.

المذيـــــــع: فلما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: >من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه<، فلو أطعمه بعض كفايتـه وتركه جائعًا، لم يكن مكرمًـا لـه؛ لانتفـاع أجـزاء الإكـرام، ولا يقـال الإكرام حقيقة مطلقة، وذلك يحصل بإطعام لقمة.

الشيخ صالح: وكذلك هذه أمثلة: النبي -صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- قال: >من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضـيفه<، والضـيف هو الذي يـنزل بالإنسـان في باديـة، أو في قريـة ليس فيهـا أمكنـة لبيع الطعـام، أو أمكنـة للمـأوى الاسـتدفاء، ونحـو ذلـك، فـإذًا يجب إكرام الضيف بأن تحقق له جميع ما تتطلبه الضيافة، من الإسـكان،



والمــبيت، والتدفئــة، أو غــير ذلــك، ومن الأغطيــة، ومن الطعــام والشراب يومه وليلته، فلو أنـه أعطـاه لقمـة، قـال: مش أكرمنـاك، وقال: لا ما هو هذا حق الضيف، حق الضيف أن تعطيه جائزته، قيـل وما جائزته يا رسول الله؟ قال: >يومه وليلته< بأن تحقق له جميـع ضرورياته من مبيت تدفئةٍ، وأكلٍ وشربٍ.

268) (خالفوهم) وجميع جزئيات المخالفة والمخالفة المطلقة ضد الموافقة المطلقة

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قال بعد ذلك -رَحِمَهُ اللهُ-: [كـذلك إذا قال خالفوهم فالمخالفة المطلقـة تنـافي الموافقـة في بعض، أو في أثرها على طريق التساوي].

الشيخ صالح: ما سبق كـل تمهيـد الآن، وصـل إلى النتيجـة الـتي يريدها، رَحِمَهُ اللهُ، فـإذا قـال -صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّم-: >خـالفوا المشركين<، لم تتحقق المخالفة بمخالفتهم في بعض الأمــور دون بعض، فهذا أمرٌ عام لا يتحقق إلا بجميـع جزئيـات المخالفـة هـذا رد على اللي يقول كما سبق من المتكلمين: إن الأمر العام يكفي حـق حقوقه بعضه لتحقيق بعض معانيه.

المذيـــــــع: قـال: [لأن المخالفـة المطلقـة ضـد الموافقـة المطلقة، فيكون الأمر بأحدهما نهيًا عن الآخر].

الشيخ صالح: إذا قال: >خالفوا المشركين<، هذا أمر بالمخالفة، وهو نهي عن الموافقة؛ لأن كل أمر فهو يتضمن النهي، وكـل نهي يتضمن الأمر كما ذكروا.

المذيـــــــع: [ولا يقـال: إذا خـالف في شـيء مـا، فقـد حصـلت المخالفة].

الشيخ صالح: على الفكرة التي ذكرها فيما سبق.

المذيـــــــع: [كما لا يقال: إذا وافقه في شيء ما فقـد حصـلت الموافقة].

الشيخ صالح: كما أنه إذا وافق المشركين واليهود والنصارى في بعض الأمور، لا يقال: أنه وافقهم في كل الأمور، بل هو موافق لهم في هذه الجزئية، الأمر العام لا تحقق بوجود بعضهم، بل لابد من وجود جميع محتوياته، كل هذا كلام على قاعدة يقررها -رَحِمَهُ اللهُ- في مخالفة المشركين، نعم.

269) اللفظ المطلق ومطلق الشيء والشيء المطلق

المذيع: قال: [وسر ذلك الفرق بين مفهوم اللفظ المطلق وبين المفهوم المطلق من اللفظ، في أن يستعمل مطلقًا ومقيدًا].

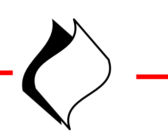
الشيخ صالح: اللفظ يستعمل مطلقًا، فإذا أطلق؛ فإنه يشمل جميع محتملاته، جميع المعاني التي يحتملها، وأما مطلق الأمر، فهو يتحقق بمحتوياته ففي فرق بين مطلق الشيء، والشيء المطلق مثلًا الإيمان المطلق يشمل جميع خصال الإيمان، فلا يعطي الإيمان المطلق إلا من أكمل الإيمان، وأما مطلق الإيمان؛ فيعطى لمن أتصف بالإيمان، ولو كان فيه بعض النقص كالفاسق، ومرتكب الكبيرة التي دون الشرك، فهذا يعطي مطلق الإيمان، ولا يعطي الإيمان المطلق، بل يعطى مطلق الإيمان، وهو الإيمان الناقص نعم.

المذيع: أحسن الله إليكم، جزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السادس والثلاثون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أيّها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
وأهلا وسهلا بكم إلى حلقة جديدة في برنامج/ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم
لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية- رحمه الله.



يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقائنا نرحّب بفضيلة الشيخ حيّاكم الله شيخ/ صالح .

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم .

المذيع: كنّا في الحلقة الماضية مع المؤلّف- رحمه الله تعالى- وقفنا عند بيان الفرق بين مفهوم اللفظ المطلق وبين المفهوم المطلق من اللفظ ,

قال: فإنّ اللفظ يستعمل مطلقا ومقيدا، فإذا أخذت المعنى المشترك بين جميع موارده مطلقها ومقيدها، كان أعمّ من المعنى المفهوم منه عند إطلاقه ، وذلك المعنى المطلق يحصل بحصول بعض مسميات اللفظ في أي استعمال حصل من استعمالاته المطلقة والمقيدة.

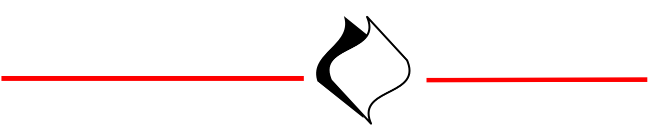
وأمّا معناه في حال إطلاقه فلا يحصل بعض معانيه عند التقييد، بل يقتضي أمورا كثيرة لا يقتضيها اللفظ المقيد .

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ما زلنا مع الشيخ- رحمه الله- في بحثه ، في الأمر المطلق ومطلق الأمر وسبق هذا في آخر الحلقة السابقة ، وقلنا فيه فرق بين الأمر المطلق ومطلق الأمر هذا شيء معروف فإذا أُمر بالمخالفة: مخالفة الكفار؛ فهذا أمر مطلق يقتضي مخالفتهم في جميع الأمور الخاصة بهم سواء كانت من دينهم أو كانت من عاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم، ولا يقتضي هذا أنّك إذا خالفتهم في بعض الأمور يتحقق فيه المخالفة المطلوبة شرعا بخلاف ما لو نُهي عن مخالفتهم في شيء معيّن، فإنّ هذا الأمر يقتصر على هذا الشيء المعيّن لأنّه مطلق أمر وليس أمرا مطلقا. نعم

(270) في بيان معني جنس الماء وأنواعه

المذيع: قال رحمه الله: كثيرا ما يغلط الغالطون هنا . ألا ترى أنّ الفقهاء يفرّقون بين الماء المطلق، وبين المائية المطلقة الثابتة في المنيِّ والمتغيّرات وسائر المائعات.



الشيخ صالح: نعم وهذا مثال أخر، الماء. الماء: جنس يدخل تحته أنواع:
منه الماء الذي أنزله الله -جلّ وعلا- من السماء أو أنبعه من الأرض وجعل منه كل شيء حي من الحيوانات والنباتات التي تعيش على هذا الماء. ومنه الماء النازل من الفحول من الحيوانات والآدميين .
(والله خلقَ كلَّ دابةٍ من ماء) ، فهذا الماء يُراد به المني النازل من أصلاب الفحول إلى أرحام الإناث وكذلك يطلق الماء على المياه المتغيرة.
فالماء الذي أنزله الله أو أنبع من الأرض أيضا ينقسم إلى أقسام ثلاثة- كما ذكر الفقهاء-:
الماء الطهور وهو الباقي على خلقته.
والماء الطاهر وهو الماء الذي لم يبق على خلقته، وإنّما تغيّر بشيء طاهر والماء النجس وهو الذي خالطته نجاسة فغيّرت أحد أوصافه من الطعم أو اللون أو الريح فالماء جنس تحته هذه الأنواع. نعم

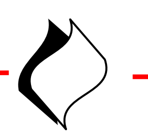
المذيع: قال: فأنت تقول عند التقييد:" أكرم الضيف بإعطائه هذا الدرهم" فهذا إكرام مقيد، فإذا قلت:" أكرم الضيف" كنت أمرا بمفهوم اللفظ المطلق، وذلك يقتضي أمورًا لا تحصل بحصول إعطائه درهمًا فقط .

الشيخ صالح: نعم إذا قيل: أكرم الضيف فأعطه هذا الدرهم فهذا يتقيد بإعطائه الدرهم، إكرامه بإعطائه الدرهم فقط؛ ولا يتناول جميع أنواع إكرامه، بخلاف ما إذا قيل: أكرم الضيف بدون تقيي؛د فهذا يشمل جميع أنواع الإكرام المطلوبة كما سبق. نعم

271) مَن المشرك الذي يُقتَل ومَن الذي لا يُقتَل؟

المذيع: قال: وأما القسم الثاني من العموم : فهو عموم الجميع لأفراده ، كما يعمّ قوله تعالى: (فاقتُلوا المشرِكين) كل مشرك .

الشيخ صالح: نعم هذا القسم الثاني وهو النوع وهو ما يشمله أفرادا قوله تعالى:(فاقتلوا المشركين) هذا نوع يشمل كل مشرك يتصف بهذه الصفة والمراد المشرك الذي يتعدى شركه ويدعو إلى الشرك.



هذا هو الذي يُقتل ، أمّا المشرك قاصر شركه على نفسه ولا ينشر الشرك؛ فهذا لا يدخل في الآية وكذلك المشرك الذي يقاتل هذا يدخل في الآية.

أمّا المشرك الذي لا يُقاتل فهذا لا يدخل في قوله: (فاقتلوا المشركين)

فلا يشمل المعاهدين والذميين والمستأمنين -وإن كانوا مشركين-؛ لكنّهم بحكم العهد والأمان والذمة لا يُقاتلون فلا يجوز لنا أن نقتلهم لأنّ هذا من خيانة العهد وقوله: (اقتلوا المشركين) ليس على عمومه من كل وجه بل هو في المشركين الذين ينشرون الكفر ويدعون إلى الشرك والضلال وأيضا لا يشمل المعاهدين والمستأمنين ومَن لهم ذمة ، بل هو يشمل الذين ينتشر شركهم وكفرهم ويدعون إلى مذهبهم ويقاتلون المسلمين؛ ولذلك لا تُقتل المرأة لأنّها لا تقاتل، إلا إذا كان لها رأي في الحرب ولها تخطيط ، ولا يُقتل الشيخ الكبير إلا إذا كان له رأي وتخطيط في الحرب ولذلك قتل الصحابة دريد بن الصمة في وقعة حنين -مع أنّه كبير السن-؛ لكنّه كان يدبّر ويخطّط للمشركين في غزوة حنين ، وكذلك لا يُقتل الصبيان؛ لأنّهم ليسوا من المقاتلين، وكفرهم قاصر عليهم . نعم

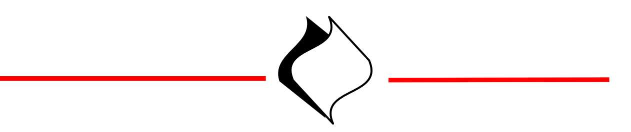
المذيـــــع: قال: إذا تبيّن هذا فالمخالفة المطلقة لا تحصل بالمخالفة في شيء ما، إذا كانت الموافقة قد حصلت في أكثرَ منه.

الشيخ صالح: نعم هذا كما سبق هو يعني- عود على ما سبق- ردّ على الذين يقولون: إنّ الأمر بالمخالفة المطلقة يتحقّق بأدنى مخالفة.

هذا كلام أطال الشيخ في ردّه. نعم

(272 مخالفة المشركين على وجه العموم تقتضي مخالفتهم في كل شيء

المذيـــــع: وإنّما تحصل بالمخالفة في جميع الأشياء، أو في غالبها، إذ المخالفة المطلقة ضد الموافقة المطلقة؛ فلا يجتمعان.



الشيخ صالح: أي نعم فالأمر بالمخالفة أمرًا مطلقا يقتضي أن نخالفهم بكل ما هو من دينهم أو من خصائصهم وعاداتهم التي لا فائدة منها؛ فنحن مأمورون بمخالفتهم على وجه العموم ولا يُخصّص هذا العموم إلا بدليل.

المذيع: قال: وهذا تحقيق جيد لكنّه مبنيّ على مقدمة وهي: أنّ المفهوم من لفظ المخالفة عند الإطلاق يعمّ المخالفة في عامّة الأمور الظاهرة .

فإن خفي هذا في هذا الموضع المعيّن فخذ بالوجه الثاني وهو العموم المعنوي وهو أنّ المخالفة مشتقة، فإنّما أمر بها لمعنى كونها مخالفة، كما تقدم تقريره، وذلك ثابت في كل فرد من أفراد المخالفة، فيكون العموم ثابتًا من جهة المعنى المعقول.

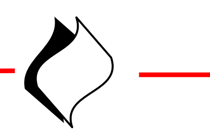
وبهذين الطريقين يتقرّر العموم في قوله تعالى:

﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾[الحشر:2] **وغير ذلك من الأفعال.**

الشيخ صالح: نعم هو كما سبق ، هو تقرير للقاعدة بأنّ الأمر العام بالمخالفة لا يتحقق بوجود بعض الجزئيات المخالفة ؛ بل لا يتحقق إلا بجميع أنواع المخالفة، مثل قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾[الحشر:2]**، هذا جاء بعد ذكر حالة بني النضير ﴿يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾، يا أولي البصائر والعقول ما جرى لهؤلاء، مع كونهم أهل كتاب وكونهم أهل علم ومعرفة؛ لكن لما لم يعملوا بكتابهم ولم يعملوا بعلمهم عاقبهم الله -جلّ وعلا- بهذه العقوبة، وهي القتل والتشريد من ديارهم عقوبة لهم عاجلة ما عند الله لهم أشدّ فيعتبر أهل البصائر فلا يسلكون مسلك هؤلاء لأن هذه العقوبة ليست خاصة بهؤلاء؛ وإنّما هي عامة لكل من سلك مسلكهم ووافقهم . نعم**

المذيع: قال: وإن كان أكثر الناس إنّما يفزعون إلى الطريق الثاني وقلّ منهم من يتفطّن للطريق الأول وهذا أبلغ إذا صح .

الشيخ صالح: أكثر الناس عن جهل أوعن تقليد يأخذون بالاتجاه الثاني، وهو: أنّ أدنى المخالفة تكفي في تحقيق أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بمخالفة المشركين، فإذا خالفهم في جزئية يقولون: تحققت المخالفة ودائما النفوس تميل إلى الأسهل



عليها، وتأخذ بالقول الموافق لرغبتها. ولما كان هذا القول يوافق رغبات كثيرٍ من الناس صاروا يميلون إليه ويقولون به، ويكتفون بمجرد أي مخالفة لهم ويزعمون أنّهم بهذا حققوا الأمر بالمخالفة . نعم

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم قال رحمه الله : ثم نقول : هب أنّ الإجزاء يحصل بما يُسمّى مخالفة ، لكن الزيادة على القدر المجزئ مشروعة ، إذا كان الأمر مطلقا، كما في قوله تعالى:

﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾[الحج:77]

ونحو ذلك من الأوامر المطلقة.

الشيخ صالح: نعم يقول هب أنّ المخالفة الجزئية مطلوبة تُنزّلا معكم ولكنّ المخالفة العامة تكون زيادة في الخير حتّى لو تنزلنا معكم وقلنا إنّ الأمر بالمخالفة يتحقق بأدنى جزئية من مخالفة اليهود والنصارى؛ فمخالفتهم في جميع ما يختص بهم فهو مصلحة عامة وترك مضرة هذا زيادة من الخير. نعم

المذيـــــــع: قال: الوجه الثالث في أصل التقرير: أن عدول الأمر عن لفظ الفعل الخاص به إلى لفظ أعمّ منه معنى كعدوله عن لفظ (أطعمه) إلى لفظ (أكرمه) وعن لفظ (فاصبغوا) إلى لفظ (فخالفوهم) لا بد له من فائدة ، وإلا فمطابقة اللفظ للمعنى أولى من إطلاق اللفظ العام وإرادة الخاص، وليست هنا فائدة تظهر إلا تَعلُّق القصد بذلك المعنى العام المشتمل على هذا الخاص وهذا بيّنٌ عند التأمل.

الشيخ صالح: نعم، الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بمخالفتهم على وجه عام بما من دينهم أو من خصائصهم، وأمر بمخالفتهم أمرا خاصًّا؛ كالأمر بصبغ الشيب مخالفةً لليهود ، وكونه أمر بصبغ الشيب مخالفة لليهود لا يدل على أنّ هذا يكفي لمخالفتهم؛ بل هذا ممّا يؤكد هذه الخصلة فقط؛ لأنّ هذه الخصلة داخلة في العموم، وجاء التأكيد عليها بخصوصها؛ فيكون ذلك مُتأكِدا من ناحيتين : الناحية الأولى، دخولها في العموم.

الناحية الثانية، تخصيصها من الشارع . نعم

273) بيان حول قوله صلى الله عليه وسلم ما أسكر كثيره فقليله حرام

المذيـــــــع: قال رحمه الله: الوجه الرابع: أنّ العلم بالعـام عامّـا يقتضي العلم بالخاص ، والقصد العام عامّـا يـوجب القصـد للمعـنى الخـاص ، فإنّـك إذا علمت أنّ كـل مُسـكر خمـر ، وعلمت أنّ النبيـذ مُسكر؛ كان علمك بـذلك الأمـر العـام وبحصـوله في الخـاص موجبًـا لعلمك بوصف الخاص .

الشيخ صالح: نعم، الوصف الخاص داخل في الوصـف العـام كمـا سـبق في مسـألة الصـيغ أنّهـا داخلـة في العمـوم وأيضـا مخصصـة بالأمر بها في هذه المسألة.

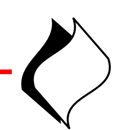
النبي صلى الله عليـه وسـلم قـال:" كـلُّ مُسـكِرٍ خمر" هـذة قاعـدة عامة تشمل أن كل مُسكر فهو خمر، بمعنى أنه محـرم فيـدخل في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْـرُ وَالْمَيْسِـرُ وَالأَنصَـابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[المائدة:90]

فالنبي صلى الله عليه وسلم بيّن ما هو الخمـر أنـه كـل مسـكر، إذا كل ما تحقق فيه هذا الوصف وهو الإسكار فإنه محرّم لأنّه خمر .

والخمر محرّمـة بنص الآيـة وبنص السّـنّة وبالإجمـاع من أهـل العلم ويحقق هذا أو يؤكّده قوله صلى الله عليه وسلم:" مـا أسـكَرَ كثـيرُه فقليلُه حرام" فجعل الإسكار هو العلة في خمريـة هـذا الشـراب أو هذا الطعام، فيتناول القليـل والكثـير من الخمـر فمـا أسـكر كثـيره وقليل وحـرام -ولـو لم يسـكر هـذا القليـل-؛ فتنّبـه لهـذه الجزئيـة داخلة في العموم، فلا يقال أنّ الخمـر القـدر القليـل غـير المسـكر منهـا حلال بـل هـو حـرام لأنّـه جـزء من محـرّم وقطعـة من محـرّم ولـذلك قـال:" مـا أسـكر كثـيره فقليلـه حـرام" في أن لا يتسـاهل الناس بهذه المادة الخبيثـة ويقولـون نحن مـا نأخـذه لكن نسـتعمله في جزئيات لا تسكر فالله جلّ وعلا يقول: (فَاجْتَنِبُوهُ) كيف نجتنبه ونحن نستعمله؟

اجتنبوه هذا لفظ عام، يعني فيجتنب شربًا وتطيُّبًا وأكلاً وغير ذلـك، ولا يقال أنّ الممنوع هو القدر المُسكر منه فقط . نعم



المذيـــــــــع: فـإن ذهب من يقـول: أنّ المقصـود علّـة الحكم الإسكار وفقدت القليل يقطع عليه النص .

الشيخ صالح: طيب الميتة حرّمها الله؛ هل يجوز لك تقطع منها قطعة تقول هذه حلال لأنّها ما تُسمّى ميتة هذة لحمة ما تُسمّى ميتة.

فالمحرّم حرام بجميع أجزائه والخمر هي خمر ومحرّمة بجميع أجزائها. نعم

274) فوائد البنوك قليلها محرّم مثل كثيرها.

المذيـــــــــع: يأتي معنا- شيخنا- مسألة لطيفة الان هناك من يقول أنّ الرّبا القليل يجوز فيه المساهمة التي فيها ربا قليل واحد فئة ما تضرّ واختلفوا بها بالنسبة منهم من قال واحد ما يضرّ ثم قال خمسة في المئة تضر؛ بعضهم يقال ثلاثين بالمئة ما تضرّ حجة أنّ هذا قليل ربا .

الشيخ صالح: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:71]

المسألة ليست مسألة رغبات وأهواء وفتاوى.

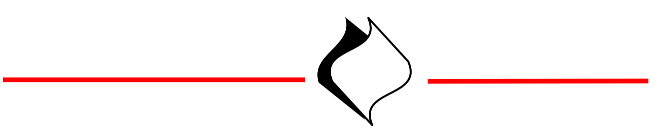
المسألة مسألة تحقيق ما أمر الشارع به ونهى عنه الشارع، نهى عن الربا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:130]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:278]

هذا لفظ عام يشمل القليل والكثير؛ وجاء في الحديث:" أنّ الدرهم الواحد من الربا أشدّ من ست وثلاثين زنية"

الدرهم الواحد، والربا قليله وكثيره حرام ولا يجوز أننا نأخذ بأقوال بعض المجتهدين أو المخطئين ونترك النص العام، ونترك النهي العام.

ولو فتحنا هذا الباب لفرح أهل البنوك وأهل المؤسسات الربوية، وقالوا: هذا الشيء قليل ولا يضركم. نعم



275) تمثيل لقاعدة الأمر العام والنهي العام لا يتحقق ببعض جزئياته

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم شيخ ، قال رحمه الله: كـذلك إذا كان قصدك طعامًا مطلقًا ، أو مـالا مطلقـا ، وعلمت وجـود طعـام معيّن أو مال معيّن في مكـان حصـل قصـدك لـه ، إذ العلم والقصـد يتطابقان في مثل هذا، والكلام يبيّن مراد المتكلم ومقصوده .

الشيخ صالح: هذا كله تمثيـل للقاعـدة السـابقة أنّ الأمـر العـام والنهي العام لا يتحقق ببعض جزئياتـه وأفـراده من ناحيـة الامتثـال أما من ناحية التحريم فالمحرّم حرام قليلـه وكثـيره كمـا سـبق في الخمر وكما في الربا . نعم

المذيـــــــع: قال: فإذا أمر بفعل باسم دال معنى عـام مريـدا بـه فعلا خاصا كان ما ذكرنـاه من الـترتيب الحكمي يقتضـي أنّـه قاصـد بـالأول لـذلك المعـنى العـام وأنّـه إنّمـا قصـد ذلـك الفعـل الخـاص لحصوله به .

ففي قوله: (أكرمه) طلبان : طلب للإكرام المطـلـق ، وطلب لهـذا الفعل الذي يحصل بـه الفعـل المطلـق ، وذلـك لأنّ حصـول المعين مقتض لحصول المطلق ، وهذا معنى صحيح ، إذا صـادف فطنـة من الإنسان وذكـاء انتفـع بـه في كثـير من المواضـع، وعلم بـه طريـق البيان والدلالة .

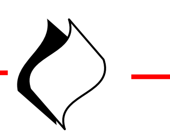
الشيخ صالح: كل هذا تابع لتقرير القاعدة التي ذكرها رحمه الله .

المذيـــــــع: بقي أن يقال : هذا يدل على أن جنس المخالفة أمر مقصود للشارع وهذا صحيح ، لكن قصد الجنس قد يحصـل الاكتفـاء فيه بالمخالفة في بعض الأمور، فما زاد على ذلك لا حاجة إليه.

الشيخ صالح: نعم هو كما سبق ، كل هذا التقرير لما سبق .

المذيـــــــع: قلت : إذا ثبت أنّ الجنس مقصـود في الجملـة كـان ذلك حاصلا في كل فرد من أفـراده ولـو فُـرِض أنّ الوجـوب سـقط بالبعض، لم يرفع حكم الاستحباب عن الباقي .

الشيخ صالح: كمـا سـبق أنّـه - وإن سـلمنا أنّ الامتثـال يتحقـق بفعل بعض أجزاء العام - لو سلمنا بهذا فإنّ الزيـادة على ذلـك: من



امتثال هذا الأمر أو اجتناب هذا النهي - الزيادة من ذلك - زيادة خير فنحن نتجنّب ما نص عليه امتثالا للأمر في ذلك، ونزيد على ذلك عملا بالعموم أيضا. نعم

المذيـــع: قال: وأيضا: فإنّ ذلك يقتضي النهي عن موافقتهم لأنّ من قصد مخالفتهم بحيث أمرنا بإحداث فعل يقتضي مخالفتهم فيما لم تكن الموافقة فيه من فعلنا، ولا قصدنا؛ كيف لا ينهانا عن أن نفعل فعلا فيه موافقتهم ، سواء قصدنا موافقتهم أم لم نقصدها ؟

الشيخ صالح: نعم إذا أُمرنا بمخالفتهم فيما هو ليس من فعلنا؛ كالشيب مثلًا، الشيب ليس من فعلنا ولا من فعلهم هم.

الشيب يحصل بدون فعل الإنسان، فنحن أمرنا بمخالفتهم في شيء ليس هو من فعلهم؛ فهذا يؤكّد أنّنا نخالفهم فيما كان من فعلهم من باب أولى .

(276) العلّة من مخالفة المشركين

المذيـــع: قال: الوجه الخامس: أنّه رتب الحكم على الوصف بحرف الفاء فيدل هذا على أنّه علّة له من غير وجه، حيث قال:" أنّ اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم "

الشيخ صالح: كما سبق أنّ الحكم المعلق بوصف يقتضي أنّ ذلك الوصف علة لذلك الحكم، فإذا عقب بالفاء تأكّد ذلك " أن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم" الفاء، فهذا يؤكد أنّ عدم صبغهم للشيب هو العلة التي أُمرنا بمخالفتهم فيها. نعم

المذيـــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرا.

وصلّى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع والثلاثون

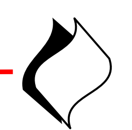
المذيـــــع: بسم الله الـرحمن الـرحيم الحمـد للـه رب العـالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمـد وعلى الـه وصـحبه اجمعين ايهـا المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته واهلا وسـهلا بكم الى حلقـة جديـدة في برنـامج اقتضـاء الصـراط المسـتقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الاسلام/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السـلام بن تيميـة - رحمـه الله يشـرح الكتـاب في هـذه الحلقـات صاحب الفضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للافتاء في مطلـع هـذا اللقاء نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله شيخ/ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم

(277 العلّة في قوله صلى الله عليه وسلم إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم:

المذيـــــع: قال المؤلف- رحمه اللـه تعـالى- في بيـان ان قولـه صلى الله عليه وسلم :" ان اليهود والنصارى لايصبغون فخـالفوهم " ان الامر بالمخالفـة يقتضـي أن يكـون جنس مخـالفتهم مقصـودا للشارع من وقفنا عند قولـه الوجـه الخـامس: أنـه رتب الحكم على



الوصف بحرف الفاء فيدل هذا على أنه علة له من غير وجه حيث قال:" إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم " فانه يقتضي أن علة الامر بهذه المخالفة كونهم لا يصبغون فالتقدير: اصبغوا لانهم لا يصبغون واذا كان علة الامر بالفعل عدم فعلهم له دل على أن قصد المخالفة لهم ثابت بالشرع وهو المطلوب.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

ما زال الشيخ رحمه الله في سياق مخالفة أهل الكتاب، ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنهم لا يصبغون، يعني لا يصبغون الشيب في اللحية والرأس ولا يغيّرونه عن البياض فأمرنا أن نخالفهم في ذلك وأن نصبغ مخالفة لهم وذكر أن الشارع إذا اعقب الحكم بوصف مرتب بالفاء؛ فانه يدل على أن ذلك الوصف علة لذلك الحكم وهذه قاعدة معروفة عند الأصوليين فمن أدلة العلة أن يتعقب الحكم وصف مرتب بالفاء فتقررت هذه القاعدة أن مخالفة اهل الكتاب أمر مقصود للشارع؛ من أجل مباينتهم والتميز عنهم لئلا يسري إلينا شيء من دينهم ومن عاداتهم الخاصة بهم، فلما كانوا لا يصبغون أمرنا صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم بصبغ الشيب؛ فدل على أن صبغ الشيب أمر مشروع وأن العلة هي مخالفتهم وهذه قاعدة أن مخالفتهم أمر مطلوب هذه من جزئيات هذه هي القاعدة.

المذيع: أحسن الله إليكم قال رحمه الله: يوضح ذلك انه لو لم يكن لقصد مخالفتهم تأثير في الأمر بالصبغ لم يكن لذكرهم فائدة ولا حسن تعقيبه به وهذا وإن دل على أن مخالفتهم أمر مقصود للشرع؛ فذلك لا ينفي أن يكون في نفس الفعل الذي خولفوا فيه مصلحة مقصودة مع قطع النظر عن مخالفتهم.

الشيخ صالح: كما ذكرنا أن مخالفتهم أمر مقصود للشارع لما فيها من مباينتهم والتميز عنهم؛ لئلا تسري إلينا عاداتهم الفاسدة أو أشياء من دينهم المحرف المبدّل أو المنسوخ؛ فهذا سد للذريعة.

(278 الحكمة في مخالفة اليهود والنصارى وعدم التشبه بهم:

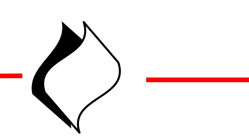
المذيـــــــع: قال فان هنا شيئين: أحدهما أن نفس المخالفة لهم في الهدي الظاهر مصلحة ومنفعة لعباد الله المؤمنين؛ لما في مخالفتهم من المجانبة والمباينة التي توجب المباعدة عن أعمال أهل الجحيم.

الشيخ صالح: نعم، من الحكمة في مخالفتهم أننا يحصل لنا الابتعاد عن خصوصياتهم في أمور دينهم وأمور عاداتهم الخاصة بهم من أجل ألا يتطرَّق إلى ديننا شيء من دينهم المنسوخ أو المحرف أو التشبه بهم في الظاهر؛ فإنه يدل على محبتهم في الباطن، إذ لو لم يحبهم الإنسان في باطنه لما تشبه بهم في ظاهره؛ فلا يمكن ان تبغض أحدًا ثم تتشبه به هذا شيء مستحيل.

(279 أمراض القلوب أشد من أمراض الأبدان:

المذيـــــــع: قال وانما يظهر بعض المصلحة في ذلك لمن تنوَّر قلبه حتى رأى ما اتصف به المغضوب عليهم والضالون من المرض الذي ضرره أشد من ضرر أمراض البدن .

الشيخ صالح: نعم، لأن ما هم عليه: من الضلال، والكفر، والعادات القبيحة، هذا مرض معنوي؛ ولذلك يؤمر بالوقاية من الأمراض الحسية ويقولون: الوقاية خير من العلاج وهذا شيء معروف في الأمراض الحسية فالأمراض المعنوية من باب أولى وهي أمراض القلوب؛ فان أمراض القلوب أشد من أمراض الأبدان فاذا كانت الوقاية تتخذ من أمراض الأبدان فإن اتخاذ الوقاية من أمراض القلوب آكد وأشد في هذا الأمر. وكل هذا مما يدل عليه حرصه صلى الله عليه وسلم على مخالفتهم لا لأجل أشخاصهم أو أنهم يهود أو نصارى فقط؛ بل لأجل أوصا فهم وما هم عليه من الباطل من أجل ان نحمي أنفسنا وديننا ان يتطرق اليه شيء مما هم عليه فان هذا الدين ولله الحمد متميز وكامل ولا يحتاج الى اضافات ولا يحتاج الى ايجاد شيء لم يشرعه الله عز وجل؛ ولهذا نُهِيَ عن البدع والمحدَثات؛ ومن ذلك التشبه بأهل الكتاب، فإنه



أحداث في هذا الدين؛ لما يجلبه التشبه من الزيادات في الدين أو النقص من الدين، فإن هذا أمر معروف؛ وهو من الصيانة لهذا الدين، لن يتطرق إليه شيء من الاديان المنسوخة او المحرفة.

280) واجب على المسلم أن يمتثل أمر الله سواء عرف الحكمة او لم يعرفها:

المذيــع: هذا اشارة يا شيخ إلى أنه قد لا يدرك ذلك إلا من يعني يختلف الناس في إدراك الحكمة من هذا، ووجه التشبه قوله لا يعرفه إلا من...

الشيخ صالح: الواجب على المسلم الامتثال؛ سواء عرف الحكمة أو لم يعرفها ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:36]

ما دام أنه مسلم فإنه يجب عليه الامتثال فإن عرف الحكمة؛ فبها ونعمت وإن لم يعرفها؛ فإنه يجب عليه الامتثال ويعتقد أن الرسول لا يأمر إلا بشيء فيه مصلحة ودفع مضرة.

المذيــع: أحسن الله اليكم قال رحمه الله في الشيئين: والثاني: أن نفس ما هم عليه من الهدي والخلق قد يكون مضرا أو منقصا فينهى عنه ويؤمر بضده لما فيه من المنفعة والكمال.

الشيخ صالح: أولا- أن ما هم عليه من الأمراض المعنوية فنحن نتقي هذه الأمراض بسد الطريق، وهو منع التشبه بهم لأن التشبه يصحبه شيء من سريان ما هم عليه.

وثانيا: أن ما هم عليه نقص، وهذا الدين هو الدين الكامل -دين الإسلام-

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:3]

فهم على دين قد نسخ أو حُرّف وانتهى العمل به الأخذ به شيء من دينهم نقص؛ فكيف ندَع الكمال ونأخذ بالنقص!.

281) ديننا غني بما يحتاجه البشر لأن الله شهد له بالكمال

المذيـــــــع: قال : وليس شيء من أمورهم إلا وهو إما مضر أو ناقص

الشيخ صالح: إلا وهو مضر في العقيدة أو ناقص نقصا يتنافى مع كمال الإسلام وجمال الإسلام فنحن -والحمد لله- لسنا بحاجة إلى استيراد شيء من الأديان أو استيراد شيء من العادات والتقاليد فإن ديننا غني في ما يحتاجه البشر لأن الله شهد له بالكمال ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:3]

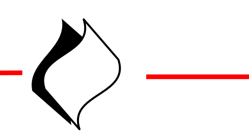
والاسلام يعلو ولا يُعلى عليه ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:139]

فنحن نحتفظ بهذه المنزلة التي أعطانا الله ولا نتنازل عنها إلى شيء من المرض او النقص أو الضرر المترتب على التشبُّه بأهل الكتاب.

282) ما عليه أهل الكتاب إما أن يكون منسوخًا وإما أن يكون غير منسوخ:

المذيـــــــع: قال: لأن ما بأيديهم من الأعمال المبتدعة والمنسوخة ونحوها مضرة، وما بأيديهم مما لم يُنسخ أصله فهو يقبل الزيادة والنقص، فمخالفتهم بأن يشرع ما يحصله على وجه الكمال.

الشيخ صالح: نعم، ما هم عليه لا يخلو من أحد حالين : إما أنه منسوخ ولا يجوز العمل بالمنسوخ؛ بل يجب العمل والذي يعمل بالمنسوخ هذا ليس على دين؛ لأن المنسوخ ليس دينا بعد نسخه لا يكون دينا ، وإما أنه غير منسوخ لكن هو عرضة لأنهم يتلاعبون به ويزيدون وينقصون كما أن عادتهم تحريف الكلم عن مواضعه، وانهم يقولون قولا غير الذي قيل لهم فهو وإن كان اصله صحيحا ولم ينسخ فإنهم لا يوثقون لأنهم يزيدون فيه وينقصون.، والنبي صلى الله عليه وسلم لما رأى عمر رضي الله عنه معه ورقة من



التوراة أعجبته وجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليراها الرسول صلى الله عليه وسلم غضب عليه وقال:" أفي شك يا ابن الخطاب ألم آتي بها تقية والله، لو كان أخي موسى حيا ما وَسِعَه إلا اتباعي "

فالحاصل أن ما هم عليه لا يخلو: إما أن يكون منسوخًا وإما أن يكون غير منسوخ لكنه عرضة لزيادتهم ونقصانهم وتحريفهم فيه؛ فهم لا يوثقون في هذه الامور.

283) حكم سماع برامج ومحطات أهل الكتاب:

المذيـــــــع: بمناسبة هذا الحديث حديث عمر؛ أحيانا يسمع المسلم برامج بعض الإذاعات والمحطات هل لها هذا الحكم نفسه؟

الشيخ صالح: هذا لا يجوز الا لمن عنده علم يريد الرد عليهم الاطلاع على ما هم عليه من الباطل من أجل ان يرد عليهم لا يجوز إلا للمختصين الذين يريدون نقض ما عندهم والاحتجاج، أما العامي وأما المبتدي وأما الذي يستمع ولا ينكر؛ فهذا لا يجوز له ذلك.

284) معنى العامّي في الشرع:

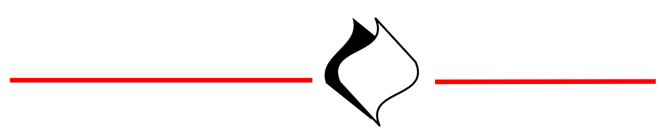
المذيـــــــع: العامي تحديدًا في الشرع ممكن يكون طبيبًا أو مهندسًا

الشيخ صالح: كل من لا يعرف الأمور الشرعية فهو عامي.

المذيـــــــع: ولو كان من أحذق الناس في الطب أو الهندسة او غير ذلك

الشيخ صالح: كونه عالما بأمور الدنيا لا يعطيه ولا يسمى عالمًا يسمى بما يسمى من اختصاص: طبيب، مهندس، طيار وغير ذلك.

285) مخالفة أهل الكتاب فيه صلاح لنا:



المذيــــــع: أحسن الله اليكم قال الشيخ رحمه اللـه: ولا يتصـور أن يكـون شـيء من أمـورهم كـاملا قـط فـإذاً المخالفـة لهم فيهـا منفعة وصلاح لنا في كل أمورهم حتى ما هم عليه من إتقــان بعض أمور دنياهم قد يكون مضراً بأمر الآخرة أو بما هو أهم منه من أمــر الدنيا؛ فالمخالفة فيه صلاحٌ لنا.

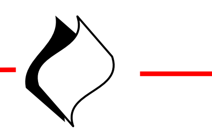
الشيخ صالح: نعم هم ما هم عليه لا يكون إلا ناقصا لأنه لو كـان تامًّا لما نسخه الله عز وجل كونـه نـاقص وانـه انتهت صـلاحيته وان البشرية بحاجة الى شريعة مناسبة لـوقتهم وحـالتهم فـدل على ان ما هم عليه لا بد ان يكون ناقصا ولو كـان انـه كامـل لم ينسـخ ولم يبدل بغيره من الشرائع؛ فلماذا نزكي ما هم عليه؟! هـذا في امـور الشرع التي عندهم.

أما أمور الدنيا فهم وإن اتقنوهـا وحـذقوا الصـناعات والمخترعـات؛ فإنهـا لا تـدل على كمـالهم أيضـا بـل ربمـا تـدل على غــرورهم وعنجهيتهم وأنهم يتكــبرون على العبــاد ويقهــرون بهــا النــاس ويظلمون الناس بسبب هذه المخترعات او هـذه المعلومـات فايضـا هذه لا تعطي انهم على كمال وانما ألهمهم الله اياهـا من اجـل ان يشغلهم بها عما هو أنفع لهم كما قال تعالى : ﴿وَعْـدَ اللَّهِ لا يُخْلِـفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[الروم:6]

﴿يَعْلَمُـونَ ظَـاهِرًا مِنَ الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِـرَةِ هُمْ غَـافِلُونَ﴾ [الروم:7]

تجـدهم الان يشـتغلون الليـل والنهـار في إتقـان هـذه الصـناعات وتجربتها واستعمالها فهم في الليل والنهار في شغل؛ أمـا الآخـرة فلا تعرض لهم على بال أبدًا وصدق الله ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَـاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم:7]

وليس معنى هذا ان المسلم يعطل مصالح الدنيا بـل ايضـا المسـلم مطلوب منه ان يقوم بتحقيق ما ينفعـه من امـور دينـه، لكن بقـدر؛ بحيث لا ينهمك في امور الدنيا وينسى الاخرة كما انه لا ينهمك في امـور الاخـرة وينسـى مصـالحه من الـدنيا الـتي يسـتعين بهـا على مصالحه وعبادة ربه كما قـال تعـالى: ﴿وَابْتَـغِ فِيمَـا آتَـاكَ اللَّهُ الـدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَـا أَحْسَـنَ اللَّهُ إِلَيْـكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:77]



الدنيا خلقت للمصالح ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:13] الله جل وعلا خلقها لمصالح لكن لا تطغى على امور الاخرة بل يؤخذ منها بقدر ما يسد الحاجة وبدون ان ينهمك فيها وينسى الاخرة؛ فليجمع بين هذا وهذا.

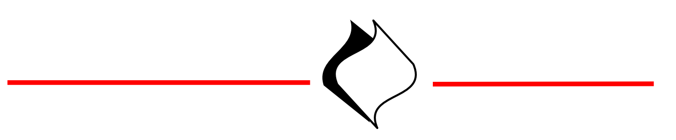
هم على العكس اشتغلوا بهذه الدنيا واتقنوها وفرَّغوا انفسهم لها، وانفقوا اموالهم واعمارهم مقدراتهم وافكارهم ولا يذكرون الاخرة على بال وانما هم غافلون عن الاخرة وان ذكروا الاخرة فهو في بطريقة غير مشروعة طريقة بدعة او خرافة او دين مغير أو محرَّف أو منسوخ.

ماذا تقول بمن يقول: إن الله ثالث الثلاثة؟ أن الله هو المسيح ابن مريم ماذا تقول وهم يتقنون الصناعة؛ هل نفعهم هذا؟ ما نفعهم هذا.

286) من نسي نصيبه من الآخرة فهو الهالك:

المذيـــع: إذاً من المشابهة من نراه من بعض المسلمين يهمه الإقبال على الدنيا: يود أن يكون ولده مثلا أو الصغار من أبنائه من أهل الدنيا الحذاق فيها وأن يصنع أو يطلب الصناعة خير من أن يكون من أهل الحديث الكبار أو التفسير أو الفقه يرى ذلك أنفع هل يكون مشابه لهذا؟

الشيخ صالح: نعم، هو هذا نفس الشيء اذا انهمك في الدنيا ورأى أن يتخصص في أمور الدنيا وينسى نصيبه من الآخرة فهذا هو الهالك هذا هو الهالك المذموم وانما ان يأخذ بقدر من ما يحتاج اليه ويحتاج اليه المسلمون من أمور الدنيا فلا بأس او ان طائفة من المختصين يتجهون الى العلوم الشرعية علوم الحديث علوم التفسيرعلوم الفقه علوم اللغة علوم النحو وطائفة اخرى يتجهون إلى تعلم الصناعة وحذقوا لكن بعد ما يأخذون حظاً من العلوم الدينية حيث يستقيم دينهم هم وإن كانوا يتخصصون في الامور التقنية لكن يكون معهم قدر من علوم الدين بحيث يحافظون على دينهم وعلى عقيدتهم في أثناء مزاولتهم لهذه الاشياء.

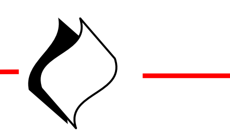


المذيـــــــع: احسن الله اليكم قال رحمه الله: وبالجملـة فـالكفر بمنزلة مرض القلب وأشد، ومتى كان القلب مريضا لم يصـح شـيء من الأعضاء صحة مطلقة وإنمـا الصلاح أن لا تشـبه مـريض القلب في شيء من أموره وإن خفي عليك مرض ذلك.

الشيخ صالح: نعم، الكفـر هـو اشـد الأمـراض أمـراض القلـوب لا أمراض الأبدان قد يكون في بدنه من أصـح الأبـدان وأقواهـا؛ ولكن هو في قلبه مريض، ومـرض القلب أشـد من مـرض البـدن فـالكفر مرض قلبي، كما قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:10]

287) الدين لا يؤخر المسلم؛ بل هو سبب تقدمه:

كيف أننا نعجب بمرضى القلوب! ونتشبّه بهم! ونأخذ عنهم العادات والتقاليـد الفاسـدة والمضـرة!، نحن لا مـانع نتعلم منهم الصـناعة والطب والهندسة وغير ذلك من أمور الـدنيا؛ لكن نبقى على ديننـا، وهذه مصالح خلقها الله في الأصل لنا لنسـتعين بهـا على العبـادة، فكوننا تخلَّينا عنها وأخذها هؤلاء؛ لا يمنع أننـا نسـتعيدها ونسـتردها لكن -كما ذكرنا- بشرط ألا يطغى هذا على عمل الاخرة.
فيه من يظن الآن أن الدين هو الذي أخَّر المسلمين وأن المسلمين تـأخروا في الصـناعة والتقنيـات بسـبب تمسـكهم بـدينهم؛ وهـذا مفهوم خاطئ وباطـل؛ لأن الـدين يحثنـا على أخـذ المصـالح للـدين والدنيا، الله جل وعلا يقول:
﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[العنكبوت:17]
قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة:10]
﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾[النور:36]
﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور:37]



ما قال لا يتجرون ولا يبيعون؛ بل قال: (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) التجارة والبيع إذا شغلتنا عن ذكر الله هذا هو المذموم. أما إذا لم تشغل عن ذكر الله فهذا مطلوب؛ هذا أمر مطلوب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:9]

ما نهى عن الأموال والأولاد؛ وإنما نهى عن اللهو بها عن ذكر الله. الدين لا يؤخِّر المسلمين وإنما يقدّمهم، وأما أن يأتي من يتّصف أو يتديّن ويترك الأسباب ويُعطِّل الأسباب، أو يقول إنها حرام؛ فهذا لا يحسب على الدين. هذا يحسب على نفسه وعلى جهله.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثامن والثلاثون

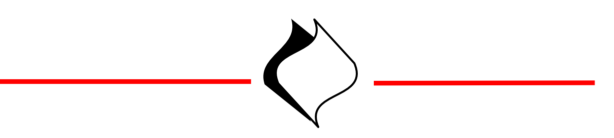
المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ايها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته واهلا وسهلا بكم إلى حلقة جديدة في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

لشيخ الاسلام/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية - رحمه الله يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزأن

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء في مطلع هذا اللقاء نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله شيخ/ صالح

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم

1) مريض القلب يتكلم بالكلام الفاسد ويتصرف التصرف الفاسد:



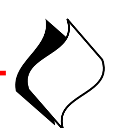
المذيـــــع: وقفنا مع المؤلـف - رحمـه الله تعـالى - عنـد قولـه بالجملة فالكفر بمنزلة مرض القلب وأشد، ومتى كان القلب مريضا لم يصح شـيء من الأعضـاء صحة مطلقـة؛ وإنمـا الصـلاح ألا تُشـبِه مـريض القلب في شـيء من أمـوره وإن خفي عليـك مـرض ذلـك العضو؛ لكن يكفيك أن فساد الأصـل لابـد أن يـؤثِّر في الفـرع يـذكر ذلك في وجوب المباعدة وعدم التشبُّه وإن خفِي مصلحة ذلك.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمـد للـه رب العـالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين

سبق أن ذكرنا -ونعيد الآن- أن الناس يتخذون الوقاية من الأمــراض الحسية ويقولـون: الوقايـة خـير من العلاج -وهـذا شـيء معـروف-، والحجر الصحي أمر معروف، كـل ذلـك من أجـل وقايـة الأبـدان من الأمراض الحسية، فالكفر والشرك والفسـق أمـراض معنويـة، وهي أمراض للقلوب، ومرض القلب أشد من مرض البدن قال صلى اللـه عليه وسلم: "الا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسـد كلـه وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب "

فالكفـار عنـدهم الشـرك سـواء كـانوا من أهـل الكتـاب أو غـيرهم عندهم مـرض الكفـر مـرض معنـوي وهـذا المـرض ليس في البـدن وإنما هو في القلب ﴿فِي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ فَـزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًـا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:10]

مرض القلب أشد من مرض البـدن فـإذا كنـا نتقي أمـراض الأبـدان فانـه يجب علينـا أن نتقي القلـوب من بـاب أولى؛ لئلا يصـيبنا مـا أصـابهم، فأهـل الكتـاب وغـيرهم من المشـركين عنـدهم أمـراض القلوب مرض الكفر والشرك والنفـاق وهـذا المـرض مـرض القلب يتعدى إلى الأعضاء إن فسدت فسد الجسد كله يتعدى إلى الأعضاء؛ فتتغـير التصـرفات والأقـوال تبعـا للقلب: فمـريض القلب يتكلم بالكلام الفاسد ويتصرف التصرف الفاسـد نتيجـة لأن قلبـه مـريض، ولو أن قلبه صحيح يتصـرف تصـرفات صـحيحة وهـذا شـيء مشـاهد فمرض الكفر والشرك في اليهود والنصـارى وغـيرهم ينعكس على تصـرفاتهم وعلى أفعـالهم وأقـوالهم؛ فيجب علينـا أن نحـذر وألا نتشبّه بهم. فهذا من باب الحماية ومن باب سد الـذرائع، ومن بـاب الحجر الصحي -كما يسمونه-، كلها بمعنى واحد.



2) الحكمة في منع التشبه بأهل الكتاب

المذيـــــــع: أحسن الله اليكم قال رحمه الله: ومن انتبه لهذا قد يعلم بعض الحكمة التي أنزلها الله؛ فإن من في قلبه مرض قد يرتاب في الأمر بنفس المخالفة لعدم استبانته لفائدته، أو يتوهم أن هذا من جنس أمر الملوك والرؤساء القاصدين للعلوّ في الأرض.

الشيخ صالح: نعم، بعض الناس تخفى عليهم حكمة منع التشبه بأهل الكتاب؛ فيظن أن هذا من جنس العلو في الأرض وأن شرعنا وديننا لما أمرنا بعدم التشبه لهم أنه من باب العلو ويقولون: الناس أخوة والبشرية اخوة في الآدمية والانسانية؛ فلماإذا نخالفهم؟ ولماذا؟.. يقولون هذه المقالة نتيجة لأن في قلوبهم مرض وجهل في هذه الأمور، ولو كانت قلوبهم سليمة لسلّموا لأمر الله ورسوله، دون اعتراض. مخالفتنا لهم ليست مثل مخالفة الملوك لغيرهم من باب التكبر في الأرض والعلو على الناس؛ وإنما هو لأجل حماية ديننا وعقيدتنا ومصالحنا.

3) الملك الصحيح هو الملك التابع لميراث النبوة:

المذيـــــــع: قال أو يتوهم أن هذا من جنس امر الملوك والرؤساء القاصدين للعلو في الأرض ولعمري، إن النبوة غاية الملك الذي يؤتيه الله من يشاء وينزعه ممن يشاء ولكن ملك هو غاية صلاح من أطاعه من العباد في معاشهم ومعادهم.

الشيخ صالح: نعم، الملك على قسمين: ملك نبوي تابع للميراث النبوي وهذا هو الملك الصحيح إذا كأن الملك توجهه النبوة فهذا هو الملك الصحيح مثل ما أعطي لداوود عليه السلام فانه ملك نبي ومثل ما أعطي سليمان عليه السلام فانه ملك نبي، وكذلك كل ملك مسلم يأتمر بأوامر الله وينتهي عن نواهي الله؛ فإن هذا الملك مؤسس على آثار النبوة فهو الملك الصحيح، بخلاف الملك القهري أو ما يسمونه بالديكتاتوري الذي لا يتمشى مع شرع وإنما يتمشى مع العادات والتقاليد، تقاليد المستكبرين الذين يريدون علوا في الأرض وفسادا. فرق بين الملكين، والله جل وعلا يؤتي

ملكه من يشاء: يؤتي الملك النبوي، ويؤتي الملك القهري المستبد الذي لم يؤسس. وايتاؤه الملك النبوي هذا رحمة وإيتاؤه الملك القهري والاستبداد هذا عقوبة وتسليط على المذنبين يسلط الله عليهم الجبابرة يسومونهم سوء العذاب.

4) أعمال الكافر ناقصة وإن أتقن أمور الدنيا؛ لأنها ليست على الدين الصحيح:

المذيع: أحسن الله اليكم قال رحمه الله: وحقيقة الأمر أن جميع أعمال الكافر وأموره لا بد فيها من خلل يمنعها أن تتم منفعة بها.

الشيخ صالح: نعم هذا عطف على ما سبق في أن الكافر وإن أتقن الصناعة وأتقن الحرفة وأتقن التجارة واتقن أمور الدنيا؛ فإن عمله ناقص لماذا؟ لأنه لم يؤسس على دين صحيح، على دين الإسلام خاتم الاديان؛ فكل ما لم يؤسس على دين الإسلام فإنه ناقص، مهما كان.

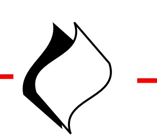
المذيع: قال ولو فرض صلاح شيء من أموره على التمام لاستحق بذلك ثواب الاخرة ولكن كل أموره إما فاسدة وإما ناقصة.

الشيخ صالح: نعم، لو كانت أمورهم كاملة لاستحقوا ثواب الاخرة مثل ما هو كمال الإسلام واما إذا كان كمالا نسبيا، كمال الإسلام كمال مطلق إما كمال غيره فهو كمال نسبي ولكنه لا يخلو من نقص مهما كان.

المذيع: الآن الشيخ هذا الذي نقرأه ونسمعه يشرحه الواقع في المسلمين من تصرفاتهم وأقوالهم بعيد عن هذا تماما يعني يمكن لا يصدقون، يمكن يضحكون أم أن يقال: أن هؤلاء يمكن أن يكون عندهم شيء تام ولا عندهم تمام مطلق ولابد كل أمورهم فيها نقص؛ يعني المسلمون في بعد تام عن هذا.

الشيخ صالح: لسبب أنه لم يُقرأ عليهم هذا الكلام.

المذيع: إذا هذا يبين أهمية العلم الشرعي؟



الشيخ صالح: اي نعم، فإذا قرئ عليهم هذا الكلام بين لهم فأن فيه من يقبل الحق أو يفرح به واما الذي لا يريد الحق فهذا نحن لا نخاطبه إنما نخاطب من يريد الحق قد يكون جاهلا ولو انه عرف الحق لأخذ به هذا الكتاب وأمثاله للبيان أو لإقامة الحجة. فالذي ينتفع هذا يُبيّن له فيحصل رجوعه وانتفاعه والذي لا يقبل هذا تقوم عليه الحجة ولو لم يقرأ هذا الكتاب أو غيره لصار اللوم على العلماء؛ أنهم لم يبينوا للناس، فهذا من إقامة الحجة على المعاند ومن نفع الذي يريد الحق.

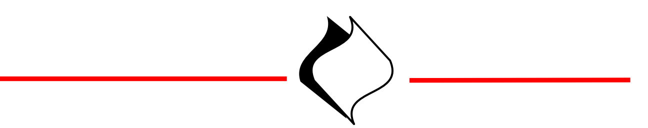
5) الإسلام هو دين الكمال ودين العلوِّ الصحيح:

المذيع: احسن الله إليكم قال رحمه الله: فالحمد لله على نعمة الإسلام التي هي أعظم النعم وأم كل خير كما يحب ربنا ويرضى.

الشيخ صالح: نعم، هذه النتيجة لما سبق إذا كان الإسلام هو دين الكمال ودين العلو الصحيح لا العلو المتغطرس؛ وإنما هو العلو الصحيح الذي قال الله جل وعلا فيه: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:139]
علوًّا صحيحًا، فهذا يجب على المسلم أن يحمد الله على هذا الدين الذي كفل له الكمال قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا ﴾[المائدة:3]
فهذه نعمة ميَّز الله بها المسلمين على غيرهم ممَّن يتخبَّطون في الظلمات ﴿أَوَمَنْ كَأن مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:122]

المذيع: أحسن الله إليكم، قبل دخول مقطع آخر يا شيخ مر من قريب قول الشيخ ولعمري، أن النبوة غاية الملك؛ القسم هذا قوله:(لعمري)؟

الشيخ صالح: نعم، القسم هذا قوله لعمري هذا يجري على اللسان ولا يقصد به القسم.



المذيـــــــع: قال رحمه الله فقد تـبين أن نفس مخـالفتهم أمـر مقصود للشارع في الجملة، ثم ذكر أدلة.

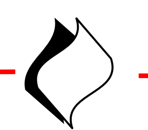
الشيخ صالح: نعم، تبين نتيجة لكل البحث السـابق أن مخـالفتهم أمر مقصود للشـارع في الجملـة، يعـني لا في كـل شـيء؛ نحن مـا نخالفهم في أمور المصالح المباحة، الصناعات، والطب، والهندسة، والمصالح؛ هذه من العادات لا تدخل في أمور الشـرائع بـل هي في الأصل للمسلمين هذا معنى قوله في الجملة أما إذا قيـل بالجملـة بالباء؛ فمعناه في جميع الأمور وإذا قيـل في الجملـة؛ فمعنـاه في غالب الأمور -وليس في كـل الأمـور-، فنحن مـأمورون بمخـالفتهم في الجملة ولم يقل بالجملة.

المذيـــــــع: قال ولهذا لأن الامر المقصود مخـالفتهم قـال لهـذا كأن الامام أحمد حنبل وغيره من الائمة رحمهم اللـه يُعلِّلـون الامـر بالصبغ بعلة المخالفة، قال حنبل سمعت أبا عبد الله يقول مـا أحب لاحد إلا أن يغيِّر الشيب ولا يتشبه بأهل الكتـاب لقـول النـبي صـلى الله عليه وسلم:" غيروا الشيب ولا تشبَّهوا بأهل الكتاب "

الشـيخ صـالح: المقصـود بالصـبغ ليس هـو اللـون فقـط وإنمـا المقصود المخالفة فلما كان لون شعرهم الذي اعتـادوه لونـا معينـا امرنا بأن نغير هذا اللون إلى لون آخـر مخالفـة لهم وإذا كـأن هـذا في الشيب فكيف بغيره من الأمور التي هي أعظم من ذلك.

الامام أحمد رحمه الله يقول العلة في صبغ الشيب العلة في صبغنا للشيب ليس هو تغيير اللون فقط وإنما العلة اننا نقصـد مخـالفتهم بـذلك أمـا لـو أن إنسـانا غـير شـيبه بغـير السـواد ولكنـه لم يقصـد مخالفة أهل الكتاب؛ فإنه لا يؤجر على ذلك لقوله صـلى اللـه عليـه وسلم : " إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى"

6) تنفيذ امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالخضب ولو مرة واحدة:



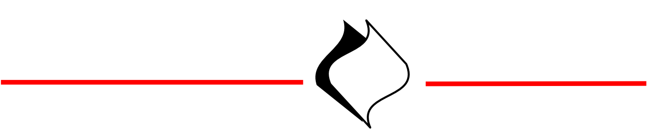
المذيـــــــع: أحسن الله إليكم قال رحمه الله، وقال اسحاق بن إبراهيم سمعت أبا عبدالله يقول لأبي: يا أبا هاشم أخضب ولو مرة واحدة؛ أحب لك أن تخضب ولا تَشبَّه باليهود.

الشيخ صالح: نعم الإمام أحمد يؤكد على تنفيذ امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالخضب يقول: ولو مرة واحدة؛ ليتحقق الامتثال، و(لو) تدل على التقليل، يعني ولو داومت على التغيير لكان أحسن ولكن على الأقل ولو مرة واحدة حتى يتحقق الامتثال.

7) في معنى قوله صلى الله عليه وسلم :غيروا الشيب ولا تشبَّهوا باليهود:

المذيـــــــع: قال وهذا اللفظ الذي احتج به أحمد قد رواه الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود " قال الترمذي: حديث حسن صحيح وقد رواه النسائي من حديث محمد ابن كناشة عن هشام ابن عروة عن عثمان ابن عروة عن ابيه عن الزبيرعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود " ورواه أيضا من حديث عروة عن عبد الله ابن عمر لكن قال النسائي: كلاهما ليس بمحفوظ، وقال الدار قطني المشهور عن عروة مرسلة، قال الشيخ رحمه الله وهذا اللفظ دل على الامر بمخالفتهم والنهي عن مشابهتهم؛ فانه إذا نهى عن التشبه بهم في بقاء بيض الشيب الذي ليس من فعلنا فلأن ينهى عن احداث التشبه بهم أولى.

الشيخ صالح: نعم كما سبق أن ذكرنا بناء على قول الشيخ رحمه الله هذا الحديث يؤيد ما سبق في أن المقصود ليس هو تغيير اللون فقط وإنما المقصود مخالفتهم نية المخالفة لهم قوله صلى الله عليه وسلم غيروا هذا الشيب ولا تشبهوا دل على أن ترك التغيير فيه تشبه بأهل الكتاب، ولو لم يقصد الشخص التشبه بهم لو لم يقصد هذا، فإنه من رآه ظن أنه متشبه بهم وانه يسير على عادتهم فلذلك يتأكد تغيير الشيب.



وذكر فيما بعد أن مخالفتهم على قسمين: مخالفةٌ لهم فيما ليس من فعلهم كالشيب؛ فإن الشيب ليس من فعلهم، فنحن أمرنا أن نخالفهم فيه -وأن لم يكن الشيب من فعلهم-؛ فلا أن نُنهى -وهذا القسم الثاني- أن نتشبه بهم في أمر أحدثوه هم وفعلوه هم من باب أولى.

المذيـــع: قال فإذا نهى عن التشبه بهم في بقاء بياض الشيب الذي ليس من فعلنا فلأن ينهى عن إحداث التشبه بهم أولى.

الشيخ صالح: الظاهر أنه ليس من فعلهم لكن ماشي نعم طيب

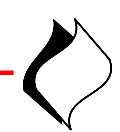
المذيـــع: ولهذا كان هذا التشبه يكون محرما يعني ما يحدث.

الشيخ صالح: نعم، هو التشبه بهم يكون مكروها، ويكون محرما:

- يكون مكروها، فيما ليس من فعلهم؛ كالشيب، فإن هذا ليس من فعلهم؛ ومع هذا أمرنا بمخالفتهم.
- ويكون محرماً، إذا كان هذا من فعلهم هم؛ كأن يحدثوا عبادة أو طريقة أو عيدا أو غير ذلك؛ هذه من أفعالهم، هذا محرم؛ التشبه بهم في أفعالهم التي أحدثوها محرم.

المذيـــع: أحسن الله إليكم قال رحمه الله أيضا: ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" خالفوا المشركين أحفوا الشوارب واوفوا اللحى " رواه البخاري ومسلم؛ وهذا لفظه.

الشيخ صالح: هذه قضية أخرى بعد وهي تتعلق بالشعر نعم القضية الأولى تغيير الشيب في الشعر سواء في الرأس أو في اللحية وهذه قضية أخرى تتعلق بشعر اللحية والشارب لمّا كان الكفار من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم يحلقون لحاهم ويوفرون شواربهم؛ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم في ذلك: فأمر باكرام اللحى وإعفائها وتوفيرها، وأمر بجز الشوارب وإحفائها.



والآن كثير من المسلمين -مع الأسف- على العكس؛ لأن الشيطان زين لهم هذا العمل؛ فهم: يحلقون لحاهم، ويوفرون شواربهم؛ كاليهود والنصارى والمشركين تمامًا في هذه الظاهرة، وهذه الخصلة نسأل الله أن يهديهم للصواب وأن يرجعوا إلى صوابهم، وأن يعرفوا أنهم متشبهون باليهود والنصارى والمجوس في هذه الصنيعة الشنيعة؛ فما أشوه وجه حُلِقت لحيته ووفر شاربه! يكون مشوهًا -والعياذ بالله- لكن لما كان الشيطان يزين هذا لهم ويظنون أن الكفار انهم أهل كمال وأهل رقي وتقدم وحضارة، وأنهم ما يفعلون شيء إلا وهو مستحسن؛ صاروا يتشبهون بهم فيما هو مستقبح دون شعور منهم.

المذيـــــع: يبدو أن ما أشرتم إليه هو أساس الفعل؛ أنهم يرون الكفار أهل الكمال والمسلمين أهل النقص؟

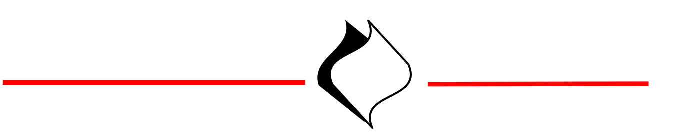
الشيخ صالح: نعم، هذا هو بل يقولون كلاما فيه خطورة على الدين؛ يقولون: هذه قشور يقولون: إعفاء اللحية وجز الشارب هذه من القشور؛ يصفون سنة الرسول صلى الله عليه وسلم أنها قشور ومن بلغ به الحد إلى هذا؛ فيخشى عليه من الردة نسأل الله العافية؛ لانه يستهزئ بالشرع والله جل وعلا يقول: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إنما كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة:65]

﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ أن نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[التوبة:66]

يحلق لحيته ويوفر شاربه وهذه معصية محرمة لكن كونه يضيف إلى هذا ويقول هذه قشور أو حتى ولو لم يحلق لحيته وكان يجز شاربه وهو يقول هذه قشور؛ هذا يُخشى عليه من الردة.

8) من مخالفة المشركين ترك اللحى وحف الشارب:

المذيـــــع: قال رحمه الله: فأمر بمخالفة المشركين مطلقا ثم قال: أحفوا الشوارب وأوفوا اللحى.



الشيخ صالح: النبي صلى الله عليه وسلم أمر بمخالفة المشركين قال خالفوا المشركين هذي قاعدة ثم ذكر جزئية من جزئيات هذه القاعدةيعني يترك اللحى على ما هي عليه من غير تعرض لها بقص أو نتف أو حلق؛ لا تغير اللحية عن وضعها؛ لأن وضعها جميل والله خلقها معتدلة موافقة للوجه مجملة للإنسان فليس فيها تشويه وليس فيها ما يشق على الإنسان أو أنها ثقيلة تحمل الإنسان وإنما هي وضع مناسب إلهي خلقه الله الذي خلق كل شيء وقدّره تقديرا ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:88]
فأنت ترى الوجه الملتحي أجمل من الوجه الحليق هذا شيء في الطبيعة.

المذيع: أحسن الله اليكم قال رحمه الله هذه الجملة الثانية قوله: أحفوا الشوارب وأوفوا اللحى بدل من الأولى قول خالفوا المشركين

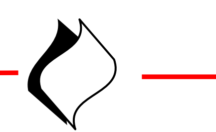
الشيخ صالح: نعم، البدل قد يكون بدل جمل خالفوا المشركين أحفوا الشوارب واعفوا اللحى هذا بدل فقوله أوفوا الشوارب وأوفوا اللحى هذا بدل من قوله خالفوا المشركين نعم.

المذيع: قال فأن الابدال يقع في الجمل كما يقع في المفردات كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:49]
فهذا الذبح والاستحياء هو سوء العذاب.

الشيخ صالح: نعم هو هو؛ فالبدل هو المبدل الجملة هي الجملة لكن هذا -والله أعلم- من باب التأكيد نعم.

المذيع: قال كذلك هنا هذا هو المخالفة للمشركين المأمور بها هنا لكن الأمر بها أولا بلفظ (مخالفة المشركين) دليل على أن جنس المخالفة أمر مقصود للشارع وإن عُيّنت هنا في هذا الفعل

الشيخ صالح: نعم، الرسول صلى الله عليه وسلم أتى بالقاعدة العامة وهي مخالفة المشركين على وجه العموم ثم ذكر نص على



هـذه الجزئيـة وهي ايفـاء اللحى وجـز الشـوارب هـذه جزئيـة من جزئيات المخالفة المطلوبة نعم

المذيـــــــع: قال: فـإن تقـديم المخالفـة علـة لتقـدم العـام على الخاص كما يقال: أكرم ضيفك أطعمه حادثه

الشـيخ صـالح: يعـني أوفـوا اللحى أحفـوا الشـوارب خـالفوا المشركين اعفاء اللحى واحفاء الشوارب علتـه مخالفـة المشـركين فعلته مذكورة من قبله

فلو أنه أعفى لحيته وأحفى شاربه، وقصه دون أن يقصد المخالفة؛ لم يحصل على أجر، لكنه في الجملـة أكمـل من الـذي يحلـق لحيتـه ويوفر شاربه هو مظهرا صـورة من الـذي يحلـق وأن لم يحصـل لـه أجر في ذلك.

المذيـــــــع: لكن هذا لأنه تركهـا على مجراهـا سـلم من المأثمـة فقط

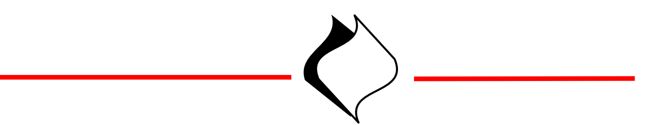
الشيخ صالح: إي نعم

المذيـــــــع: أما ذاك الذي فعل لقصد مخالفتهم نال الأجر

الشيخ صالح: مـا في شـك نعم إنمـا الأعمـال بالنيـات لكن هـذا اكمل من الذي يحلق ولو كأن ما قصد المخالفة.

المذيـــــــع: قال رحمه الله فامرك بالاكرام أولا في قـول اكـرم ضيفك..........

الشيخ صالح: فهذا فيه رد على شبهة أن الذين يحلقون لحاهم ويوفرون شواربهم يقولـون الآن اليهـود والنصـارى يـوفرون منهم من يوفر لحيتـه ويجـز شـاربه ونحن أمرنـا بمخـالفتهم فمعنـاه أننـا نحلق فنقول له لا، الذين يتركون لحاهم ويوفرون شـواربهم هـؤلاء باقون على أصل الفطرة ومن بقي على أصل الفطـرة أكمـل ممن غير الفطرة.



المذيــــــع: قـال فـأمرك بـالإكرام أولا في قـول: أكـرم ضـيفك أطعمه وحادثه؛ دليل على أن إكرام الضيف مقصود ثم عينت الفعل الذي يكون إكراما في ذلك الوقت.

الشيخ صالح: أكرم ضيفك هذا أمر بالاكرام عموما اطعمـه هـذا امر خاص بالإطعام هـذا من الأول من القاعـدة الأولى وهي إكـرام الضيف القاعـدة إكـرام الضـيف نعم ومن إكـرام الضـيف: إطعامـه، وتقديم ما يحتاجه.

المذيــــــع: أحسن الله اليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس التاسع والثلاثون

المذيــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمـد للـه رب العـالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام؛ السلام عليكم ورحمـة اللـه وبركاتـه، وأهلا وسهلا بكم إلى حلقة جديدة في برنامج/ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله.

يشرح الكتاب عبر هذه الحلقات صـاحب الفضـيلة الشـيخ/ صـالح بن فــــــوزان الفــــــوزان عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقائنا نرحب بفضيلة الشيخ فحياكم الله يا شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

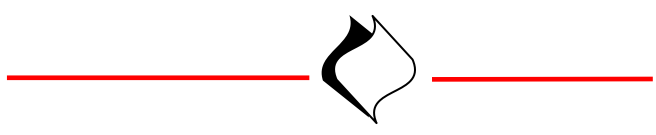
296) (اللحى والشوارب) من بعض مظاهر مخالفة الكفار.

المذيـــــــــع: قال المؤلف رحمه الله تعالى: والتقرير من هذا الحديث قوله: "خالفوا المشركين؛ أحفوا الشوارب وأوفوا اللحى" شبيه بالتقرير من قوله: "لا يصبغون فخالفوهم". وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جزوا الشوارب وأرخوا اللحى خالفوا المجوس.

ثم مضى رحمه الله يشرح ذلك.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

من جملة المظاهر التي نهينا عن التشبه بالكفار فيها سواء كان من المشركين أو من اليهود أو النصارى أو الأعاجم؛ من جملة ذلك مسألة اللحى والشوارب، لما كانت هؤلاء الطوائف تعاكس الفطرة وسنة الرسل التي هي إعفاء اللحى، وإكرامها وإرسالها، وإحفاء الشوارب، فكانوا على العكس يحلقون اللحى ويوفرون الشوارب؛ نهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نتشبه بهم، وأن نبقى على سنة الفطرة وسنة الأنبياء، من إكرام اللحى وإعفائها، وإحفاء الشوارب وجزها، وهو المظهر الجميل والمظهر الحسن الذي يوافق ما عليه الرسل، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، وأما معاكسة ذلك فمع كونه تشبهًا بالكفرة هو أيضًا تشويهٌ للخلقة، وتشويهٌ للوجه، وتغيير لخلق الله سبحانه وتعالى، ولكن لما كان الشيطان تعهد فقال: {وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ}[النساء:119] نفَّذ تعهدَه في هؤلاء فاستجابوا له، وبقي أهل السنة وأهل الاتباع ـ ولله الحمد ـ يتمسكون بسنة الأنبياء، ويخالفون طوائف الكفرة والمشركين، فيعفون لحاهم ويوفرونها، ويحفون شواربهم



ويجزونها، ولا حظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بجز الشوارب، تارة يأمر بجزها وتارة يأمر بإحفائها، ومعنى ذلك أنها تقص وتنهك، أما الحلق فإنه مكروه، بعض العلماء يرى أنه مُحرم؛ لما فيه من تشويه الوجه، فالمشروع في الشوارب أنها تُنهك، لكن لا تُحلق بل يبقى منها شيء يُجمل الصورة، هذا هو السنة في هذه القضية، نعم.

297) مخالفة الكفار في المظاهر الخارجية من مقاصد الشارع.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم.

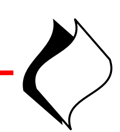
قال رحمه الله: وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جزوا الشوارب وأرخوا اللحى خالفوا المجوس"

قال فعقب الأمر بالوصف المشتق المناسب وذلك دليل على أن مخالفة المجوس أمر مقصود للشارع، وهو العلة في هذا الحكم أو علة أخرى أو بعض علة.

الشيخ صالح: نعم قلنا إن توفير اللحى، وإحفاء الشوارب و جزها مع كونه من خصال الفطرة ومن دين الأنبياء، فهو أيضًا كذلك فيه مخالفة لهؤلاء الطوائف الكافرة من المشركين والكفرة والمجوس واليهود والنصارى حتى في المظهر الخارجي فإننا نخالفهم في ذلك. نعم.

298) مخالفة غير المسلمين في هديهم على وجه العموم أمر مطلوب، كما في الأمور المنصوصة.

المذيـــــــع: قال وإن كان الأظهر عند الإطلاق أنه علة تامة، ولهذا لما فهم السلف كراهة التشبه بالمجوس في هذا وغيره؛ كرهوا أشياء غير منصوصة بعينها عن النبي صلى الله عليه وسلم من هدي المجوس.



الشيخ صالح: تقدم أن القاعدة؛ مخالفة غير المسلمين من اليهود والنصارى والكفرة على وجه العموم، فالمخالفة -على وجه العموم- أمر مطلوب، وفي أشياء منصوصة -على وجه الخصوص- مثل: إعفاء اللحى، وجز الشوارب؛ هذه أمور مخصوصة، داخلة في عموم مخالفة الكفار في هديهم، فإذا تكون المخالفة العامة أمر مطلوب، ولهذا بعض السلف يخالفهم -حتى في الأشياء التي لم يرد نص بمخالفتهم فيها- عملًا بالقاعدة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "خالفوا المشركين" "خالفوا المجوس" "خالفوا اليهود والنصارى" فليس من لازم المخالفة أن يُنص على الشيء، بل القاعدة تشمل ما نُص عليه ومالم يُنص عليه، نعم.

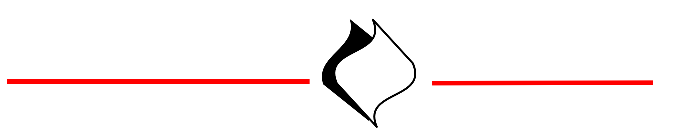
299) (القزع) وهو حلق بعض الرأس دون بعضه؛ من التشبه بالكفار

المذيع: قال: وقال المروذي: سألت أبا عبد الله يعني أحمد ابن حنبل عن حلق القفى، فقال: هو من فعل المجوس، و "من تشبه بقومٍ فهو منهم".

وقال أيضًا: قيل لأبي عبد الله: يكره للرجل أن يحلق قفاه أو وجه؟ فقال: أما أنا فلا أحلق قفاي.

الشيخ صالح: نعم، ومما جاء النص في مخالفة غير المسلمين من سائر الملل -خصوصًا النصارى-؛ مسألة القزع: وهو حلق بعض الرأس وترك بعضه، وهو على أنوع: منه ما يكون حلق جوانب الرأس وترك الوسط، ومنه ما يكون بالعكس؛ حلق الوسط وترك جوانب الرأس، ومنه ما يكون بحلق أمكنة من الرأس وترك أمكنة أخرى، وهو ما يسمى بالقزع وهي القطع، مثل قزع السحاب، وهو السحاب المتقطع، فهذا مظهر من مظاهر الكفرة، وهو العبث بشعر الرأس؛ بأن يُحلق بعضه ويُترك بعضه، ولهذا جاء في الحديث: "اتركه كله أو احلقه كله".

300) حلق بعض الرأس للحاجة لا يدخل في القزع



المذيــــــع: قـال: وقـد رُوي فيـه حـديث مُرسـل عن قتـادة في كراهيته، وقال: إن حلق القفا من فعل المجـوس، قـال: وكـان أبـو عبد الله يحلق قفاه وقت الحجامة، وقـال أيضًـا: لا بـأس أن يحلـق قفاه وقت الحجامة.

الشيخ صالح: حلق بعض الرأس للحاجة لا بأس به، ولا يـدخل في القـزع، وذلـك الحلـق للحجامـة، إن احتـاج للعلاج بالحجامـة؛ وهي سـحب الـدم على صـفة مخصوصـة، ويكـون موضـعها في الـرأس، ويتطلب هذا حلق الموضع الذي يُحتـاج إلى وضـع الحجامـة فيـه فلا بأس بذلك؛ لأن هذا ليس القصد منه مشابهة الكفـار، وإنمـا القصـد منه الحاجة.

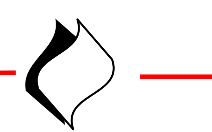
301) حلق بعض الرأس وترك بعضه على أي صفة كان؛ من التشبه الكفار

المذيــــــع: قال: وقد روى عنـه ابن منصـور، قـال سـألت أحمـد عن حلق القفا، فقال: لا أعلم فيه حـديثًا، إنمـا يُـروى عن إبـراهيم أنه كره (قرد يرقوس (قال في الشرح: لعلها كلمـة فارسـية تعـني حلق القفى، وذكر الخلال هذا وغيره أيضًا.

الشيخ صالح: نعم، كل هذا في مسألة القزع، ومسألة حلق بعض الرأس وترك بعضه على أي صفة كـان لأن هـذا من عـادات الكفـار، ونحن منهيون عن التشبه بالكفار.

المذيــــــع: وذكره أيضًا بإسناده عن الهيثم بن حُميد قـال: حـف القفى من شـــــــكل المجـــــوس.
وعن المعتمر بن سليمان الـتيمي قـال: كـان أبي إذا جـز شـعره لم يحلق قفاه، قيل له: لما؟ قال: كان يكره أن يتشبه بالعجم.

الشيخ صالح: نعم، ومن ذلك مسألة تحصل الآن وهـو لمـا جـاءت (المكاين) التي تجزُّ الرأس بدرجات مُعينة؛ درجة واحدة اثنين ثلاثـة، كما هو معروف، وهـذا لا بـأس بـه؛ جـز الـرأس كلـه على أي درجـة يريده الإنسان أو حلق بالموس كله أمر جائز، ولكن هناك شيء وهو أن الحلاق أو الذي يجز الرأس بالمكينة يأتي بالموس ويحلـق دائـرة



القفا، هذا هو نفس الذي سبق؛ أنه لا يجوز حلق القفا حتى ولو قص شعر رأسه بالكامل فإنه لا يحلق.

المذيع: ويدخل في المنع أيضًا لو جعل الحلق درجات؛ بعض الرأس محلوق بدرجة واحد، وبعضه اثنين وبعضه أربعة.

الشيخ صالح: ما يصلح هذا لأنه من التمثيل بالشعر والعبث بالشعر، فيجعله على درجة واحدة، نعم.

302) مسألة التشبُّه منصوص عليها.

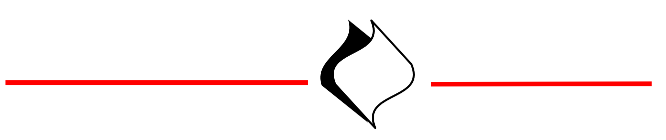
المذيع: قال: والسلف تارة يُعلّلون الكراهة بالتشبه بأهل الكتاب، وتارة بالتشبه بالأعاجم وكلا العلتين منصوصة في السنة، مع أن الصادق صلى الله عليه وسلم، قد أخبر بوقوع المشابهة لهؤلاء وهؤلاء كما قدمنا بيانه.

الشيخ صالح: نعم، جاء في الأحاديث النهي عن التشبه بالمشركين عمومًا، وجاء النهي عن التشبه بالأعاجم وجاء النهي عن التشبه باليهود والنصارى، وكل هذه لا اختلاف فيها، هذه النصوص لا اختلاف فيها، فنحن منهيون عن التشبه بالجميع والنص على بعض العام لا يُخصص العام.

303) عموم مخالفة اليهود والنصارى حتى فيما هو مأخوذ من أصل صحيح في دينهم؛ لأن شريعة الإسلام ناسخة لجميع الشرائع.

المذيع: قال: وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم" رواه أبو داود.

قال المؤلف رحمه الله: وهذا مع أن نزع اليهود نعالهم مأخوذ عن موسى عليه السلام، لما قيل له: {فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ}[طه:12] .

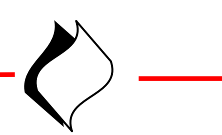


الشيخ صالح: نعم، اليهود كانوا يخلعون نعالهم عند العبادة، أخذًا من قول الله جل وعلا لموسى عليه الصلاة والسلام: {فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}[طه:12] فأخذوا من هذا سنة خلع النعال عند دخول المساجد أو الكنائس، النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بمخالفتهم وأن نصلي في نعالنا مخالفة لليهود والنصارى، حتى ولو كانوا أخذوه من أصلًا عن دينهم؛ لأنهم دينهم في الحقيقة -كما سبق وتكرَّر- أن دينهم نُسخ بدين الإسلام -بكل ما فيه-، فدين الإسلام كافٍ، والقاعدة المعروفة: هل شرع من قبلنا شرع لنا؟ فيها التفصيل المذكور؛ أن ما جاء شرعنا بموافقته هو شرع لنا، ما جاء شرعنا بمخالفته فهو غير شرع لنا بالإجماع، أما مالم يأت شرعنا بموافقته ولا بمخالفته؛ فالأرجح أنه ليس شرعًا لنا؛ لأن مأمورون بمخالفتهم، ودين الإسلام أغنى عن كل ما سبقه من الأديان؛ لأنه تضمن كل ما في الأديان السابقة من المعارف الإلهية والتوحيد والعقيدة، أما الأحكام الشرعية التي هي أحكام المعاملات وأحكام الفقه؛ فهذه كما قال جل وعلا: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}[المائدة:48] فالله يشرع لكل عصر ما يُناسبه، ثم إذا انتهى هذا العصر وهذا الجيل شرع الله شرعًا آخر يليق بالجيل اللاحق إلى أن جاء الإسلام؛ فصار الإسلام عامًّا وباقيًا لهذه الإمة لا يُنسخ ولا يُبدل ولا يُغير إلى أن تقوم الساعة لأنه دين كامل صالح لكل زمان ومكان.

فكونهم يخلعون نعالهم تأسيًا بموسى عليه السلام هذا من دينهم، أما ديننا فإنه نهانا عن التشبه بهم في الصلاة، في خلع النعال، فشرع لنا لبس النعال في الصلاة مخالفة لهم، هذا هو الأصل.

304) علة خلع النعال في المساجد الآن

ولكن الآن في المساجد تغير وضعها عما كان لأن المساجد كانت في الزمان الأول تُرابية فلا يؤثر دخولها بالنعال والصلاة بالنعال فيها، ولا يحدث ذلك تشويشًا على الناس، أما لما تغير وضع المساجد الآن فصارت المساجد مفروشة ومُبلطة ومُنظفة؛ صار يؤثر فيها الدخول بالنعال وهي تحمل الغبار وتحمل التراب؛ فيحصل في ذلك تلويث للمسجد، لأن المساجد في الأول كانت لا



تتأثر بالدخول بالنعال لأنها تُرابية أو حصبائية؛ لا تتغير، أما الآن فتغير الوضع، فتُخلع النعال عند الدخول في المساجد لأمرين:

أولاً: لأن هذا يُضر بالمساجد، والضرر يُزال.

وثانيًا: أن هذا يُحدث تشويشًا بين الناس، ويحصل نـزاع بين الناس، مع أن الصلاة في النعال سنة ليست واجبة، وإذا ترتب على عمل السنة تشويشًا على الناس أو سوء تفاهم؛ فدرء المفاسد مُقدم على جلب المصالح، نعم.

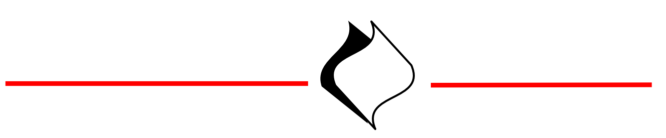
305) مواصلة الصيام من التشبه بالكفار

المذيـــــــع: قال رحمه الله: عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر" رواه مسلم في صحيحه.

قال: وهذا يدل على أن الفصل بين العبادتين أمر مقصود للشارع.

الشيخ صالح: نعم، كذلك مما نُهينا عن التشبه بهم فيه؛ مواصلة الصيام، ومواصلة الصيام هو أن يصوم الأيام لا يفطر بينها، فالرسول صلى الله عليه وسلم نهانا عن الوصال، عملًا بقوله تعالى: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى}إلى قوله تعالى:{ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إلى الليل}[البقرة:187]؛ فجعل الصيام ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فلا يُزاد من هنا ولا من هنا، ونهانا عن الوصال، لكن يُشكل على هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يواصل، ولهذا قال له الصحابة: يا رسول الله إنك تواصل، قال: "إني لست كهيئتكم" فهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم أما نحن فمأمورون بالفصل بين العبادتين بالإفطار ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر، والواجب علينا الامتثال في هذا الأمر.

306) عدم الفصل بين الصلاة منهيٌ عنه؛ حتى تتميز العبادات عن بعضها



كذلك نُهي عن الوصل بين الصلاتين صلاة الفريضة و صلاة النافلة، فإذا سلم الإنسان من الفريضة فلا يقوم (على طول) ويأتي بالنافلة، كما يفعل بعض الجُهال؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن وصل صلاة بصلاة حتى يقوم أو يتكلم؛ فهذا كله من أجل تميز العبادات وبقائها على صورتها وألاّ يدخلها تغيير أو زيادة.

307) الفصل بين العبادات أمر مقصود للشارع؛ لأن فيه التمسك بالسنة ومخالفة الكفار في عبادتهم

المذيع: أحسن الله إليكم، قال رحمه الله: وقد صرح بذلك ـ أي كون الفصل بين العبادتين أمر مقصود للشارع ـ صرّح فيما رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزال الدين ظاهرًا ما عجّل الناس الفطر" لأن اليهود والنصارى يؤخرون.

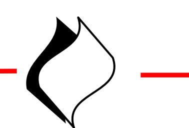
قال: وهذا نصٌ في أن ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر؛ لأجل مخالفة اليهود والنصارى.

الشيخ صالح: نعم، لا يزال الناس بخير ما عجّلوا الفطر، وأخروا السحور مخالفة لليهود، وعملًا بالسنة، فمدام المسلمون متمسكين بالسنة فالإسلام ظاهر، وإذا عملوا بالبدع، ووقعوا في التشبه فإن هذا يضر بالدين وبظهور الدين، فجعل صلى الله عليه وسلم علامة ظهور الدين التمسك بالسنة ومخالفة الكفار -في العبادات وفي غيرها من العادات الخاصة بهم-؛ فهذا من يُسر هذه الشريعة، ورفع الحرج عن الأمة.

أما بعض الطوائف المنتسبة للإسلام الآن التي لا يُفطرون حتى تشتبك النجوم، حتى يُظلم الجو، هذا بدعة وزيادة في العبادة، وأمرٌ لا يجوز. نعم.

308) ظهور الإسلام في مخالفة أعداء الإسلام

المذيع: أحسن الله إليكم، قال رحمه الله: وإذا كانت مخالفتهم سببًا لظهور الدين، فإنما المقصود بإرسال الرسل أن



يظهر دين الله على الـدين كلـه، فيكـون نفس مخـالفتهم من أكـبر مقاصد البعثة.

الشيخ صالح: نعم، هذه فائـدة عظيمـة، وهـو أن علامـات ظهـور الإسـلام مخالفـة أعـداء الإسـلام، ودل بـالمفهوم على أن موافقـة أعـداء الإسـلام نقص في ظهـور الإسـلام، فـإذا أراد المسـلمون أن يظهر دينهم وأن تعلو كلمة الله فليخالفوا أعداء اللـه في عبـادتهم وفي عـادتهم الخاصـة بهم حـتى يكـون للمسـلمين تمـيز وانفـراد لشخصيتهم، ولا يذوبون مع الأديان الأخـرى أو مـع الملـل الأخـرى، نعم.

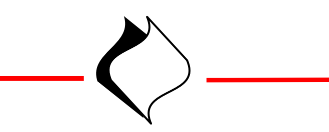
309) إخبار النبي بما هو واقع من تأخير الإفطار من دلائل نبوَّته

المذيـــــــــع: قـال: وهكـذا روى أبـو داود من حـديث أبي أيـوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال أمتي بخير أو على الفطـرة مـالم يـؤخروا المغـرب إلى أن تشتبك النجوم" رواه ابن ماجة من حديث العباس والإمام أحمـد من حديث السائب بن يزيد.

الشيخ صالح: نعم، وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أخبر أنه سيكون في هذه الأمة من يؤخرون الإفطار إلى أن تشتبك النجوم، يعني تظهر النجوم في ظلمة الليل، وهذا من الابتــداع في الدين وخفاء السنة، أما المبادة بالإفطار عند غـروب الشـمس فهـو من إظهار السنة ومن علو هذا الـدين؛ فهـذا يـدل على أن التمسـك بالسنة والعمل بها ظهور لهذا الدين، وأن ترك العمل بالسنة خفـاء لهذا الدين ونقص فيه. نعم.

310) مخالفة اليهود والنصارى في وقت الصلاة

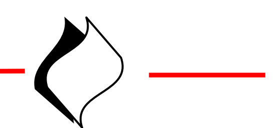
قال: وقد جاء مُفسرًا تعليله "لا يزالون بخير مالم يـؤخروا المغـرب إلى طلـوع النجـوم مضـاهاة لليهوديـة، ويـؤخروا الفجـر إلى محـاق النجوم مضاهاة للنصرانية."



الشيخ صالح: كذلك مخالفة الملّتين في وقت الصلاة، والصلاة الله جل وعلا قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: {أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}[الإسراء:78] والنبي صلى الله عليه وسلم بيّن المواقيت؛ أن وقت الظهر حين تزول الشمس عن وسط السماء إلى جهة الغرب، ويظهر الظل من جهة الشرق، وأن وقت العصر إذا تساوى الشاخص وظله، تساوى الشيء الشاخص يعني المرتفع مع ظله؛ حينئذ ينتهي وقت الظهر ويدخل وقت العصر، ويستمر وقت العصر المختار إلى أن يصير ظل الشيء مثله مرتين، ثم يبدأ وقت الضرورة إلى غروب الشمس، وأن وقت صلاة المغرب حين تغرب الشمس، وأن وقت العشاء حين يغرب الشفق الأحمر، وأن وقت الفجر حين طلوع الفجر الثاني.

هكذا بيّن النبي صلى الله عليه وسلم ، وجبريل عليه السلام أمّ النبي صلى الله عليه وسلم في أول الوقت، وفي آخره، ثم قال: الصلاة بين هذين الوقتين، فهذه مواقيت الصلاة، فمن غيرها فإنه يكون متشبها بالأمم السابقة في تغييرهم لعبادتهم، فإن اليهود لا يصلون حتى يُعتم الجو، لا يصلون المغرب حتى يُعتِم الجو وتظهر النجوم، فمن أخّر المغرب إلى هذا الوقت؛ فهو مُتشبه باليهود.

وفي طائفة تنتسب إلى الإسلام الآن تؤخر المغرب إلى هذا الوقت، ومن أخَّر الفجر إلى أن تمحق النجوم يعني يذهب ضوء النجوم بظهور الإسفار، وظهور ضوء الشمس فهو متشبه بالنصارى فنحن مأمورون بتعجيل الفجر عند طلوع الفجر، وبتعجيل المغرب عند غروب الشمس، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "أسفروا بالفجر فإنه أعظم لأجوركم فمعناه التأكد من طلوع الفجر، وليس معناه أن نبقى حتى يُسفر الجو، وإنما معناه أننا نتأكد، بدليل أنه صلى الله عليه وسلم كان يدخل في الصلاة بغلس حين لا يعرف الرجل من بجانبه من الظلمة، ثم ينصرف من الصلاة حين يعرف الرجل جليسه؛ فدل على أنه صلى الله عليه وسلم يدخل في صلاة الفجر مبكرًا، وأنه يطيل الصلاة ولا ينصرف منها حتى يعرف الرجل جليسه، فهذا هو الهدي النبوي في صلاة الفجر: أنه يدخل فيها مبكرًا، ويطيلها حتى يتضح ضوء الفجر ويعرف



الإنسـان من بجانبـه، وذلـك في الـوقت الـذي لم يكن فيـه مصـابيح كهربائية أو سُرُج.

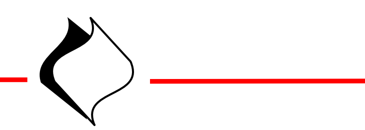
المذيـــــع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الأربعون

المذيـــــع: بِسْـمِ اللَّهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ، الحَمْـدُ للـهِ رَبِّ العَـالَمِينَ، وَصَـلَّى اللـهُ وَسَـلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَـا مُحَمَّد، وعَلَى آلِـهِ وَصَـحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، أَيُّهَـا المســتمعون الكــرام السَّــلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَــةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـهُ، وأهلا وسـهلاً بكم إلى حلقـة جديـدة في برنـامج: اقتضـاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحليم بن تَيْمِيَّة رحمه الله.

يشرح الكتاب في هذِه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ: صالح بن فوزان الفـوزان، عضـو هيئـة كبـار العلمـاء، وعضـو اللجنـة الدائمـة للإفتاء، في مطلع لقاءنا نرحب بشيخنا الكرام فحياكم الله يا شــيخ صالح.



الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

311) الفصل بين عبادتنا وعبادات مَن قبلَنا

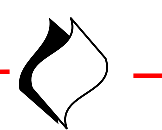
المذيـــــــــع: قَـالَ المُؤَلِّف رحمـه الله تَعَـالى في بيـان أن الفصل بين عبادتنا وعبادات من قبلنـا أمـر مقصـود للشـارع، قَـالَ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الصَّلْتُ بْنُ بَهْرَامَ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصُّنَابِحِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «لَا تَـزَالُ أُمَّتِي عَلَى مُسْـكَةٍ مَـا لَمْ يَنْتَظِرُوا بِـالْمَغْرِبِ اشْـتِبَاكَ النُّجُـومِ مُضَـاهَاةً لِلْيَهُودِيَّةِ وَلَمْ يَنْتَظِـرُوا بِـالْفَجْرِ مَحَـاقَ النُّجُـومِ مُضَـاهَاةً لِلنَّصْـرَانِيَّةِ وَلَمْ يَكُلُـوا الْجَنَـائِزَ إلى أَهْلِهَا».

الشيخ صالح: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحَمْـدُ للـهِ، وَالصَّـلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى رسول الله، وعَلَى آلِـهِ وَصَـحْبِهِ، وَهـذَا الحـديث مؤكـدٌ للحــديث الَّذِي ســبق في آخــر الحلقــة الماضــية، في أن المشــروع للمســلمين أن يبــادروا بصــلاة المغــرب عنــد غــروب الشَّــمْس، ولا يؤخّروهــا إلى أن يُظلم الجــو وتظهــر النجــوم؛ لأن هــذَا من فعــل اليهود.**

فنحن منهيون عن التشبه بهم، وألا نؤخر صلاة الفجر عن طلـوع الفجر إلى أن يـذهب ضـوء النجـوم بسـبب كـثرة الإسـفار؛ بـل إننـا نعجِّل بصلاة الفجر في أول وقتها، كما كان النبي صـلى اللـه عليـه وسلم يصـليها بغلس؛ يعـني في ظلمـة يصـليها في ظلمـة، وسـبق الكلام على هذه المسألة.

فيـه الآن من بعض الشـباب أو بعض المنتسـبين لطلب العلم من يشـكِّك في صـلاة الفجـر ويقـول: أن النـاس يصـلونها قبـل دخـول وقتها، ويضعون في هذا الشبهات؛ بل إنهم كتبوا في إبطـال صـلاة بعض الجهات، وهذا من الجهل والغرور؛ فإن المشــروع هــو أنــه إذا طلع الفجر فإنه يحين وقت صلاة الفجر، وطلوع الفجر واضح؛ قـال الله جـل وعلا: ﴿وَكُلُـوا وَاشْـرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْـطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187].

فإذا طلع البياض المعترض في الأفق الذي لا يأتي بعـده ظلمـة؛ فهذا هو الفجر الذي يحرّم الطعام بالنسبة للصائم ويدخل بــه وقت صلاة الفجر، وهو أمر واضح يتبين؛ يعني كـلٌّ يـرى الفجـر إذا ظهـر في الأفـق، علامـة واضـحة ليس فيهـا خفـاء، فلمـاذا نـؤخر إلى أن



يظهر الإسفار ونتشبَّه بالنصارى، وقد نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

فينبغي لهؤلاء أن يتنبَّهوا لهذا الأمر، وألا يتكلموا في أمور العبادات ويغرِّروا بالناس، بناء على فهمهم القاصر.

312) كيفية العناية بجنازة المسلم

المذيع: قَالَ: «وَلَمْ يَكِلُوا الْجَنَائِزَ إلى أَهْلِهَا».

الشيخ صالح: هذه زيادة عن الحديث السابق، الله -جل وعلا- شرع لنا العناية بجنازة المسلم في أننا: نغسّله ونكفّنه ونحمِله وندفنه في مقبرة المسلمين، ونستغفر له وندعو له.

أولًا، نغسله، ثم نكفنه، ثم نصلي عليه، ثم نحمله إلى قبره وندفنه على السُّنَّة، ونستغفر له بعد الدفن وندعو له بالتثبيت، شرع لنا زيارته -الزيارة الشرعية-: نسلم عليه وندعو له كلما تيسر ذلك؛ فهذا من محاسن الإسلام.

أما أنه يترك الميت لأهله، ولا يكون من إخوانه المسلمين مشاركة في تشييعه ومشاركة في تجهيزه وحضور دفنه؛ فهذا من النقص في هذه الأُمَّة، وهذا قد يحدث في آخر الزمان حينما تظهر القسوة في القلوب والتنافر بين الناس والانشغال بالدنيا والغفلة عن الآخرة.

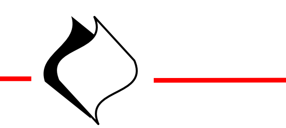
ومن حقوق المسلم على إخوانه المسلمين قوله صلى الله عليه وسلم: «وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعَهُ»؛ يعني شيع جنازته.

المذيع: إذًا ألا يترك الناس جنازة أخيهم إلى أهله، ويساعدهم هذا أمر شرعي مقصود.

الشيخ صالح: مقصود نعم، وفيه أجر عظيم، وفقده فقد للجميع ومصيبته مصيبة للجميع فليس عَلَى أهله فَقَطْ.

313) لا رهبانية في الإسلام؛ فلا وصال

المذيع: قال رحمه الله: وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ إِيَادِ بْنِ لَقِيطٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ لَيْلَى امْرَأَةِ بَشِيرِ بْنِ الْخَصَاصِيَةِ، قَالَتْ: أَرَدْتُ أَنْ أَصُومَ يَوْمَيْنِ مُوَاصَلَةً أَوْ مُوَاصَلَةً فَنَهَانِي عَنْهُ بَشِيرٌ وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانِي عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: «إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ النَّصَارَى، صُومُوا كَمَا أَمَرَكُمُ



اللَّهُ وَأَتِمُّوا الصَّوْمَ كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ وَأَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ فَأَفْطِرُوا» . وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فَعَلَّلَ النَّهْيَ عَنِ الْوِصَالِ بِأَنَّهُ صَوْمُ النَّصَارَى، وَهُوَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِمْ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا».

الشيخ صالح: نعم، كما سبق أنه نهي عن الوصال، وهو أن يواصل بين يومين بالصيام ولا يفطر بينهما، وأن هذا صيام النصارى، ونحن منهيُّون عن التشبه بهم.

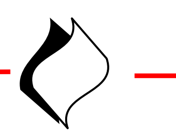
قال شيخ الاسلام -رحمه الله- معلقًا على ذلك: ولا يبعد أن يكون هذا من رهبانيتهم التي نهينا عن التشبه بهم فيها في قوله صلى الله عليه وسلم: «لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ».

314) التشدد في مسألة الحائض

المذيع: قَالَ: وَعَنْ حَمَّادٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتْ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهَا فِي الْبُيُوتِ؛ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ [الْبَقَرَةِ: 222]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ».

فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ، فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا، أَفَلَا نُجَامِعُهُنَّ؟، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وُجِدَ عَلَيْهِمَا فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفْنَا أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشيخ صالح: نعم، من القضايا التي أمرنا الله بمخالفة اليهود فيها: تشدّدهم في مسألة الحائض، فكان اليهود يتشدّدون في اجتناب الحائض؛ فلا يؤاكلونها، ولا يشاربونها، ولا يأكلون مما صنعتْه، فالله جل وعلا شرع لنا أننا نخالف اليهود في هذا الأمر، وأن نتجنب الحائض في شيء واحد وهو الوطء في الفرج.



﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222]؛ يعني محل خروج الحيض، ولا بأس أن يستمتع الرجل بزوجته الحائض في جسمها ويضاجعها، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يضاجع نساءه في حالة الحيض ويأمرهن بالاتزار فيباشرهن، وهذا من اعتدال هذا الدين ورفع الحرج عن هذه الأُمَّة.

فالله لم ينهنا إلا عن شيء واحد وهو جماع الحائض في فرجها، أما جماعها في غير فرجها والمباشرة الاستمتاع بها والأكل مما طبخت وغسلت وباشرت، فكل هذا مما أباحه الله لنا، فهذا من مخالفة اليهود، ومن وسطية الإسلام واعتدال الإسلام في أمر الحائض.

لكن لما أراد بعض الصحابة أن يزيدوا في الأمر ويشتدوا في الأمر، قالوا نجامعها في الفرج مخالفة لليهود، يفعلون شيئًا محرمًا من أجل مخالفة اليهود، اليهود في هذا على حق في كونهم لا يجامعونها، فنحن لا نترك الحق، وإن كان اليهود عليه، فكونهم يتركون جماع الحائض في فرجها هذا حق، فنحن لا نتركه ونقول هذا مخالفة لهم؛ لأنهم وافقونا هم، هم وافقونا في هذه المسألة أن هذا حق.

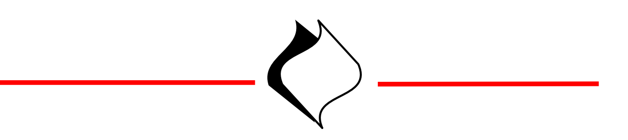
فلما همَّ بعض الصحابة أن يجامع الحائض؛ يفعل المحرم من أجل أن يخالف اليهود غضب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك، لكن غضبه لم يصل إلى حد الهجر في حقهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بدليل أنه دعاهما وسقاهما من اللبن.

315) ما شرعه الله لنبيِّه من مخالفة اليهود

المذيع: أحسن الله إليكم، قال رحمه الله: فَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ مِنْ مُخَالَفَةِ الْيَهُودِ، يعني لقوله: لم يريد هذَا الرجل أن يدع شيئًا من أمرنا إِلَّا خالفنا فيه.

الشيخ صالح: نعم، وهذا من رحمة الله وإظهار هذا الدين، وأن يتميز، ولا يختلط بالأديان السابقة لأنه دين متميز حاكم على الأديان.

المذيع: ثُمَّ إِنَّ الْمُخَالَفَةَ كَمَا سَنُبَيِّنُهُ تَارَةً تَكُونُ فِي أَصْلِ الْحُكْمِ وَتَارَةً تكون فِي وَصْفِهِ.



الشيخ صالح: نعم، المخالفة تكون في أصل الحكم بألا نحدث البدع التي أحدثوها كالموالد مثلاً، وإحداث عبادات كالرهبانية؛ كالرهبانية التي ابتدعوها ما كتبها الله عليهم، وقد يكون الأمر مشروعًا لكن هم زادوا فيه كالصيام مثلًا، فالصيام مشروع لكنهم زادوا فيه فصاروا لا يفطرون حتى تشتبك النجوم، فهم زادوا على العبادة، هذا وصف زائد على المشروع، فنحن نخالفهم في الحالتين: لما أحدثوه من الدين، وفيما زادوه على الدين المشروع.

المذيع: قَالَ: وَمُجَانَبَةُ الْحَائِضِ: لَمْ يُخَالَفُوا فِي أَصْلِهِ بَلْ خُولِفُوا فِي وَصْفِهِ.

الشيخ صالح: مجانبة الحائض الله جل وعلا قَالَ: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ [البقرة: 222]، نحن مأمورون باعتزال الحيض، لكن ما هو في كل شيء، وإنما بالجماع في الفرج، ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222]، ما قَالَ: اعتزلوا النساء مطلقًا، بل قَالَ: ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222].

فاليهود اعتزلوا النساء في الحيض من جميع وجوه الاعتزال.

المذيع: قَالَ: حَيْثُ شَرَعَ اللَّهُ مُقَارَبَةَ الْحَائِضِ فِي غَيْرِ مَحَلِّ الْأَذَى.

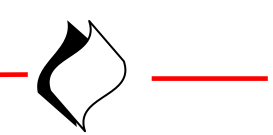
الشيخ صالح: وهو مخرج الدم.

المذيع: فَلَمَّا أَرَادَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ أَنْ يَعْتَدِيَ فِي الْمُخَالَفَةِ إِلَى تَرْكِ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ، تَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشيخ صالح: هنا المخالفة لا يجوز أن تزيد عن الحد المشروع بأن نترك واجبًا أو نفعل محرما، ونقول هذا مخالفة لليهود.

المذيع: قَالَ: وَهَذَا الْبَابُ - بَابُ الطَّهَارَةِ - كَانَ عَلَى الْيَهُودِ فِيهِ أَغْلَالٌ عَظِيمَةٌ فَابْتَدَعَ النَّصَارَى تَرْكَ ذَلِكَ كُلِّهِ.

الشيخ صالح: كان اليهود والنصارى على طرفي نقيض في مسألة النَّجَاسَة، فاليهود يتشددون في مسألة النَّجَاسَة؛ حتى إنهم يقطعون الثوب الذي فيه نجاسة ولا يغسلونه يشقونه، وهذا من الآصار والأغلال التي عاقبهم الله بها، بينما النصارى يتساهلون



في أمر النجاسة بل يتقرب إلى الله بالنجاسات، والتلوث بالنجاسات، ويعتبرون هذا من التواضع والعبادة.

الله جل وعلا شرع لهذه الأمة إزالة النَّجَاسَة، وذلك بغسلها في الماء، لا بقطع الثوب وإفساد الثوب، ولا بالتساهل فيها كما تتساهل النصارى، فيلابسون النجاسات، ويعتبرون هذا من الدين عندهم.

المذيع: قَالَ: فَابْتَدَعَ النَّصَارَى تَرْكَ ذَلِكَ كُلِّهِ حَتَّى إِنَّهُمْ لَا يُنْجِّسُونَ شَيْئًا، بِلَا شَرْعٍ مِنْ اللَّهِ، فَهَدَى اللَّهُ الْأُمَّةَ الْوَسَطَ.

الشيخ صالح: ولذلك يأكلون الخنزير، ولذلك النصارى يأكلون الخنزير وهم من أقذر الحيوانات وأنجس الحيوانات، الله جل وعلا يقول: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: 145]، ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: 145]، فهم يأكلون الرجس النجس على العكس من اليهود الذين يتشددون في النجاسات؛ حتى أنهم يتلفون الثوب ويشقونه من أجل إزالة النجاسة منه، فلا إفراط ولا تفريط.

(316) هدى الله الأُمَّة الوسط

المذيع: قَالَ: فَهَدَى اللَّهُ الْأُمَّةَ الْوَسَطَ بِمَا شَرَعَهُ لَهَا إِلَى وَسَطٍ مِنْ ذَلِكَ.

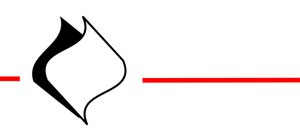
الشيخ صالح: وذلك بإزالة النجاسة بالماء.

المذيع: قَالَ: وَإِنْ كَانَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْيَهُودُ كَانَ أَيْضًا مَشْرُوعًا، فَاجْتِنَابُ مَا لَمْ يَشْرَعْ اللَّهُ اجْتِنَابَهُ مُقَارَبَةً لِلْيَهُودِ وَمُلَابَسَةَ مَا شَرَعَ اللَّهُ اجْتِنَابَهُ مُقَارَبَةً لِلنَّصَارَى، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشيخ صالح: ترك ما شرعه الله من أجل مقاربة النصارى، أو فعل ما حرمه الله مقاربة لليهود كلا الأمرين لا يجوز؛ فنحن نترك المحرم ونفعل الواجب، ونخالف الطائفتين في هذا الأمر.

المذيع: وبين كما أشرتم أن الأُمَّة وسط.

الشيخ صالح: فاليهود مثلاً يأكلون الرِّبَا -وهو من أشد المحرمات-؛ نحن نخالفهم في هذَا، المشركون يأكلون الميتات؛ فنحن نخالف المشركين في هذَا، النصارى يأكلون الخنزير الذي هو



أقـذر الحيوانـات وأنجس الحيوانـات؛ فنحن نخـالف هـذه الطوائـف وديننا دين الوسط والاعتدال والنزاهة.

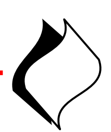
(317) أوقات النَّهْي في الصلاة

المذيـــــــــع: أحســن اللـه إليكم، قـال: وَعَنْ أَبِي أُمَامَـةَ، عَنْ عَمْـرِو بْنِ عَبَسَـةَ قَـالَ: كُنْتُ وَأَنَـا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَـلَالَةٍ فَـإِنَّهُمْ لَيْسُـوا عَلَى شَـيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُـدُونَ الْأَوْثَـانَ، قَـالَ: فَسَـمِعْتُ بِرَجُـلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِـرُ أَخْبَـارًا، فَقَعَـدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَـدِمْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ مُسْـتَخْفِيًا جُـرْآءَ عَلَيْـهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفَتْ حَتَّى دَخَلَتْ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟، قَالَ أَنَـا نَبِيٌّ. فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ أَرْسَلَنِي اللَّهُ. فَقُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسِلُكَ؟ قَالَ: أَرْسِلْنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحِّدَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْءٌ.

فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: حُرٌّ وَعَبْدٌ. قَـالَ: وَمَعَـهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ. قَالَ: إِنَّكَ لَا تَسْـتَطِيعُ ذَلِـكَ يَوْمَـكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَـائْتِنِي. قَـالَ فَـذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي، وَقَـدِمَ رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَــلَّمَ الْمَدِينَــةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتخْبِـرُ الْأَخْبَارَ وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَـةَ؟ فَقَـالُوا: النَّاسُ إِلَيْـهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ.

فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْـهِ، فَقُلْتُ يَـا رَسُـولَ اللَّهِ، أَتَعْـرِفُنِي قَالَ: نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ. قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنْ الصَّلَاةِ قَالَ: صَلِّ صَـلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرَ عَنْ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُـعَ الشَّـمْسُ حَتَّى تَرْتَفِـعَ فَإِنَّهَـا تَطْلُـعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِــرَ عَنْ الصَّلَاةِ فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسجَّرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ، حَتَّى تُصَـلِّيَ الْعَصْـرَ، ثُمَّ أَقْصَـرَ عَنْ الصَّـلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْـرُبُ بَيْنَ قَـرْنَيْ شَـيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْـجُدُ لَهَـا الْكُفَّارُ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشيخ صالح: هـذا حـديث عظيم، وفيـه فوائـد عظيمـة، وهـو حديث عمرو ابن عبسة السلمي، ويُكـنى أبـا نجيـع رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ،



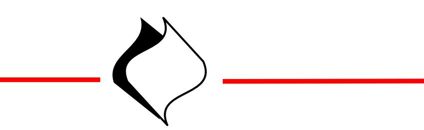
فيه أن هذا الرجل كان يكره عبادة الأوثان في الجاهلية، ويرى أن الناس ليسوا على شيء، وليسوا على دين صحيح، وهذا بموجب الفطرة التي فطرها الله عليها، وكان أناس أفراد من أشكاله ممن تجنبوا عبادة الأوثان، مثل: عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد.

عمرو بن نفيل، ومثل ورقة بن نوفل، ومثل سلمان الفارسي، ومثل قس بن ساعدة الإيادي وغيرهم، أناس أنكروا عبادة الأوثان، وبقوا يتعبدون على بقية الحنفية ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومنهم من يكون على دين عيسى عليه الصلاة والسلام، الَّذِي لم يحرف ولم يغير حتى بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم، ومن هؤلاء: عمرو بن عبسة السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنه لما سمع ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم -وكان يكره ما عليه المشركون- فرح؛ فرح ببعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فجاء ووجد الناس عليه متآمرين في مكة، وأنهم قد تكالبوا عليه، وأنه كان يختفي في دعوته، وهذا في أول ما بعثه الله، فعمل الحيلة حَتَّى وصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ودخل عليه؛ فسأله من أنت؟، فَقَالَ: أنا نبي، قلت وما نبي؟، قَالَ: أرسلني الله، قلت: بأي شيء أرسلك؟، قَالَ: أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأصنام وعبادة الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فوافق هذا ما عند عمرو بن عبسة من الشوق إلى الدين الحق وافق ما عنده من الرغبة.

فأراد أن يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم، فالرسول رحمة به، قال له: إنك لا تستطيع ذلك وأنت ترى ما بيني وبين الناس، وسأله عمرو عَلَى من تبعه على هذا الأمر؟، قَالَ: حر وعبد، وكان معه يومئذ بلال بن رباح رضي الله عنه وأبو بكر الصديق رضي الله عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هذا أول من كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم هذان الرجلان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فأراد أن يتبعه ويكون معهم، قال صلى الله عليه وسلم: أنك لا تستطيع أن ترى، هذا من الرحمة به والرأفة به، وهذا يدل على التدرج في أمر الدين، لكن أرجع فإذا سمعت بي قد ظهرت فهلم، فذهب الرجل على إيمانه وعلى تصديقه بالرسول صلى الله عليه سلم، ثم لما سمع بهجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة سأل



من جاء من أهل المدينة هذا الرجل الـذي قـدم عليكم فـأخبروه أن قومه أرادوا أن يقتلوه.

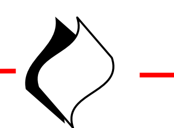
يعني أهل مكة أرادوا أن يقتلوه، كما في قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: 30]، فنجاه الله منهم وهاجر إلى المدينة، ففرح بذلك وقدِم على الرسول صلى الله عليه وسلم فوجد الناس يُسرعون إليه، وأن الله قد نصره وأظهره، وحصل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم يوم كان في مكة، فحصل الفرج؛ فجاء وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ماذا يفعل؟، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بفرضية الصلوات الخمس ومواقيتها، ثم أخبره بالأوقات التي لا تجوز الصلاة فيها، وهذا محل الشاهد من الحديث.

فلا تجوز الصلاة بعد طلوع الفجر إلى أن ترتفع الشَّمْس، ولا سيما عند بزوغ الشَّمْس؛ لأن هذا الوقت أنها تظهر بين قرني شيطان ويسجد لها الكفار، فإذا صلى المسلم في هذا الوقت عند طلوع الشَّمْس فقد تشبه بالكفار، فنُهي عن الصلاة في هذا الوقت سدًّا للذريعة، منعًا للتشبه بالكفار فدل على تحريم التشبه بهم، ثم إنه بين له صلاة الظهر وأنها حين يقوم قائم الظهيرة حتى تزول.

ثم قبل الظهر بيَّن له وقت نهي أيضًا وقت نهي آخر، وهو عند قيام قائم الظهيرة على رؤوس تقوم الشمس على الرؤوس، فحينئذ تُسجَّر جهنم فينهى عن الصلاة في هذا الوقت، وإن كان وقتًا قصيرًا ولكن ينهى عن الصلاة في هذا الوقت الْثَّانِي، الوقت الثالث بعدما يصلي العصر إلى أن تغرب الشمس هذا ليس محل صلاة للنَّافِلَةِ، لماذا؟

لأنها حين غروبها تغرب بين قرني شيطان ويسجد لها الكفار، فإذا صلى المسلم في هذا الوقت تشبه بهم؛ فيظن أنه يسجد للشمس في حين أنه يسجد لله لكن لما كانت الصورة والوقت مقارب لما عليه الكفار نهينا عن التشبه سدا للذريعة التي توصل إلى الشِّرْك، فهذا محل الشاهد من الحديث؛ أننا نهينا عن التشبه بالكفار حتى في أداء العبادات التي يؤدون فيها شركهم وعباداتهم لغير الله عَزَّ وَجَلَّ.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.



وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الحادي والأربعون

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين ايها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وحياكم الله إلى حلقة جديدة في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة اصحاب الجحيم لشيخ الإسلام احمد بن عبد الحليم ابن تيمية رحمه الله يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء في مطلع لقائنا نرحب بفضيلة الشيخ حياكم الله شيخ صالح حياكم الله وبارك فيكم في الحلقة السالفة.

318) قد يأتي من يجهل هذا الحكم من المسلمين فيظن أن المسلمين يوافقون الكفار في هاتين العبادتين الشركيّتيْن

المذيـــــــع: وقفنا مع المؤلف -رحمه الله- في قوله عن حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه، قال: فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب معللا بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان، وأنه حينئذ يسجد لها الكفار ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله تعالى، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان، ولا أن الكفار يسجدون لها؛ ثم أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسمًا لمادة المشابهة بكل طريق.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله واصحابه ومن اهتدى بهداه.

تقدم أن الشيخ رحمه الله ساق حديث عمرو بن عبسة في بيان مواقيت الصلاة وأوقات النهي ومنها: عند طلوع الشمس، وعند

غروبها. وعلل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان وأن الكفار يسجدون لها في هذين الوقتين؛ فنهى المسلم أن يصلي في هذين الوقتين حسما لمادة التشبه بهم وإن كان المؤمن يصلي لله وهم يصلون للمخلوق.

وأيضا المسلم قد لا يعلم انهم يسجدون لها في هذين الوقتين، ومع هذا نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم مطلقاً؛ حسماً لمادة التشبه بالكفار فهذا من أعظم الأدلة على تحريم تشبه بالكفار لا سيما في عباداتهم، وأيضا هذا فيه سد لذريعة الشرك فإن المسلم إذا تشبه بهم وإن كان في أول الامر لا يقصد السجود لغير الله، لكن قد يأتي من يجهل هذا الحكم من المسلمين فيظن أن المسلمين يوافقون الكفار في هاتين العبادتين الشركيتين النبي صلى الله عليه وسلم سد هذا الطريق المفضي إلى الشرك، فهذا الحديث فيه فائدتان عظيمتان:

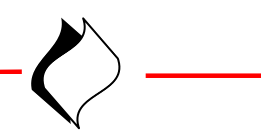
الفائدة الأولى- تحريم التشبُّه بالكفار -وأن كان المسلم لا يقصد ما قصدوه، أو يجهل ما يقصدونه-.

والفائدة الثانية- سد الوسائل أو منع الوسائل التي تُفضي إلى الشرك نعم.

(319 حرمة التوسل إلى الكواكب:

المذيع: أحسن الله اليكم قال رحمه الله: ويظهر بعض فائدة ذلك بأن من الصابئة المشركين اليوم ممّن يُظهر الإسلام ويعظم الكواكب، ويزعم أنه يخاطبها بحوائجه لها وينحر، ويذبح.

الشيخ صالح: ومما يؤكد النهي عن التشبه بالكفار؛ أن المسلم -وإن كان لا يقصد الا الله عز وجل- لكن إذا تشبه بهم في صورة العمل فهذا وسيلة إلى أن يتشبه بهم، أو يأتي من يتشبه بهم من المسلمين في حقيقة العمل؛ لأن الوسائل تُفضي إلى الغايات المحرمة، ومن ذلك أن من الصابئة المشركين من يتقرب إلى الكواكب، ويسجد لها، ويبنون لها الهياكل كما في قوم نمروذ من الكنعانيين الذين هم بأرض بابل؛ أنهم يسجدون للكواكب ويعبدونها من دون الله، فالمسلم منهيٌّ عن التشبه بهذه الطوائف.



320) تصنيف الكتب في عبادة الكواكب من بعض منتسبي الإسلام

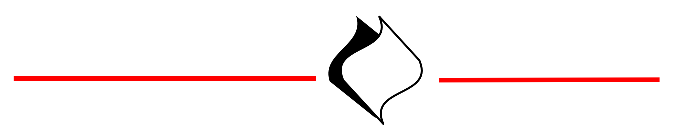
المذيــــــع: قال وقد صنف بعض المنتسبين إلى الإسلام في مذهب المشركين من الصابئة والبراهمة كتبًا في عبادة الكواكب توسلا بذلك زعموا إلى مقاصد دنيوية من الرئاسة وغيرها.

الشيخ صالح: نعم بعض العلماء المنتسبين إلى الإسلام: وهو الفخر الرازي المشهور ألف كتابا سماه [السر المكتوم في مخاطبة النجوم] وذكر فيه هذه القبايح -ولا يليق هذا به-، لكنه فعل هذا: إما من باب التكثر في التأليف، أو أنه قصد بذلك ترؤسًا في العلم أو غير ذلك من المطامع؛ فالحاصل أنه مخطئ في هذا -غفر الله لنا وله-، ويروى أنه تاب من هذا -نرجوذلك-، ولكن ليس القصد هو هذا الرجل؛ وإنما القصد هو تجنب هذه الأمور والبعد عنها والتحذير منها.

321) مخاطبة النجوم والتقرب إليها من السحر

المذيــــــع: أحسن الله اليكم قال وهي من السحر الذي كان عليه الكنعانيون الذين ملوكهم النماردة الذين بعث الله خليل صلوات الله وسلامه عليه بالحنيفية وإخلاص الدين كله لله إلى هؤلاء المشركين.

الشيخ صالح: نعم مخاطبة النجوم والتقرب إليها من السحر؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم:" من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد" فعبادة الكواكب من أعظم السحر، والسحر معروف قبحه وشناعته في الإسلام، وأنه كفر -تعلُّمه وتعليمه- وهو طريقة هؤلاء الكنعانيين الذين يعبدون الكواكب في عهد النمرود في أرض بابل من العراق؛ فبعث الله إليهم خليله ورسوله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، فانكرعليهم عبادتهم للكواكب فكان منهم ما كان: من المقابلة السيئة لخليل الله إلى أن انتهى الأمر بهم إلى أن أوقدوا له نارًا، وأرادوا تحريقه فيها،



ولكن الله قلبها بردا وسلاما على إبراهيم، ونجاه الله من كيدهم، ونصره عليهم.

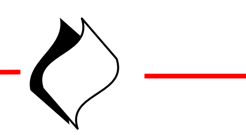
322) التساهل بالسحر وإتيان السحرة كبيرة من الكبائر:

المذيع: قد يتساهل بعض الناس بالسحر يا شيخ يجدونه في بعض البلدان فيتساهل أن يذهب يسأل ساحر.

الشيخ صالح: قال صلى الله عليه وسلم:" من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد" رواه أهل السنن قال عليه الصلاة والسلام:" من اتى كاهنا لم تقبل له صلاة أربعين يوما" رواه الامام مسلم في صحيحه؛ فلا يجوز الذهاب إلى السحرة ولا سؤالهم مجرد الذهاب إليهم كبيرة من كبائر الذنوب، ويمنع قبول الصلاة أربعين يوما عقوبة له، فإذا صدقهم فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لأنه صدق الكهان، والذين يدعون علم الغيب، الخطر عظيم، والسحر آفة خطيرة، وهو آفة الامم وحذر منه وحذر الله منه هذه الأمة، وبين أنه من حرفة اليهود قال تعالى في اليهود: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ..﴾[البقرة:102] هذا من عمل اليهود ومن عمل الشياطين تعلُّم السحر وتعليمه من عمل اليهود ومن عمل الشياطين وهو كفر بالله عز وجل، ولهذا جاء في الإسلام إنكار السحر، وأن الساحر يُقتَل، وقد قتله جمع من الصحابة منهم عمر، وابنته حفصة، وجندب ابن كعب رضي الله تعالى عنهم، قال الإمام أحمد رحمه الله:" صح قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم"، وفي الحديث حد الساحر ضربه بالسيف نعم.

323) لا يجوز نقض السحر بالسحر:

المذيع: أحسن الله اليكم شيخ فمن يقول إنه يجوز نقض السحر بالسحر.



الشيخ صالح: هذا أمر باطل لأن الله حرم السحر تعلُّمًا وتعليمًا تحريمًا مطلقاً ولم يستثني ولم يستثني من ذلك شيء؛ فمن خصص الذي يعالج بالسحر خصصه بالجواز؛ فانه قد خالف ما دل عليه الكتاب والسنة من غير دليل يعتمد عليه.

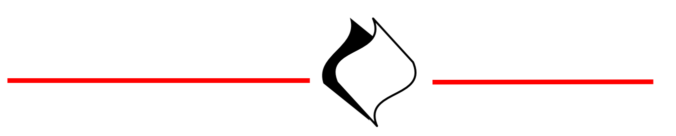
324) كل ما يفعله المشركون من العبادات ونحوها مما يكون كفرا أو معصية بالنية يُنهى المؤمنون عن ظاهره:

المذيـــــع: أحسن الله اليكم قال الشيخ رحمه الله فإذا كان في هذه الازمنة من يفعل مثل هذا اي سجود للشمس حين تشرق أو تغرب قال تحققت حكمة الشارع صلوات الله وسلامه عليه في النهي عن الصلاة في هذه الاوقات سدًّا للذريعة.

الشيخ صالح: نعم لو وجد في هذه الأمة من يسجد للشمس؛ فانه يكون بهذا تحقق ما تخوفه النبي صلى الله عليه وسلم على أمته؛ ولذلك سد هذه الذريعة، وحسم هذه المادة حماية للتوحيد وإبعاد للأمة عن الشرك، فإذا وجد من يوافق الكفار في السجود للمخلوقين فإنه تحقق ما تخوفه صلى الله عليه وسلم على أمته، ويكون هذا من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام نعم.

المذيـــــع: قال وكان فيه تنبيه على أن كل ما يفعله المشركون من العبادات ونحوها مما يكون كفراً أو معصية بالنية ينهى المؤمنون عن ظاهره وإن لم يقصدوا به قصد المشركين سدا للذريعة وحسما للمادة.

الشيخ صالح: نعم كل ما يتعبد به المشركون فان هذه الأمة منهية عنه حسما لمادة الشرك وحسبا للتشبه بالكفار لأن التشبه بالكفار يؤدي إلى اعتقاد ما هم عليه و إلى مشاركتهم في الكفر منع التشبه نفسه هو من سد الوسائل المفضية إلى المحذو، وهذا الدين ولله الحمد كامل لا يحتاج إلى زيادة ولا إضافات، ولا أن يجلب إليه من عبادات غير المسلمين وإن ظهر لبعض المغرورين



استحسان هذا الشيء فان مردود وباطل و الإسلام كامل ولله الحمد ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة:3] فلا حاجة إلى إضافات وزيادات واستحسانات من قبل بعض المخدوعين.

المذيـــــع: أحسن الله إليكم قال رحمه الله: ومن هذا الباب أنه كان إذا صلى إلى عود أو عمود جعله على حاجبه الأيمن أو الأيسر ولم يصمد له صمدا.

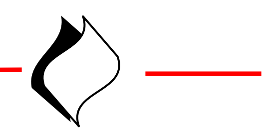
الشيخ صالح: ومن هذا الباب وهو منع التشبه بالمشركين أنه صلى الله عليه وسلم كان يتخذ الستر في الصلاة وهي من سنن الصلاة وأمر بها صلى الله عليه وسلم المصلي ولكن كان إذا صلى إلى عمود أو إلى عصا مركوز بالأرض فإنه لا يصمد إليه صمدا، وانما يميل عنه يميناً أو شمالا منعا للتشبه بالذين يعبدون هذه المخلوقات ويسجدون لها؛ فهذا سد للذريعة ومنع للتشبه بهم، ومخالفة لهم لأنهم يقصد السجود لهذه المخلوقات ويصمدون إليها الرسول خالفهم ومال عنها نعم

المذيـــــع: قال ولهذا نهى عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله في الجملة وإن لم يكن العابد يقصد ذلك.

الشيخ صالح: نعم نعم نهى صلى الله عليه وسلم الصلاة إلى ما يعبد من دون الله كالصلاة إلى الصنم أو إلى الصليب أو إلى الصورة، نهينا عن الصلاة واستقبال هذه الاشياء منعا للتشبه بالكفار نعم

المذيـــــع: ولهذا ينهى عن السجود لله بين يدي الرجل وإن لم يقصد الساجد ذلك لما فيه من مشابهة السجود لغير الله.

الشيخ صالح: ومن ذلك أن المصلي إذا صلى وفي قبلته وجه رجل مستقبلا له يكره هذا، بل يميل عنه لان في قصده واستقباله فيه تشبه بالذين يعبدون المخلوقين فإذا كان أمامك شخص جالس ووجهه إلى قبلتك فانك تميل عنه ولا تصمد إليه اما إذا كان الشخص الذي أمامك معترضا نائما أو كان أو كنت خلف ظهره فلا بأس بذلك وقد كانت عائشة رظي الله عنها كانت تظطجع امام



النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فـإذا اراد أن يسـجد غمزهـا فكفت رجلها فسجد عليه الصلاة والسلام نعم.

المذيـــــــع: لكن لو كان إلى المصلي ظهر الجالس.

الشيخ صالح: لا بأس بذلك بل يكون هذا من السترة.

المذيـــــــع: قـال فـانظر كيـف قطعت الشـريعة المشـابهة في الجهات وفي الاوقات.

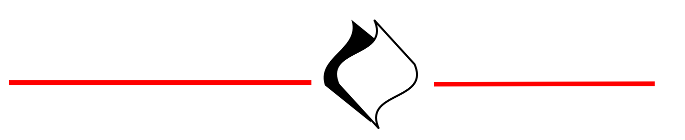
الشيخ صالح: الشـريعة قطعت مشـابهة الكفـار في الجهـات فلا إلى هذه الأشياء ونصمد اليها؛ منعا للتشبه بالذين يعبدونها من دون الله عز وجـل وفي الأوقـات نهى عن الصـلاة عنـد طلـوع الشـمس وعند غروبها منعا للتشبه الذين يسـجدون لهـا عنـد أو عنـد غروبهـا نعم.

المذيـــــــع: قال وكما لا يصلى إلى القبلـة الـتي يصـلون إليهـا كذلك لا يصلى إلى ما يصلون له بـل هـذا أشـد فسـادا فـان القبلـة شريعة من الشرائع قد تختلف باختلاف شرائع الانبيـاء أمـا السـجود لغير الله وعبادته فهـو محـرم في الـدين الـذي اتفقت عليـه رسـل الله.

الشيخ صالح: وإذا كنا منهـيين عن اسـتقبال قبلتهم في الصـلاة وأمرنـا بـأن نسـتقبل المسـجد الحـرام شـطر المسـجد الحـرام ولا نستقبل غيره

ممـا يسـتقبله اليهـود أو النصـارى قـال تعـالى" ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَـابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ [البقـرة: 145]

قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ [البقـرة:145]ـ هذا فيـه منـع للرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم وأتباعـه من أن يسـتقبلوا قبلـة اليهـود والنصارى في الصلاة؛ فإذا كنـا منهـيين عن مشـابهتهم في الجهـة الـتي يسـتقبلونها في صـلواتهم فلأن ننهى عن التشـبه بهم فيمـا يعبدونه من دون الله من باب أولى، وذكر الشيخ رحمه اللـه الفـرق



بين الجهة وبين المعبودات من دون الله؛ أن الجهة جهة الاستقبال شريعة تتغير بتغير الأحوال والله جل وعلا يشرع لكل ملة ولكل أمة ما يناسبها، ولكل وجهة هو موليها، وأما ما يعبد من دون الله فهذا محل وفاق وهو محل إجماع أنه لا يجوز في جميع الشرائع النبوية أنه لا يجوز عبادة غير الله عز وجل فلا يجوز التشبه بهم في الصلاة إلى ما يعبدونه من دون الله وإن كان المصلي يقصد بعبادته وجه الله لكن إذا صلى إلى ما يعبدونه من دون الله فقد تشبه بهم في الظاهر وفي الصورة نعم.

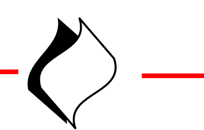
325) السجود لغير الله تعالى محرم في كل الشرائع:

المذيع: قال أما السجود لغير الله وعبادته فهو محرم في الدين الذي اتفقت عليه رسل الله كما قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف:45]

الشيخ صالح: نعم السجود لغير الله وعبادة غير الله محرمة بإجماع الشرائع لم تأتي شريعة بإباحتها قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف:45] أبدا ليس هناك شريعة نزلت من السماء في عبادة غير الله عز وجل لا من الجن ولا من الانس ولا من الأشجار ولا من الأحجار ولا من الأحياء ولا من الأموات بل العبادة لله عز وجل وحده لا شريك له نعم.

المذيع: قال وأيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه رأى رجلا يتكئ على يده اليسرى وهو قاعد في الصلاة فقال له لا تجلس هكذا فان هكذا يجلس الذين يعذبون، وفي رواية تلك صلاة المغضوب عليهم.

الشيخ صالح: ومما نهينا عن التشبه بالكفار هذه الجلسة فإن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ابن عمر يتكئ على يده اليسرى وهو جالس في الصلاة فنهاه عن ذلك لأن هذه جلسة الذين يعذبون وهم أهل الشرك والكفر بالله عز وجل نعم.



المذيـــــــع: في رواية نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلس الرجل في الصلاة وهو معتمد على يده رواهن أبو داوود.

الشـيخ صـالح: نعم النهي عن الاعتمـاد على اليـد في الجلـوس منهي عنه على كل حال سواء كان خارج الصلاة أو كان إلى الصـلاة وهـذا من بـاب أولى نعم قـال ففي هـذا الحـديث النهي عن هـذه الجلسة عن هذه الجلسة معللة بأنها جلسة المعـذبين وهـذه مبالغـة في مجانبة هديهم.

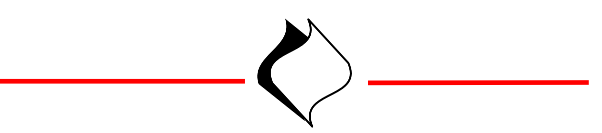
نعم المسـلم لا يقصـد لا يقصـد التشـبه بهم، بـل قـد لا يعلم أنهم يجلسون هذه الجلسـة نعم ولكن الرسـول منـع منهـا سـدا للذريعـة ومنعا للطرق المفضية إلى الشرك، وإن كان فينـا الآن من ينـادون بأن بفتح الوسائل وأن هذا من التشـدد وأن منـع الوسـايل هـذا من التشدد في الدين ومن الغلـو فلا اعتبـار بنعيـق هـؤلاء، فهـذه أدلـة الشـرع واضـحة ومستفيضـة في سـد الوسـائل الـتي تفضـي إلى المحاذير من الشـرك والمعاصـي وقـد عقـد ابن القيم لـذلك فصـلا طويلاً وهو قاعدة سـد الـذرائع، وذكـر أن هـذه القاعـدة لهـا تسـعة وتسـعون دليلا أو تسـعة وتسـعون وجهـا ذكـر في إعلام المـوقعين وفي إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان نعم.

المذيـــــــع: لو كان اتكاؤه في الصلاة أو في غيرها لحاجة

الشيخ صالح: كان لحاجة زال المحذور؛ إنما إذا كـان لغـير حاجـة نعم

326) النهي عن التخصر في الصلاة منعاً للتشبه باليهود:

المذيـــــــع: قال رحمه الله وأيضـا فـر بخـاري عن مسـروق عن عائشة أنها كانت تكره أن يجعل يده في خاصرته وتقـول أن اليهـود تفعله.



الشيخ صالح: نعم ورد النهي عن التخصر في الصلاة وهو وضع اليد على الخاصرة وهي ما استدق من الجنب من فوق الورك من الجانبين، فإن اليهود تفعل هذا في صلاتها؛ فنُهيت هذه الأمة عن التشبه بهم وهو التخصر في الصلاة نعم

المذيـــــع: قال ورواه أيضا من حديث أبي هريرة قال: نهى عن الخصر في الصلاة وفي لفظ نهى عن نهى أن يصلي الرجل مختصراً. قال وقال هشام أبو هلال عن ابن سيرين عن أبي هريرة: نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي الرجل مختصرا وهكذا رواه مسلم في صحيح.

الشيخ صالح: كل هذه الروايات مع الأثر الوارد عن عائشة تدل على عدم التشبه بهم في هذه الصفة؛ وهو وضع اليد على الخاصرة في الصلاة؛ لأن هذا من فعل اليهود، فنحن منهيون عن التشبه بهم من جميع الأمور لا سيما في أمور العبادات نعم

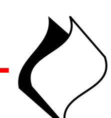
327) التصليب من مسميات التخصّر:

المذيـــــع: وعن زياد بن صبيح قال صليت إلى جنب ابن عمر فوضعت يدي على خاصرتي فلما صلى قال: هذا الصلب في الصلاة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عنه رواه أحمد وأبو داوود والنسائي.

الشيخ صالح: وهذه أيضا صفة أو تسمية ثانية للتخصر؛ وهو أنه يشبه الصليب يشبه فنهي عن عن فعله؛ لأنه نوع من التصليب في الصورة نعم

المذيـــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الثاني والأربعون

المذيـــــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وحياكم الله إلى هذا اللقاء الجديد في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للافتاء في مطلع لقائنا نرحب بفضيلة الشيخ فحياكم الله شيخ صالح،

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

328) صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو قاعد، والحالات التي يقام فيها للشخص:

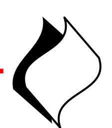
المذيـــــع: في الحلقة الماضية وقفنا مع المؤلف رحمه الله في حديث أطال فيه عن قول النبي صلى الله عليه وسلم:" حين صلى قاعدًا وقاموا خلفه ثم نهاهم أن كدتم آنفا تفعلون فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا اهتموا بأئمتكم إن صلى قائما فصلوا قياما وإن صلى قاعدا فصلوا قعودا" وقوله" إذا صلى الإمام جالسا فصلوا جلوسا وإذا صلى الإمام قائمًا فصلوا قياما ولا تفعلوا كما يفعل أهل فارس بعظمائها، وفي رواية ولا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضًا"

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين سبق في الحلقة التي قبل هذه أن قرأنا الأحاديث التي أوردها الشيخ في مسألة قيام المأمومين خلف الإمام القاعد للمرض؛ الذي يصلي قاعدا للمرض.

لا شك إن القيام بالفريضة ركن من أركان الصلاة لا تصح إلا به وسنة في النافلة فهو أمر مشروع؛ ولكن إذا داخله شيء من التشبه بالكفار فإننا نتركه؛ تغليبًا لجانب بالحظر، وتغليبًا لمنع التشبُّه بهم وهذه القضية وهي قضية صلاة الصحابة قيامًا خلف الرسول صلى الله عليه وسلم وهو جالس للمرض الذي أصابه: اختلفت فيها الأحاديث ففي المرة الأولى لما سقط عن الفرس وانصابت قدمه عليه الصلاة والسلام، وجلس في بيته جاء الصحابة يعودونه، وحانت الصلاة وجدوه في مشربة يعني في غرفة من بيت عائشة.

حانت الصلاة وصلى صلى الله عليه وسلم قاعدًا، وقاموا خلفه فأشار إليهم أن اجلسوا وصلوا خلفه جلوسًا في جميع الصلاة ، ولما سلم قال كدتم آنفا أن تفعلوا فعل فارس والروم؛ يقومون على ملوكهم وهم قعود.

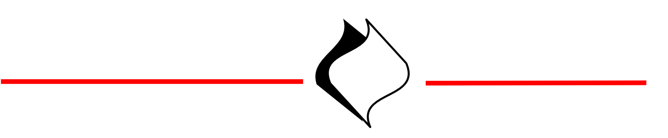
فدل على أنه إذا بدأ الإمام الصلاة قاعدًا لعلة تمنعه من القيام؛ فإن المأمومين يصلون خلفه قاعدين، وإذا صلى بدأ الصلاة قائمًا ثم أصابته العلة فجلس في أثناء الصلاة فإنهم يتمون قيامًا والدليل على ذلك أخر الأمرين فإنه صلى الله عليه وسلم في مرض موته



امر أبا بكر أن يصلي بالناس ثم أنّه صلى الله عليه وسلم بعد ما أقيمت الصلاة والناس يصلون خلف أبي بكر؛ أحس من نفسه خفة؛ فخرج صلى الله عليه وسلم وهم يصلون خلف أبي بكر، فسبحوا لأبي بكر رضي الله عنه ينبهونه إلى مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء صلى الله عليه وسلم وجلس عن يسار أبي بكر فصار هو الإمام، وصار أبو بكر يصلي مُبلِّغا عنه، يصلي أبو بكر بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي الناس في صلاة أبي بكر، فاختلف العلماء في الجمع بين الحديثين: في حديث أنه منعهم من القيام، وفي حديث أنه أقرّهم على القيام؛ فمن العلماء من ذهب إلى النسخ؛ وقال: إنه لا يصح للمأموم أن يصلي قاعدًا خلف الإمام سواء من أول الصلاة أو من وسطها، عملاً بآخر الأمرين منه صلى الله عليه وسلم كما هو قول الإمام الشافعي وغيره، وذهب الإمام أحمد رحمه الله إلى الجمع بدل النسخ ذهب إلى الجمع؛ لأن النسخ لا يصار اليه إلا إذا تعذر الجمع وهو ممكن هنا بأن يقال كما سبق إذا بدأ الامام الصلاة بهم قاعدا؛ فإنهم يصلون خلفه قعودًا.

واذا بدأ الامام الصلاة قائما ثم اعتل فجلس؛ فإنهم يتمون خلفه قياما على الحالة الأخيرة، لأن أبا بكر رضي الله عنه بدأ بهم الصلاة قائما وبدأوها قياما فلما النبي صلى الله عليه وسلم يعتبر هذا أمرًا عارضًا فأتموا خلفه قياما هذا هو الجمع بين الحديثين ؛ وهو جمع حسن وهو أولى من النسخ كما سبق، والحاصل من هذا كله: أن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن العلة في أنهم لو صلوا خلفه قياما وهو جالس تشبّهوا بالأعاجم الذين يقومون على رؤسائهم وهم جلوس من باب التعظيم والكبر ؛ فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك سدًّا للذريعة وهذا محل للشاهد من القصة ، وهو منع التشبه بالكفار في القيام على ملوكهم وهم قعود، ومسألة القيام فيه تفصيل نعم القيام إلى الشخص لأجل استقباله والسلام عليه هذا لا بأس به وهذا يسمى قيام إليه قال صلى الله عليه وسلم للأنصار لما جاء سعد بن معاذ رضي الله عنه **قوموا إلى سيدكم**.

وأما القيام عليه وهو جالس من باب التعظيم؛ فهذا هو المنهي عنه -في الصلاة وفي غيرها-، فإذا كان ممنوعا في الصلاة مع أن القيام ركن من أركان الصلاة فنتركه من أجل مخالفة الأعاجم؛



فهذا دليل على تحريم التشبه بالأعاجم، وشدة الأمـر في هـذا حيث إننا تركنا ركنا من أركان الصلاة منعا للتشبه بهم نعم فهذا مما يدل على تغليظ التشبه بالأعاجم؛ إلا إذا كان القيام عليه وهو جالس من بـاب الحراسـة؛ فهـذا لا بـأس بـه لأنـه ليس للتعظيم، وإنمـا هـو للحراسة، الحالة الثالثة القيام له من غير سلام تعظيما له إذا أقبـل بـأن يقـوم المجلس أو الجالسـون يقومـون لا للسـلام عليـه وإمـا تعظيما له حتى يجلس فيجلسون وهذا منهي عنه؛ لأن هذا من فعل الأعاجم

إذا فالمسألة فيها ثلاث حالات:

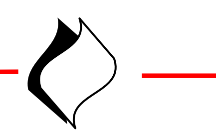
الحالة الأولى، القيام إليه فهذا لا مانع منه؛ لأجل السلام عليه أو لأجل إنزاله إذا كان مريضا أو مساعدته.

الحالة الثانية، القيام عليه وهذا إن كان من باب التعظيم فهو محرم وتشبه من كل الأعاجم والكفار.

الحالة الثالثة، القيام له لأجل السلام عليه ولأجل حراسـته وإنمـا هـو من بـاب تعظيمـه فهـذا أيضـا أمـر محـرم فالقيـام إليـه والقيام له لا لأجل السلام عليه ولا من أجـل حراسـته؛ بـل التعظيم تعظيمه فيها التفاصيل التي ذكرناها باختصار.

329) الإمام الذي يصلى قاعدا يُصلى الناس خلفه قعودًا مثله وشروط ذلك

المذيـــــع: أحسن الله إليكم، قال رحمه الله وقد استفاض عنه صلى الله عليه وسلم الأمر به استفاضة صحيحة صـريحة الأمـر به أي بالنهي عن القيام على قاعد، نعم استفاضة صـحيحة صريحة يمتنع معها أن يكون حديث المرض ناسخًا له، على ما هو مُقـرر في غير هذا الموضع: إما بجواز الأمرين؛ إذ فعل القيـام لا ينـاهي فعـل القعـود، وإمـا بـالفرق بين المبتـدئ للصـلاة قاعـدًا والصـلاة الـتي ابتدأها الامام قائما لعدم دخول هـذه الصـلاة في قولـه (وإذا صـلى قاعدا) ولعدم المفسدة التي علل بها؛ ولأن بنـاء فعـل آخـر الصـلاة على أولها أولى من بنائها على صلاة الإمام، ونحو ذلـك من الأمـور المذكورة في غير هذا الموضع.



الشيخ صالح: يقول رحمه الله: وحتى على القول بأن القيام بأن القعود خلف الإمام القاعد منسوخ وأن المفروض القيام عملا بالحالة الأخيرة؛ فإن العلة التي منع من أجلها القيام باقية ولو نسخ الحكم؛ فأنها باقية وهي التشبه العاجل وهذه القاعدة ثابتة بالأدلة لا ينسخها حديث الصلاة خلفه قياما في مرضه صلى الله عليه وسلم

نعم هذه يجب أن ننبه إلى إن الإمام الذي يصلى خلفه قعود أنه إمام الحي أي الإمام الراتب الإمام الذي يُرجى زوال علته أما إذا كان غير الإمام الراتب فإنه لا يتناوله الحكم وإذا كان لا يُرجى زوال علته بأن كان مرضه مزمنا أو لا يستطيع أو لا ينتظر منه أن يستطيع القيام فيما بعد فهذا لا يصلى خلفه قعود فينبغي التنبه لهذا

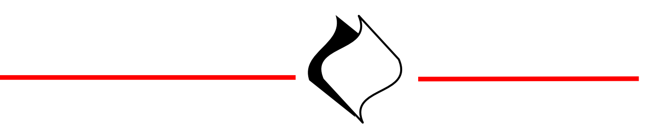
لأنه بلغنا أن أناسا مقعدين كانوا أئمة في الأول فأصابهم المرض فصاروا مقعدين استمروا في إمامة المساجد وهذا غلط كبير لأن هؤلاء ميؤوسٌ من زوال علتهم، فلا يجوز لهم أن يستمروا في إمامة مساجد وإنما هذا كما ذكرنا بشرطين:

الشرط الأول أن يكون إماما راتبا.

الثاني أن يكون ممن يرجى زوال علته؛ لأن هذا هو الذي حصل في حق النبي صلى الله عليه وسلم لأنه هو الإمام الراتب ويُرجى زوال علته صلى الله عليه وسلم هذا في المرة الأولى، لما أصيبت رجله عليه الصلاة والسلام فأنه يرجى زوال علته فلذلك صلوا خلفه قعودا نعم.

330) مخالفة الكفار وأهل الكتاب حتى في اتباع الجنازة، والقيام للجنائز عند مرورها

المذيع: أحسن الله إليكم، قال رحمه الله أيضا فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اتبع جنازة لم يقعد حتى توضع في اللحد فعرض له حبر فقال هكذا نصنع يا محمد، قال: فجلس رسول الله صلى الله عليه



وسلم "وقال: خالفوهم"رواه ابو داود وبن ماجة والترمذي وقال بشر بن رافع: ليس بالقوي في الحديث.

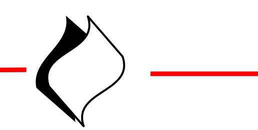
الشيخ صالح: نعم، هذا وجه من أوجه التشبه المحرمة للكفار وهو ما يكون في تشييع الجنائز.

نحن مأمورون بتشييع جنازة المسلم نعم بمعنى المشي معها إلى أن تدفن؛ لأن هذا من حق المسلم على المسلم؛ ولكن المشيعون لا يجلسون ما دامت الجنازة على أعناق الرجال حتى توضع وما معنى توضع؟ هل توضع في اللحد أو توضع على الأرض؟ كانوا في الأول لا يجلسون حتى توضع في اللحد، فقال حبر من أحبار اليهود؛ يعني من علمائهم قال للرسول صلى الله عليه وسلم، يا محمد، هكذا كنا نصنع، فأمر صلى الله عليه وسلم أن يجلسوا قبل وضعها في اللحد، مخالفة لليهود؛ لكن يبقى أنهم لا يجلسون حتى توضع عن الأعناق في الأرض.

المذيع: قال رحمه الله: قلت: قد اختلف في القيام للجنازة إذا مرت ومعها إذا شيعت وأحاديث الأمر بذلك كثيرة مستفيضة ومن اعتقد نسخها أو نسخ القيام للمارة فعمدته حديث عليّ وحديث عبادة هذا وإن كان القول بهما ممكنا لأن المشيع يقوم لها حتى توضع عن أعناق الرجال لا في اللحد فهذا الحديث أما أن يقال به جمعا بينه وبين غيره أو نسخا لغيره وقد علّل المخالفة، ومَن يقول به يضعِّفه؛ وذلك لا يقدح في الاستشهاد به والاعتراض على جنس المخالفة.

الشيخ صالح: نعم، وهذه مسألة أخرى وهو القيام للجنازة إذا مرت قد كان صلى الله عليه وسلم يقوم للجنازة إذا مرت.

ثم ورد عنه صلى الله عليه سلم النهي عن القيام للجنازة إذا مرت: فبعض العلماء قال بالنسخ وبعضهم قال بعدم النسخ، وأنه يجوز القيام للجنازة إذا مرت من باب الموعظة ومن باب احترام الميت وعلى كل حال سواء قيل بالنسخ وأنه لا يجوز القيام لها إذا مرت أو قيل بعدم النسخ وهو بقاء القيام للجنائز إذا مرت فالعلة معروفة وهي منع التشبه بأهل الكتاب أو بالكفار فالعلة باقية على كل حال.



المذيـــــــــع: لكن القيام يا شيخ يبقى جوازا ليس وجوبا

الشيخ صالح: ما هو واجب يعني هل يستحب أو لا؟

المذيـــــــــع: نعم يعني لو أدخلت الجثة في المسجد من باب حتى توضع والناس في المسجد قعودا هم بسعة من قام ومن جلس.

الشيخ صالح: لا، هذا هو المتقرر عند المسلمين أنهم لا يقومون في المساجد في الجنازة إذا دخلت لا يقومون لها؛ بل إن الصلاة على الجنازة في المساجد من العلماء من يقول إنه غير مشروع؛ وإنما يصلى عليها في غير المسجد.

331) هل نصلي على الجنائز في المساجد أم غيرها

المذيـــــــــع: في المقبرة مثلا؟

الشيخ صالح: لا يكون مصلى للجنائز مخصصًا: من العلماء مَن يرى هذا، أنه يوضع مصلى مخصص للجنائز ولا يصلى فيها عليها في المساجد؛ ولكن الصحيح الذي ثبت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يصلون على الجنائز في المساجد وقالت عائشة رضي الله عنها لقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن ابيظة في المسجد وأمرت بادخال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه المسجد وصلت عليه عائشة رضي الله عنها

المذيـــــــــع: نعم أحسن الله إليكم قال رحمه الله وقد روى البخاري عن عبد الرحمن بن القاسم ان القاسم كان يمشي بين يدي الجنازة ولا يقوم لها، ويخبر عن عائشة قالت: كان أهل الجاهلية يقومون لها يقولون إذا رأوها: كنت في أهلك ما كنت مرتين، قال: فقد استدل من كره القيام بأنه كان من فعل الجاهلية، وليس الغرض هنا الكلام في عين هذه المسألة.

الشيخ صالح: الغرض من هذا الكلام هو التشبه ومنع التشبه أما مسألة القيام للجنازة إذا مرت أو عدم القيام لها هذا شيء آخر

ولكن القاعدة أنّا ممنوعون من التشبه بالكفار، فإذا كان هذا من عاداتهم؛ فنحن منهيُّون عن التشبه بهم.

(332) معنى قول رسول الله " اللحد لنا والشق لغيرنا"

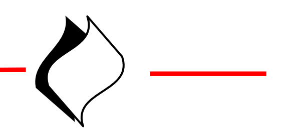
المذيـــــــع: قال وأيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحد لنا والشق لغيرنا رواه أهل السنن الأربعة.

الشيخ صالح: وهذا أيضا من أوجه التشبه التي نهينا عنها وذلك محل الميت من القبر فكانوا يشقون بمعنى أنهم يعملون حفرة في وسط القبر في قاع القبر على قدر الميت ويضعونه فيها ثم يسقطونها باللبنات ويهيلون التراب عليه وهذه الصفة هذه تسمى الشق.

والصفة الثانية: اللحد، وهو الميل اللحد معناه الميل وهو: أن يشق للميل في جانب في قبلة القبر يشق للميت في قبلة القبر، القبر بجانبه مما يلي القبلة بقدر ما يكفيه بقدر ما يكفي الميت، ثم يوضع فيه ويصب عليه اللبن سد هذا يسمى باللحد قال صلى الله عليه وسلم اللحد لنا والشق لغيرنا يعني من الكفار؛ فدل على استحباب اللحد وأنه أحسن من الشق وهذه من المشابهة المكروهة ليس من المشابه المحرمة؛ لأنه يجوز الشق ويجوز اللحد ولكن اللحد أفضل وأحسن والمشابهة قد تكون محرمة وقد تكون مكروهة كما سبق.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم قال رحمه الله عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللحد لنا والشق لغيرنا رواه أحمد وبن ماجه وفي رواية نعم رواه أحمد وابن ماجة وفي رواية لأحمد والشق لأهل الكتاب، وهو مروي من طرق فيها لين لكن يصدق بعضها بعضًا.

الشيخ صالح: فقوله لغيرنا: يحتمل عموم الكفار، ويحتمل المراد بهم أهل الكتاب كما في الرواية المذكورة، نعم وعلى كل حال فنحن منهيون عن التشبه بغيرنا من الكفرة نعم



333) نهي الإسلام عن ندب الميت من شق الجيوب وضرب الخدود:

هذا قوله -رحمه الله- قال: وفيه التنبيه على مخالفتنا لأهل الكتاب؛ حتى في وضع الميت في أسفل القبر.

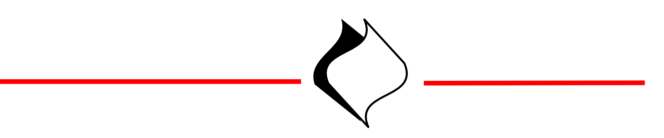
الشيخ صالح: نعم، نحن منهيُّون عن التشبه بالكفار؛ حتى في وضع الميت في أسفل القبر، فما بالك بالأعمال الأخرى التي في حال الحياة وحال الصحة وحال الاختيار.

المذيـــــــع: إذاً تبدأ المخالفة من أول حياة المسلم حتى مماته؟

الشيخ صالح: هذا ما في شك ان المسلم لا يتشبه بكفار على اي حال كان في جميع احواله وفي جميع عمره حتى اذا مات فانه لا يصنع به كما يصنع جنائز الكفار نعم

المذيـــــــع: قال -رحمه الله- أيضا: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس منا من ضرب الخدود وشقا الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية متفق عليه

الشيخ صالح نعم وهذا وجه من أوجه منع التشبه بالجاهلية والجاهلية ما كان قبل الإسلام وسيأتي الكلام عنها إن شاء الله قريبا النبي صلى الله عليه وسلم يقول" ليس منا" هذه براءة من الرسول صلى الله عليه وسلم من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية؛ لأن هذا من أمور الجاهلية: الجزع على الميت، والنياحة على الميت، تسخط: أما بالقول، وأما بالفعل؛ كل هذا ما نهينا عنه، وهو من أمور الجاهلية، وهو من الكبائر من كبائر الذنوب والمشروع لنا أن نصبر ونحتسب ولا مانع أن الإنسان يحزن أو يبكي هذا لا مانع منه؛ لأن هذا بغير اختياره نعم وهو من الرحمة التي جعلها الله في القلوب تدمع والقلب يحزن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وإنما الممنوع هو ما كان من الكلام السيء كإظهار الجزع على الميت واعضداه وارأساه وإلى آخره أو من



الفعل وذلك بضرب الخدود كما تفعل النوايح أو شق الجيوب او حلق الشعر فإن هذا كله من أفعال الجاهلية، عندما يموت لهم ميت فيظهرون الجزع بالقول وبالفعل نحن منهيون عن التشبه بهم، قال رحمه الله: ودعوة الجاهلية ندب الميت.

الشيخ صالح: هذا هو الشاهد من الحديث دعا بدعوة الجاهلية فنحن منهيون عن التشبه بالجاهلية من جميع الوجوه.

(334 نهي الإسلام عن العصبية الجاهلية:

المذيع: قال وتكون دعوى الجاهلية في العصبية ومنه قوله فيما رواه أحمد عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

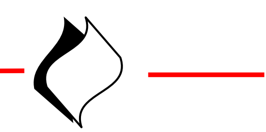
الشيخ صالح: فدعوى الجاهلية: في الميت، وفي غير الميت.

دعوى الجاهلية في الميت؛ كأن ينادي: واعضداه، وارأساه، وناصراه إلى آخره.

وفي غير الميت دعوى الجاهلية يكون بالعصبية للقبايل أو العصبية التعصب للقبائل أو للمذاهب الفقهية أو للمشايخ؛ كل هذا من أمور الجاهلية، لأن المقصود أن المسلم إنما يتعصب للحق ولا يتعصب لغير الحق، فإذا كانت قبيلته مخطئة أو كان رئيسه مخطئا أو كان شيخه الذي تلقّى عنه العلم أخطأ في مسألة من المسائل؛ فعليه أن يترك الخطأ ممن كان، وأن يلتزم الصواب ولو كان مع غير قبيلته أو غير مذهبه أو غير شيخه؛ لأن الحق ضالة المؤمن؛ فالتعصب هو من أمور الجاهلية.

المذيع: أحسن الله إليكم قال رحمه الله ومنه قوله بما رواه أحمد عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهنِ أبيه ولا تكنوا"

الشيخ صالح: نعم من تعزى بعزاء الجاهلية: في المصايب، وفي العصبيات؛ كأن ينادي قبيلته، أو ينادي شيخه، أو ينادي أسرته من باب التعصب؛ فهذا من عزاء الجاهلية المنهي عنه بهن أبيه،؛



هن أبيه يعني: ذكر أبيه وهذا من باب الإهانة ولا تكنوا أي قولوا أغضض بهن أبيك من باب الإهانة له واحتقاره نعم

المذيـــــــع: يدخل في العصبية للرؤساء والمشايخ والقبائل أيضا العصبية للبلدان والأوطان؟

الشيخ صالح: نعم، كذلك المسلم يكون مع الحق أينما دار، ولا يتعصّب للوطن؛ الرسول صلى الله عليه وسلم ترك مكة وهي أشرف البقاع وأحب البقاع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تركها وهاجر منها فرارًا بدينه؛ ولم يتعصَّب للبلد.

المذيـــــــع: نعم أحسن الله إليكم وجزاكم خيرا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثالث والأربعون

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِ العالمين، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام؛ السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلًا وسهلًا بكم إلى هذه الحلقة الجديدة من برنامج [اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] لشيخ الإسلام، ابن تيمية، رَحِمَهُ اللهُ.

يشرحُ الكتاب عبر هذه الحلقات صاحبُ الفضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مَطلع لقاءنا نُرحب بضيفنا الكريم؛ فحياكم الله شيخ صالح.

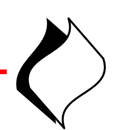
الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

335) تحذير النبي من التشّبُه بالجاهلية

المذيع: قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَاَلَى- فيما ذكره من مُشابهة أصحاب الجحيم المنهيِّ عنها: (وأيضًا عن أبي مالكٍ الأشعري رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، قال: «أربعٌ في أُمتي مْنْ أمرِ الجاهلية لا يتركونهن: الفخرُ بالأحساب، والطعنُ في الأنساب، والاستسقاءُ بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتُب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعَليها سربالٌ من قَطِران ودِرعٌ من جَرب» رواه مسلم).

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، والحمدُ لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وسَلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

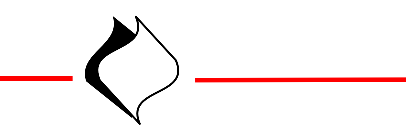
النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، حذَّر من مُشابهة أصحاب الجحيم: من اليهود، والنصارى، وأهل الجاهلية، والأعاجم. وما يُحذر صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، إلا من شيءٍ يُتصورُ وقوعه وحدوثه، فهو صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، أخبر خبرًا معناه التحذير.



والجاهلية: هي ما كانت قبل الإسلام، قبل بعثة محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، سُميت بالجاهلية لانقطاع آثار الرسالات فيها وعَوْدِ الناس فيها إلى الضلال والجهل؛ حتى بعث الله نبينا محمدًا صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، فانتهت الجاهلية العامة، الجاهلية العامة انتهت ببعثته صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم؛ لأنه جاء العلم بالكتاب والسُنَّة والفقه فزال الجهل -ولله الحمد- بما أنزل الله من الكتاب والسُنَّة.

ولذلك لا يصح أن يُقال الناس في جاهلية على وجه العموم؛ هذا لا يجوز لأن الجاهلية انتهت ببعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، الجاهلية العامة، ولكن قد تبقى في بعض الناس أشياء من خصال الجاهلية، تبقى فيهم من خصال الجاهلية في بعض الأفراد أو في بعض القبائل أو بعض المواضع، ومن ذلك أنه قال صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، في هذا الحديث: «أربعٌ في أُمتي مْنْ أمرِ الجاهلية لا يتركونهن»؛ ليس المعنى أن هذه الأربعة في كل الأمة وإنما هي في بعضهم، «لا يتركونهن: الفخرُ بالأنساب»؛ بأن يترفع الإنسان على الناس بنسبه ويقول: أنا من قبيلة فلان أو من بني فلان، والله جَلَّ وَعَلَا، ليس عنده شرفٌ ولا كرمٌ إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]، فالكرم بالتقوى ولو لم يكن الإنسان ذا نسبٍ مرتفع.

وأما من كان له نسبٌ ولكن ليس عنده تقوى؛ فإنَّه ليس له كرامةٌ عند الله -سُبْحَانهُ وَتَعَالَى-، اعتبر ذلك بسلمان الفارسي، وبلال بن رباح -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُما-، وهما من سادات المهاجرين من السابقين الأولين إلى الإسلام، أعني: بلالًا من سادات المهاجرين، أما سلمان رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، فكان في المدينة وقت هجرة النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، مع أنه ليس لهما نسبٌ عربي؛ هذا فارسي وهذا حبشي، ولم يضرهما عدم ارتفاع نسبهما، ولم ينفع أبا جهلٍ وأبا لهبٍ النسبُ القرشي الهاشمي، لم ينفع أبا لهبٍ نسبُه الهاشمي، ولم ينفع أبا جهلٍ نسبُه المخزومي العربي لما كان على الكفر بالله -عزَّ وجَلْ-؛ فلا يجوز الفخر بالأنساب.



الفخر بالأحساب؛ والحسب معناه: ما يكون عليه الإنسان من شرفٍ ومكانة في المجتمع لا يفتخر بذلك إذا أعطاه الله جاهًا أو أعطاه مكانةً في المجتمع فلا يفتخر بذلك؛ بل يتواضع، هذا الحسب.

أما النسب فعرفناه؛ النسب هو أن يكون من قبيلة مشهورة أو معروفة، فلا يفتخر الإنسان بنسبه على من لا نسب له، الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت، كانوا في الجاهلية إذا مات الميت يُظهرون الجزع والسخط عليه بالنياحة والتشكِّي ولطم الخدود وشق الجيوب وغير ذلك من أنواع الجزع، والواجب عند المصائب الصبر والاحتساب ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعون (156) أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون﴾ [البقرة: 156-157].

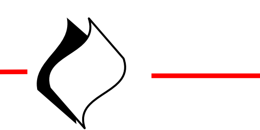
النياحة على الميت، «والاستسقاءُ بالنجوم»؛ وهي الرابعة، وهي نسبة طلوع المطر في الفجر أو غروبه فإذا طلع نجمٌ في الفجر أو غَرَب يقولون إنه ينزل المطر لهذا الطالع أو هذا الغارب، ونزول المطر إنما هو بأمر الله سُبْحَانهُ وَتَعَالَى، وإرادته، ليس للنجوم تأثيرٌ فيها؛ فهذا من أمور الجاهلية ولكنها تبقى في بعض الناس بعد الإسلام، وهذا ذكره النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، على سبيل التحذير منه.

والشاهد منه، أن في هذه الأمة من يتشَّبه بالجاهلية في هذه الأمور؛ أنه يكون في هذه الأمة من يتشبه بالجاهلية في هذه الأمور مع أن النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، حذر من التشبه بالجاهلية.

المذيع: هل يكون من الاستسقاء بالأنواء عبارات تأثير المنخفض الجوي والمرتفع الجوي، والسحب؟

الشيخ صالح: نعم، إذا ظن أن الانخفاض الجوي أو غيره يُسبِّب نزول المطر؛ فهذا من نسبة المطر إلى غير الله عزَّ وجَلْ، فهو من أمور الجاهلية.

336) عاقبة النائحة يوم القيامة إذا لم تَتُب



المذيــــــــع: أحسن الله إليكم، قال: (وقال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «النائحة إذا لم تتُب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعَليها سربالٌ من قَطِران ودِرعٌ من جَرب»).

الشيخ صالح: لما ذكر أن من الأمور الجاهلية التي تبقى في بعض الناس من المسلمين؛ النياحة على الميت، بيَّن الوعيد الشديد الذي يكون على النائحة، فالنياحة محرمة من وجهين:

- من وجه أن هذا من أفعال الجاهلية، قد نُهينا عن التشَبُّه بأهل الجاهلية.

- ومن ناحية أن هذا من الجزع من أقدار الله -عزَّ وجَلْ-، وعدم الصبر والاحتساب.

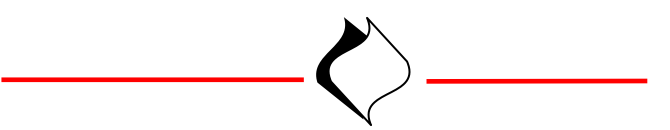
ولذلك صار على النائحة هذا الوعيد الشديد أنها «تُقام يوم القيامة» يعني: من قبرها، «وعَليها سربالٌ» يعني: ثوب «من قَطران» وهو مادةٌ شديدة الاشتعال -والعياذ بالله- «ودِرعٌ من جَرب» درعٌ تلتحف به من الجرب وهو نوعٌ من الأمراض الجلدية المعروفة، وذلك من باب التعذيب لها على ما تقوم به من النياحة في الدنيا، هذا جزاؤها في الآخرة على ما حصل منها من النياحة في الدنيا.

وقوله: «إذا لم تتُب قبل موتها» هذا فيه الحث على التوبة وأن من تاب إلى الله، تاب الله عليه مهما كان ذنبه.

337) الواجب على المسلم طلب الحق مع مَنْ كان

المذيــــــــع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (ذمَّ في الحديث من دعا بدعوى الجاهلية وأخبر أنَّ بعض أمرِ الجاهلية لا يتركه الناس كله ذمًّا لمن لم يتركه).

الشيخ صالح: نعم؛ دعا بدعوى الجاهلية؛ من أمور العصبيات -كما سبق-؛ كأن يتعصب لقبيلته أو بلده أو رئيسه أو لشيخه، فالواجب على المسلم طلب الحق مع من كان، وألا يتعصب ضد الحق، فهذا من دعوى الجاهلية، الذي يتعصب لهذه الأمور؛ هذا من



أمـور الجاهليـة؛ الـذين يتعصـبون لرؤسـائهم وقبـائلهم وإن كـانوا مُخطئين، كما يقول قائلهم:

وما أنا إلا من غزيةَ إن غوَت== غويتُ،وإن ترشدْ غزيَّةُ أرشدِ

338) كل ما كان من أمور الجاهلية فهو مذمومٌ في الإسلام

المذيــــــــع: قـال: (وهـذا كلـه يقتضـي أن مـا كـان من أمـر الجاهلية وفعلهم، فهو مذمومٌ في دين الإسلام).

الشيخ صالح: نعم، هـذا كلـه يـدل على أن كـل مـا كـان من أمور الجاهلية فهو مذمومٌ في الإسلام ينبغي هجره وتركه والابتعاد عنه.

المذيــــــــع: (وإلا لم يكن في إضـافة هـذه المنكـرات إلى الجاهلية ذمٌ لها).

الشيخ صالح: نعم، نسبتها إلى الجاهليـة من بـاب الـذم لهـا والتحذير منها؛ لأن كل ما كان من أمور الجاهلية فنحن منهيُّون عن التشبه بهم فيه.

339) عمل ما يُنسب للجاهلية تشبُّه بهم

المذيــــــــع: قال: (ومعلومٌ أنَّ إضـافتها إلى الجاهليـة خـرج مخـرج الـذم، وهـذا كقولـه -سُـبْحَانهُ وَتَعَـالَى-: ﴿وَلاَ تَبَـرَّجْنَ تَبَـرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب: 33]، فإنَّ في ذلك ذمًا للتـبرج وذمًـا لحـال الجاهلية الأولى، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجُملة.

الشيخ صالح: نعم، الله -جَلَّ وَعَلَا-، نهى عن تبرج الجاهليـة، نهى النساء عن تبرج الجاهلية الأولى الـتي قبـل الإسـلام، والتـبرج معناه: إظهار الزينة، إظهار المرأة زينتها عندما تخـرج من بيتهـا أو عنـد الرجـال؛ هـذا هـو التـبرج، وكـانوا في الجاهليـة تتـبرج النسـاء بالزينة وتتعـرض للرجـال ويحصـل من ذلـك فسـاد الأخلاق، فمُنعت المسلمات من هذا العمل وُأمِرن بالاحتشام والستر والبعد عما يُثير الفتنة.

فالله -جَلَّ وَعَلَا-، سمى هذا تبرج الجاهلية؛ من باب الذم له، فنسبته إلى الجاهلية من باب الذم له، ومما يدل على أنه مُحرم، فعندنا ثلاثة أمور:

- ظن الجاهلية: ﴿يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: 154].

- تبرج الجاهلية.

- حميَّة الجاهلية.

كل هذه ذمها الله في القرآن، فكل ما يُنسب إلى الجاهلية فإنه مذموم، وإذا عملناه نكون قد تشبَّهنا بالجاهلية.

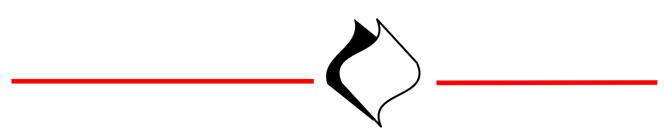
340) ذم الرسول لأخلاق الجاهلية

المذيع: أحسن الله إليكم؛ قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (ومنه قوله لأبي ذرٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، لما عيَّر رجلًا بأمه: «إِنَّكَ أمرؤٌ فِيكَ جَاهِلِيةِ» فإنه ذمٌ لذلك الخُلق ولأخلاق الجاهلية التي لم يجئ بها الإسلام).

الشيخ صالح: نعم، لما حصل بين عمَّار بن ياسر، رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، وأبي ذرٍ الغِفاري رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، شيء من الكلام؛ تكلَّم أبو ذر وعيَّر عمَّار بأمه، قال: "يا ابن السوداء" لأنَّ عمارًا كانوا مملوكًا وكانت أمه مملوكة وأبوه مملوكا، فعيَّره بأمه، فغضب النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، على أبي ذر، وقال: «أعيَّرتَهُ بأُمه؟ إِنَّكَ أمرؤٌ فِيكَ جَاهِلِيةِ»، فدل على أنَّ الإنسان -وإن كان من أفاضل الناس- قد يكون فيه شيء من أمور الجاهلية، وهذا مذموم؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، ساق ذلك مساق الذم، فلذلك ندم أبو ذر رَضِيَ اَللَّهُ تَعالَى عَنْه، ندمًا شديدًا وتاب إلى الله وطلب من أخيه المسامحة.

341) يجب على الإنسان أن يدور مع الحق أينما دار

المذيع: أحسن الله إليكم، قال: (ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ



سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: 26]، فإنَّ إضافة الحَمية إلى الجاهلية اقتضى ذمها، فما كان من أخلاقهم وأفعالهم فهو كذلك).

الشيخ صالح: نعم، حميَّة الجاهلية وهو أنَّ الإنسان يكون فيه حمِّية لقبيلته -وإن كانوا على الباطل-، فهذا من حميّة الجاهلية، فالمؤمن يدور مع الحق حيثما دار، سواءً كان مع قبيلته أو مع غيرهم، أو مع شيخه أو غيره، أو مع مذهبه أو مع غير مذهبه، الإنسان يدور مع الحق أينما دار.

المذيع: قوله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، لأبا ذر: «إِنَّكَ أمرؤٌ فِيكَ جَاهِلِيةٌ».

الشيخ صالح: خصلة من خصال الجاهلية.

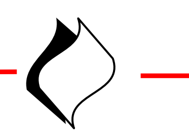
المذيع: ألا يُؤخذ من ذلك في جواز المعاتبة بين الإخوة والأحباب والمعلم لتلاميذه؟ فالآن بعض العاملين في الساحة لا يريد أن يُقال له شيئًا من شيخه، أو تلميذه أو أخيه، يعني ماذا لو قال هذا أحد؟

الشيخ صالح: نعم، أولًا أن هذا فيه إنكارُ المنكر؛ لأنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، أنكر على أبي ذر، رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، هذه المسألة.

وثانيًا: أنَّ المعلم يُربي طلابه إذا وقعوا في الخطأ، والشيخ يُربي تلاميذه إذا وقعوا في الخطأ، وكل من له مسؤولية فإنه يُربي من تحت يده إذا حصل منه خطأ ولا يسكت عن هذا الأمر، وإن كان هذا الذي حصل منه الخطأ من أفضل الناس.

342) تحذير النبي من أمور الجاهلية

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (ومن هذا ما رواه البخاري في صحيحه، عن عُبيد الله بن أبي يزيد، أنه سمع ابن عباس قال: "ثلاثُ خِلالٍ مِنْ خِلالِ الجاهلية: الطَعنُ في الأنساب، والنِياحة، ونسيتُ الثالثة، قال سفيان: ويقولونَ إنَّها الاستسقاء بالأنواء).



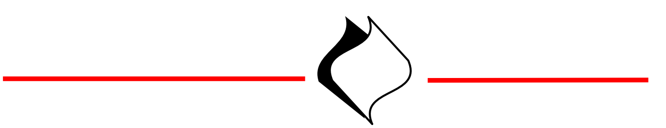
الشيخ صالح: سبق أن النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، قال في الحديث الذي ساقه الشيخ قبل هذا بقليل: «أربعٌ في أُمتي مْنْ أمرِ الجاهلية لا يتركونهن: الفخرُ بالأحساب، والطعنُ في الأنساب، والاستسقاءُ بالنجوم، والنياحة على الميت»، وهذا الذي ساقه الآن هو نفس الحديث السابق أنه أكَّد أن هذه الأمور ستبقى في بعض أمته، وهذا معناه التحذير من هذا العمل. هذا خبر معناه التحذير من هذه الأمور.

343) ليس كل من قام بشُعبة من شُعب الكفر يصير كافرًا مطلقًا

المذيـــــع: قال: (وروى مسلمٌ في صحيحه عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، قال: «قال صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: اثنتَان في الناس هُما بِهم كُفرٌ: الطعن في النسب، والنياحة على الميت» فقوله: «هُما بِهم كُفرٌ»؛ أي: هاتان الخصلتان هما كفرٌ قائمٌ بالناس، فنفس الخصلتين كُفر حيث كانتا من أعمال الكفار، وهما قائمتان بالناس؛ لكن ليس كل من قام به شعبةٌ من شعب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق).

الشيخ صالح: نعم، هذا الحديث زاد على النصوص السابقة بأنَّ هذه الخصال كُفُر؛ أي: نوعٌ من الكفر، وليس معنى ذلك أنَّ من كانت فيه هذه الخصال أنَّه يكون كافرًا كُفرًا خالصًا ينقل من الملة، وإنما فيه خصلة من خصال الكفر؛ وهو الكفر الأصغر، لأن الكفر كفران:

- كفرٌ أكبر يُخرج من الملّة.
- وكفرٌ أصغر: لا يخرج من الملة، لكنه ينقص الدين وينقص العقيدة؛ وهذا هو المقصود هنا، فليس كل من قام به خصلة من خصال الكفر يكون كافرًا الكفر الأكبر؛ وإنما يكون كافرًا الكفر الأصغر الذي لا ينقل عن الملّة، لكنه مذموم وإن كان كفرًا أصغر؛ فإنه مذمومٌ ومُحذرٌ منه.



344) ليس كل من قام بشُعبة من شُعب الإيمان يصير مؤمنًا

المذيــــــــع: قال: (لكن ليس كل من قام به شُعبةٌ من شُعب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبةٌ من شعب الإيمان يصير مؤمنًا حتى يقوم به أصلُ الإيمان).

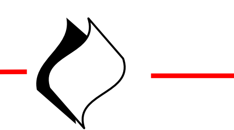
الشيخ صالح: نعم، ليس كل من وُجد فيه خصلةٌ من خصال الكفر يكون كافرًا خالصًا، وإنما يكونُ فيه كفرٌ؛ يعني: خصلة من خصال الكفر تُنقِّص دينه وتُنقِّص إيمانه.

كما أنه ليس كل من كان فيه خصلة من خصال الإيمان يكون مؤمنًا كامل الإيمان، بل يكون مؤمنًا مطلق الإيمان، وكذلك مَنْ فيه خصلةٌ من الكفر يكون فيه مُطلق الكفر لا الكفر المُطلق، بمعنى: أن يكون عنده كفرٌ أصغر.

345) فرقٌ بين الكفر المعرّف باللام وبين المُنَّكَّرٌ في الإثبات، ومعنى الاسم المطلق والمعنى المطلق للاسم

المذيــــــــع: قال: (وفرقٌ بين الكفر المُعرَّف باللام كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: «لِيَسَ بَينَ العَبد وَبَينَ الكُفر أو الشِرك إِلَا تَرك الصَلاة» وبين مُنَّكَّرٍ في الإثبات).

الشيخ صالح: هذه قاعدة عظيمة في مسألة الكفر الوارد في الكتاب والسُنَّة يغلط فيها كثيرٌ من الناس؛ خصوصًا أهل الغيرة وأهل الحماس، فليس هذا على إطلاقه؛ بل الكفر إذا جاء مُعرفًا بالألف واللام فالمراد به الكُفر المطلق الذي يُخرج من الملة؛ الكفر الأكبر، مثل قوله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: «بَينَ العَبد وَبَينَ الكُفر أو الشِرك إِلَا تَرك الصَلاة» يعني: الكفر المطلق، من ترك الصلاة فقد كفر، يعني: خرج من الدين إذا تركها متعمدًا حتى ولو يجحد وجوبها، لأنَّ الكفر جاء مُعرَّفًا بالألف واللام فيُحمل على الكفر الأكبر المُخرِج من الملة.



أما إذا جاء الكفر مُنَّكرًا فإنَّه يكون من الكفر الأصغر مثل ما في هذه الأحاديث: «هُما بِهِم كُفرٌ» هذا كفرٌ مُنَّكر يكون من الكفر الأصغر الذي لا يُخرج من الملة، ومثل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «لَا ترجعوا بَعدِي كُفَّارًا يَضرِبَ بَعضَكُم رِقابَ بَعضْ» فهذا كفرٌ أصغر ليس معناه أنَّ من قتل مؤمنًا يكون كافرًا الكفر المُخرج من الملّة إلا إذا استحل دمه؛ إذا استحل دمه فإنه يكون كافرًا الكفر الأكبر.

المذيع: قال: (وفرقٌ أيضًا بين معنى الاسم المطلق إذا قيل: كافر أو مؤمن، وبين المعنى المطلق للاسم في جميع موارده كما في قوله: «لَا ترجعوا بَعدِي كُفَّارًا يَضرِبَ بَعضَكُم رِقابَ بَعضْ»).

الشيخ صالح: هذا تمثيل للقاعدة السابقة أن الكفر إذا جاء معرفًا بالألف واللام فإنه يُحمل على الكفر الأكبر المُخرج من الملة، وكذلك الإيمان إذا جاء معرفًا بالألف واللام فإنه يُحمل على الإيمان الكامل.

وأما إذا جاء منكَّرًا بأن يقال: كفرٌ أو إيمانٌ فهذا يُحمل على الكفر الأصغر ويُحمل على الإيمان على مطلق الإيمان، وليس الإيمان المطلق، فمن كان فيه خصلة من خصال الإيمان يكون فيه إيمان، ولكن لا يُقال إنه هو المؤمن بل يُقال: هو مؤمن أو فيه إيمان.

ولهذا عاب الله على الذين قالوا آمنا: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: 14]؛ لأنهم ادَّعوا منزلة لم يصلوا إليها.

346) ليس كل من عَمِل عمل الكفار يكون كافرًا كفرًا مطلقًا

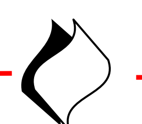
المذيع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (فقوله: «كُفَّارًا يَضرِبَ بَعضَكُم رِقابَ بَعضْ» تفسير الكفار في هذا الموضع، وهؤلاء يُسمَّوْن كفارًا تسمية مُقيدة ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل كافر ومؤمن، كما أن قوله تعالى: ﴿مِن مَّاء دَافِقٍ﴾ [الطارق: 6]، سمَّى المنيَّ ماءً تسمية مُقيدة ولم يدخل في الاسم المطلق حيث قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا﴾ [النساء: 43]).

الشيخ صـالح: نعم، هـذا كلـه تقـدير للقاعـدة، الفـرق بين الاسـم المُعـرف بـالألف واللام والاسـم المُنكَّر وذلـك في الكفـر والإيمـان، فـإذا جـاء الإيمـان مُعرفًـا بـالألف واللام والكفـر مُعرفًـا بالألف واللام فهو يُحمل على الإيمان المُطلق وعلى الكفر المطلق المُخرج من الملة.

أما إذا جاء مُنكرًا فإنه يُحمل على الأصـغر لا على الأكـبر، مثـل قوله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: «لَا ترجعوا بَعدي كُفَّارًا يَضـربَ بَعضَـكُم رِقابَ بَعضْ» يعني: تعملون عمل الكفار، وليس كل من عَمِـل عمـل الكفار يكون كافرًا كفرًا مطلقًا؛ وإنما يكون فيه كفرٌ بحسـب ذلـك، وهذا من فقه المسائل -لا سيما في هذا الباب- الـتي يجب التفطُّن لها، لأنَّ بعض المتسرعين من المتعالمين أو من أنصاف المتعلمين، أو من عندهم غيرةٌ شديدة يُطلقون على الناس التكفير والتفسـيق والتبديع بدون تفقُّهٌ في هذا الأمر وتنزيل للأمور منازلها.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الرابع والأربعون

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِ العـالمين، وصَـلَّى اللـهُ وَسَـلَّم على نبينـا محمـد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام؛ السـلامُ عليكم ورحمـة اللـه وبركاتـه، وأهلًا وسـهلًا بكم إلى هـذا اللقـاء الجديـد في برنـامج [اقتضـاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم] لشـيخ الإسـلام/ أحمـد بن عبد الحليم بن تيمية، رَحِمَهُ اللهُ.

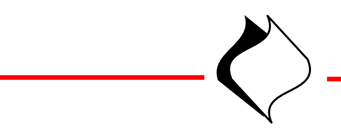
يشرحُ الكتاب في هذه الحلقات صاحبُ الفضيلة الشـيخ/ صـالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء، وعضـو اللجنـة الدائمـة للإفتاء.

في مَطلـع لقاءنـا نُـرحب بضـيفنا الكـريم؛ فحيـاكم اللـه شـيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

346) حث النبي المسلمين على ترك أمور الجاهلية

المذيـــــــع: قال شيخ الإسـلام -رَحِمَـهُ اللـهُ- فيمـا ذكـر من مشابهة أصـحاب الجحيم المنهي عنهـا، قـال: (ومن هـذا البـاب مـا أخرجاه في الصحيحين عن عمـرو بن دينـارٍ عن جـابر بن عبـد اللـه،



قال: «غزونا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، وقد ثاب معه ناسٌ من المهاجرين حتى كثروا، وكان مع المهاجرين رجلٌ لعَّاب فكسع أنصاريًا، فغضب الأنصاري غضبًا شديدًا حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يَا للأنصار، وقال المهاجري: يَا للمهاجرين، فخرَج النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم-، فقال: مَا بالُ دعوى الجاهلية» ثم قال: «ما شأنهم؟ فأخبر بكسعة المهاجري للأنصاري، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: دعوها فإنَّها خبيثة» وقال عبد الله بن أُبي بن سلول: «أوقد تداعوا علينا، لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منا الأذل، قال عُمر: ألا تقتل يا نبي الله هذا الخبيث -لعبد الله- فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: لا، يتحدثُ الناس أنَّه كان يقتل أصحابه»).

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وسَلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

من أمور الجاهلية التي نُهينا عن التشَبُّه بهم فيها دعوى الجاهلية، وذلك بأن يُنادي بنداء الجاهلية فيحصل التحزُّب والانقسام وكلٌ يدعو قومَه عندما تحدث مُشادّات أو مشاكل بين الناس، فالواجب أن تُسوَّى الإشكالات والنزاعات بالكتاب والسُنَّة وبالمُصالحة؛ لأنَّ المؤمنين إخوة كلهم، لا ميزة لبعضهم على بعضٍ إلا بالتقوى؛ فلا أحد يترَّفع على أحد بقبيلته أو بنسبه.

ومما يدل على هذا هذه الواقعة العظيمة التي حصلت في غزوة "بني المستلق"، حينما حصل مشادة بين رجلين أو شابين: أحدهما من الأنصار، والثاني من المهاجرين، فلطم المهاجري الأنصاري، فحصل غضبٌ من الأنصاري فقال: «يا للأنصار»؛ يدعو قومه، وقال المهاجر: «يا للمهاجرين»، مع أنَّ لفظ المهاجرين والأنصار لفظٌ محمود في الكتاب والسُنَّة، ولكن لما ذكر كلٌ منهما هذا الاسم من باب العصبية النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم- غضب عند ذلك؛ لأنه يريد من المسلمين أن يكونوا إخوة لا ميزة لبعضهم على بعض ولا عصبية بينهم، يريد أن يزيل أمور الجاهلية نهائيًا ويصيروا أمة واحدة بجميع أفرادها لا فضل لعربيها على أعجميها

ولا لأسودها على أبيضها إلا بالتقوى، كما قال صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم؛ هذا ما يريده الرسول صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم.

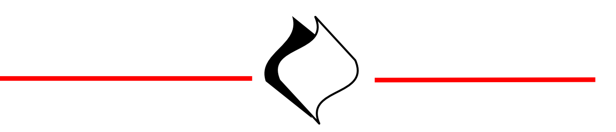
هو يريد أن تزول كل أمور الجاهلية من العصبيات والحزبيات والحميِّات وأن يكون المسلمون إخوة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: 10]، دون نظرٍ إلى نسب الرجل أو قبيلته أو بلده؛ يكفي أنَّه مؤمن، والمؤمن أخو المؤمن.

فلما سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، هذا النداء من الرجلين، كلٌ يُنادي قبيلته، أنكر ذلك وسمَّاه من أمور الجاهلية، فقال: «أبدعوى الجاهلية؟» هذا من باب الاستنكار، «وأنا بين أظهركم» ثم قال -صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم-: «دعوها فإنها مُنتنة»؛ أي: دعوى الجاهلية مُنتنة؛ قبيحة؛ لأن المسلمين صاروا إخوة لا ميزة لبعضهم على بعض، فأنكر صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، هذه الحميِّة وهذه الدعوى لأنها من أمور الجاهلية.

فالمسلم يقول: إنني من المسلمين ولا يقول إنني من قبيلة كذا وكذا، من باب الافتخار، أما أن يقول أنا من قبيلة كذا من باب الإخبار فقط؛ فهذا لا بأس به، لكن إذا قاله من باب الفخر فإنَّ هذا مَنهيٌ عنه.

ثم إنَّ المنافقين استغلوا هذه الحادثة؛ لأنَّ من عادتهم أنَّه إذا حصلت حوادث بين المسلمين يستغلونها للتفرقة ويفرحون بها من أجل إشاعة الفتنة، ففرحوا بهذه الواقعة يريدون أن يُفرِّقوا بين المهاجرين والأنصار الذين جمعهم الله على الإيمان وعلى التقوى، فقال رئيسهم وخبيثهم عبد الله بن أُبي بن سلول: «أوقدَ قالوها؟» ثم قال: «ما لنا ولهم شبه إلا كما يُقال: سمِّن كلبَك يأكلْك» هكذا يقول -قبحه الله- يتمنَّن على المهاجرين بأنهم آووْهم ونصروهم، يتمنَّن بهذا عليهم، ويظن أنَّهم هم السبب في عزهم ودينهم وفيما نالوه من الرِفعة في الأرض، يظن أنَّ هذا بسبب الأنصار.

ثم قال: «لئن رَجعنَا إلى المدينة ليُخرجن الأعزَّ منها الأذَّل» الأعز يريد به نفسه -قبحه الله- والأذل هو رسول الله -صَلَّى اللهُ



عَلِيهِ وَسَلَّم، قال الله عزَّ وجَلْ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8]، لا يعلمون أنَّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين؛ وليست للقبائل والعصبيات.

وماذا أغنتهم هذه العصبية قبل مُهاجر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم؟ ألم يكونوا يتقاتلون فيما بينهم؛ الأوس والخزرج كانت الحرب يوم بُعاث استمرت أكثر من مائة سنة يتقاتلون بينهم حتى هاجر إليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، فطفئت الفتنة وصاروا إخوة متحابين، لكن بقي النفاق في قلوب هؤلاء موتورين، يريدون أن يُفرِّقوا هذا الاجتماع وهذه الكلمة، وأن يُعيدوا الناس إلى الجاهلية التي كانوا عليها.

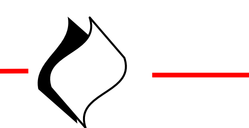
فالله جَلَّ وَعَلَا، فضحهم، عند ذلك قال أمير عُمر بن الخطاب، رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: «دَعنى أضربْ عُنقَ هَذا المُنافِق، فقال صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: لا» يعني: لا تقتله «لِئلا يتحدثَ الناس أنَّ محمدًا يقتلُ أصحابَه»، فهذا فيه ارتكاب أخف الضرريْن لدفع أعلاهما وأنَّ درء المفاسد مقدمٌ على جلب المصالح، فالرسول ترك قتله مع أنه أتى بما يقتضي قتله؛ لكن إذا كان في إقامة الحد أو في إنزال العقوبة بمن يستحقها يترتب عليها آثارٌ وأضرارٌ أكثر؛ فإنه تُدرأ المفاسد، وهذا من حكمته صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم.

المذيع: شيخ؛ قد يتوسع بعض الناس في هذا في ارتكاب أدنى الضررين، فيبرر فعله بأنه من هذا الباب. هل هذا له حد واضح؟

الشيخ صالح: هذا يحكمه العلماء ما هو يحكمه كل أحد حسب هواه، وإنما يحكمه أهل العلم الراسخين في العلم.

347) دعوة النبي لنُصرة المسلم ظالمًا أو مظلومًا

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (ورواه مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر، قال: «اقتتلَ غُلامان غلامٌ من المهاجرين وغلامٌ من الأنصار»).

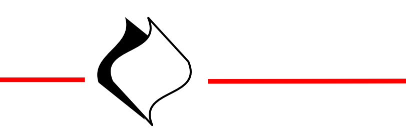


الشيخ صالح: «اقتتل» يعني تضاربا، ليس معناه أنهم تقاتلا بالسلاح وإنما معناه تضاربا، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ﴾ [القصص: 15]، يعني: يتضاربان، وقال صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم في الذي يمر أمام المصلي: «فإن أبىَ فليُقاتِله فإنَّ معه القرين» يقاتله: يعني يضربه.

المذيــــع: أحسن الله إليكم، قال: (فنادى المهاجرين: يا للمهاجرين، ونادى الأنصاري: يا للأنصار، فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، فقال: ما هذا أدعوى الجاهلية؟ قالوا: لا يا رسول الله، إلا أنَّ غلامين اقتتلا، فكسع أحدهما الآخر، فقال: لا بأس ولينصُر الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا، إن كان ظالمًا فلينهَه فإنَّه له نصرٌ، وإن كان مظلومًا فلينصره»

قال -رَحِمَهُ اللهُ-: فهذا الاسمان المهاجرون والأنصار اسمان شرعيان جاء بهما الكتاب والسُنَّة وسمَّاهما الله بهما، كما سمَّانا المسلمين من قبل، وانتساب الرجل إلى المهاجرين أو الأنصار انتسابٌ حسنٌ محمود عند الله وعند رسوله، ليس من المبُاح الذي يُقصد به التعريف فقط كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من الانتساب المحرم كالانتساب إلى ما يُفضي إلى بِدعَة أو معصية أخرى، ثم مع هذا لما دعا كلٌ منهما طائفته منتصرًا بها أنكر النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، ذلك، وسمَّاها دعوى الجاهلية).

الشيخ صالح: نعم؛ النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، لما سمع الصائحين: الذي يقول: «يا للمهاجرين»؛ يعني: يندبهم، والذي يقول: «يا للأنصار»؛ يندبهم، مع أنَّ الجميع إخوة في الإيمان؛ لا ينبغي هذا التقسيم من باب العصبية، أما أن يقول: أنا من المهاجرين وهذا يقول: أنا من الأنصار، من باب الاعتراف بنعمة الله عزَّ وجَلْ، فهذا أمرٌ محمود، فلفظ المهاجرين لفظٌ محمود، ولفظ الأنصار لفظٌ محمود؛ لكن إذا ذكره الإنسان من باب العصبية فإنَّ هذا مذموم، وهذا هو الذي أنكره النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، وسمَّاه دعوى الجاهلية.



ولما بُيَّن له صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، السبب فيما حصل وأنه حصل اعتداءٌ من المهاجري على الأنصاري، النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، لم يتعصَّب للمهاجري، بل قال: «انصُر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» وبيَّن أنَّ نصر المظلوم دفع الظُلم عنه، ونصر الظالم منعه من ظلمه، فهذا من إنصافه صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، لكن ليس معنى أننا نتداعى بدعوى الجاهلية وإنما نرجع إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم-، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [النساء: 59]، فالإنسان إذا أُعتدِي عليه لا ينادي بالعصبية ويدعو قومه ويريد أخذ الثأر؛ هذا من أمور الجاهلية. وإنما إذا أُعتدي عليه فإنه يُطالب بحقه على مقتضى الكتاب والسُنَّة وعند الحاكم المسلم حتى يُنصف المظلوم من الظالم.

348) إنكار النبي انتصار المسلم بعصبيته وقبيلته

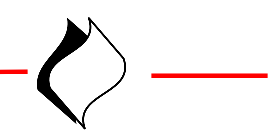
المذيع: : قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (مع هذا لما دعا كلٌ منهما طائفته أنكر صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، وسمَّاها دعوى الجاهلية حتى قيل له إن الداعي بها إنما هما غلامان، لم يصدر ذلك من الجماعة؛ فأمر بمنع الظالم وإعانة المظلوم).

الشيخ صالح: نعم، فهذا هو من عدله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، وإنصافه أنه أنكر دعوى الجاهلية وأنكر الظلم أيضًا، أنكر دعوى الجاهلية والعصبية وأنكر الظلم بنُصرة المظلوم.

349) المحظور هو تعصب الرجل لطائفته مطلقًا

المذيع: قال: (وبين النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، أن المحظور إنما هو تعصب الرجل لطائفته مطلقًا؛ فعل أهل الجاهلية، فأما نصرها بالحق من غير عدوان فحسنٌ واجبٌ أو مُستحب).

الشيخ صالح: نعم، هذا هو الواجب أنَّه إذا حصل نزاع أو حصل اعتداء؛ فإنَّه لا يُقر، لا يُقر الاعتداء والظلم ولكن يُزال الاعتداء والظلم بحكم الكتاب والسُنَّة ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ



خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ [النساء: 59]، لا أن نرجع إلى العصبيّات والقبليّات وكلٌ يأخذ ثأره بقوة قومه وقوة قبيلته؛ فإنَّ هذا من أمور الجاهلية التي جاء الإسلام لإبطالها.

350) العصبية أن تُعين قومك في ظلمهم للناس

المذيـــــــع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (ومثل هذا ما روى أبــو داوود وابن ماجـة عن واثلـة بن الأصـقع رَضِـيَ اَللَّهُ عَنْـه، قـال: «قلتُ يـا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، ما العصبية؟ قال: أن تُعين قومَك عَلى الظُلم»).

الشيخ صالح: نعم، العصبية أن تُعين قومــك وأنت تعلم أنهم ظالمون لأجل العصبية لهم، كما يقول الشاعر:

وهل أنا إلا من غزيةَ إن غوَت غويتُ، وإن ترشد غزيةٌ أرشدِ

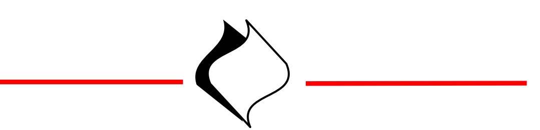
فهو يقول: إن غوت غويتُ؛ يعـني معهـا؛ مـا ينظـر إذا مـا هي عليه، وإنما تحمله العصبية لهم على أن يكـون معهم على أي حـال، وهذا هو أمر الجاهلية، الإنسان يكون مع المظلـوم سـواء أكـان من قبيلته أو من غير قبيلته، يكون مع المظلوم ولا يكون مع الظالم.

351) نُصرة المسلم لقبيلته بأخذ الحق لا بالاعتداء والظُلم

المذيـــــــع: قـال -رَحِمَـهُ اللـهُ-: (وعن سُـراقة بن مالـك بن جشعم المُدلجي، قال: "خطبنا رسول الله صَلّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم، فقال: «خيرُكم المُدافع عَنْ عَشيرته مَا لَم يأثم» رواه أبو داوود).

الشيخ صالح: نعم، كـون الإنسـان ينصـر قبيلتَـه بأخـذ الحـق لهم؛ بأخذ الحق المشروع لهم ودفع الظلم عنهم؛ هذا أمرٌ مطلوب، أما إذا كان معهم وهم المعتـدون الظـالمون ويريـد أن يـدافع عنهم وعن ظلمهم فهذا هو أمر الجاهلية المنهي عنه.

352) البراءة ممن يتعصَّب للباطل



المذيـــــــــع: قـــال: (وروى أيضًـــا عن جُبـــير بن مُطعمٍ أن رسول الله صَـلَّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم، قـال: «ليسَ مِنْـا من دعـا إلى عصبية وليسَ مِنَا من قاتـل على عصـبية، وليسَ مِنَـا من مـات على عصبية»).

الشيخ صالح: هذا معنـاه الـبراءة ممن يفعـل هـذه الأفعـال، من دعا إلى عصبية، أو قاتل على عصبية، أو مات على عصبية، هـذا معناه تحريم العصبية، وهي التعصب للباطـل من بـاب الحميـة؛ هـذا هو المذموم، وهذا هو أمر الجاهلية سواءً دعا إليـه أو مـات عليـه أو قاتل عليه، استباح دماء الناس من أجل العصـبية القبيلـة، من أجـل أن ينصـر قومـه وعشـيرته على الظلم؛ فهـذا هـو الأمـر المـذموم المُحرم في الإسلام.

والواجب على المسلم أن يدور مع الحق أينما دار، سـواءً أكـان مع قومه أو مع غيرهم: فإن كـان قومـه ظـالمين؛ فإنَّه يمنعهم من الظلم، وإن كـانوا مظلـومين؛ فإنَّه ينتصـر لهم بـدفع الظلم عنهم، كما قال -سُبْحَانهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُون (39) وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَـأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِين (40) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَـبِيل (41) إِنَّمَـا السَّـبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُـونَ النَّاسَ وَيَبْغُـونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الشورى: 39-42].

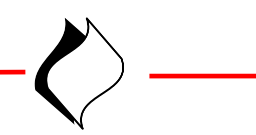
المذيـــــــــع: إذن يـا شـيخ لا يسـلم المـرء أو الإنسـان حـتى يخلص من العصبية تمامًا.

الشيخ صالح: هذا هو معناه يكون مع الإيمان ومع العدل.

المذيـــــــــع: يتجرَّد من كل عصبية.

الشيخ صالح: من كل عصبية وهوى.

353) من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير المتردِّي



المذيـــــــع: أحسـن اللـه إليكم، قـال -رَحِمَـهُ اللـهُ-: (وروى أيضًا عن ابن مسعود، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم، قـال: «مَنْ نَصَر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي رُدِّيَ فهو يُنزَع بذنَبِه»).

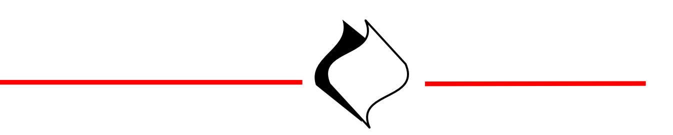
الشيخ صالح: يُنزع بمعنى: يُسحب أو يُجر، يعـنى: من أعـان قومه على عصبية وهم على غير حق؛ فإنَّه مثل الجمل الذي يتردَّى، يعـني: يسـقط في البـير أو يسـقط في المنخفض، ويسـقط على رأسه ولا يتمكن الناس من إنقاذه إلا بذنَبِه؛ هذا من بـاب الـذم لمن تعلَّق بالعصـبية، مثـل البعـير المـتردِّي، لأنَّ التعلُّق بالعصـبية تـردي وسقوط.

المذيـــــــع: قال: (فإذا كان هذا التـدَّاعي في هـذه الأسـماء وهذا الانتساب الذي يحبـه اللـه ورسـوله، فكيـف بالتعصُّـب مُطلقـًا والتداعي للنسب والإضافات التي هي إما مباحة أو مكروهة).

الشيخ صالح: نعم، إذا كـان التـدَّاعي للفـظ الأنصـار ولفـظ المهاجرين من باب العصبية والنخوة؛ فهذا مما يذمـه اللـه ورسـوله وإن كان هذين الاسمين محبوبان إلى الله ورسوله، والله جَلَّ وَعَلَا، يقــول: ﴿وَالسَّــابِقُونَ الأَوَّلُــونَ مِنَ الْمُهَــاجِرِينَ وَالأَنصَــارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْـهُ﴾ [التوبـة: 100]، فلفـظ الأنصــار ولفـظ المهــاجرين لفظــان محبوبــان إلى اللــه سُــبْحَانهُ وَتَعَــالَى؛ لأنَّ الهجــرة من أجَّل الأعمــال وأفضـلها والنُصـرة للحـق وإيواء المؤمنين ومناصرتهم هذا من أفضل الأعمال؛ بل هو أفضــل الأعمال، فمن ذكره من باب الشكر على النعمة؛ فهذا أمـرٌ محمـود، ومن ذكره من باب العصبية والافتخار بذلك على النـاس؛ فهـذا أمـرٌ مذموم.

354) نكران النبي للعصبية بأسماء المهاجرين والأنصار، فما بال الأسماء الأخرى؟

المذيـــــــع: قال: (فكيف بالتعصب مطلقًا والتدَّاعي للنسب والإضافات التي هي إما مباحةٌ أو مكروهة).



الشيخ صالح: كيف بالذي يتعصَّب لاسمٍ غير مشروع كالقبيلة أو الفخذ أو غير ذلك مما ينتخي به أهل الجهل حينما يواجهون شيئًا من الأمور التي يكرهون، فإنهم ينتخون بأسماء قبائلهم وأسماء جماعتهم؛ فهذا مذموم لأنَّ المؤمنون إخوة ليس بينهم تميز إلا بالإيمان والتقوى، والواجب أن يتعاونوا بدل أن يتفرَّقوا وأن يتحزَّبوا، الواجب عليهم أنهم إخوة وجماعة واحدة، إذا حصل ظلمٌ من أي أحد فإنهم يدفعونه وينصرون المظلوم ويمنعون الظالم؛ هذا هو الحق.

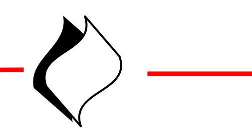
(355) الانتساب إلى الاسم الشرعي أحسن من الانتساب إلى غيره

المذيع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (وذلك أنَّ الانتساب إلى الاسم الشرعي أحسن من الانتساب إلى غيره، فلا ترى مما رواه أبو داوود من حديث مُحمد بن إسحاق داوود بن الحصين عن عبد الرحمن بن أبي عُقبة عن أبي عُقبة: «وكان مولىً من أهل فارس، قال: شهدتُ مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، أُحُدًا، وضربتُ رجلًا من المشركين فقلتُ: خذها وأنا الغلام الفارسي، فالتفتَ إليَّ فقال: هلا قلتها خُذها مني وأنا الغلام الأنصاري؟»

قال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ-: (حضَّه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم-، على الانتساب إلى الأنصار -وإن كان هذا بالولاء-، وكان إظهار هذا أحب إليه من الانتساب إلى فارس بالصراحة، وهي نسبةٌ حق ليست محرّمة).

الشيخ صالح: نعم، لما انتسب إلى فارس، مع أنه صادقٌ في هذا؛ أي: أنه فارسي، لكن انتسابه إلى الأنصار أفضل لأنَّه مولى، ومولى القوم منهم، يعني: عتيقٌ للأنصار، فيكون من الأنصار، فكان الأولى أن يأتي باللفظ الفاضل، ويقول: خُذها وأنا الأنصاري.

(356) دفاع الإنسان عن قبيلته من باب دفع الظلم فهو أمرٌ محمود



المذيـــــــع: قـال: (ويُشـبه والله أعلم أن يكـون من حكمـة ذلك أنَّ النفس تُحامي عن الجهة التي تنتسب إليها، فإذا كـان ذلـك لله كان خيرًا للمرء).

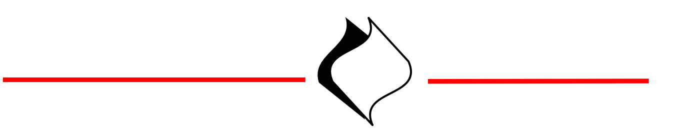
الشيـخ صـالح: نعم، وكمـا سـبق أن الإنسـان إذا دافـع عن قبيلتـه أو عن بلـده من بـاب دفـع الظلم عنهم؛ فهـذا أمـرٌ محمـود، وهذا طلبٌ للإنصاف والعدل لا يُلام عليـه ونصـرة للمظلـوم، وأولى من ينصرهم من كان منهم ومن بلـدهم ومن قـبيلتهم، يـدفع عنهم الشر ويجلب لهم الخير، أما إذا كان هـذا من بـاب الفخـر والعصـبية والترفع على الناس والانقسام والتميز فيمـا بين المؤمـنين؛ فهـذا أمرٌ مذموم، فكل لفظٍ يُفرِّق بين المسلمين فإنه مذموم، وكل لفظ يجمع بين المسلمين فإنَّه محمود وطيب.

357) ليس كل من عَمِل عَمَلَ الكفار يكون كافرًا كفرًا مُطلقًا

المذيـــــــع: ويؤكد الشيخ -رَحِمَـهُ اللـهُ- قضـية الكتـاب وهي اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة لأصحاب الجحيم، فيقـول: (فقـد دلت هذه الأحاديث على أن إضافة الأمر إلى الجاهلية يقتضـي ذمـه والنهي عنه، وذلك يقتضي المنـع من أمـور الجاهليـة مطلقًـا، وهـو المطلوب في هذا الكتاب).

الشيخ صالح: نعم، هـذا الكتـاب كعنوانـه [اقتضـاء الصـراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم]، وأصحاب الجحيم: يعني الكفـار سواءً أكانوا من اليهود أو النصارى أو العرب أو العجم أو الفرس أو أهل الجاهلية، كل من كان من أهل النـار فهم أصـحاب الجحيم، ولا يكـون من أصـحاب النـار إلا أصـحاب الكفـر -أيًـا كـانوا من البشـر-، فنحن منهيُّون عن التشَـــبُّه بهم، ومن ذلـــك العصـــبيات الباطلـــة والنخوات الجاهلية؛ لأنَّ اللـه أزال هـذا بالإسـلام وجعـل المسـلمين أمـة واحـدة وإخـوة في الإيمـان، فيجب أن يعـتزوا بعـزاء الإسـلام والإيمان وأن يتركوا أمور الجاهلية.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.



وصلّى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الخامس والأربعون

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِ العـالمين، وصَـلَّى اللـهُ وَسَـلَّم على نبينـا محمـد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام؛ السـلامُ عليكم ورحمـة اللـه وبركاتـه، وأهلًا وسـهلًا بكم إلى حلقـةٍ جديـدة في برنـامج [اقتضـاء الصـراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] لشيخ الإسلام/ ابن تيمية، رَحِمَهُ اللهُ.

يشرحُ الكتاب في هذا اللقاء صاحبُ الفضيلة الشـيخ/ صـالح بن فوزان الفـوزان، عضـو هيئـة كبـار العلمـاء، وعضـو اللجنـة الدائمـة للإفتاء.

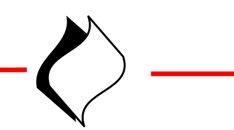
في مَطلـع لقاءنـا نُـرحب بضـيفنا الكـريم؛ فحيـاكم اللـه شـيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

358) حث النبي على ترك أمور الجاهلية من الفخر بالأنساب

المذيـــــــع: قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بعدما ذكر شيئًا من الأحاديث، (فقـد دَلَّت هـذه الأحـاديث على أن إضـافة الأمـر إلى الجاهلية يقتضي ذمه والنهي عنـه، وذلـك يقتضـي المنـع من أمـور الجاهليـة مُطلقًـا، وهـو المطلـوب من هـذا الكتـاب) أي: اقتضـاء الصـراط المسـتقيم مخالفـة أصـحاب الجحيم، هـذا أتينـا عليـه في لقاءنا السالف.

قال: (ومثل هذا ما روى سعيد بن أبي سـعيد عن أبيـه عن أبي هريرة، رَضِيَ اَللَّهُ عَنْـه، قـال: «قـال رسـول اللـه صَـلَّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَلَّم: إنَّ الله قد أذهب عنكم عِبيِّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مـؤمنٌ تقي أو فـاجرٌ شـقي، أنتم بنـو آدم وآدمُ من تـراب، ليـدَعَّنَ رجـالًا



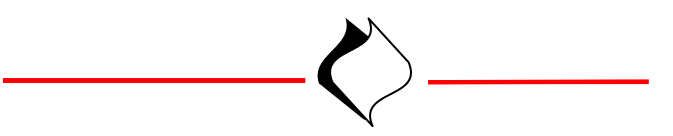
فخرهم بأقوامٍ إنما هم فحمٌ من فحم جهنم، أو ليكونن أهونَ على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن» رواه أبو داوود وغيره، وهو الصحيح).

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وسَلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

يواصل الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- تحذير من التشَبُّه بأعمال أهل الجاهلية، ومنها: الفخر بالأنساب، لأن الله جَلَّ وَعَلَا، يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]، الكرم إنما هو بالتقوى لا بالنسب، فالتفاخر بالأنساب هذا من أمور الجاهلية التي نُهينا عنها عمومًا، ولأنَّ هذا يُفرِّق بين المسلمين، إذا كلٌ افتخر بنسبه فرَّق هذا بين المسلمين، والمسلمون أمةٌ واحدة، وكالجسد الواحد والنبيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضًا، دون نظرٍ إلى أنسابهم وألوانهم.

ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «لا فَضَل لعَربيٍ عَلى عَجمِي، ولا لأبيَض عَلى أسوَد، كُلكُم لآدَم وآدمُ مِن تُرَاب»، ثم قال: «لينتَهيَّن أقوامٌ عنْ افتخَارِهم بآبَائهِم أو ليَكونُن أهوَنَ عَلى اللهِ مِن الجُعلان»، وهي الحشرات التي تُباشر النجاسة بأنفها، وهذا غاية الهوان، فالذي يفتخر بنسبه على إخوانه المسلمين، ويرى له ميزة عليهم؛ هذا مثل هذه الحشرة المهينة.

وهذا من إذهاب أمور الجاهلية، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «إنَّ الله قد أذهب عنكم عِبيِّة الجاهلية وفخرها بالآباء»، وقد يفتخر الإنسان بأبٍ أو جدٍ كافر، ليس له قيمة عند الله -سُبْحَانهُ وَتَعَالَى-، إنما هو فحمٌ من فحم جهنم، فلا يفتخر الإنسان بنسبه دون أن يكون له عملٌ صالح؛ فالفخر إنما هو بالأعمال الصالحة، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءلُونَ (101) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 101-103].



فالأنساب إنما هي في الدنيا لأجل التعارف: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]، لأجل التعارف فقط، وأما التفاخر بها فلا يجوز؛ لأنَّ المسلمين أمةٌ واحدة وجسدٌ واحد وبنيانٌ واحد، لا فخر لبعضهم على بعضٍ إلا بتقوى الله -سُبْحَانهُ وَتَعَالَى-.

359) إضافة الشيء إلى الجاهلية يدل على ذمه والنهي عنه

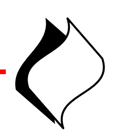
المذيـــــع: أحسن الله إليكم، قال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ-: (فأضاف العِبِّيَّة والفخر إلى الجاهلية يذمها بذلك، وذلك يقتضي ذمها بكونها مضافة إلى الجاهلية).

الشيخ صالح: تقدَّم أن كل ما أُضيف إلى الجاهلية فإنه مذموم، فإضافة الشيء إلى الجاهلية يدل على ذمه والنهي عنه، مثل: حميِّة الجاهلية، تبرَّج الجاهلية، ظن الجاهلية، وكل شيءٌ أُضيف إلى الجاهلية فإن هذا دليل على النهي عنه والابتعاد عنه.

360) بيان الرسول لأمور الجاهلية

المذيـــــع: قال: (وذلك يقتضي ذم الأمور المضافة إلى الجاهلية، ومثله: ما رواه مسلمٌ في صحيحه عن أبي قيسٍ زياد بن رباح عن أبي هريرة رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، عن النبي صَلَّى اَللَّهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، أنَّه قال: «من خرَج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات مِيتةً جاهلية، ومن قاتل تحت رايةٍ عِمِّيَّة يغضب لعصبية أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية، فقُتل، فقتلةً جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برَّها وفاجرَها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهدٍ عهدَه، فليس مِنّي ولستُ مِنه»).

الشيخ صالح: نعم، هذا حديثٌ عظيم يرسم لنا فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، المنهج الذين نسير عليه، وذلك بأن نترك أمور الجاهلية كلها؛ ومن ذلك: الخروج على ولي الأمر، فإنهم كانوا في الجاهلية لا يخضعون لسلطان، ولا ينقادون لحاكم، وإنما هم قبائل متفرقة متناحرة فيما بينها لا يجمعهم ولاية، وإنما يلتحقوا كل طائفة أو كل قبيلة بدولة من الدول الكبرى في وقتهم؛ كفارس والروم، وليس للعرب دولةٌ تجمعهم فهم في



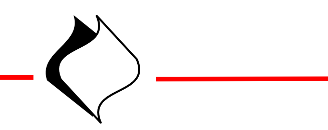
جاهلية، فالتفرُّق وعدم الخضوع لولي الأمر وعدم السمع والطاعة هذا من أمور الجاهلية، فمن خرج على ولي أمر المسلمين فقد عاد إلى الجاهلية، من خرج على ولي أمر المسلمين وشقَ عصا الطاعة؛ فقد عاد إلى أمور الجاهلية، وإن مات على ذلك فإنَّه يموت على خَصلة من خِصال الجاهلية؛ فهذا من باب الذم والوعيد على من يَشُق عصا الطاعة أو يفارق الجماعة.

الله جَلَّ وَعَلَا، يقول: ﴿وَإِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52]، وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92]، فالأمة الإسلامية واحدة ولا تكون أمة ولا تجتمع إلا تحت قيادة ولا قيادة إلا بسمعٍ وطاعة، فالذي لا يسمع ولا يطيع لولي الأمر؛ هذا شق عصا الطاعة وفارق الجماعة وخرج إلى أهل الجاهلية، فإذا مات فإنه يموتُ على خصلة من خصال الجاهلية، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: «أوصِيكُم بِتقوى اللهَ والسَمَع والطَاعَة وإن تأمَّر عَليكُم عَبد» وفي رواية: «عبدٌ حبشي كأنَّ رأسهُ ذبيبة»، ذلك لأنَّه ليس النظر إلى شخصه؛ وإنما النظر إلى منصبه وما يقوم به.

فقضية الأشخاص والشخصيات هذه لا اعتبار لها، وإنما العبرة بالمنصب وإنما العبرة بالعمل دون نظرٍ إلى الشخص، وإنما هذا كان من أمور الجاهلية، الذين يُعظِّمون الأشخاص هؤلاء هم أهل الجاهلية، أما الإسلام فإنه لا ينظر للشخصيات وإنما ينظر إلى المناصب وينظر إلى الأعمال «إنَّ اللهَ لا َينظر إلى صُوركُم وأموالِكُم وإنما ينظرُ إلى قُلوبِكُم وَأعمَالِكُم»، فهذه مسألةٌ عظيمة.

وكذلك الذي يفارق الجماعة؛ جماعة المسلمين، ويشذُ برأيٍ يخرج به على عقيدة أهل السُنَّة والجماعة، ويتبنى مذهب الخوارج أو مذهب المعتزلة أو مذهب المُرجئة أو مذهب القدرية، أو أي مذهب من المذاهب المخالفة لمنهج أهل السُنَّة والجماعة؛ فإنَّه يكون فيه خصلةٌ من خصال الجاهلية -قد تزيد وقد تنقص-، وإذا مات على ذلك فإنه يموت على خصلةٍ من خصال الجاهلية.

361) ضرورة احترام دماء المسلمين ودماء المُعاهَدين

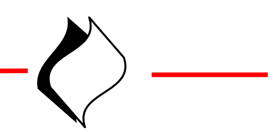


وكـذلك الوفـاء لـذوي العهـود، فيجب الوفـاء لـذي العهـد في عهده، ويجب احترام دماء المسلمين ودماء المُعاهـدين، ولهـذا قـال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعـام: 151]، والنفس التي حرَّم الله هي نفس المـؤمن أو نفس المُعاهَـد، نفس المؤمن قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَـزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِـدًا فِيهَا وَغَضِـبَ اللّـهُ عَلَيْـهِ وَلَعَنَـهُ وَأَعَـدَّ لَـهُ عَـذَابًا عَظِيمًا﴾ [النسـاء: 93]، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَـلَّم في المُعاهَـد: «مَنْ قَتَـلَ مُعاهَـدًا لَم يَرَح رائحةَ الجنة» هذا إذا قتله عمدًا، أما إذا قتله خطئًا ففيـه مـا في النفس المؤمنة من الدية والكفـارة، ﴿وَإِن كَـانَ مِن قَـوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيـرُ رَقَبَـةٍ مُّؤْمِنَـةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّـهُ عَلِيمًـا حَكِيمًا﴾ [النساء: 92].

فلا شك أنَّ منهج الإسلام هو منهج الكمال والتمام، والاجتمـاع على الخـير والنهي عن التفـرُّق، والنهي عن شـق عصـا الطاعـة، والنهي عن سفك الدماء المحترمة؛ كـل هـذا ممـا جـاء بـه الإسـلام وخالف فيه أهل الجاهلية، فالجاهلية قد انتهت -ولله الحمـد- ببعثـة محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم ﴿هُـوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُـو عَلَيْهِمْ آيَاتِـهِ وَيُـزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْـلُ لَفِي ضَـلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعـة:2]، ولهـذا قـال صَـلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَـلَّم: «إنَّ اللـهَ أذهَبَ عَنكُم عدبيـة الجاهليـة وتفاخُرهـا بالآباء» أذهبها بمـاذا؟ أذهبهـا بالإسـلام وبعثـة الرسـول صَـلَّى اللـهُ عَلِيهِ وَسَلَّم.

فبعثة الرسول أنهَت الجاهليـة، فلم يبـق لهـا وجـودٌ في الأمـة الإسلامية من حيث العموم، وقد تبقى منها أشياء في بعض الناس، يبقى منها خِصال في بعض الناس حذَّر منها رسول الله -صَلَّى اللـهُ عَلِيهِ وَسَلَّم-، ولكن الجاهلية العامـة قـد انتهت -ولـله الحمـد- ببعثـة الرسول صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم.

362) بيان النبي للأقسام الثلاثة التي يُعقَد لها الفقهاء



المذيـــــع: أحسـن اللـه إليكم، قـال شـيخ الإسـلام -رَحِمَـهُ اللهُ-: (ذكر صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، في هذا الحديث الأقسـام الثلاثـة التي يُعقَد لها الفقهاء: باب قتـال أهـل القبلـة من البُغـاة والعِـداة، وأهل العصبيّة).

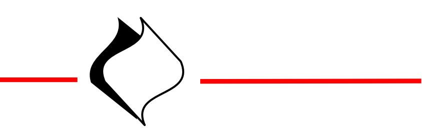
الشيخ صـالح: نعم؛ الفقهـاء -رحمهم اللـه- عقـدوا بابًـا أو أبوابًــا للــذين يخرجــون عن الطاعــة وهم ثلاثــة أقســام، قــالوا: الخارجون عن قبضة الإمام ثلاثة أقسام، وهم:

- **قطاع الطريق.**
- **والبغاة.**
- **والخوارج.**

فقطّاع الطـرق هم الـذين يعرضـون للنـاس في الصـحراء أو في البُنيـان، يسـلبونهم المـال ويقتلـون الأنفس، ويـأتون بتهديـد السلاح، هؤلاء قُطاع الطرق وهم المفسدون في الأرض، قـال اللـه تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْـعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَـلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْـدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الـدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِـرَةِ عَـذَابٌ عَظِيم (33) إِلاَّ الَّذِينَ تَـابُواْ مِن قَبْـلِ أَن تَقْـدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَـاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 33-34].

النـوع الثـاني: البُغـاة: وهم الـذين يخرجـون على ولي الأمـر ليس قصدهم المال كقُطـاع الطـرق؛ وإنمـا قصـدهم إنهـاء الولايـة المسلمة لتأويلٍ سائغ لكن نزَّلوه في غـير منزلـه، بـأن يـدَّعوا أنهم يــأمرون بــالمعروف وينهــون عن المنكــر إذا رأوا من ولي الأمــر مخالفة من المخالفات، لا شك أنَّ هذا منكـر، وقـد قـال صَـلَّى اللـهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: «مَن رأى مِنكُم مُنكرًا فليُغـيره بيـده، فـإن لم يَسـتطع فبلسـانِه، فـإن لم يَسـتطِع فبقلبـه»، فالرسـول صَـلَّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَلَّم، أوجب إنكار المنكر على كل حال، ولكن جعله أنواعًـا لا يُثـار إلى نوعٍ لا يُجدي، ولكن حسب المقدرة.

ولهذا نوَّع صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، إنكار المنكر بحسب المقدرة، فالذي له سلطة ويقدر على إزالـة المُنكـر بيـده كالسـلطان ونـائب



السلطان يزيل المُنكر بيده بموجب السلطة التي معه، وكذلك قيِّمُ البيت فإنَّ صاحب البيت له سلطةٌ على من في البيت، يُغير بيده على أولاده وعلى زوجاته ومن في بيته.

أما الذي ليس له سلطة فهذا يُغير باللسان وذلك: بالبيان والوعظ والتذكير إذا كان عنده علم ومعرفة بالحلال والحرام والطريقة الصحيحة في الإنكار، يُنكر بلسانه ولا يمد يده للتغيير وإنما يُنكر باللسان، بأنَّ يُبيِّن للناس أنَّ هذا منكر، أو يبلغ من لهم السلطة بأن ليغيروا هذا المنكر الذي حصل أو كذا.

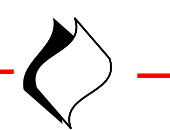
وإذا كان المنكر صادرًا من ولي الأمر، فولي الأمر ليس معصومًا ما دام أنه لم يصل إلى حد الكفر فإنَّه قد يقع منه مخالفات، ومع هذا أمرنا صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، بالوفاء بالعهد وأمرنا بالصبر ونهانا عن الخروج عليه حتى ولو كان غير مستقيمٍ في دينه وأخلاقه، لكنه لم يصل إلى حد الكفر؛ فإنَّ الخروج عليه في هذه الحالة فيه من المفسدة أشد من البقاء على المنكر الذي عنده.

ومعلومٌ أنَّ درء أعلى المفسدتين بارتكاب أدناهما، أمرٌ مشروع، ودرء المفاسد مقدمٌ على جلب المصالح، فإذا كان المنكر يقع من السلطان نفسه بأقواله أو بأفعاله أو سلوكياته فهذا يُناصَح سرًا ولا يُناصَح على رؤوس الأشهاد وفي المساجد والمجالس لأنَّ هذا معناه اغراءً للناس للخروج على ولي الأمر وتنفير بين ولي الأمر وبين الرعية، فهذا مفسدة وليس مصلحة.

ويبقى إذا كان يقدر على إبلاغ ولي الأمر، بالنصيحة إما مشافهة وإما بأن يكتب له وإما بأن يوصي من حوله أن يبلغوه، فهذا أمرٌ مطلوب، وإذا لم يتمكن فإنه معذور؛ إذا سكت في هذا الأمر لأنَّه لا يقدر على إيصال الإنكار.

وقد جاء عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم-، ما يفيد ذلك بأَّن من كان عنده نصيحة لولي الأمر فليأخذ بيده، وليناصحه، فإن قبل؛ وإلا فإنه يكون قد أدَّى الذي عليه، هذا هو المطلوب في هذا الأمر.

فالبُغاة تجاوزوا هذا الخط وأرادوا الإنكار على وُلاة الأمور بالفعل وخرجوا على السلطان يريدون تغييره لإنكار المنكر –في

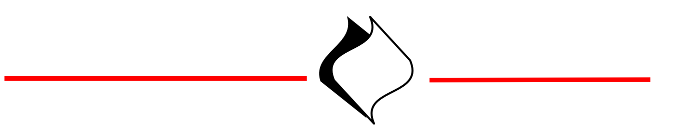


زعمهم- خالفوا بذلك قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، بأنه يُصبر على ظُلمهم وجورهم، لما ذكر من وُلاة الأمور وما يحصل منهم قيل: «أفلَا نُنابِذهُم بالسيف يا رسول الله؟ قال: لا، مَا أقاموا فيِكُم الصَلاة» وفي رواية: «مَا لم تروا كفرًا بواحًا عِندكُم فِيهِ مِن اللهِ سُلطَان»،

وهذا الأمر لا يتولاه الغاغة والمتعاملون وإنما يتولى هذا الأمر العلماء؛ علماء الأمة، فهم الذي ينظرون في هذا الأمر ويناصحون ولي الأمر فيه، وأما الغاغة والعامة وأنصاف المتعلمين فلا يدخلون في هذا الموضوع الخطير الذي يُبلبل الأفكار ويشتت الأمة ويسبب سفك الدماء ونهب الأموال وغير ذلك.

فالصبر على ولي الأمر المؤمن وإن كان فاسقًا، الصبر على ما عنده أخف من الخروج عليه لأّن الخروج عليه يسبب منكرات أعظم من سفك الدماء وتفكك الأمة وشق عصا الطاعة وتدخُل الأعداء في شؤون المسلمين، فما تدخل الكفار في الأمة الإسلامية أو في الدول الإسلامية إلا بسبب تلاعب سفائها الذين يريدون الفوضى في حينئذٍ يفرح الكفار ويتدخلون بحُجَّة الحماية لطائفة منهم، فلو أنَّ المسلمين سلكوا المنهج الذي أكد عليه الرسول صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، بل أرشد إليه الكتاب والسُنَّة، لو سلكوا هذا المالك لم يكن لكافرٍ أن يتدخل بينهم ولا لمنافقٍ أن يروج الفتنة بينهم، هؤلاء هم البُغاة.

 وأما الخوارج فهم الذين يخرجون على ولي الأمر بغير تأويل، أو بتأويل غير سائغ وذلك بأن يُكفروا المسلمين ويكفروا وُلاة الأمور ويقولون إنهم حلال الدم لأنهم كفار، هذه طريقة الخوارج: يكفرون بالذنوب التي دون الشرك ودون الكُفر، يكفرون بشرب الخمر، بالزنا، بالسرقة، وهذه ليست كُفرًا، هذه فسق، هذه تنقِّص الإيمان؛ وأما أنها تُبطل الإيمان وتنقض الإيمان فهذا قولٌ باطل وهذا قول الخوارج، لو كان هؤلاء كفارًا لما وجب إقامة الحدود عليهم، لما وجب رجم الزاني أو جلد الزاني، لما وجب جلد شارب الخمر، لما وجب قطع يد السارق، لما وجب قطع يد ورجل قاطع الطريق، كانوا يُقتلون ويُنهى أمرهم، لكن كونهم تُقام عليهم



الحـدود هـذا دليـل على إنـه مؤمنـون وأنهم مسـلمون وأنَّ الحـدود تكفي في حقهم؛ فهذا من جهلهم.

والسـبب في هـذا أنهم يأخـذون طَرَفًـا من الأدلـة ويـتركون الطرف الآخر الذي يفسر هذا الطـرف الـذي يُبينـه أو ينسـخه، فهم يأخـذون بطـرفٍ من الأدلـة ويـتركون أطرافًـا كثـيرة من الكتـاب والسُنَّة؛ ولهذا ضلُّوا، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُـوبِهِمْ زَيْـغٌ فَيَتَّبِعُـونَ مَـا تَشَـابَهَ مِنْـهُ ابْتِغَـاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: 7].

وقد حذَّر النبي -صَـلَّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم-، من الخـوارج، وأمـر بقتلهم، وأخبر أنهم يقتلـون أهـل الإيمـان ويـتركون أهـل الأوثـان، وأمرنا بقتلهم؛ إنهاءً لشرهم وكفًا لعدوانهم وردعًا لأمثالهم.

المذيــــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السادس والأربعون

المذيــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم

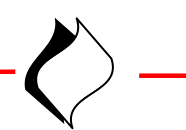
الحمدُ لله ربِ العـالمين، وصَـلَّى اللـهُ وَسَـلَّم على نبينـا محمـد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام؛ السـلامُ عليكم ورحمـة اللـه وبركاتـه، وأهلًا وسـهلًا بكم إلى حلقـةٍ جديـدة في برنـامج [اقتضـاء الصـراط المستقيم مخالفـة أصـحاب الجحيم] لشـيخ الإسـلام/ أحمـد بن عبـد الحليم بن تيمية، رَحِمَهُ اللهُ.

يشرحُ الكتاب عبر هذه الحلقات صاحبُ الفضيلة الشـيخ/ صـالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء، وعضـو اللجنـة الدائمـة للإفتاء.

في مَطلع لقاءنا نُرحب بفضيلة الشيخ؛ حياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.



363) من فعل شيئًا من أمور الجاهلية ومات عليه، فقد مات ميتة جاهلية

المذيـــــــع: قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تعالى- في حديثـه عن حديث أبي هريرة رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، في صحيح مسلم، قال: «مَنْ خَرجَ عَنْ الطاعة وفَارقَ الجماعة، ومَنْ قَاتَـل تحت رايـة عِميِّة ومن خـرج على أمتي» قال: ذكر في هذا الحديث الأقسـام الثلاثـة الـتي يعقـد لها الفقهاء باب قتال أهل القبلة من البُغاة والعُداة وأهل العصبية.

قال: (فالقسم الأول: الخـارجون عن طاعـة السـلطان، فنهى عن نفس الخروج عن الطاعة والجماعة، وبيَّن أنَّه إن مات ولا طاعة عليه، مات ميتة جاهلية، فإنَّ أهل الجاهليـة من العـرب ونحـوهم لم يكونوا يُطيعون أميرًا عامًا على ما هو معروفٌ من سيرته).

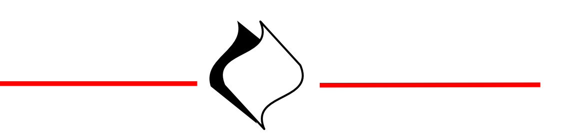
الشيخ صالح: بسـم اللـه الـرحمن الـرحيم، الحمـدُ للـه رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وسَـلَّم على نبينـا محمـد، وعلى آلـه وأصـحابه أجمعين، أما بعد؛

فهذا كما وضحناه في آخر الحلقـة السـابقة، أنَّ الخـارجين عن قبضـة الإمـام ثلاثـة أصـناف: قُطَّاع الطـرق: وهم المفسـدون في الأرض، والبُغاة والخوارج؛ وكل هؤلاء يجب مُعالجة أمرهم بمـا يُنهي فسادهم وشرهم عن المسلمين.

والنتيجة في ذلك قول النـبي صَـلَّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم: إن من فعل شيئًا من هـذه الأمـور ومـات عليـه فميتتـه جاهليـة؛ يعـني أنَّه يموت على خَصلة من خصال الجاهلية، وهذا وعيدٌ شـديد؛ لأنَّ أمـور الجاهلية مُحرمة ومنهيٌ عنهـا، وهـذا أبلـغ زاجـرٍ لهـؤلاء أن يبـادروا بالتوبــة؛ لِئلا يُــدركهم المــوت وهم على هــذه العقيــدة الفاســدة فيموتون ميتة جاهلية لا ميتة إسلامية.

364) نهي الشرع عن قتال العصبية

المذيـــــــع: قال: (ثم ذكر الذي يقاتل تعصُّبا لقومه أو أهل بلده ونحو ذلك، وسمَّى الراية عِميِّة لأنَّه الأمر الأعمى الذي لا يُدرى وجهه، فكذلك قتال العصبية يكون عن غير علمٍ بجواز قتال هذا).

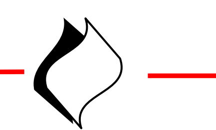


الشيخ صالح: نعم، الله جَـلَّ وَعَلَا، إنمـا شـرع القتـال لـدفع الأضرار العظيمة عن الأُمة الإسـلامية ولنشـر هـذا الـدين، فالقتـال إنما يكون لنشر الدين وإعلاء كلمة الله؛ وهذا قتال الطلب والغــزو، وإما أن يكون لدفع شر الكافر؛ وهذا يسمى قتال الـدفاع، أو قتـال الـــدفع حينمـــا يهجم على المســـلمين من يُريـــد إفســـاد بلادهم والاستيلاء على بلادهم أو على شيءٍ من مصالحهم، وقد يكون هـذا الصائل من الكفار فيُقاتَل قتال دفعٍ لشره.

وقد يكون من المسلمين؛ هذا الصائل قد يكون من المسلمين، إمـا من الخــوارج وإمـا من المعتزلــة وإمـا من اللصــوص وقُطَّاع الطرق، هو مسلم لكنه صال على المسـلمين واعتـدى عليهم فهـذا يجب قتاله كفًا لشره، وقطعًا لدابر الفتنة.

وقد يكون المقاتل يقاتل حميِّة وعصبية لقومه -ولو كانوا على باطل-؛ فإنَّ الواجب كما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم-: «انصُـر أخاَكَ ظَالمًا أو مَظلومًا، قالوا: يا رسولَ الله، ننصُرهُ مظلومًا فكَيفَ ننصُره ظَالِمًا؟ قال: أن تكفُـه عن الظُلم فـذلك نصـره»، فـإذا رأيت من قبيلتك أو من قريبك أنَّه بـاغٍ ومعتـدٍ لا يجب عليـك أن تسـاعده؛ بل يجب عليك أن تكفه عن العدوان، فإن أبى فإنك تعـتزل عنـه ولا تساعده على العدوان، فإن ساعدته فهذا من باب العصبية ومن باب الرايــة العَميِّة والجاهليــة، وأنت تكــون متصــفًا بصــفة من صــفات الجاهلية، الذين يقاتلون للعصبيّات، فالقتال في الإسلام إنما يكـون لأحد هذه الأغراض: إمـا لنشـر الـدين وإعلاء كلمـة اللـه في الأرض، وإمـا لـدفع العـدوان سـواءً كـان من الكفـار أو من المعتـدين على المسلمين.

وأما أن يكون القتال لسفك الدماء والعصبيات، وانتصار طائفة على طائفة، فهذا من أمور الجاهلية، ولهـذا قـال سُـبْحَانهُ وَتَعَـالَى: ﴿وَإِن طَائِفَتَـانِ مِنَ الْمُـؤْمِنِينَ اقْتَتَلُـوا فَأَصْـلِحُوا بَيْنَهُمَـا فَـإِن بَغَتْ إِحْـدَاهُمَا عَلَى الأُخْـرَى فَقَـاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْـرِ اللَّهِ فَــإِن فَــاءتْ فَأَصْــلِحُوا بَيْنَهُمَــا بِالْعَــدْلِ وَأَقْسِــطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِين (9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: 9-100]، أصلحوا بين أخـويكم﴾ وانظـر كيـف جعلهم أخـوين المُعتـدي والمُعتدَى عليـه، وأمرنـا بالإصـلاح بينهم، فلا نتعصـب مـع المعتـدِّي



ونعتبر المُعتدَى عليه أنه ليس أخًا لنا، هـذه عصـبية، كلاهمـا أخٌ لنـا، المُعتدِي والمُعتدَى عليه، فالواجب أن نُسـوي الـنزاع بينهمـا ونُنهي الخلاف، أما أننا ننضم إلى المُعتدِي فهذا هو العصبية، وإذا انضـممنا إلى المُعتدَى عليـه فهـذا من بـاب دفـع الظلم ﴿فَـإِن بَغَتْ إِحْـدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْـرِ اللَّهِ﴾ [الحجـرات: 9].

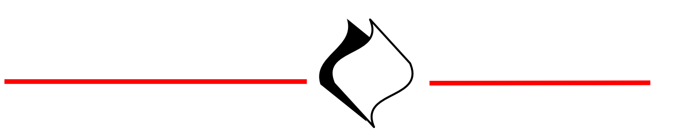
365) قَتلة المقتول قِتلة جاهلية سواء غضب بقلبه أو دعا بلسانه أو ضرب بيده

المذيـــــــع: أحسن اللـه إليكم، قـال -رَحِمَـهُ اللـهُ-: (وجعـل قَتلة المقتول قِتلـة جاهليـة سـواءً غضـب بقلبـه أو دعـا بلسـانه أو ضرب بيده).

الشيخ صالح: نعم، الذي ينتصر للباطل ويُساعد الظالم -هذا إذا مات على هذه الخصلة-؛ فإنه يموت ميتـة جاهليـة، سـواءً ضـرب بيـده وشـارك في البطش، أو بلسـانه؛ ناصـر المظلـوم بلسـانه، أو حتى بقلبـه ولـو لم يتكلَّم بلسـانه، فهـذا إذا مـات على إحـدى هـذه الخِصـال فإنَّه يمـوتُ على أمـرٍ من أمـور الجاهليـة، وهـذا يجب أن يتفطَّن لـه الآن من يُناصـرون هـؤلاء المُخـرِّبين الـذين يُفجّـرون ويروِّعـون ويسـفكون الـدماء ويروِّعـون النـاس، ويفسـدون في الأرض؛ هنـاك من يُـؤديهم بـالكلام أو حـتى بالنيـة والقصـد، ولا يُخطِّئهم، فهـذا يـدخل في هـذا الحـديث ويـدخل في هـذا الوعيـد؛ فعليهم أن يتنبهوا لذلك.

366) القاتل والمقتول في النار

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قال-رَحِمَهُ اللهُ-: (وقد فسَّـر ذلك فيما رواه مسـلمٌ أيضًـا عن أبي هريـرة رَضِـيَ اَللَّهُ عَنْـه، قـال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «ليأتيَنَّ على الناس زمانٌ لا يدري القاتل في أي شيءٍ قتل، ولا يـدري المقتـول على أي شـيءٍ قُتل، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قـال: الهَـرجْ، القاتـلُ والمقتـولُ في النار»).



الشيخ صالح: نعم؛ «يأتي على الناس زمان» يعني في آخر الزمان تهيج الفتنة، ويتقاتل الناس بدون رويَّة وبدون بصيرة، لا يدري القاتل فيما قتل ولا المقتول فيما قُتل؛ بل بدافع الفتنة وهياج الشر -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، والواجب على الإنسان أن يتبصَّر ولا يدخل في أمرٍ من الأمور دون تبصُّرٍ في الأمور، ومعرفة له.

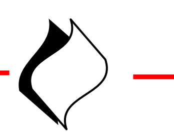
ومن ذلك أمور الفتنة، الإنسان لا يدخل فيها حتى يتروَّى ويعرف ثم يدخل فيها من باب الإصلاح لا من باب تهييج الفتنة؛ وإنما من باب الإصلاح وتسوية النزاع بين المسلمين؛ فهذا هو المطلوب، فيأتي على الناس زمانٌ تهيج فيه الفتنة -والعياذ بالله- وإذا رُفع السيف بين المسلمين فإنَّه لا يُكَف، كما أخبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم-.

ولذلك نُهي عن الفتنة وعن الدخول فيها ونُهي عن حمل السلاح على المسلمين، وفي النهاية قال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «القاتل والمقتول في النار» -والعياذ بالله-، وهذا من باب الوعيد، لا يدل على أنَّ هذا كفر، وأنَّهم في النار من باب الكفر المُخرج من الملة، وإنما يكونون في النار على حسب ذنوبهم، هذا من أصحاب الكبائر المُتوعدين بالنار.

367) بيان الخوارج على الأمة

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (والقسم الثالث: الخوارج على الأمة، إما من العُداة الذين غرضهم الأموال كقُطَّاع الطرق ونحوهم، أو غرضهم الرئاسة كمن يقتل أهل المِصر الذين هم تحت حكم غيره مطلقًا وإن لم يكونوا مقاتلة، وإما من الخارجين عن السُنَّة الذين يستحلُّون دماء أهل القبلة مطلقًا، كالحرورية الذين قتلهم عليٌّ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه).

الشيخ صالح: نعم، كما سبق أن الخارجين في الفتنة على وُلاة الأمور: إما قُطَّاع طُرق يريدون الأموال، وإما أنهم بُغاة يُريدون إنكار المُنكر -بزعمهم-، ولكنهم لم يُوفقوا إلى الطريقة الصحيحة في إنكار المنكر، وإما أنهم خوارج، رأوا أنَّ المسلمين كفارًا لارتكابهم لشيءٍ من الكبائر التي دون الكفر، فكفَّروهم بذلك



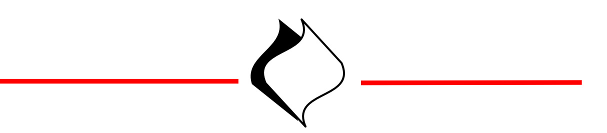
وأخذوا بظاهر بعض النصوص، ولم يردُّوا هـذه النصـوص المتشـابهة إلى النصوص المُحكمة التي تفسِّرها وتبيِّنها وتقيِّدها وتـبيِّن المـراد منها؛ وهذا لجهلهم أو لهواهم، قد يكون عالمًا ولكنه صـاحب هـوى، فيريد إثارة الفتنة ويقول للناس: إنني أستدِّل بـالقرآن، والحقيقـة أنه لم يستدِّل بالقرآن، لو استدَّل بالقرآن لاستدَّل به كلّه وردَّ بعضه إلى بعض، فإنَّ كلام اللـه حـق: يفسـر بعضـه بعضًـا، ويوضِّـح بعضـه بعضًا، فإذا أخذت بطرفٍ منه وتركت الطرف الآخر فأنت لم تسـتدل القرآن؛ وإنما استدللت بالمتشابه الذي من استدل به فهو من أهـل الزيغ، كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَـا تَشَـابَهَ مِنْـهُ﴾ [آل عمـران: 7]، أمـا الراسـخون في العلم فـيردُّون المتشـابه من المُحكم، ويقولـون: ﴿آمَنَّا بِـهِ كُـلٌّ مِّنْ عِنـدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7].

فإذا كان الدليل الذي معـك تقـول: هـذا من عنـد اللـه، الـدليل الثاني أيضًا أليس هو من عند الله؟ فلماذا ترد الدليل الثـاني وتأخـذ الدليل الذي يصلح لهواك ومقصدك؛ هذا زيغ -والعياذ بالله-.

368) تسمية النبي للمِيتة والقِتلة؛ جاهلية، من باب الذم لها والنهي عنها

المذيـــــع: أحسن الله إليكم، قـال -رَحِمَـهُ اللـهُ-: (ثم إنَّه -صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم-، سـمَّى الميتـة والقِتلـة ميتـةً جاهليـة وقِتلـة جاهلية، على وجه الذم لها والنهي عنهـا؛ وإلا لم يكن قـد زجـر عن ذلك).

الشيخ صالح: نعم، كما أوضحنا سابقًا أن كونه من أهل النار أو أنه يموت ميتة جاهلية أو قِتلة جاهليـة، ليس معنـاه أنَّه خـرج من الإسلام إلى الكفر وصار مثل أهل الجاهلية الخالدين المُخلـدين في النار، وإنما معنى هذا الزجر عن هذه الجرائم، وأنهـا نـوعٌ من أمـور الجاهلية ومن أنواع الكفر، وأن صاحبها متوعـدٌ بالنـار، فقـد يـدخل النــار أُنــاسٌ من المسـلمين ومن المؤمـنين بـذنوبهم من الكبـائر ويُعذبون بهـا في نـار جهنم، وقـد يطـول بقـاؤهم في جهنم، وقـد



يحترقون ويكونون فحمًا ويخرجون فحمًا من النـار لطـول تعـذيبهم فيها وهم مؤمنون، بسبب الكبائر التي ارتكبوها واقترفوها.

ومن هؤلاء: الخوارج، والبغاة، والذين يقاتلون للعصبية، وأمـور الجاهليـة، هـؤلاء إذا مـاتوا، مـاتوا مِيتـة جاهليـة أو قِتلـة جاهليـة، والقاتل والمقتول في النار؛ وهذا من باب الوعيد والـذم والتغليـظ في هذا الأمر.

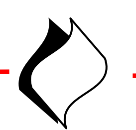
369) ما أُضيف إلى الجاهلية من مِيتة أو قِتلة أو نحو ذلك فهو مذموم

المذيــــــع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (فعُلم أنه كـان قـد قـرر عنـد أصحابه أن ما أُضيف إلى الجاهلية من مِيتة أو قِتلة أو نحو ذلك فهو مذمومٌ منهيٌ عنه، وذلك يقتضي ذم كل ما كان من أمور الجاهليــة؛ وهو المطلوب).

الشيخ صالح: نعم، فهو يقرر هذه القاعدة -رَحِمَـهُ اللـهُ- أن كل ما كان من أمور الجاهلية فهو مذموم منهيٌ عنه، وكونه يقـول: هذا جاهلية، هذا جاهلية، هذا جاهلية؛ هذا دليل على أنَّه مُتقررٌ عنــد أصحابه: أن ما كان من أمور الجاهلية فهو مذموم وإن لم يقل لهم: هذا مذموم، يكفي قوله: هذا من أمور الجاهلية.

370) قصة أبو ذر مع عمَّار بن ياسر

المذيــــــع: قال: (ومن هذا مـا أخرجـاه في الصـحيحين عن المعرور بن سُويْد، قال: رأيتُ أبا ذرٍ عليه حُلّة، وعلى غلامـه مثلهـا، فسألته عن ذلك، فذكر أنَّه سابَّ رجلًا على عهـد رسـول اللـه صَـلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، فعيَّره بأمه، فـأتى الرجـل النـبي صَـلَّى اللهُ عَلِيـهِ وَسَلَّم، فذكر ذلك له، فقال له النبي صَـلَّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم: «إنَّك امـرؤٌ فِيـك جَاهليــة» وفي روايـة: قلتُ على سـاعة هـذه من كـبر السن، قال: «نعم، هم إخوانك وخـولكم، جعلهم اللـه تحت أيـديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليُطعمه مما يأكل وليُلبسه مما يلبس، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه»).



الشيخ صالح: نعم، هذا أبو ذر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، الصحابي الجليل، الزاهد التقي النقي، المجاهد في سبيل الله -على فضله وسابقته بالإسلام-، لما قال لرجلٍ: "يا ابن السوداء"؛ عيَّره بأمه؛ لأنَّه كان مملوكًا وأمه مملوكة وأبوه مملوك، فهم أرقاء ثم أُعتق عمَّار رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، فصار حُر، فلما قال له أبو ذر -وأبو ذر من قبيلة غِفارقبيلة مشهورة ومعروفة-، قال له: "يا ابن السوداء"، غضب النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، لأنه يريد ألا يكون بين أصحابه شيءٌ من أمور الجاهلية وتفاخُرها بالأحساب واحتقار المماليك والموالي، يريد أن يُذهب هذه العادات ويصوغ الأمة صياغة صحيحة، لا يتمايز بعضها على بعض إلا بالتقوى، وأن تكون أمة متحابة كالبنيان وكالجسد الواحد.

فأنكر عليه صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، قال له: «أعيَّرته بأمه؟ إنك أمرؤٌ فيك جاهلية» يعني: خصلة من خصال الجاهلية، لأنَّ من خصال الجاهلية -كما سبق وتكرّر- التفاخر بالأنساب، عند ذلك أبو ذر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، خاف من هذه الخصلة فصار يبغضها ويبتعد عنها، حتى أنَّه صار له مملوك، فخرج به وعليه لِباسٌ وحُلة مثل لباس أبي ذر، فعلى المملوك مثل لباس المالك لا يتميّز عنه، فسُئل عن ذلك فذكر القصة وذكر الحديث الذي حصل منه -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه-، وأنه نادمٌ على ما حصل منه، وهو يبادرُ إلى العمل بقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، حين قال له: «إخوانكم خولُكُم» يعني: خدمكم، قال: إخوانكم، فهو خادمٌ لك وهو أخوك، أخوك في النسب؟ لا، أخوك في الإسلام، والإسلام أعلى من النسب.

«إخوانكم خوَلُكُم، جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه»، انظر، كرَّر صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، الأخوة: من كان أخوه تحت يده فليُطعمه مما يأكل ويُلبسه مما يلبس، ولا يشق عليه من العمل ولا يكلفه من العمل ما لا يُطيق؛ فهذا من حُسن التعامل في الإسلام وعدم التمايز بين المسلمين، حتى بين المالك والمملوك، وبين السيد والعبد، لا يتميَّز عليه بالمظهر؛ حتى في المظهر واللباس، فكيف بغيره؟

371) قول النبي لأبي ذر: فيك جاهلية، ذمٌ لتلك الخصلة

المذيـــــــــع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (ففي هذا الحديث أنَّ كل ما كان من الجاهلية فهو مذموم، لأن قوله: «فيك جاهلية» ذمٌ لتلك الخصلة، فلولا أن هذا الوصف يقتضي ذم ما اشتمل عليه، لما حصل به المقصود).

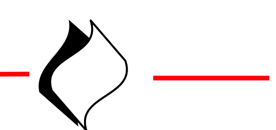
الشيخ صالح: نعم، قوله: «فيك جاهلية» الصحابة يفهمون: أن ما كان من الجاهلية فهو مذموم، فأبو ذر فهم هذا، ولذلك ندم لما قال له: «إنَّك أمرؤٌ فيك جَاهلية» ندم ما حصل منه وعرف أنَّه أخطأ؛ فطلب من الرجل الذي تكلم فيه، طلب منه المسامحة، وطلب منه أن يعفوَ عنه، وعدَّل في المستقبل كما حصل له مع مملوكه كما في الحديث؛ فهذا دليل على أنَّ الصحابة مُتقررٌ عندهم أنَّ كل ما كان من أمور الجاهلية فهو مذموم، فإذا قال الرسول: هذا من أمور الجاهلية؛ كفى ولم يحتَج إلى أن يقول هذا محرم أو هذا منهيٌ عنه.

372) التعيير بالأنساب من أخلاق الجاهلية

المذيـــــــــع: قال: (وفيه أنَّ التعيير بالأنساب من أخلاق الجاهلية).

الشيخ صالح: نعم، التعيير بالأنساب، أن تقول: هذا قبيلي وهذا غير قبيلي، هذا ليس له نسب، هذا ليس عربي، وما أشبه ذلك؛ هذا من أمور الجاهلية، بل الواجب أنَّ المسلمين إخوة لا ميزة لبعضهم على بعضٍ إلا بالتقوى، أما معرفة النسب مجرد معرفة يتعارفون؛ فلا مانع من ذلك، ولهذا تعلُّم الأنساب هذا لا بأس به، أن تعرف أنَّ هذا من القبيلة الفلانية، وهذا من القبيلة الفلانية؛ لا من أجل الفخر وإنما من أجل التمييز بين القبائل والتعارف بينها من أجل التواصل، ومن أجل الترابط الإيماني -لا الترابط الجاهلي-.

فمعرفة الأنساب لمجرد المعرفة فقط والاطلاع فقط، أمرٌ لا بأس به، ولهذا كان من الصحابة نسَّابين كأبي بكر الصديق، رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، وكان من العلماء نسَّابين؛ يعرفون الأنساب، وكتب



الأنساب الآن معروفة ومطبوعة ومُتداوَلة، لا من باب الفخر وإنما هو من باب التعارف بين الناس، وأما الفخر بالأنساب فهذا من أمور الجاهلية.

المذيـــــع: التعارف مثل أي تعارف من أمور حياته، معرفة المدن والشوارع والوديان والجبال، فقط كذا؟

الشيخ صالح: يتعارفون من جهة قبائلهم وأنسابهم وأنَّ فلانًا من القبيلة الفلانية وليس من القبيلة الفلانية، هذا فيه مصالح: حتى من ناحية المواريث ومن ناحية الولاية في النكاح، ونحو ذلك.

المذيـــــع: والديات

الشيخ صالح: نعم، والديات والعاقلة.

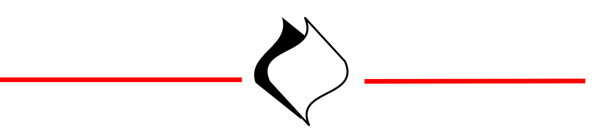
المذيـــــع: إذن إذا أشار لشيءٍ من ذلك من التعيير بالأنساب –مثلما أشرتم- هذا أبوه شريف أو أبوه وضيع أو من قبيلة كذا.

الشيخ صالح: لا، ما يجوز أن يقول هذا أبوه وضيع.

المذيـــــع: هو يأثم لو قال هذا الأمر، من قبيلة كذا أو قبيلي أو غير قبيل؛ أدرك إثمًا، لكن لو أجلَّه في قلبه معفو عنه، أما إذا نطق فقد أصاب شيئًا من أوصاف الجاهلية.

الشيخ صالح: إذا قاله هذا من باب الغمط للشخص؛ فإنه يأثم بذلك، وأما إذا لم يقله من باب الغمط وإنما من باب البيان فقط، فهذا لا بأس به.

373) قد يكون في الرجل مع علمه وفضله، بعض خصال الجاهلية، ولا يوجب ذلك كفره أو فسقه



المذيـــــــع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (وفيـه أنَّ الرجـل مـع فضـله وعلمه ودينه، قد يكون فيه بعض هذه الخصال المسـماة بجاهليـة أو بيهودية ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه).

الشيخ صالح: من هـو الـذي أفضـل من أبي ذر، رَضِـيَ اَللَّهُ عَنْه، الصحابي الجليل؟ الذي له المواقـف المشـهورة في الإسـلام، من هـو أفضـل منـه غـير الخلفـاء الراشـدين والعشـرة المبشـرون بالجنة؟ فهو من السابقين الأولين، ومع هذا قال فيـه النـبي صَـلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: «إنك أمـرؤٌ فيـك جاهليِـة» فـدل على أن فيـه وإن كان من أهل الفضل والعلم، قد يكون فيه شيء من أمور الجاهليـة لأجل أن يتخلَّى عنها؛ لأنَّ الإنسان بشـر يُخطئ ويصـيب، مهمـا بلـغ من الفضل؛ فإنه غير معصوم من الخطأ.

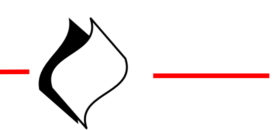
ولذلك أثَّرت هـذه الكلمـة على أبي ذر، رَضِـيَ اَللَّهُ عَنْـه، فتـاب منها وأبغضها وتركها، وهذا مراد الرسول صَـلَّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم، ودل هذا على فائدتين:

- **أن الرجل وإن كان من أهل الفضل والعلم والدين، أنه قد يقع في شيء من الخطأ، فيُنبَّه عليه من أجل أن يتداركه.**
- **الفائـدة الثانيـة: فيـه أنـه لا يجـوز أن يُتعـاير بالأنسـاب، وغمط الناس بأنسابهم؛ وأنَّ هذا من أمور الجاهلية.**
- **والفائدة الثالثة: أنَّه ليس من كان فيـه خصـلة من خصـال الجاهلية، يكـون كـافرًا، ويكـون جاهليًّا تمامًـا؛ وإنمـا فيـه شيء من أمور الجاهلية.**

المذيـــــــع: هذا التوازن يفقده كثير من المسـلمين اليـوم، لا يجمعون بين أن يكون صاحب فضل وعلم ودين، ثم يقع منه خطأ فيغسـلون يـديهم منـه، فيحسـبونه أنـه على فضـله ودينـه أن ذاك الخطأ لا يجب كفره ولا فسقه.

الشيخ صالح: لا، هذا من جهـل، كـون يُعتقـد أنَّ الإنسـان لا يحصل منه خطأ.

المذيـــــــع: نعم، شيخ، عالم، داعية



الشيخ صالح: وأنه إذا حصل منه خطأ تُغسل الأيدي منه؛ هذا كله من أمور الجاهلية، الإنسان يُخطئ وإن كان من أفضل الناس، يُخطئ ويُنبَّه، ولكن يجب عليه إذا نُبِّه أو تنَّبه أن يُتراجع عن هذا الخطأ، ولا يستمر عليه.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.

وصلّى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

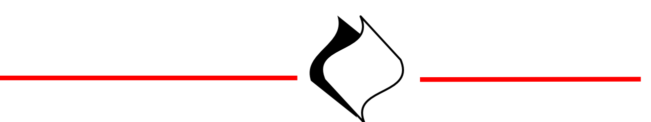
الدرس السابع والأربعون

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِ العالمين، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام؛ السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله إلى حلقةٍ جديدة في برنامج [اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] لشيخ الإسلام/ ابن تيمية، رَحِمَهُ اللهُ.

يشرحُ الكتاب في هذه الحلقات صاحبُ الفضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.



في مَطلع هذه الحلقة نُرحب بفضيلة الشيخ؛ فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

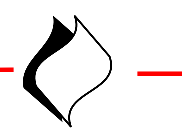
374) بيان حديث أبغض الناس إلى الله ثلاثة

المذيـــــــع: قـال المؤلـف -رَحِمَـهُ اللـهُ تعـالى- في سـياق أحاديث تذم ما كان عليه أهل الجاهلية، قال: (وأيضًا ما رواه مسـلِمٌ في صحيحه عن نافع بن جُبير بن مُطعِم عن ابن عباس، رَضِـيَ اَللَّهُ عَنْهُما، أنَّ النبي صَلَّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم، قـال: «أبغضُ النـاس إلى اللـه ثلاثـة: مُلحـدٌ في الحـرم، ومبتـغٍ في الإسـلام سُـنَّة جاهليـة، ومُطلِّب دم أمرئٍ بغير حقٍ ليُريق دمه»، قال المحقق: لم أجـده في مسلم بهذا اللفظ وإنما وجدته في البخاري).

الشيخ صالح: بسـم اللـه الـرحمن الـرحيم، الحمـدُ للـه رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وسَـلَّم على نبينـا محمـد، وعلى آلـه وأصـحابه أجمعين، أما بعد؛

فهذه أمورٌ حذر منها النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، منها مـا هـو من أمور الجاهلية وهو محل الشاهد من الحديث:

- **الأمر الأول: المُلحد في الحرم، والمُلحـد هـو الـذي يفعـل الإلحـاد والمعصـية؛ لأن الإلحـاد في اللغـة هـو الميـل، والمعصـية ميـلٌ عن طاعـة اللـه -سُـبْحَانهُ وَتَعَـالَى-، والمعصية مُحرمة في أي مكان، ولكنهـا في الحـرم أشـد؛ لأنها مع كونها معصية فهي انتهاكٌ لحُرمة الحرم فيجتمـع فيها مفسدتان؛ هذه واحدة، والله جَلَّ وَعَلَا، يقول: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم﴾ [الحج: 25].**
- **والثانية: مبتغٍ سُنَّة جاهلية، والسُـنَّة المـراد بهـا الطريقـة في اللغة، والمراد بها هنا عمل شيءٍ من أعمال الجاهلية، كالنياحـــة على الميت، كالعصـــبية للقبائـــل والأشـــخاص، وكالاستسـقاء بـالنجوم، وغـير ذلـك من أمـور الجاهليـة وخصال الجاهلية، فالـذي يُحـيي سُـنَّة من سُـنَّن الجاهليـة هذا قد ارتكب اثمًا عظيمًا لأن الإسلام جاء لمحو الجاهليـة**



وإزالتها وإبعاد الناس عنها لأنها شرٌ محض، فالذي يُحيي سُنَّة من سُنن الجاهلية يكون ذنبه أعظم.

- **والثالث: الذي يستحل دم امرئ مسلم بغير حق، أو دم مُعاهَد -وهو النفس التي حرم الله بالإسلام أو حرمها بالعهد-، فالذي ينتهك هذه الحُرمة، الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 93]، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: «مَن قَتَل مُعاهَدا لم يَرح رَائحِة الجنة وإن ريحها ليوجد مسيرة أربعين سنة» رواه البخاري.**

والشاهد من هذا الحديث من مبتغٍ في الإسلام سُنَّة جاهلية، فدل على أننا ممنوعون من كل ما يَمُتُّ إلى الجاهلية بصلة: من الأقوال والأفعال والاعتقادات، وغير ذلك.

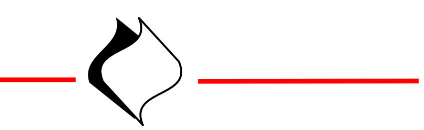
375) أقسام الفساد في الدين، وحُرمة المكان أشد من حُرمة الزمان

المذيـــع: أحسن الله إليكم، قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ-: (أخبر صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، أن أبغض الناس إلى الله هؤلاء الثلاثة؛ وذلك لأن الفساد إما في الدين وإما في الدنيا، فأعظم فساد الدنيا قتل النفوس بغير الحق؛ ولهذا كان أكبر الكبائر بعد أعظم فساد الدين الذي هو الكفر.

وأما فساد الدين فنوعان: نوعٌ يتعلق بالعمل، ونوعٌ يتعلق بمحل العمل.

فأما المتعلق بالعمل، فهو ابتغاء سُنَّة الجاهلية، وأما ما يتعلق بمحل العمل فالإلحاد في الحرم؛ لأن أعظم محال العمل الحرم، وانتهاك حُرمة المحل المكاني أعظم من انتهاك حُرمة المحل الزماني.

ولهذا حرُم من تناول المباحات ومن الصيد والنبات وفي البلد الحرام، ما لم يَحرُم مثله في الشهر الحرام).



الشيخ صالح: نعم، كما أشرنا سابقًا حول هذا الحديث، فالشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- أراد أن يوضح توضيحًا أكثر حول هذا الحديث، ويُبيِّن أن أعظم الناس جرمًا هم هؤلاء الثلاثة الذي يُحيي سُنَّةً جاهلية في الإسلام، والذي يُلحد في الحرم، والذي يقتل نفسًا محرمةً بغير حق.

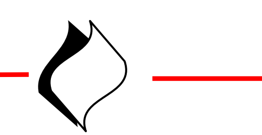
فلا شك أن قتل النفس بغير حق أنه من أكبر الكبائر بعد الشِرك، الله جَلَّ وَعَلَا، يقول: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: 151]، حرمها بالإسلام أو حرمها بالعهد.

ثم أشار الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- إلى أن المعصية في المكان المُحرم أعظم من المعصية المُطلقة في أي مكان -كما أشرنا-؛ لأنه يجتمع في ذلك جريمتان: جريمة فعل المعصية وجريمة انتهاك الحرم.

والحرم أو المُحرَّم قد يكون في الزمان كالأشهر الحُرُم، وقد يكون في المكان وهو المشاعر؛ مكة والمشاعر، فهذه حُرمات الله -عزَّ وجَلْ-، فالذي يفعل فيها جريمة يكون أشد إثمًا من الذي يفعل الجريمة في الأشهر الحُرم، وإن كان الكل محرمًا شديد التحريم، ولكن المكان المُحرَّم أعظم من الزمان المُحرَّم، بدليل أن الله حرَّم أشياء كانت مُباحة في غير الحرم كالصيد، وقطع الشجر، وأخذ العشب، اختلاء الخلاء يعني: قطع العشب وجمعه؛ الأخضر، فهذا مباحٌ في غير الحرم ولكنه في الحرم حُرم من أجل المحافظة على حُرمة الحرم، فدل على أن حُرمة المكان أشد من حُرمة الزمان.

المذيــــــع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (ولهذا كان الصحيح، أن حُرمة القتال في البلد الحرام باقية، كما دلت عليه النصوص الصحيحة، بخلاف الشهر الحرام).

الشيخ صالح: نعم، مما يدل على أن حُرمة المكان أشد من حُرمة الزمان، أن القتال في الحرم مُحرمٌ ومستمر إلى أن تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 191]، فإن قيل: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، قاتل في الحرم، قيل: هذا من خاصيته صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، وقد بيَّن صَلَّى اللهُ



عَلِيهِ وَسَلَّم، ذلك بقوله: «إنَّما أُبيحَت لي ساعةً من نهار ولم تحل لأحدٍ من قبلي» فالرسول صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، له خاصية في هذا دون غيره، فلا يجوز ابتداء القتال في الحرم.

أما قتال الدفع لمن قاتل؛ فإنه يُقاتل ولو كان في الحرم، ولو كان عند الكعبة؛ دفعًا لشره، فهذا هو التفصيل في القتال في الحرم.

وأما القتال في الأشهر الحُرُم، فالصحيح أنه منسوخ وأنه يجوز القتال في أي وقتٍ توفرت شروطه لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ [التوبة: 5]، والمراد بالأشهر الحرام -كما بين الشيخ رَحِمَهُ اللهُ- أن الأشهر الحُرُم المراد بها أشهر الفسحة ﴿فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: 2]، المهلة التي أعطاها الله للمشركين عند نبذ عهودهم، أُعطوا مهلة أربعة أشهر ثم بعدها يُقاتَلون، وهذا هو معنى قوله: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ يعني: مُهلة الإمهال لهم ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: 5].

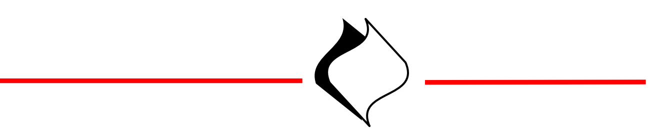
376) إحياء أمور الجاهلية قرينة الإلحاد في الحرم

المذيـــــــع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (فلهذا -والله أعلم- ذكر صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، الإلحاد في الحرم وابتغاء سُنَّة جاهلية).

الشيخ صالح: إي نعم؛ أن هذا من أشد المحرمات في هاتين الخصلتين، وكونه صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، قرن ابتغاء سُنَّة جاهلية بالإلحاد في الحرم؛ هذا دليل على شناعة إحياء أمور الجاهلية، وأنها قرينة الإلحاد في الحرم مع ما في الإلحاد في الحرم من الغلظة وشدة الإثم.

المذيـــــــع: قال: (والمقصود أنَّ من هؤلاء الثلاثة من ابتغى في الإسلام سُنَّة جاهلية).

الشيخ صالح: هذا هو محل الشاهد.



377) كل من أراد في الإسلام أن يعمل من سُنَّن الجاهلية، دخل في الحديث

المذيــــــع: (فسواءً قيل متبعٌ أو مبتغٍ فإن الابتغاء هو الطلب والإرادة، فكل من أراد في الإسلام أن يعمل شيئًا من سُنَّن الجاهلية، دخل في الحديث).

الشيخ صالح: نعم، «ومبتغٍ في الإسلام سُنَّةً جاهلية»؛ أي: من أراد أن يُحيي شيئًا من أمور الجاهلية من المسلمين فإنه من أشد الناس إثمًا عند الله سُبْحَانهُ وَتَعَالَى، سواءً دعا إليها أو فعلها بدون دعوة، بدون دعاء إليها المهم إحياؤها بالقول أو بالعمل والفعل.

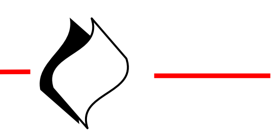
فالواجب علينا ترك أمور الجاهلية، وما كانت عليه من العوائد الباطلة والسُنَّن الضالة، لأن الله أغنانا بالإسلام عن أمور الجاهلية.

378) سُنَّة الجاهلية هي كل عادة كان عليها الناس في الجاهلية

المذيــــــع: قال: (والسُنَّة الجاهلية: كل عادةٍ كانوا عليها، فإن السُنَّن هي العادة وهي الطريق التي تتكرر لنوعٍ من الناس مما يعدونه عبادة أو لا يعدونه عبادة).

الشيخ صالح: المراد بالسُنَّة الجاهلية: ما عليه أهل الجاهلية من العادات والتقاليد؛ سواءً من الأقوال أو من الأفعال، وسواءً اعتبروه عبادة أو اعتبروه من باب العادة؛ فإننا ممنوعون من التشَبُّه بهم؛ لأن هذا يُعلق القلوب بالجاهلية، وربما أنه يفتح الباب لتغيير أحكام الإسلام وإحداث أمور الجاهلية مكانها، ولهذا قال أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب -رَضِيَ اَللَّهُ تعالى عَنْه-: "تُنقَض عُرى الإسلام عُروة عُروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف جاهلية".

فالناس يحنون -مع الجهل ومع طول الزمان- يحنون إلى أمور الجاهلية، ولذلك تجدهم الآن يحنون إلى إحياء الآثار والتراث وما أشبه ذلك؛ هذا ليس عبثًا وإنما هذا بدافعٍ من الشيطان ومن دُعاة الضلال، فإنهم إذا أحيَوْا آثار الجاهلية وأمكنة الجاهلية؛ فإن هذا



يجر إلى إحياء سُنَّن الجاهلية، فينبغي سد هذا الباب نهائيًا وأن نعرف خُطط الأعداء الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر، فهم يأتونهم من هذه النواحي.

المذيــــــع: أشرتم يا شيخ إلى أن ذلك سببًا لتعلق القلوب بالجاهلية.

الشيخ صالح: نعم، هو كذلك، يعني تعظيمهم وتعظيم ما كانوا عليه، وأن يقال: هذا من مآثر الأسلاف ومن كذا ومن كذا.

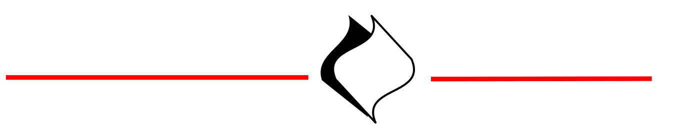
المذيــــــع: حضارتنا السالفة.

الشيخ صالح: الحضارة نعم، الحضارات، نحن أغنانا الله بالإسلام عن كل شيء، فما كان في الإسلام فهو المطلوب منا، ومن كان ليس في الإسلام فإننا نتركه ونرفضه رفضًا تامًا.

379) تحريم متابعة أي شيء من سُنَّن الجاهلية

المذيــــــع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (مما يعدونه عبادة أو لا يعدونه عبادة، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ﴾ [آل عمران: 137]، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «لتتبعُن سُنَّن من كان قبلكم» والاتباع هو الاقتفاء والاستماع، «فمن عَملَ بِشيءٍ مِن سُنَّنهم فقد اتَّبعَ سُنَّة جاهلية»، وهذا نصٌ عام يُوجب تحريم متابعة كل شيءٍ من سُنَّن الجاهلية -في أعيادهم وفي غير أعيادهم-).

الشيخ صالح: الله -تعالى- أمر بالسير في الأرض للنظر في آثار الدمار الذي حصل على الكفار من أجل الاتعاظ والابتعاد عن أعمالهم؛ لئلا يصيبنا ما أصابهم. فالنظر في آثار الكفار من أجل الاعتبار والاتعاظ هذا مطلوب ﴿فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ﴾ [آل عمران: 137]، ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [القصص: 58]، فالواجب الاعتبار والاتعاظ، ولهذا لما مرَّ الصحابة رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهم، في طريقهم إلى غزوة تبوك، مرُّوا بديار ثمود قال النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، لهم: «لَا تَدخُلوا



عَلى هَـؤلاِءِ المُعـذَبينَ إلا أن تَكونـوا بَـاكينَ أن يُصـيبَكُم مِثـلَ مَـا أصَـابهُم»، فـالنظر في هـذه الآثـار من بـاب الاعتبـار والاتعـاظ والتذكير، هذا أمرٌ مطلوب.

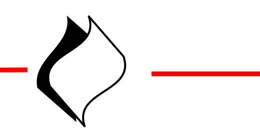
أما النظـر فيهـا من بـاب الإعجـاب وأن هـذه حضـارة وأن لنـا تاريخًا قديمًا ومجيدًا، فهذا من الاغترار بأمور الجاهلية.

المذيـــــع: قال: (وهذا نصٌ عام يـوجب تحـريم متابعـة كـل شيءٍ من سُنَّن الجاهلية في أعيادهم وفي غير أعيادهم).

الشيخ صالح: نعم، قـال صَـلَّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم: «لتتبعُنَّ سُنن» أو «سَنن مَن كَانَ قَبلكُم» هذا من باب التحذير، إخبـارٌ معنـاه التحذير والنهي عن اتباع سُنَّن الجاهلية، ومن ذلك سُنَّة الأعياد، فما اعتاد الجاهلية أن يجعلوه عيدًا مكانيًا أو زمانيًا؛ فإننا منهيّـون عنـه، ولهذا لما جاء رجلٌ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، يستفتيه، قـال إنه نذر أن ينحر ابلًا ببوانة -اسم موضع- فقال له النـبي صَـلَّى اللـهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: «هَل كَانَ فِيهَـا وَثنٌ مِن أوثـانِ الجَاهليـةِ يُعبَـد» يعـني: هل كان فيها؛ في الزمان الماضي؟ «قَالَ: لَا، قَالَ: هَـل فِيهَـا عِيـدٌ مِن أعيَـادهُم؟ قَـالَ: لَا، قَـالَ: أوفِ بِنـذرَك»، فـدل على أن أعيـاد الجاهلية لا يجوز إحياؤها أو موافقتهم فيها -حتى ولو لم يُقصَد هذا الشـيء-، ولـو كـان الـذابح يـذبح للـه لكن إذا ذبح في مكـانٍ كـانت الجاهلية تعظمه وتذبح فيه فإنَّ في هذا تشبهًا بهم، وفتحًا للذريعـة للتشّبه بهم وفعل مثـل أفعـالهم، ودين الإسـلام جـاء بسـد الـذرائع التي تُفضي إلى الشِرك وإلى البدعة.

380) لفظ الجاهلية قد يكون اسمًا للحال وقد يكون اسمًا لذي الحال

المذيـــــع: أحسن اللـه إليكم، قـال -رَحِمَـهُ اللـهُ-: (ولفـظ الجاهلية قد يكون اسمًا للحـال والغـالب في الكتـاب والسُـنَّة، وقـد يكون اسـمًا لـذي الحـال، فمن الأول قـول النـبي صَـلَّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَلَّم، لأبي ذر: «إنك أمرؤٌ فيك جاهلية» وقـول عمـر: "إني نـذرتُ في الجاهليـة أن أعتكـف ليلـة"، وقـول عائشـة: "كـان النكـاح في الجاهلية على أربعةِ أنحاء"، وقولهم: يا رسول الله، كنا في جاهليـة



وشر، أي: في حال جاهلية، أو طريقة جاهلية، أو عادة جاهلية، ونحو ذلك).

الشيخ صالح: نعم، الجاهلية هو ما كان عليه الناس قبل البعثة، هذا هو الجاهلية، ولا سيما العرب والأميون فإنهم لم يكونوا على شيءٍ أصلًا؛ بل كانوا على عاداتٍ وتقاليد ابتدعوها وعلى كُفرٍ وشِركٍ بالله عزَّ وجَلْ، فالإسلام جاء بإزالة كل ما كان من أمور الجاهلية.

والجاهلية قد تكون صفة وقد تكون مكان أو حال من تلك الأحوال، فالجاهلية تتنوع، ومن الأول قوله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: «إنَّك امرؤٌ فِيكَ جَاهِلية»؛ يعني: فيك خصلة من خصال الجاهلية، وهي الطعن في النسب، لما طعن في نسب أحد الصحابة؛ لكونه مولى من الموالي، فهذه أعده النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، من أمور الجاهلية، الطعن بالأنساب من أمور الجاهلية، والفخر بالأحساب.

والثاني: الحال وهو ما كان من أحوال الجاهلية، سواءً في عباداتهم أو في عاداتهم الخاصة بهم أو نحو ذلك.

381) بيان الحال وذي الحال في الجاهلية

المذيع: قال: (فإن الجاهلية وإن كانت في الأصل صفة، لكن غلب عليها الاستعمال حتى صار اسمًا، ومعناه قريبٌ من المصدر.

وأما الثاني: إرادة ذي الحال، فتقول: طائفةٌ جاهلية وشاعرٌ جاهلي، وذلك نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم).

الشيخ صالح: نعم الشاعر الجاهلي: هو ما كان قبل الإسلام، كامرؤ القيس والنابغة الذبياني، والأعشى، ميمون بن قيس وغيرهم من شعراء الجاهلية، يُقال: شاعرٌ جاهلي، أي أنه عاش في الجاهلية ولم يدرك الإسلام، أو أدرك الإسلام ولكنه لم يُسلم كالأعشى فإنه عاش وأدرك الإسلام وأراد أن يُسلم لكن صدَّه المشركون ومات على الجاهلية -والعياذ بالله-.

الحاصل أنَّ الجاهلية تُطلق على الحال، فالحال الذي عاش فيها هؤلاء جاهلية، فلهذا يُسمّون بالجاهليين، شاعرٌ جاهلي.

382) إن لم يعلم الحق فهو جاهل بسيط وإن اعتقد خلافه فهو جاهل مركب

المذيع: قال: (وذلك نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم، فإن من لم يعلم الحق فهو جاهلٌ جهلًا بسيطًا، فإن اعتقد خلافه فهو جاهلٌ جهلًا مركبًا).

الشيخ صالح: نعم، الجاهلية مأخوذةٌ من الجهل، وهو عدم العلم؛ لأنهم كانوا قبل بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، في ضلالٍ مبين -كما أخبر الله عزَّ وجَلْ-، ليسوا على علم لا من هدي الأنبياء ولا من غير ذلك بل كانوا على جاهلية منقطعة عن الرسالات، ولذلك سُميت بالجاهلية لعدم العلم فيها، هذه هي الجاهلية.

والجهل على قسمين:

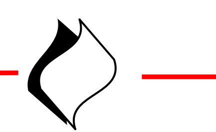
- **جهلٌ بسيط.**
- **وجهلٌ مُركّب.**

الجهل البسيط، هو عدم معرفة الحق، وهذا أقرب إلى قبول الحق، قد يكون ارتكب الخطأ لأنه لا يعرف الحق، فإذا بُيَّن له الحق قَبِله، هذا هو الجاهل البسيط.

الثاني: الجهل المركب، وهو الذي يجهل ويجهل أنه يجهل، أو لا يعلم ولا يدري أنه لا يعلم بل يظن أنه عالم، هذا هو الجهل المركّب، وهذا أشد -والعياذ بالله،- هذا أشد أن يكون الإنسان يعلم أنه على جهل ولكن لا يعترف بذلك.

383) مَنْ قال خلاف الحق عالمًا بالحق أو غير عالم فهو جاهل

المذيع: قال: (فإن قال خلاف الحق -عالمًا بالحق أو غير عالم-، فهو جاهلٌ أيضًا).



الشيخ صالح: إذا قال بخلاف الحق فهو جاهل سواءً أكان جهلًا بسيطًا أو جهلًا مركبًا، لكن الجهل المركب أشد من الجهل البسيط؛ لأن الجاهل البسيط يقبل التوجيه، وأما الجاهل المركب فلا يقبل التوجيه -في الغالب-، فهو أشد.

المذيـــــــع: قال: (كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا﴾ [الفرقان: 63]).

الشـــيخ صـــالح: من صــفات عبــاد الــرحمن أنهم إذا خــاطبهم الجاهلون، والمراد بالجهل هنا: عـدم العلم، عـدم الحلم، قـالوا؛ أي عباد الـرحمن: سـلامًا؛ أي لا يـردون عليهم بالمثـل، وإنمـا يقولـون قولًا فيه سلامتهم من أن يجهلوا مثل هؤلاء؛ فهذا من صفات عبــاد الرحمن.

المذيـــــــع: (وقال النبي صَلَّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم: «إذا كـان أحدكم صائمًا فلا يرفث ولا يجهل»).

الشيخ صالح: «إذا كَانَ أحدَكُم صَائِمًا فَلاَ يَـرفَث»؛ والـرفث: هو المعصية أو هو الجِماع ودواعيه، فالصائم ممنـوعٌ من ذلـك: يـدع شهوته وطعامه وشرابه من أجل الله سُبْحَانهُ وَتَعَالَى، «وَلَا يَجهَـل» يعني: لا يـأتي بشـيءٍ من الجهـل وهـو خلاف العلم، وخلاف الحـق، كالشتم والسبْ والغيبة والنميمة وغير ذلك.

المذيـــــــع: قال: (ومن هذا قول بعض شعراء العرب:

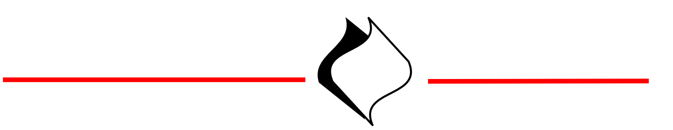
ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

وهذا كثير).

الشيخ صالح: كقول عمرو بن كلثوم التغلبي، في معلقته:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

ليس المراد بالجهل هنا عدم العلم؛ وإنما المـراد بالجهـل هنـا: عدم الحِلم، يعني: لا يبغي أحـدٌ علينـا أو يتعـدَّى أحـدٌ علينـا فنجهـل عليه أكثر من جهلـه، وهـذا من بـاب التهديـد، وهـو ذم بلا شـك، أن الجهل سواءً أكان جهلًا بسيطًا أو مركبًا، فهو مذموم.



المذيــــــــع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيرًا.

وصلّى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثامن والأربعون

المذيــــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِ العالمين، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام؛ السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلًا وسهلًا بكم إلى حلقةٍ جديدة في برنامج [اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، رَحِمَهُ اللهُ.

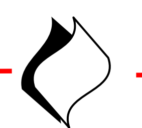
يشرحُ الكتاب في هذه الحلقات صاحبُ الفضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مَطلع لقاءنا نُرحب بشيخنا الكريم؛ فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

384) من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق

المذيــــــــع: في الحلقة السالفة، ذكر المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تعالى- في النسبة إلى الجهل، أنه هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم، وأن من لم يعلم الحق فهو جاهل، فإن اعتقد خلافه فهو جاهلٌ جهلًا مركبًا، وإن قال خلافه فهو جاهلٌ أيضًا.



ثم قال: (وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل، وإن علم أنه مخالفٌ للحق، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء: 17]، قال أصحاب محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: كل من عمل سوءاً فهو جاهل).

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وسَلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا استمرارٌ من الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- في بيان الجهل، وأنه ينقسم إلى قسمين:

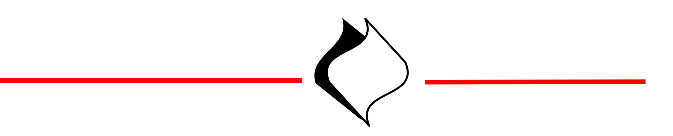
- جهلٌ بسيط، وهو عدم معرفة العلم.

- وجهلٌ مركب، وهو العمل بخلاف العلم، وإن كان يعلمه، ومن ذلك قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: 17]، هذا من النوع الثاني، وهو من مخالفة العلم، وإن كان يعلمه لأنَّ العاصي يعلم أنَّه عاصي؛ ولكن دعته شهوته والشيطان ودُعاةُ السوء إلى أن يرتكب المعصية وهو يعلم أنها معصية.

أما لو كان لا يدري أنها معصية؛ وهو الجاهل البسيط؛ فهذا لا يُذم ولا عقوبة عليه حتى يتبيَّن له ذلك؛ لأنه معفوٌ عنه بالجهل، فالجاهل معفوٌ عنه حتى يتبيَّن له الحق: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: 15]، فالذي يعصي الله جاهل، جاهلٌ ولو كان عالمًا؛ بل إنَّ معصية العالم أشد لأنها مخالفة للعلم، فهذا جهلٌ منه، جهلٌ نفسيٌ منه. وأسبابه كثيرة، منها: دُعاة الضلال، ومنها دعوة الشهوة، ومنها وسوسة الشيطان، وغير ذلك، وهو يعلم أنه على جهل وأنه على خطأ.

385) كل من عمل سوءاً فهو جاهل

المذيـــــع: (قال أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: "كما من عمل سوءاً فهو جاهل").



الشيخ صالح: إي نعم، سواءً أكان جهلًا بسيطًا؛ وهذا كما ذكرنا لا يُؤاخذ حتى يعلم، أو كان جهلًا مركبًا: وهو أنه يعلم أنه مُخطئ، ولكنه حمله ما حمله على ارتكاب ما ارتكب من المخالفة.

386) العلم الحقيقي يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل

المذيـــع: قال: (وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قولٍ أو فعل).

الشيخ صالح: نعم، العلم على قسمين أيضًا:

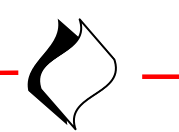
- العلم الراسخ في القلب: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: 7]، رسوخ العلم في القلب، هذا يمنع من إتيان المعاصي.

- والقسم الثاني: علمٌ لم يرسخ في القلب، وإنما يكون علمًا في اللسان فقط، أو علمًا على اللسان والقلب؛ لكنه لم يتمكن من القلب فبحسب عدم تمكنه من القلب يقع الإنسان في المعصية ولو كان عالمًا، بسبب نقصان علمه -علم البصيرة-.

ولهذا فإن العلم ينقسم إلى قسمين: علمٍ في القلب، وعلمٍ باللسان، والله -جَلَّ وَعَلَا- يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، العلماء في القلب والبصيرة؛ لا العلم باللسان، قد يكون الإنسان عالمًا باللسان حافظًا للمتون والشروح وحافظًا للسُنَّن والقرآن فبلسانه عالم؛ لكن لم يترسَّخ العلم في قلبه، فهذا هو الذي يكون عُرضَةً للأخطاء وعرضة للذنوب والمعاصي؛ لأن العلم لم يتمكن من قلبه، أما الأول إذا تمكن العلم من قلبه؛ فهذا لا يصدر منه إلا خشية الله سُبْحَانهُ وَتَعَالَى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

387) إذا حصل خلاف العلم الحقيقي فلا بُد من غفلة في القلب

المذيـــع: قال: (فمتى صدر خلافه)؛ أي: خلاف العلم الحقيقي (فلا بُد من غفلة في القلب عنه أو ضعفٍ في القلب



بمقاومة ما يعارضه، وتلك أحوالٌ تناقض حقيقة العلم؛ فيصير جهلًا بهذا الاعتبار).

الشيخ صالح: نعم، الراسخ في العلم هذا لا يصدر منه مخالفة في الغالب، قد يصدر منه إذا غفل، لكنه يرجع قريبًا ويتوب إلى الله عزَّ وجَلْ، لأن دافع العلم الذي في قلبه يحمله على التوبة إلى الله عزَّ وجَلْ، أما الذي لم يتمكن العلم مع قلبه فهذا عُرضةٌ لأن يذهب مع الأهواء ومع الرغبات ومع الشهوات، فلذلك ما كل عالم يحصل على مرتبة خشية الله عزَّ وجَلْ، والرسوخ؛ رسوخ القدم في الإيمان.

388) بيان معنى مُستحق الإيمان

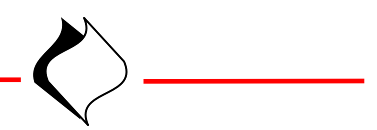
المذيع: قال: (ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مستحق الإيمان -حقيقة لا مجازًا-).

الشيخ صالح: هذه قضية مهمة جدًا، وهي الإيمان، ماذا يُراد به؟ تلك قضية شغلت بال كثيرٍ من الناس -قديمًا وحديثًا-، وهي واضحة في الكتاب والسُنَّة، فالإيمان في اللغة هو: التصديق الذي معه ائتمانٌ للمخبئ، هذا في اللغة.

لكن الإيمان في الشرع يختلف عن ذلك، فالإيمان في الشرع يكون: هو التصديق بالقلب والنطق باللسان والعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ هذا هو تعريف الإيمان وهو حقيقة شرعية ليس حقيقة لغوية، والحقائق -كما هو معلوم- ثلاث:

- **حقيقة لغوية.**
- **وحقيقة شرعية.**
- **وحقيقة عرفية.**

فالإيمان هنا يُراد به الحقيقة الشرعية، فالإيمان في الشرع هو المكون من هذه الأمور، ولا يتحقق ببعضها دون البعض الآخر، فلا إيمان إلا بمجموع هذه الأمور: النطق باللسان، والاعتقاد بالقلب، والعمل بالجوارح: فالذي يعتقد بقلبه ولا ينطق بلسانه؛



هـذا كـافر، فالإيمـان بـالقلب لا يكفي وإن قـال بـه من قـال من المُرجئة فإنَّ المشركين يعـترفون بقلـوبهم بصـدق الرسـول صَـلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، ولكن يمنعهم من اتباعـه الكـبر والحسـد أو الحميِّة لدينهم، ولهذا قال تعالى فيهم: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33]، فالذي منعهم هو الجحود؛ مع اعترافهم بقلوبهم بأنه رسول الله.

وقال في النصارى واليهـود: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146]، وقال أبو طالب؛ عم الرسول صَـلَّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم، معترفًا بأنه على حق، ولكن منعته الحمية لدين قومه من أن يتبعـه، ولهذا قال في شعره:

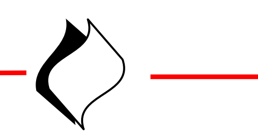
ولقد علمتُ بأن دين محمدٍ ... من خير أديان البرية دينًا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لرأيتني سمحًا بذاك مبينًا

فهـو يعـترف بقلبـه أنـه رسـول اللـه، ومـع هـذا لم يـدخل في الإسلام، وكان من أهل النار، ومات على الكفر -والعياذ بالله-، وهو من أهل النار كما أخبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم-.

وكذلك من نطق بلسانه ولم يعتقد بقلبه؛ إن شهد أن لا إله إلا اللـه وأن محمدًا رسول الله، ولكن لا يعتقد ذلك بقلبه؛ فهذا منافق، هـو أشد من الكافر الأصلي، قـال تعـالى: ﴿إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: 1-2]، يقولون هذا الكلام من باب الاجتنان به والتـوقِّي أن تُسفك دماؤهم وأموالهم، ويُعاملون معاملة الكفار، فهم لم يكونـوا من المؤمـنين بـل كـانوا منـافقين؛ في الـدرك الأسـفل من النـار، مسلمون في الظاهر ويُقبـل منهم إسـلامهم في الظـاهر، وتُجـرى عليهم الأحكام في الظـاهر، لكن في البـاطن هم كفـار، فيُعـاملون بحسب ما يظهر منهم وسريرتهم إلى الله -سُبْحَانهُ وَتَعَالَى-.

الشـاهد من هـذا أنـه لا يكفي النطـق باللسـان دون اعتقـاد القلب، وكـذلك لا يكفي الاعتقـاد بـالقلب مـع النطـق باللسـان عن العمل بالجوارح، فلا بُد من العمل أيضًا إذا آمن بقلبه وصدَّق بلسانه



فلا بُد أن يعمل بما آمن به؛ وإلا كان متناقضًا، فالذي ينطق بالشهادتين بلسانه ويعتقد معناهما بقلبه؛ لكنه لا يعمل: ترك الأعمال، ترك الصلاة، ترك الزكاة، ترك جميع الأعمال؛ هذا ليس بمؤمن، لأنه لو كان مؤمنًا لعمل الأعمال الصالحة.

الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون (2) أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: 2-4]،

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ﴾ [التوبة: 71].

قال عليه الصلاة والسلام: «الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ شعبة» وفي رواية: «بضعة وستون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعبةٌ من الإيمان» فاعتبر القول وهو: لا إله إلا الله من الإيمان، واعتبر العمل وهو إزالة الأذى عن الطريق من الإيمان، واعتبر عمل القلب وهو الحياء من الإيمان؛ فدل على أن الإيمان قولٌ واعتقادٌ وعمل، وأنه يزيد بالطاعة كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: 2]، ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: 76]، ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: 31]، فالإيمان يزيد وينقص، يزيد حتى يكمل أو يقرب من الكمال، وينقص حتى يكون مثال حبة خردل أو أقل من ذلك، وذلك أضعف الإيمان.

فدل على أنَّ الإيمان يكون قويًا ويكون ضعيفًا، وأنه يكون بمنزلة الحبة من الخردل أو أقل من ذلك، والذي يزيد ينقص، وأيضًا في قوله: وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل؛ هذا دليل على أنَّ الإيمان يضعف حتى يكون بقدر مثقال حبة الخردل.

المذيـــــع: إذن من قال إن الإيمان هو مجرد التصديق، فقد حصر الحقيقة الشرعية إلى حقيقة لغوية فقط.

الشيخ صالح: إي نعم، عنده الإيمان اللغوي فقط.

المذيـــــــع: كما لو قيل الصلوات الخمس يُعنى بها الدعاء فقط.

الشيخ صالح: هكذا نعم، والزكاة يُراد بها الطهارة، والصيام يُراد به الإمساك؛ مُطلق الإمساك عن الحرام وعن الكلام.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مستحق الإيمان حقيقة لا مجازًا).

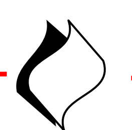
الشيخ صالح: رَحِمَهُ اللهُ، لا يترك فرصة تمر إلا وينبه عليها؛ وإن لم تكن داخلة في صلب الموضوع الذي يتكلم عنه، فهذه المسألة ليست من صلب موضوع اقتضاء الصراط، لكن يقتضي الحال أنه ينبِّه عليها لأنها مهمة جدًا، فمسألة الإيمان ليست بالمسألة السهلة التي تُترك ويُقال فيها خلاف أو ما أشبه ذلك؛ لأن هذه هي الدين.

(389) كل من ترك شيئًا من الأعمال لم يكن كافرًا ولا خارجًا عن أصل الإيمان

المذيـــــــع: قال: (وإن لم يكن كل من ترك شيئًا من الأعمال كافرًا ولا خارجًا عن أصل مسمَّى الإيمان).

الشيخ صالح: نعم، الأعمال من حقيقة الإيمان؛ ولكن ليس معنى ذلك أن من ترك شيئًا من الأعمال يكون كافرًا. من ترك العمل نهائيًا فهذا كافر، إلا إذا كان معذورًا في تركه كأن يُسلم حديثًا ويُقتل أو يموت بدون أن يتمكن من العمل، فهذا مؤمن ويدخل الجنة، وكونه لم يعمل شيئًا؛ لأنه معذور، لم يتمكن من العمل.

أما من ترك بعض الأعمال، فهذا فيه تفصيل منها ما يكون كفرًا ناقلًا من الملة كترك الصلاة كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «بينَ العَبدِ وبينَ الكُفرِ والشِرك ترك الصَلاة، فمَنْ تَركَها فقَد كَفَر»، وقال عليه الصلاة والسلام: «العهدُ الذي بينَنا وبينَهُم الصَلاة، مَنْ تَركَها فقَد كَفَر»، في أدلة كثيرة من الكتاب والسُنَّة على أن ترك الصلاة كفرٌ مُخرجٌ من الملة، ولو لم يجحد وجوبها.



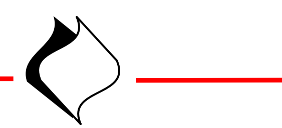
ومن الأعمال ما يكون تركه نقصًا في الإيمان، وليس كفرًا يُخرج من الملة؛ بل يكون كفرًا أصغر، كما سبق أن الكفر إذا جاء معرفًا بالألف واللام يكون كفرًا أكبر، وإذا جاء منكرًا يكون كفرًا أصغر، فالأعمال تختلف: منها ما يزول الإيمان بزواله بالكلية، ومنها ما يزول كماله الواجب أو كماله المستحب، وهذا خلافًا للخوارج الذين يقولون: إنَّ الإيمان يزول بزوال الأعمال مطلقًا؛ فلذلك يُكفرون بالكبائر التي دون الشِرك، بناء على مذهبهم الباطل: أن الإيمان يزول بزوال الأعمال مطلقًا بدون تفصيل، والكتاب والسُنَّة دل على التفصيل في الأعمال، وأن منها ما يكون كفرًا مخرِجًا من الملة، ومنها ما يكون كفرًا دون كفر؛ فينبغي الفقه في هذا الأمر، وهذا أمرٌ عظيم يجب التفقُّه فيه؛ لأن كثيرًا من الناس وقع في الخطأ من جهله بالفقه في الدين والفقه في العقيدة والتبصُّر فيها، ودراسة منهج السلف الصالح والأئمة الذين طرقوا هذا الباب طرقًا وافيًا وبيَّنوه؛ لأنهم ابتُلوا في وقتهم بهذه الفرق، فالله جَلَّ وَعَلَا أقدرَهم على بيان الحق وردِّ الباطل، فنحن نسير على منهجهم وعلى طريقتهم في ذلك.

(390 أقسام الحواس ووضعها في الشرع

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء، ولهذا يسمِّي الله تعالى أصحاب هذه الأحوال: موتى، وعُميا، وصُمًا، وبُكمًا، وضالين وجاهلين، ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون، ويصف المؤمنين: بأولي الألباب وأولي النُهى، وأنهم مهتدون وأن لهم نورًا وأنهم يسمعون ويعقلون).

الشيخ صالح: السمع والعقل والبصر، تنقسم هذه الحواس إلى قسمين:

- إلى عقل معيشي دنيوي، وسمعٍ معيشي، وبصرٍ معيشي؛ هذا يشترك فيه المؤمنون والكفار والآدميون والبهائم، كلهم يشتركون في أنهم يعرفون الأشياء التي تنفعهم والتي تضرهم؛ فهذا عقلٌ معيشي، كما يُسمى.



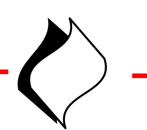
- **والنوع الثاني وهو المُهم: النظر اليقيني والبصر اليقيني والعقل اليقيني التي تحمل صاحبها على لزوم الحق وترك الباطل؛ فهذا هو العاقل اليقيني والعقل النافع وهؤلاء هم أولو الألباب؛ أي: أصحاب العقول وهؤلاء هم الذين يسمعون سمع إجابة، وينظرون نظر اعتبار، ويتكلمون بكلام حق، هؤلاء هم أهل البصائر وأهل النُهى وأهل العقول.**

أما أولئك فإنهم يسمعون ويعقلون؛ ولكنهم لا يسمعون سماع قبولٍ ولا يعقلون عقل قبول؛ وإنما يعقلون ويسمعون بحسب ما تسمع البهائم أو أقل من البهائم ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: 44]، ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: 55]، فهؤلاء هم أشر من البهائم وأحط من البهائم، هم يسمعون، لهم أسماع؛ حواس، يسمعون القرآن يسمعون الأحاديث؛ لكنهم لا يعقلونها، ولا يتدبرونها، وإنما مجرد سماعٍ يمر على آذانهم مثلما تسمع البهائم، لكن البهائم غير مُخاطبة وهم مُخاطبون بهذا الكلام.

ولهذا وصف الله المنافقين بأنهم يحضرون عند النبي -صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّمَ-، وهو يخطب، يسمعونه، فإذا خرجوا قالوا: ماذا قال آنفًا، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ [محمد: 16]، يعني كأنهم ما سمعوه، وإن كانوا سمعوه سماع الصوت فقط إلا أنهم لم يتدبروه ولم يفقهوه.

(391 الناس قبل مبعث الرسول كانوا في حال جاهلية منسوبة إلى الجهل

المذيـــــع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (فإذا تبيَّن ذلك فالناس قبل مبعث الرسول صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّمَ، كانوا في حال جاهلية منسوبةً إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأفعال إنما أحدثه لهم جاهل وإنما يفعله جاهل).

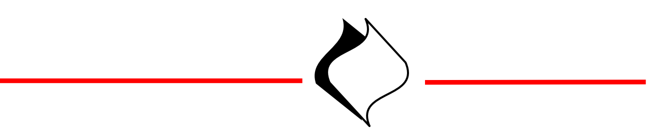


الشيخ صالح: نعم، كان الناس قبل بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، في جاهلية وضلالٍ مبين، لأنهم فقدوا أنوار الرسالة، وكانوا في زمن فترة ما بين عيسى ومُحمد -عليهما الصلاة والسلام-، وشاع فيها الكفر والضلال، وانقرض أهل الكتاب الذين كانوا على الحق ولم يبق إلا اليهود والنصارى الذين كانوا على الباطل والتحريف والتغيير؛ فكانوا في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء؛ ولهذا جاء في الحديث: «إنَّ اللهَ نظرَ إلىَ أهلِ الأرض عَربَهم وَعَجمهُم فمَقتهُم» يعني: يبغضهم «إلا بَقايَا مِن أهلِ الكِتاب كانوا على الدينِ الصحيح وانقرضوا قبل البعثة» لكن ما بُعث النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، وفي الأرض من هو على علمٍ ومعرفة بالحق، فيه أصحاب الديانتين اليهودية والنصرانية؛ لكنها مُحرفة ومُبدلة ومُغيَّرة، ما بقي على الدين الحق فيها أحدٌ، فرحم الله أهل الأرض، فبعث إليهم محمدًا رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، بالعلم والنور والهداية.

392) كل ما يخالف ما جاءت به المرسلون من يهودية ونصرانية، فهي جاهلية

المذيع: قال: (وكذلك كل ما يُخالف ما جاءت به المرسلون من يهودية ونصرانية، فهي جاهلية).

الشيخ صالح: كل ما خالف ما جاء به الرسل فهو جاهلية، ليس هذا خاصًا بمخالفة ما جاء به مُحمدٌ -صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم-؛ فاليهود كانوا في جاهلية مع أنهم يهود ينتسبون إلى دين موسى -عليه السلام-، لكن ليسوا على دينه الحق، وإنما هم على دينه المُحرف والمُبدل والمُغيَّر، والنصارى كذلك وأشد؛ لأنهم كانوا يقولون: المسيح ابن الله، الله ثالث ثلاثة، ﴿قَآلُواْ إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 17]، مع أنهم أهل كتاب، هل هذا في الكتاب؟ هذا مما أحدثوه وغيَّروا به دين المسيح، فلم يبق دين المسيح الذين ينتسبون إليه وإنما بقي الاسم فقط؛ فهم في جاهلية، هم جاهليون -وإن كانوا يهودًا أو نصارى-.



393) الجاهلية بعد مبعث الرسول قد تكون في شخص دون شخص وفي مصر دون مصر

المذيــــــع: قـال: (وتلـك كـانت الجاهليـة العامـة فمـا بعـد مبعث الرسول صَلَّى اللهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم، فقـد تكـون في مصـرٍ دون مصر كما هي في دار الكفـار، وقـد تكـون في شـخصٍ دون شـخص كالرجل قبل أن يُسلم، فإنه في جاهلية وإن كان في دار إسلام).

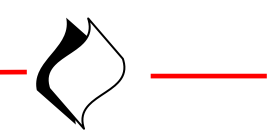
الشيخ صالح: نعم الجاهلية تنقسم إلى قسمين:

- **جاهليـةٌ عامـة، وهـذه لم يبـق عليهـا إلا الكفـار الـذين لم يُؤمنوا بمحمد صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، من اليهود والنصارى وغـيرهم، فهم مـا زالـوا في جـاهليتهم؛ لأنهم لم يقبلـوا الحق.**
- **وأما المسلمون فإن الله أزال عنهم الجاهلية العامة. وقـد تبقى جاهلية خاصة في بعض الأشخاص أو بعض القبائــل، أو بعض البلــدان، لكنهـا جاهليــة خاصــة ولا تقتضــي إلى الكفر، فليس كل من اتصـف بصـفة من صـفات الجاهليـة يكون كافرًا؛ ولا يزول بذلك إسلامه، لكن تبقى فيه خصلة من خصال الجاهلية حتى يدعها.**

394) في زمان مطلق، فلا جاهلية بعد مبعث النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم

المذيــــــع: قـال: (فأمـا في زمـان مطلـق فلا جاهليـة بعـد مبعث محمدًا صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم).

الشيخ صالح: نعم، وهـذا يغلـط فيـه بعض الكُتَّاب الغيـورين الذين يتحمَّسون للإسلام، فيصفون النـاس اليـوم أنهم ليسـوا على دين وأنهم كلهم على جهل ولم يبق مسلمٌ على وجـه الأرض؛ فهـذا من الجهل -في الحقيقة-، والله جَلَّ وَعَلَا، بعد بعثـة الرسـول صَـلَّى اللهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم، محى الجاهليـة بصـفة العمـوم، وقـد تبقى منهـا بعض الأشياء، لكن كون العالم كلـه يُوصـف بأنـه جاهليـة، وبعضـهم



يقول: أشد من الجاهلية التي بُعث فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، فهذا غلط بلا شك.

395) ما تزال من أمته طائفةٌ ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة

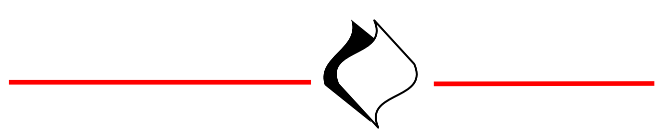
المذيـــــع: قال: (فإنه لا تزال من أمته طائفةٌ ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة).

الشيخ صالح: هذا يخالف قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم بأنه مع شدة الفتن وشدة الضلال وشدة الانحرافات؛ إلا أن الله يُبقي هذا الدين ويُبقي له أهلًا، «لا تزالَ طائفةٌ مِن أمتي عَلَى الحَق ظَاهرين لا يضُرهم مَن خَذلهم ولا مَن خَالفهم، حَتى يَأتي أمرُ الله تَبَارَك وَتَعَالَى»، فدل على أنه لا تعود جاهليةٌ عامة؛ وإنما تعود جاهلية خاصة.

المذيـــــع: شيخ، هذا يأتي معنا دائمًا: أنه صعوبة تحقيق التوازن بين الخير والشر في شخص أو في مجتمع، مثلما أشرت، يعني بعض الناس ينظر إلى غلبة المعاصي وكثرة الفساق يقول: الناس في جاهلية جهلًا، ومنهم من ينظر إلى بعض الخير وأعمال الخير والصالحين، يقول: الناس في خير مما سلف، مثل ما قاله أبو ذر، رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، قال بعض الأشخاص قد يكون فيه علم وفضل لكن لا يمنع من خطأه، لكن إذا أخطأ لا نقول: تُودِع منه. تحقيق هذا التوزان مسألة صعبة جدًا، ودنا أن يكون ختمنا بهذه الإشارة منكم.

الشيخ صالح: الخير موجود -ولله الحمد-، بعد بعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، فالخير موجود ولا ينقطع ولن ينقطع إلى أن تقوم الساعة، الخير موجود، ولذلك لا يجوز أن نقول إن الخير فُقد، وأن الناس كلهم عادوا إلى الجاهلية وتُودع منهم.

وكون الإنسان يحصل منه أخطاء، ما دامت عقيدته سليمة لا يُشرك بالله شيئًا ولا يرتكب ناقضًا من نواقض الإسلام، ولكن عنده أخطاء في القول أو في العمل أو الاجتهادات الخاطئة؛ فهذا



يُعطَى حكم المخطئ، ولكن لا يُسلب الإيمان بالكُلية ولا يُعطى الإيمان المُطلق؛ بل يُقال: هو مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته أو بمعصيته، فيجب الاعتدال في هذه الأمور.

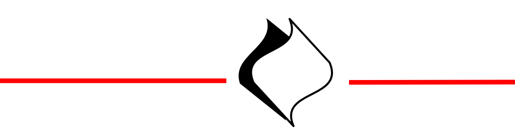
ولكن الذي تشير إليه، ربما ما شاع بين الناس أانه لا يُرد على أهل الأخطاء، لأن لهم حسنات، نقول: لا، هذا غير صحيح.

المذيـــــع: أو من رد فهو عدو.

الشيخ صالح: أو من رد عليهم فهو عدوٌ لهم، نقول: لا، هذا ما هو بصحيح، نرد على بعض الأخطاء ولا نجحد ما عندهم من الفضل، ولكن ليس من حقنا أن نذهب ونُعدد حسنات الناس، من حقنا نبيِّن الخطأ لأجل أن يُجتنب، وأما الحسنات فهي لهم، وهم لا يُحبون أيضًا أن يُشهروا بحسناتهم، ولا يجوز أنهم يقصدون التشهير بحسناتهم؛ لأنها بينهم وبين الله، وهذا لا يقتضي عداوتهم ولا منابذتهم وإنما هو من باب النصيحة لهم ولغيرهم، فالحق يُبيَّن والخطأ يُرَد، ولا يُحدث هذا عدواةً بين الراد والمردود عليه؛ بل ربما أن هذا يُوجب الارتباط والمحبة لأنَّه يعرف أنك تنصح له وأنك تـرَّده عن خطأ، أما إذا أصَّر وعاند فهذا يكون من الجهل الذي سبق؛ الجهل المركَّب.

المذيـــــع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس التاسع والأربعون

المذيـــــــع: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِ العـالمين، وصَـلَّى اللـهُ وَسَـلَّم على نبينـا محمـد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام؛ السـلامُ عليكم ورحمـة اللـه وبركاتـه، وحيـاكم اللـه إلى حلقـةٍ جديـدة في برنـامجكم [اقتضـاء الصـراط المستقيم مخالفـة أصـحاب الجحيم] لشـيخ الإسـلام/ أحمـد بن عبـد الحليم بن تيمية، رَحِمَهُ اللهُ.

ضيف اللقاء صاحبُ الفضيلة الشيخ الـدكتور/ صـالح بن فـوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

نُرحب في مَطلع هذه الحلقة بفضيلة الشيخ؛ حياكم اللـه شـيخ صالح.

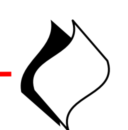
الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

396) الجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين

المذيـــــــع: قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَـالى- في ذكـر بعض مُشـابهة أصـحاب الجحيم الواقعـة في أحـوال المسـلمين، قـال: (والجاهلية المقيدة قد تقـوم في بعض ديـار المسـلمين وفي كثـيرٍ من الأشخاص المسلمين كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «أربـعٌ في أُمتي مِن أمرِ الجَاهلِية»، وقال لأبي ذر: «إنَّك امـرؤٌ فِيـك جَاهليـة»، ونحو ذلك).

الشيخ صالح: بسـم اللـه الـرحمن الـرحيم، الحمـدُ للـه رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وسَـلَّم على نبينـا محمـد، وعلى آلـه وأصـحابه أجمعين.

من الطوائـف الـتي نهى النـبي صَـلَّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم، عن التشبه بها أهل الجاهلية، ويُراد بالجاهليـة: مـا قبـل الإسـلام، قبـل بعثة محمد صَلَّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم، فـإن النـاس كـانوا في جاهليـة



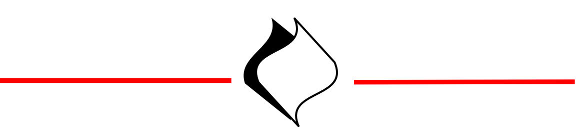
جهلة وضلالة عمياء، لبُعد الفترة بين محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، وآخر أنبياء بني إسرائيل وهو عيسى عليه الصلاة والسلام، فقد بُعث صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، على فترةٍ من الرسل انقطعت فيه آثار الرسالات وغُيِّرت بقايا الأديان الصحيحة وسادت الوثنيات، وصار الناس في جاهلية، لأنَّ العالم لا يصلح أن يعيش بدون الرسالات لأنهم إذا فقدوا الرسالات صاروا في جاهلية، تسلَّطت عليهم شياطين الإنس والجن، فلذلك رحم الله البشرية، فبعث محمدًا صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور وليُنقذهم من الجاهلية.

والجاهلية على قسمين -كما ذكر الشيخ رحمه الله-:

- **جاهليةٌ عامة**: وهي ما كان عليه أهل الجاهلية في جميع أمورهم، وهذه انتهت -ولله الحمد- بظهور الإسلام وبعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، فبعثته صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، انتهت الجاهلية العامة، وجاء العلم والنور والهداية وسيبقى إلى يوم القيامة، كما أخبر بذلك الرسول صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 33].

- ولكن تبقى أنواعٌ من الجاهلية في بعض المسلمين أو في بعض البلاد، وهذه **جاهليةٌ جُزئية** وليست جاهلية عامة، فلا يجوز أن يُقال: الناس اليوم في جاهلية؛ في جاهلية عامة، أو هم في جاهلية أسوأ من الجاهلية الأولى، على صفة العموم، فهذا أمرٌ لا يجوز وهذا معناه أن الإسلام لا وجود له، ولكن يُقال: الناس فيهم جاهلية، ولا يقال: الناس في جاهلية، بل يقال: الناس فيهم جاهلية؛ أي: في بعضهم، أو البلاد الفلانية فيها شيءٌ من الجاهلية؛ وهذه الجاهلية جزئية وليست عامة كما قال صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: «أربعٌ في أُمتي من أمور الجاهلية لا يدعونهن: الطَعن في الأنسَاب، والفخرِ بالأحسَاب، والنِياحَة عَلى الميت، والاستسقَاء بالنجوم».

397) أنواع الجاهلية



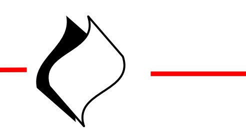
المذيــــــع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (فقوله في هذا الحديث: «ومبتغٍ في الإسلام سُنَّة جاهلية» وكان قد سبق معنـا الحديث، قوله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: «أبغض الناس إلى الله ثلاثـة» فيما رواه مسلم والبخاري «مُلحـدٌ في الحـرم، ومبتـغٍ في الإسـلام سُنَّة جاهليـة، ومُطَّلبٌ دم امـرئٍ بغـير حـقٍ ليُريـق دمـه» قـال شـيخ الإسلام -رحمه الله- فقوله في هذا الحـديث: «ومبتـغٍ في الإسـلام سُنَّة جاهلية»، يندرج فيه كل جاهلية: مطلقـةً أو مقيـدة، يهوديـة أو نصـرانية أو مجوسـية أو صـابئة أو وثنيـة، أو مُركبـةً من ذلـك، أو منتزعـةً من بعض هـذه الملـل الجاهليـة، فإنهـا جميعهـا مبتـدعها ومنسوخها صارت جاهلية بمبعث محمد صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم).

الشيخ صالح: نعم، فقوله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَـلَّم، من جملـة الأمور التي لا يجوز إحياؤها ولا يجوز الرجوع إليها؛ الجاهلية: «مُبتغٍ في الإسلام سُنَّةً جاهلية» فالذين يريدون العوُد إلى أمـور الجاهليـة ويفتخرون بذلك، ويقولون: إنَّ هذا من التراث ومن الحضارة، هؤلاء يدخلون في هذا الحديث، الواجب ترك الجاهلية وتناسيها والاعـتزاز بالإسلام وبما جاء به الإسلام، وهذا يشمل كل جاهلية سواءً جاهلية الأميين أو جاهلية الأعاجم، أو جاهلية أهل الكتاب، كل جاهليـة ومـا كان قبل بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم، وبعـد الفـترة من بعثـة الرسل، فهو الجاهلية، يُراد بالجاهليـة أهـل الفـترة مـا بين عيسـى ومحمد صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم.

398) الجاهلية عامة وهي كل ما كان قبل بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم

المذيــــــع: قـال: (فإنهـا جميعهـا صـارت جاهليـة بمبعث محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، وإن كان لفظ الجاهليـة لا يُقـال غالبًـا إلا على حال العرب التي كانوا عليها، فإنَّ المعنى واحد).

الشيخ صالح: كون عُرف الناس يخصـص الجاهليـة بمـا كـان عليه العرب فقط، هذا جزءٌ من الجاهلية، الجاهلية عامةٌ للعالم كله، العرب والعجم وجميع أهل الأرض قبل بعثة النـبي صَـلَّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَلَّم.



399) أمر النبي الناس بعدم استعمال ماء أرض الحِجر

المذيـــــــــع: قال: (وفي الصحيحين عن نـافعٍ عن ابن عمـر، أنَّ الناس نزلوا مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم- على الحِجـر؛ أرض ثمود، فاستقوْا من آبارها وعجنوا به العجين، فـأمرهم رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَـلَّم، أن يريقـوا مـا اسـتقوْا، ويعلِّفـوا الإبـل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة).

الشيخ صـالح: نعم، ومن تجنُّب الجاهليـة مـا فعلـه النـبي - صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم- في أرض الحِجر، لما ذهبوا إلى غـزوة تبـوك ومروا بديار ثمود؛ وهي المسماة بالحِجر، مـروا بهـا وفيهـا آثـارهم وديارهم العجيبة، وفيها الآبار، النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، نهـاهم عن استعمال مياه ثمـود لمـا فيهـا من آثـار الجاهليـة وآثـار الكفـر، فـالكفر يُـؤثر في الأرض -والعيـاذ باللـه- وفي الميـاه، فمن تجنب الجاهلية؛ النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، لم يستعمل هذا المـاء ونهى أصحابه عن استعماله حتى إنه أمر بـأن يُعلِّف العجين للـدواب الـذي عُجن من ماء ثمود، تجنبًا لآثار الجاهلية.

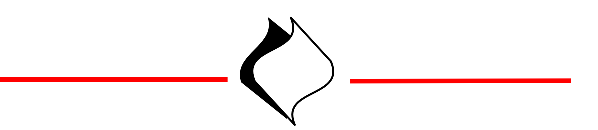
ولم يرخِّص لهم إلا في بئر الناقة -التي تردها الناقة-؛ لأنهـا لا يتناولها آثار الجاهلية لأنها بئرٌ نزيهة وليست من آبار ثمود.

المذيـــــــــع: معنـاه أنهـا كـانت معروفـة البـئر الـتي تردهـا الناقة؟

الشيخ صالح: إلى الآن معروفة، نعم.

المذيـــــــــع: هناك مسائل يـا شـيخ في الحِجـر، يعـني ممكن بعض الناس ببراءة يذهب يقول: أشوف الآثار.

الشيخ صالح: السفر لأجل التفـرج عليهـا لا يجـوز؛ لأن هـذا فيه تعظيمٌ لها، وأما إذا مر الإنسان في طريقه ولم يقصـدها ولكن مر عليها في طريقه؛ فلا بأس أن ينظر فيهـا للاعتبـار، قـال صَـلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم: «لَا تَدخلوا عَلى هَؤلاِء القَـوم إلَا أن تَكونـوا بَـاكين



أن يُصيَبكم مثل ما أصَابهم» فإذا كان الإنسان مارًّا بها من غير قصد وهو في طريقه؛ فلا مانع أن ينظر فيها للاعتبار والاتعاظ.

أما أن ينظر فيها للتعظيم وأن هذه حضارة، وأن وأن...، وأنهم فعلوا، وهؤلاء أجدادنا وآباؤنا ويفتخر بهذا، فهذا افتخارٌ بالجاهلية، وهذا أمرٌ لا يجوز، ولا يجوز أنها تُطور وأن يُعتنى بها، وأنها تُجعل مزارًا من ضمن السياحة -كما يقولون- كل هذا من تعظيم أمور الجاهلية، ولا يجوز هذا العمل.

المذيـــــــع: هل هي زيادة خاصية أنها أيضًا أرض قومٌ مُهلكين، عصوا الله فعذبهم؟

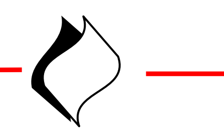
الشيخ صالح: فيها عبرة ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: 52]، ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [القصص: 57]، فمحل عبرة؛ أما أنها تُعظم وأن تُفتخر بها، فهذا أمرٌ لا يجوز؛ لأنه من الافتخار في الجاهلية.

المذيـــــــع: أحسن الله إليكم، قال -رحمه الله-: (ورواه البخاري من حديث عبد الله بن دينار بن عمر، أنَّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم- لما نزل الحِجر في غزوة تبوك، أمرهم ألا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها، فقالوا: «قد عجننا منها واستقينا، فأمرهم النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، أن يطرحوا ذلك العجين ويُهريقوا ذلك الماء»).

الشيخ صالح: هذه رواية أخرى، في رواية أن أمرهم أن يُطعموها الدواب، وفي هذه الرواية أنه أمرهم أن يطرحوها، ولا تعارض بين الروايتين، فربما يكونون أنهم بعض ذلك أطعموه الدواب، وبعضه أهرقوه.

والشاهد أنهم لا يستعملونه، الشاهد من كل هذا أنهم لا يجوز لهم أن يستعملوه.

400) نهي النبي عن الدخول على المعذبين في ثمود بشرط



المذيـــــــع: وفي حديث جابر، وهو في الصحيحين أيضًا، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، أنه قـال، لما مـر بـالحجر: «لَا تَـدخلوا عَلى هَؤلاِءِ المُعذبين إلَا أن تَكونوا بَاكين فـإن لم تَكونـوا بـاكين فَلَا تَدخلوا عليهم أن يُصيبَكم مثل ما أصَابهم».

الشيخ صالح: نعم، هذا دليـل على أنهم مقبـورون في هـذه البيوت وهذه المساكن؛ لأنه قال: «لا تدخلوا على هؤلاء المُعذبين»، دل على أنهم مقبورون فيها، وأنهم يُعذبون فيها، ودل هذا الحديث على أنه لا يجوز الـذهاب إليهـا من ناحيـة الاعجـاب والافتخـار بهـا، وإنما يُذهب إليها أو يدخلها من مر بهـا من أجـل الاعتبـار والاتعـاظ فقط.

المذيـــــــع: شرط أن يكون باكيًا؟

الشيخ صالح: نعم، شرط أن يكون باكيًا ومعتبرًا.

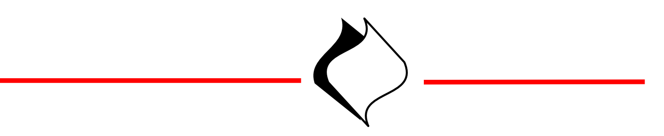
401) نهي الرسول عن الدخول إلى أماكن المعذبين إلا مع البكاء

المذيـــــــع: (فنهى صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، عن الـدخول إلى أماكن المُعذبين إلا مع البكاء).

الشـيخ صـالح: نعم، فمن كـان يـدخلها من بـاب الاعتبـار والاتعاظ والبكاء وتليين القلوب؛ الرسول صَـلَّى اللـهُ عَلِيـهِ وَسَـلَّم، أمر بزيارة القبور، قبور المسلمين وقبور المشركين، أمر بزيارتهـا للعبرة والاتعاظ، وقبور المسلمين أيضًا للسلام عليهم والدعاء لهم.

المذيـــــــع: قال: (إلا مع البكاء خشية أن يُصيب الـداخل مـا أصابهم).

الشيخ صالح: نعم، إذا أُعجب بهم أو فـرح بمـا هم عليـه من الحضارة والتقدم -كما يقولون- فربما أنـه يُصـيبه مـا أصـابهم، إمـا في جسمه وإما في قلبه -والعياذ بالله- بالزيغ والضلال.



المذيــــــــع: هذا في أهمية العلم الشرعي وطلبه يا شيخ؟ لأن من لا يعرف هذا الحديث يقع في هذا الخطأ، أن يُصيبه ما أصاب ثمود.

الشيخ صالح: ما في شك أن الاعجاب بالكفار وبأعمال الكفار وما هم عليه، أنهم خطرٌ عظيم على الإنسان، أن يُصاب في دينه وفي قلبه بالزيغ والضلال.

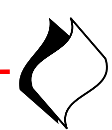
402) نهي النبي المسلمين عن الانتفاع بمياه ثمود

المذيــــــــع: قال: (ونهى عن الانتفاع بمياههم، حتى أمرهم مع حاجتهم في تلك الغزوة وهي أشد غزوة كانت على المسلمين، أن يُعلفوا النواضح بعجين مائهم).

الشيخ صالح: نعم، هذا دليل على أنه لا يجوز الانتفاع بشيءٍ من آثارهم وبقاياهم حتى الماء، والمعصية تؤثر حتى في الأرض وفي المياه وفي الديار؛ فالإنسان يحذر من هذا، وكانوا في حالة عطش؛ لأنَّ غزوة تبوك هي أشد الغزوات لأنها في الصيف وبعيدة المسافة، وكانوا بحاجة إلى الماء ومع هذا نهاهم أن يستعملوا مياه ثمود لأن عندهم ما يكفيهم -ولله الحمد- وهي بئر الناقة، فيستقون منها حاجتهم.

403) حديث عليّ بشأن نهي النبي عن الصلاة في بابل

المذيــــــــع: قال: (وكذلك أيضًا رُوي عنه صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، فإنه نهى عن الصلاة في أماكن العذاب، فروى أبو داوود عن سليمان بن داوود: أخبرنا ابن وهب، حدثنا ابن لهيعة، ويحيى ابن أزهر، عن عمَّار بن سعد المرادي، عن أبي صالحٍ الغفاري، أنَّ عليًّا رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، مر ببابل وهو يسير، فجاءه المؤذن يؤذن بصلاة العصر، فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة، فلما فرغ قال: إنَّ حِبِي النبي -صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم- نهاني أن أُصلي في المقبرة، ونهاني أن أُصلي في أرض بابل فإنها ملعونة).



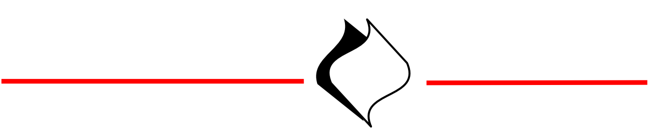
الشيخ صالح: نعم، وهذا كما سبق أنَّ المعاصي والكفر يؤثران في الأرض وفي التربة، وأنَّ الإنسان يتجنّب مواطن الكفرة ومساكنهم؛ لِئلا يُصيبه ما أصابهم، وألا يُؤدي الصلاة في أرضهم التي كانوا يعمُرونها ويسكنونها؛ لأنها بلادٌ مأثومة وبلادٌ ملعونة -كما قال صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم-، أي: معلونٌ أهلها.

واللعنة تؤثر حتى في الجمادات وفي الأرض، فهذا دليلٌ على أنَّ المسلم يتجنَّب مآثر الجاهلية وأماكن الكفرة ويبتعد عنها؛ ولهذا نهى صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، عن الصلاة عند القبور؛ لأن هذا وسيلة إلى الشِرك، وإن كان المصلي يقصد بذلك وجه الله عزَّ وجَلْ-، لكن صلاته عند القبور وسيلة إلى الشرك والتأثر بالأموات.

وكذلك في مواطن المُعذَّبين، وكذلك في أراضي الكفر التي كانوا يسكنونها ويعمرونها -كأرض بابل-، وبابل تقع في شمال العراق، وكانت للنمرود والكنعانيين الذين بُعث إليهم الخليل إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، فكان له معهم ما كان مما ذكره الله في القرآن، وفي النهاية هاجر إبراهيم -عليه السلام-، من أرضهم إلى أرض الشام وإلى أرض الحجاز، فارًا بدينه منهم؛ فهم أمةً عاتية وأمةٌ كافرة يعبدون التماثيل، يعبدون الصور المُجسَّمة من دون الله -عزَّ وجَلْ-.

وهذا فيه دليلٌ على تجنُّب مواطن الكفار -مهما أمكن الإنسان-، ولا سيما المواطن التي نزل فيها العذاب -والعياذ بالله-. فإذا كان هذا في الأراضي التي استوطنوها وسكنوها وأن المفروض من المسلم أن يتجنبها، فكيف بالتشّبُّه بهم في أفعالهم وأقوالهم، ولباسهم وعاداتهم وتقاليدهم؟ وأشد ذلك التشّبُّه بهم في دينهم؛ فإنَّ هذا مما يؤكد أن المسلم لا يتشبه بالكفار.

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رحمه الله- (ورواه أيضًا عن أحمد بن صالح: حدثنا ابن وهب، أيضًا أخبرني يحيى بن أزهر عن ابن لُهيعة عن الحجاج بن شدَّاد عن أبي صالح الغفاري عن عليٍّ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، بمعناه ولفظه: "فلما خرج منها ما كان برز"



وكان الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله، في إسنادٍ أوضح من هذا، عن عليٍّ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، نحوًا من هذا، أنه كره الصلاة بأرض بابل أو أرض الخسف أو نحو ذلك).

الشيخ صالح: كل مواطن العذاب ومواطن الكفرة العُتاة، المسلم يتجنبها لا سيما في العبادة، فلا يصلي فيها؛ لئلا يُصيبه من آثامهم ومن آثارهم لأن المعاصي تؤثر حتى في البقاع.

(404) هذه الأحاديث مُخصصة لحديث: «جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا»

المذيع: (وكره الإمام أحمد الصلاة في هذه الأمكنة، اتباعًا لعليٍّ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه).

الشيخ صالح: نعم، الإمام أحمد أحد الأئمة الأربعة، كان يكره الصلاة في مواطن الكفار، اقتداءً بأمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب، الذي روى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم، تجنُّب هذه المواطن.

المذيع: (وقوله: "نهاني أن أصلي في أرض بابل فإنها معلونة"، يقتضي ألا يُصليَ في أرضٍ ملعونة).

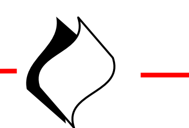
الشيخ صالح: إي نعم، هذا تعليلٌ عام، نهاه أن يُصلي في أرض بابل، لماذا؟ لأنها معلونة، فدل على أن كل بقعة نزلت فيها اللعنة أنها تُتجنب ولا يُصلى فيها.

المذيع: يقال إن بابل حول الكوفة الآن يا شيخ في أدنى العراق؟

الشيخ صالح: في أرض العراق، هم في أرض العراق.

المذيع: إذن هذه الأحاديث مُخصصة لأحاديث: «جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا»؟

الشيخ صالح: نعم، «جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا» إلا المواطن التي نُهي عن الصلاة فيها، ولا تعارض بين الأحاديث.



405) إذا كان النبي نهى عن الدخول إلى أرض العذاب، فكذلك ينهى عن الصلاة فيها كذلك مسجد الضرار

المذيـــــع: قـال: (والحـديث المشـهور في الحِجـر يوافـق هذا، فإنه إذا كان قد نهى عن الدخول إلى أرض العـذاب؛ دخـل في ذلك الصلاة وغيرها).

الشيخ صالح: نعم، يوافق ما في أرض بابل، أرض بابل نهى عن الصلاة فيها، أرض الحِجر لم ينه عن الصلاة فيها، لكنه نهى عن الدخول، والدخول يشمل الصلاة فيها -من بـاب أولى-، فـإذا دخلهـا ليُصلي فيها فهذا أشد.

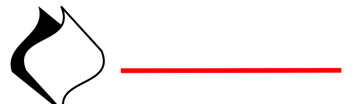
المذيـــــع: (ويوافـق ذلـك قولـه سُـبْحَانهُ وَتَعَـالَى، عن مسـجد الضرار: ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: 108]).

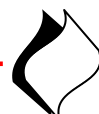
الشيخ صالح: كذلك، هذا شاهدٌ قـوي وشـاهدٌ واضـح في أن آثـار الكفر واراضي الكفر لا يُصلى فيها، الخاصة بالكفار، لا يُصلى فيها، فلما كانت نية أصحاب مسجد الضرار من المنافقين، من بنائه ليس وجـه اللـه عـزَّ وجَـلْ، وإن كـان ظـاهره أنـه لوجـه اللـه، لكن بنـوه للمُضارة بمسجد قباء، وبنوه لتجمع الكفار فيه ليكـون مركـزًا -كمـا نسميه الآن- لاجتماعهم وتخطيطهم ضد المسلمين، الله جَـلَّ وَعَلَا، نهى نبيه أن يُصلي فيه،

فقال: ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: 108]، يعني: لا تصـل فيـه؛ لأنَّه كان وعدهم أن يُصلي فيه إذا قدم من تبوك، فالله أسبق لــه النهي قبل أن يصل.

المذيـــــع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.
نستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





CONTENTS

